أحمد محمد شاكر

الكامل

لأبي العباس المبرد

ثان

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

مقدمة الجزء الثانى

من

الكامل

في اللّغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبى العبّاس المبرّد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

تفضل صديقى الأستاذ « الدكتور زكى مبارك » فكلفنى أن أُتمم تصحيح (الكتاب الكامل) لأبى العباس المبرد ، بعد أن صحح الجزء الأول وملزمتين من الثانى ، وعضده فى هذا الطلب إخوانى الأفاضل أولاد المرحوم السيد مصطفى الحلبى ، حفظهم الله . فنزلت عند إشارتهم وبدأت فى تصحيح هذا الجزء ، من أول الصفحة (٤٣٣) .

واعتمدت فى التحقيق والتصحيح على النسخة المطبوعة فى أوربة ، فى مدينة لبيزج سنة ١٨٦٤ م بتصحيح المستشرق (رايت) ، وهى مطبوعة جيدة جدا ، عمدة فى تحقيق الكتاب ، وقد اعتمد هو على أصول مخطوطة نفيسة ، وأثبت فى الحواشى كل خلاف بينها ، وإن كان ضئيلا ، حتى كأنها صورة لكل المخطوطات التى كانت فى يده . وكتب مقدمة للنسخة باللغة الانكليزية ، وصف فيها الأصول التى اعتمد عليها . وقد ترجمها لى ابنى السيد (أسامة أحمد شاكر) وفقه الله للخير ، وهيأ له سبل الهدى والرشاد .

ورمز المستشرق (رايت) لهذه النسخ بحروف إفرنجية . وقد رمزت لها بحروف عربية في تعليقي على الكتاب ، ولكني لم أذكر كلّ الاختلاف بين النسخ ، وإنما تخيرت أكثرَها فائدةً ، وأثبتُّ ما في النسخ من زيادات ، بعضها من أصل الكتاب وبعضها حواشٍ كتبها قارئوها ، فيها فوائد جمة .

ثم إن المستشرق (رايت) وجد نسخاً أخرى بعد طبع (الكامل) فنشر مجلداً ثانياً فيه مقارنتها بالنسخ الأولى ، وفيه زيادات وتصحيح للكتاب ، واستدراك عليه ، وقد استفدت من هذا الجزء فوائد كثيرة ، ولكني لم أستطع تتبع كلّ ما فيه ، في هذه الطبعة ، لضيق الوقت وكثرة العمل .

واعتمدت أيضا في التحقيق على شرح (الكامل) المسمى (رغبة الآمل) لأستاذنا العلامة الكبير الشيخ سيد بن علي المرصفي ، رحمه الله ، وعلى ما يُسِّرَ لي من كتب اللغة والأدب والتفسير والحديث وغيرها .

وقد عزمت ـ بحول الله وقوته ـ على وضع فهارس مفصلة للكتاب ، أوضح تفصيلاً ، وأحسن ترتيباً ، من الفهارس التي في مطبوعة أوربة ، إن شاء الله .

وها هى رموز النسخ التى أشيرُ إليها :

ا قطعة مخطوطة فى أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس .

ب قطعة مخطوطة جديدة .

ع نسخة مخطوطة فى سنة ٥٣٧

س « « فى سنة ١١٤٦

د نسخة نصفها مخطوط جديد والنصف الآخر بخط مغربى سنة ٥٦٢

هـ نسخة مخطوطة فى سنة ١١١٤

ف إحدى النسخ المشار إليها فى المجلد الثانى الملحق بالكتاب .

وأسأل الله العصمة والتوفيق

كتب

أحمد محمد شاكر

عن كوبرى القبة فى يوم الأربعاء

١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٨

٣١ مايو سنة ١٩٣٩

الكامل

في اللغة والأدب والنحو والتصريف

تأليف

الإمام أبي العباس المبرد

بتحقيق

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م / ٧٢٦

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة

لناشـــــــريه

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

باب

قال جرير ، ونزل بقوم من بنى العَنْبَرِ بن عمرو بن تميم ، فلم يَقْرُوهُ حتى أشْتَرَى منهم القِرَى ، فانصرف وهو يقول :

يَا مَالِكُ بنَ طَرِيفٍ إنَّ بَيْعَكُمُ ... رِفْدَ القِرَى مُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالحَسَبِ
قَالُوا نَبِيعُكَهُ بَيْعًا فَقُلْتُ لَهُمْ ... بِيعُوا المَوَالِيَ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْعَرَبِ
لَوْلاَ كِرَامُ طُرَيْفٍ مَاغَفَرْتُ لَكُمْ ... بَيْعِي قِرَايَ وَلاَ أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي
هَلْ أَنْتُمُ غَيْرُ أَوْشَابٍ زَعَانِفَةٍ ... رِيشُ الذُّنَابَى وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالذَّنَبِ

قوله [يا مالكَ بنَ طَرِيفٍ] فمن نصب ، فإنما هو على أنه جعل «أبنا» تابعا لما قبله ، كالشيء الواحد ، وهو أكثر فى الكلام إذا كان أسما عَلَمًا منسوبا إلى أسم علم جعل «أبن» مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد[1] ، ومثل ذلك :

* يَا حَكَمَ بن الْمُنْذِرِ بنِ الجارود *

---

(١) يعنى أن الصفة من الموصوف كعشر من خمسة فى قولك : خمسة عشر ففتحة مالك فتحة بناء ، وذهب ابن مالك فى التسهيل إلى أنها فتحة إتباع لفتحة نون ابن والساكن بينهما غير حصين وحينئذ يكون مبنيا على ضم مقدر ، منع من ظهوره حركة الاتباع .

ومن وقف على الإسم الأول ، ثم جعل الثانى نعتاً لم يكن إلا الرفع ، لأنه مفردٌ نُعِتَ بمضافٍ ، فصار كقولك . . . يا زيدُ ذا الجُمّةِ .

وقوله [وَلاَ أَنْسَأْتُكُمْ غَضَبِي] يقول لم أُؤَخِّرْهُ عنكم ، يقال نَسَأَ اللهُ فى أَجَلِكَ ، وَأَنْسَأَ اللهُ أَجَلَكَ ، والنَسيءُ مِن هذا(١) ، ومعناه تأخير شهر عن شهر ، وكانت النَسَأَةُ من بنى مُدْلِجِ بنِ كِنانةَ فأنزل الله عزّ وجلّ : « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ » لأنهم كانوا يؤخرون الشهور فيُحَرِّمون غير الحرام ، ويُحِلُّونَ غيرَ الحَلالِ ، لِمَا يُقَدِّرونه من حُروبهم وتَصَرُّفِهِمْ ، فاستَوَتِ الشهورُ لَمّا جاء الإسلام ، وَأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ » .

وقوله [هل أنتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ] فالأُشابةُ جماعة تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم ، وإنما هو مأخوذ من الأمرِ الأشِبِ أى المختلط ، ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِبَ ، يقال بالفارسية وَقَعَ القومُ فى آشُوب فى اختلاط ، ثم تَصَرَّفَ ، فقيل تَأَشَّبَ النبتُ فصُنِعَ منه فِعْلٌ (هذا وَهْمٌ من أبى العباس ليس الأُشابةُ ولا الأَشِبُ من الأَوشابِ ، لأن فاء الفعل من الأُشابة همزة ، ومن أَوْشابٍ واوٌ ، ولكنه مثله فى المعنى يحتمل(٢) أن يكون أصله وُشابةٌ ، وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزَّعانفُ فأصلها أجنحة السَمَكِ ، سمى بذلك الأَدْعِياء لأنهم التصقوا

---

(١) فيكون اسما وضع موضع المصدر وهو الانساء .

(٢) قال الشيخ المرصفى : لامساغ لهذا الاحتمال مع اتفاق أهل اللغة على أنهما مادتان ليست إحداهما مقلوبة عن الأخرى .

بالصَمِيم ، كما التصقت تلك الأجنحة بعِظام السمكِ ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ :

وَمَا زَالَ يَفْرِى الشَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا[١] قَوَائِمُه فِي جَانِبَيْهِ زَعَانِفُ

وتزعم الرُّوَاةُ أن مَا أَنِفَتْ منه جِلَّةُ المَوَالى هذا البيتُ ، يعنى قول جرير « بِيعُوا المَوَالِيَ وَاَسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ » لأنه حَطَّهم ووَضَعهم ، ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عَيْبًا . ومثل ذلك قول المُنْتَجِعِ لرجل من الأشراف : مَا عَلَّمْتَ وَلَدَكَ ؟ قال الفرائضَ ، قال : ذلك عِلْمَ المَوَالى لا أبا لك ! عَلِّمْهُمُ الرَّجَزَ ، فإنه يُهَرِّتُ أَشْدَاقَهُمْ[٢] . ومن ذلك قول الشَّعْبِيِّ ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال : لئن أَصْلَحتموه إِنَّكُمْ لَأَوَّلُ من أفسده ! ومن ذلك قولُ عَنْتَرَةَ :

فَمَا وَجَدُونَا بِالْفَرُوقِ[٣] أُشَابَةً وَلاَ كُشُفًا[٤] وَلاَ دُعِينَا مَوَالِيَا

ومن ذلك قول الآخر :

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسْمُنَا وَأَسْمَاؤُهُمْ فِينَا رِقَابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤهم عندنا الحَمْرَاء[٥] ، وقول العرب : « ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأَحْمَرِ » يريد العَرَبِىَّ والْعَجَمِيَّ ، وقال المُخْتَارُ لإبراهيم بن الأَشْتَرِ يوم خَازِرَ (وقعت الرواية كما فى الأصل ووُجِدُ بخط يد أبى علىّ البغدادى

---

(١) يشبه حمارا بالناقة ، ويفرى الشد : يأتى بالعجب فى عدوه .

(٢) يهرت أشداقهم : يوسعها . وشدق أهرت : متسع .

(٣) اسم عقبة دون هجر ، كانت بها وقعة لبنى عبس على بنى سعد .

(٤) الكشف هم الذين لايصدقون القتال: ولا واحد له ، وقيل جمع أكشف ، وهو الذى لاترس معه فكأنه منكشف .

(٥) وذلك أن العرب تلقب الموالى والعجم والروم بالحمراء لغلبة البياض على ألوانهم، والمزاود : جمع المزادة ، وهى الظرف يحمل فيه الماء.

رحمه ٱللّه جازر بالجيم) وهو اليوم ٱلذى قُتِلَ فيه عبيد ٱللّه بن زِياد : إنَّ عَامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاء الْحَمْرَاء ، وإن الحرب إن ضَرَّسَتْهُمْ هربوا ، فَٱحْمِل العربَ على مُتونِ الخيل ، وَأَرْجِلِ الحمراءَ أمامهم .

ومن ذلك قول الأَشْعَثِ بن قَيْسٍ لعلى بن أبى طالب رحمه ٱللّه ، وأتاه يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ ، وعلىٌّ على المِنْبَرِ فقال : يا أمير المؤمنين ! غَلَبَتنا هذه الحمراء على قُرْبِكَ ، [قال] فَرَكَضَ علىٌّ المِنْبَرَ برجله ، فقال صَعْصَعَةُ أبن صُوحانَ الْعَبْدِىُّ مالنا ولهذا ؟ يعنى الأشعثَ ، ليقولَنَّ أمير المؤمنين اليومَ فى العرب قَوْلاً لايَزَالُ يُذْكَرُ ، فقال علىٌّ : مَنْ يَعْذِرُنى من هذه الضَيَاطِرة ، يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ على فراشه تَمَرُّغَ الحمار ، وَيُهَجِّرُ قَوْمٌ للذِّكْر فيأمرنى أن أَطْرُدَهُمْ ، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين ، وٱلذى فَلَقَ الحبة ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَيَضْرِبُنَّكُمْ على ٱلدِّين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْءاً .

قوله [الضياطرة] واحدهم ضَيْطَرٌ وَضَيْطَارٌ ، وهو الأحمر الْمَضِلُ الفاحشُ ، قال خِداشُ بن زُهَيْرٍ :

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَاهَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِماحُ بالضَيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (١)

وإنما قال جَريرٌ لبنى الْعَنْبَرِ « هل أنتم غير أوشاب زعانفة » لأن النَّسَّابين يزعمون أن العنبر بنَ عمرو بن تميم ، إنما هو أبن عمرو بن بهْرَاء ، وَأُمُّهُمْ أم خارجةَ الْبَجَلِيَّةُ التى يقال لها فى المَثَلِ « أَسْرَعُ من نكاح أُمِّ خارجة » فكانت قد وَلَدَتْ فى العرب فى نَيِّفٍ وعشرين حَيًّا من آباء متفرقين ،

---

(١) تشقى بهم الرماح ، لأنهم لايحسنون حملها ، وقيل هو قلب ، والمعنى أنهم يشقون بالرماح .

وكانَ يقول لها الرجلُ : خِطْبٌ ؟ فتقول : نِـكْحٌ[1] ! كذلك قال يونس ابن حَبيب ، فنَظَرَ بَنُوها إلى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم ، فأَحَسُّوا بأنه أراد أمهم فبادروا إليه ليمنعوه تزَوُّجَها ، وَسَبَقَهُمْ لأنه كان راكبا ، فقال لها : إنَّ فيك لبَقِيَّةً ؟ فقالتْ : إنْ شئتَ . . . فجاءوا وقد بَنَى عليها ، ثم نقلها بعدُ إلى بلده ، فتزعم الرواة أنها جاءت بِالْعَنْبَرِ معها صغيراً ، وأوْلَدَها عمرو ابن تميم أُسَيِّدَ وَالْهُجَيْمَ وَالْقُلَيْبَ ، فخرجوا ذات يوم يَسْتَقُونَ فَقَلَّ عليهم الماء ، فأنزلوا ماتحا من تميم فَجَعَلَ المـاتِحُ يملأ الدلو إذا كانت لِلهُجَيْمِ وَأُسَيِّدِ والقُلَيْبِ ، فإذا وَرَدَتْ دَلْوُ الْعَنْبَرِ تركها تضطرب ، فقال العنبر :

قَدْ رَابَنِي مِنْ دَلْوِيَ اضْطِرَابُهَا ... وَالنَّأْيُ عَنْ بَهْرَاءَ وَاغْتِرَابُهَا[2]

* إلاَّ تَجِئْ مَلأَى يَجِئْ قُرَابُهَا[3] *

فهذا قول النَّسَّابين .

ويروى أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها اللّٰه ، وقد كانت نَذَرَتْ أَنْ تُعْتِقَ قَوْمًا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَسُبِيَ قومٌ من بنى الْعَنْبَرِ ، فقال لها رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : إنْ سَرَّكِ أَنْ تُعْتِقِي الصَمِيمَ من ولد إسماعيل فَأَعْتِقِي من هؤلاء . فقال النَّسَّابون : فَبَهْرَاءُ من قُضَاعَةَ ، وقد قيلَ قُضَاعَةُ من بنى مَعَدٍّ ، فقد رجعوا إلى إسماعيل ، ومن زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حِمْيَرَ ، وهو الحق . قال فالنسب الصحيح فى قَحْطان الرُّجوعُ إلى إسماعيل وهو الحق ، وقول الْمُبَرِّزِينَ من العلماء إنما الْعَرَبُ

(١) هى صيغة عقد كانت العرب تتزوج بها .

(٢) أى البعد من قومه بنى بهراء .

(٣) أى مايقارب ملأها .

المتقدمةُ من أولاد عابَرَ وَرَهْطُهُ عادٌ وَطَسْمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمٌ والعماليقُ .
فأما قحطان عند أهل العلم ، فهو أبن الهَمَيْسَع بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بن قَيْذَارَ
أبن إسماعيل صلوات ألله عليه ، فقد رجعوا إلى إسماعيل ، وقد قال رسول ألله
صلى ألله عليه وسلم لقوم من خُزاعة ، وقيل من الأنصار: أرْمُوا يابنى إسماعِيلَ ،
فإن أباكم كان رامياً .

⁂

قال يحي بنُ نَوْفَلٍ يَهْجُو العُرْيَانَ بن الْهَيْثَمِ بن الأَسْوَدِ النَّخَعِيِّ ،
وكان العُرْيَانُ تزوج زَبادِ من ولد هانئ بن قَبِيصة الشَّيْبانِيِّ ، وكانت عند
الْوَليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان، وكان أبنُ نوفل له هجّاءً ، فقال:

أعُرْيَانُ مَا يَدْرِى أمْرُؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أَمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أَمْ مِنْ إِيَادِ
فَإِنْ قُلْتُمُ مِنْ مَذْحِجٍ إنَّ مَذْحِجاً ... لَبِيضُ الوُجُوهِ غَيْرُ جِدُّ جِعَادِ
وَأَنْتُمْ صِغَارُ الهَامِ حُدْلٌ كَأَنَّمَا ... وُجُوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدَادِ
فَإِنْ قُلْتُمُ الحَيُّ اليَمَانُون أَصْلُنَا ... وَنَاصِرُنَا فِي كُلِّ يَوْمِ جِلَادِ
فَأَطْوِلْ بِأَيْرٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَزْوَةٍ ... نَزَتْ بِإِيَادٍ خَلْفَ دَارِ مُرَادِ
لَعَمْرُ بَنِى شَيْبَانَ إذْ يُنْكِحُونَهُ ... زَبادِ لَقَدْ مَا قَصَّرُوا بِزَبَادِ
أَبَعْدَ الْوَلِيدِ أَنْكَحُوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيَةٍ عَيْرًا خِلَافَ جَوَادِ
وَأَنْكَحَهَا لَافِي كِفَاءٍ وَلاَ غِنًى ... زِيَادٌ أَضَلَّ ٱللّٰهُ سَعْيَ زِيادِ

قوله [أمن مذحج تدعون أم من إياد] فبنو مذحج بنو مالك بن زيد
أبن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبإ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطَانَ ،

وإيادُ بنُ نِزَارِ بن مَعَدِّ بن عدْنان ، ويقال إن النَّخعَ وثقيفاً أخوان من إيادٍ .
فأما ثقيفٌ ، فهو قَسِيُّ بن مُنَبِّهِ بن بكر بن هَوَازن بن منصور بن عِكْرِمة أبن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ ، فهذا قول قوم . فأما آخرون فيزعمون أنَّ ثقيفاً من بقايا ثمود ، ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم ، وكثرة مَنا كِحِهِمْ قُرَيْشًا ، وقد قال الحجاج على المنبر : تزعمون أنّا من بقايا ثَمُودَ ، واللّهُ عز وجل يقول « وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى » . وقال الحجاج يوما لأبى العَسُوس الطائىّ : أىٌّ أقْدَمُ ؟ أنُزُول ثقيفٍ الطائفَ ، أم نزولُ طَيِّئٍ الجبلين ؟ فقال أبو العَسُوس : إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوَازنَ فنزول طيئٍ الجبلين قبلها ، وإن كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم ، فقال الحجاج : يا أبا العسوس ! اتّقِنِي فإنى سريع الخَطْفَةِ للأحمق المُتَهَوِّكِ[1] ! فقال أبو العَسُوس (رواية عاصم رحمه الله العَسَوّسُ والْعَسْوَسُ ، وفى رواية ش كما فى داخل الكتاب) :

يُؤَدِّبُنِى الحَجّاجُ تأْدِيبَ أَهْلِهِ ... فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أوْلاَدِ يُوسُفَ مَاعَدَا
وَإنِّى لأَخْشَى ضَرْبَةً ثَقَفِيَّةً ... يَقُدُّ بِهَا مِمَّنْ عَصَاهُ المُقَلَّدَا[2]
عَلَى أَنَّنِي مِمَّا أُحَاذِرُ آمِنٌ ... إذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ عَتَا المَرْءُ واعْتَدَا

❁

وقد كان المُغيرةُ بن شُعْبَة ، وهو والى الكوفةِ ، صار إلى دَيْرِ هِنْدٍ بنت

(١) المتهوّك : هو المتهور .
(٢) المقلد : موضع القلادة ، وهو العنق .

النُّعْمَانِ بن المُنْذِرِ، وهى فيه عَمْياء مُتَرَهِّبَة[1] فاستأذن عليها، فقيل لها: أميرُ هذه المَدَرَةِ بالباب، فقالت قولوا له: أَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأَيْهَمِ أنت؟ قال: لا، قالت: أَفَمِنْ وَلَدِ المُنْذِرِ بن ماء السماء؟ قال لا، قالت: فَمَنْ أنتَ؟ قال المُغيرةُ بن شُعْبَةُ الثَّقَفِيُّ، قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتكِ خاطبًا، قالت: لو كنتَ جئتنى لِجَمالٍ أو لمالٍ لأَطْلَبْتُكَ، ولكنك أردتَ أن تتشرَّفَ بى فى مَحافِلِ العرب، فتقول «نكحتُ ابنةَ النُّعْمَانِ بن المنذر» وإلاّ فأىُّ خير فى اجتماع أَعْوَرَ وعَمْياءَ؟ فبَعَثَ إليها كيف كان أمركم؟ فقالت: سأختَصِرُ لك الجوابَ... أمسينا مَساءً، وليس فى الأرض عَرَبِىٌّ إلا وهو يَرْغَبُ الينا ويَرْهَبُنا، ثم أصبحنا، وليس فى الأرض عربى إلا ونحن نرغب إليه ونَرْهَبُهُ، قال: فما كان أبوكِ يقول فى ثَقِيفٍ؟ قالت: اختصم إليه رجلانِ منهم، أحدهما يَنْمِيها إلى إيادٍ، والآخر إلى بَكْرِ بن هَوازن فقضى بها للإيادِىّ، وقال:

إنَّ ثَقِيفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا ... وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا

يريد عامر بن صَعْصَعَةَ ومَازِنَ بن منصور، فقال المغيرةُ: أما نحن فمن بكر ابن هَوازن فَلْيَقُلْ أبوكِ ما شاء!

وقالت أختُ الأَشْتَرِ، وهو مالك بن الحرث النَّخَعِيُّ تُبَكِّيهِ، وهذا الشعر رواه أبو اليَقْظَانِ، وكان متعصبا:

أَبَعْدَ الأَشْتَرِ النَّخَعِىِّ نَرْجُو ... مُكَاثَرَةً وَنَقْطَعُ بَطْنَ وَادِ
وَنَصْحَبُ مَذْحِجًا بإخاء صِدْقٍ ... وَإِنْ نُنْسَبْ فَنَحْنُ ذُرَا إِيَادِ

---

(١) وكانت وقتئذ فى سن التسعين .

ثَقِيفٌ عَمُّنَا وَأَبُو أَبِينَا وَإِخْوَتُنَا نِزَارُ أُولُو السَّدَادِ

قوله[1] : [وأنتم صغار الهام حُدْلٌ] فالأَحْدَلُ[2] المائلُ العُنُقِ ، يقال قَوْسٌ حَدْلَاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُها[3] ، قال الراجز :

(لَهَا) مَتَاعٌ[4] وَلَهَاةٌ فَارِضُ حَدْلَاءُ كَالْوَقْبِ نَحَاهُ الْمَاخِضُ

(كذا وقعت الرواية لها والصواب (له) لأنه يعنى الفحل من الإبل لأن الشِقْشِقَةَ لاتكون للأنثى قاله ش .) وأما قوله زَبادِ يافتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فَرَاغنا من تفسير هذا الشعر .

وقوله [لَقَدْ مَا قَصَّرُوا] فما زائدة مثل قوله تعالى « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا » ولو قال : لَقَدْ مَا قَصَّرُوا لم يكن جيدا ، ودخل الْوَلِيد فى الذم .

وقوله [كَمُنْزِيةٍ عَيْرًا خلافَ جَوَادِ] يقول بعد جواد ، قال الله عز وجل « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللّٰهِ » وقوله [لافى كِفَاءِ] يقال هو كُفُؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَفِيئُكَ وكِفَاؤُكَ ، إذا كان عَدِيلَكَ فى شرف أو ما أشبهه ، كما قال الفَرَزْدَقُ :

* وَتَنْكِحُ فى أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ *

أول هذا البيت :

* بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ *

وآل مسمع بيت بكر بن وائل ، والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم ،

---

(١) رجع المبرد إلى شرح القطعة الدالية التى مرت .

(٢) الفعل حدل من باب طرب .

(٣) السية : الطرف ، ولكل قوس سيتان .

(٤) الصواب : له زجاج ، وهى أنياب الفحل .

وإنما قال هذا الفرزدق ، حين بلغه أن رجلا من الحبطات خَطَبَ أمرأةً من بنى دارِمِ بن مالك ، فأجابه رجلٌ من الحبطات :

أَمَا كَانَ عَبَّادٌ كَفِيئًا لِدَارِمٍ ... بَلَى وَلِأَبْيَاتٍ بِهَا الْحُجُرَاتُ

عَبَّادٌ : يعنى بنى هاشم، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع ، وقال اللّٰه عز وجل « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : لَأَمْنَعَنَّ النساءَ إلا من الأكْفاء ، وَتَحَدَّثَ أصحابُنا عن الأصمعى عن إسحٰق ابن عيسى . [قال] قُلْتُ لأمير المؤمنين الرّشيدِ أو المهدِيّ : يا أمير المؤمنين مَنْ أكفاؤُنا ؟ قال أعداؤُنا يعنى بنى أُميّةَ ، وزِيادٌ الذى ذَكَرَ كانَ أخاها .

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعَالِ مكسورَ الآخر)

(وهو على أربعة أضرب والأصل واحد)

قال أبو العباس : اعلم أنه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته ، وهو فى المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَ وقُثَمَ فى المذكر ، وفُعَلُ معدولٌ فى حال المعرفة عن فاعِلٍ ، وكان فاعِلٌ ينصرف ، فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف ، وفَعَالِ معدولٌ عن فاعِلَةَ ، وفاعِلَةُ لا ينصرف فى المعرفة فَعُدِلَ إلى البناء ، لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنىُّ ، و بنى على الكسر لأن فى فاعِلَةَ علامةَ التأنيث ، وكان أصلُ هذا أن يكون إذا أردت به الأمر ساكنا كالمجزوم من الفِعْلِ الذى هو فى معناه فَكَسَرْتَهُ لالتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة ، تقول للمرأة : أنتِ فَعَلْتِ ، فالكسر علامة التأنيث ،

وكذلك إنكِ ذاهبةٌ ، وضربتُكِ يا امرأةُ ، فما لايكون إلا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزَالِ يافتى ، ومعناه انزِلْ ، وكذلك تَرَاكِ زيداً أى اتركه ، فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان ، يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرنا ، قال الشاعر تصديقاً لذلك :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أَنْتَ إِذَا ... دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِى الذُّعُرِ

فقال [دعيتْ] لما ذكرته لك من التأنيث ، وقال الآخر، وهو زَيْدُ الخَيْلِ :

وَقَدْ عَلِمَتْ سَلَامَةُ أَنْ سَيْفِى ... كَرِيهٌ كُلَّمَا دُعِيَتْ نَزَالِ

وقال الشاعر :

تَرَاكِهَا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِهَا ... أَمَا تَرَى المَوْتَ لَدَى أَوْرَاكِهَا

أى اتْرُكها ، وقال آخر (هو رؤبة) :

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقال آخر (هو أبو النجم) :

* نَظَارِ كَىْ أَرْكَبَهُ نَظَارِ * فهذا باب من الأربعة .

ومنها أن يكون صفة غالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم ، نحو قولهم للضَّبُعِ جَعَارِ يافتى ، وللمنية حَلَاقِ يافتى ، لأنها حالقة ، والدليل على التأنيث بعد ماذكرنا قوله :

لَحِقَتْ حَلَاقِ بِهِمْ عَلَى أَكْسَائِهِمْ(١) ... ضَرْبَ الرِّقَابِ وَلَا يُهِمُّ المَغْنَمُ

وتقول فى النداء يافَسَاقِ وياخَبَاثِ ويالَكَاعِ ، تريد يافاسقةُ وياخبيثةُ

(١) الأكساء : المتأخرون ، والواحد كُسْء ، بفتح الكاف وضمها وسكون السين .

و يالُكعاءِ ، لأنه فى النداء فى موضع معرفة كما تقول للرجل : يافُسَقُ ويا خُبَثُ ويالُكَعُ. فهذا باب ثان .

(حكى ابن السَّرّاج عن أبى عبيدة فرس لُكَعٌ للمذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك مَاعُدِلَ عن المصدر نحو قوله (هو المُتَلَمّسُ) يَذُمُّ الخَمْرَ :

جَمادِلَهَا جَمَادِ وَلاَ تَقُولِى طَوَالَ الدَّهْرِ مَاذُكِرَتْ جَمَادِ

وقال النابغة الذُّبْيَانِىُّ :

إنَّا اقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلْتَ فَجَارِ

يريد قُولى لها جُموداً ، ولا تقولى لها حَمْداً هذا المعنى ، ولكنه عُدِلَ مؤنثا . وهذا باب ثالث . (بَرَّةُ أسم علم لجميع البِرِّ ، وفَجارِ لجميع الفُجور ، لابن جِنّى تخصيصُه بَرَّةَ بفَعَلْتُ وفَجارِ بافْتَعَلتَ ، مثل قوله تعالى « لها مَا كَسَبَتْ وعليها مَا اكْتَسَبَتْ » فَكَسَبَ للخير وَاكْتَسَبَ للشر) .

والباب الرابع أنْ تُسَمِّيَ أمرأةً ، أو شيئاً مؤنثا باسم تَصُوغُهُ على هذا المثال ، نحو رَقَاشِ وحَذامِ وقَطامِ ومَا أشبهه ، فهذا مؤنث معدول عن راقشةَ وحاذِمَةَ وقاطمةَ ، إذا سميتَ به ، وأهلُ الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرتُ ، لأنه معدول فى الأصل وسُمِّىَ به فَنُقِلَ إلى مؤنث كالباب ألذى كان قبله فلم يغيّروه ، فعلى ذلك قالوا اسْقِ رَقَاشِ إنها سَقَّايَه(١) ، وقال آخر :

إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

---

(١) ويروى : سقاءة .

وينشدون : * وَأَقْفَرَ مِنْ سَلْمَى شَرَاءٌ فَيَذْبُلُ *

كذا وقع ، والصحيح فقد أقفرَتْ سَلْمَى شَرَاء ، لأن قبله :

* تَأَبَّدَ مِنْ أَطْلَالِ جَمْرَةَ مَأْسَلُ *

والشعر للنَّمِرِ بن تَوْلَبٍ .

وأما بنو تميم فإذا أزالوه عن النعت فَسَمَّوْا به صرفوه فى النكرة ، ولم يصرفوه فى المعرفة ، وسيبويه يختار هذا القول ، ولا يَرُدُّ القولَ الآخر ، فيقول: هذه رَقَاشُ قد جاءتْ ، وهذه غَلابُ قد جاءتْ ، وهذه غلابٌ أخرى ، ولا اختلاف بين العرب فى صرفه إذا كان نكرة ، وفى اعرابه فى المعرفة ، وصرفه فى النكرة إذا كان اسماً لمذكر ، نحو رجل تسميه نَزَالِ أو رَقاشِ أوْ حَلاقِ ، فهو بمنزلة رجل سميته بعَناقٍ أو أتانٍ ، لأن التأنيث قد ذهب عنه ، فاحتج سيبويه فى تصحيح هذا القول بأنك لو سميت شيئاً بالفعل الذى هو مأخوذ منه لأعربته ، نحو انْزِلْ واضْرِبْ ، لو سميتَ بهما رجلا لجرى مجرى إصْبَعٍ وَأَحْمَدَ وَإِثْمِدٍ ، ونحو ذلك ، فهذا يحيط بجميع هذا الباب .

***

قال أبو العباس ، وقالت امرأة أحسبها من بنى عامر بن صَعْصَعَة زُوِّجَتْ فى طَيِّءٍ .

لا تَحْمَدَنَّ ٱلدَّهْرَ أُخْتٌ أَخًا لَهَا ... وَلَا تَرْثِيَنَّ ٱلدَّهْرَ بِنْتٌ لِوَالِدِ

هُمُ جَعَلُوهَا حَيْثُ لَيْسَتْ بِحُرَّةٍ ... وَهُمْ طَرَحُوهَا فِى ٱلْأَقَاصِى ٱلْأَبَاعِدِ

ويروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إنما النكاح رِقٌّ فلينظر امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته . وعلى هذا جاءت اللغة ، فقالوا كنا فى إملاكِ(١) فلانٍ ، وفى مِلْكِ فلانٍ ، وفى مَلْك فلان ، وفى مَلَكةِ فلان ، وفى مِلْكانِ فلان ، ويقول الرجل : مَلَكتُ المرأةَ وأملَكنيها وَلِيُّها ، ومن ذلك أنَّ يمين الطلاق إذا وقع فيها حِنْثٌ إنما يكون محلُّها محلَّ الإقرار بترك ما كان يملكه كالعتاق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُوصيكُمْ بالنساء فانهنّ عندكم عَوانٍ ، أى أسيراتٌ ، ويقال عَنِيَ فلانٌ فى بَنِي فلان إذا أقام فيهم أسيرا ، ويقال فلان يَفُكُّ العُناةَ ، وأصل التعنية التذليل ، وأصل الإسارِ الوِثاقُ ، ويقال للقَتَبِ مأسور إذا شُدَّ بالقِدِّ ، هذا أصل هذا ، فأما المَثَلُ فى قولهم إنما فلان غُلٌّ قَمِلٌ ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القِدِّ فكانت تَقْمَلُ ، وقال رجل يذكر امرأةً زُوِّجَتْ من غير كُفْء :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ نَالَ تَغْلَبٌ ... شَبِيهَةَ ظَبْيٍ مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا

أَضَرَّ بِهَا فَقْدُ الْوَلِيِّ فَأَصْبَحَتْ ... بِكَفِّ لَئِيمِ الْوَالِدَيْنِ يَقُودُهَا

ولما زَوَّجَ إبراهيمُ بن النعمان بن بَشِيرٍ الأنصاريُّ يحيى بنَ أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عفّانَ ابنته على عشرين ألفَ درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ :

لَعَمْرِى لَقَدْ جَلَّلْتَ نَفْسَكَ خِزْيَةً ... وَخَالَفْتَ فِعْلَ الأَكْثَرِينَ الأَكَارِمِ

وَلَوْ كَانَ جَدَّاكَ اللَّذانِ تَتَابَعَا ... بِبَدْرٍ لَمَا رَامَا صَنِيعَ الأَلائِمِ

فقال إبراهيم بن النُّعْمانِ يَرُدُّ عليه :

---

(١) والاملاك : التزويج .

مَا تَرَكَتْ عِشْرُونَ أَلْفًا لِقَائِلٍ مَقَالاً فَلاَ تَحْفِلْ مَلاَمَةَ لاَئِمِ
وَإِنْ أَكُ قَدْ زَوَّجْتُ مَوْلًى فَقَدْ مَضَتْ بِهِ سُنَّةٌ قَبْلِي وَحُبُّ الدَّرَاهِمِ

وَتزوَّجَ يحيي بن أبى حفصة وهو جَدُّ مَرْوانَ الشاعرِ ، ويزعم النسّابون أن أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان ، وكان يحيي من أجود الناس ، وكان ذا يَسار فتزوج خَوْلة بنت مُقاتِل بن طَلْبَةَ (الروَاية المشهورة باسكان اللام ، وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيدِ أهل الوَبَر ابن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، وَمَهَرَها خِرَقًا فى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْنٍ :

لَمْ أَرَ أَثْوَابًا أَجَرَّ لِخِزْيَةٍ وَأَلْأَمَ مَكْسُوًّا وَأَلْأَمَ كَاسِيَا
مِنَ الْخِرَقِ اللاَّتِى صُبِبْنَ عَلَيْكُمُ بِحَجْرٍ فَكُنَّ الْمُبْقِيَاتِ الْبَوَاليَا

فقال يحيي بن أبى حَفْصَة يُجيبه :

تَجَاوَزْتُ حَزْنًا رَغْبَةً عَنْ بَنَانِهِ وَأَدْرَكْتُ قَيْسًا ثَانِيًا مِنْ عِنَانِيَا

يقال ذلك للسابق إذا تقدَّم تقدُّمًا بيِّنًا فبلغ الغاية ، فمن شأنه أن يَثْنِىَ عِنانَهُ فينظرَ إلى الخيل ، وقال الشاعر :

فَمَنْ يَفْخَرْ بِمِثْلِ أَبِى وَجَدِّى يَجِئْ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهْوَ ثَانِى

يريد ثانى عِنانِه ، وقال القُلاخُ فى هذه القصة :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قَالَتْ حِينَ أَنْكَحَهَا لَطَالَمَا كُنْتُ مِنْكَ العَارَ أَنْتَظِرُ
أَنْكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجُو فَضْلَ مَالِهِمَا فِى فِيكَ مِمَّا رَجَوْتَ التُّرْبُ وَالْحَجَرُ
لِلّٰهِ دَرُّ جِيَادٍ أَنْتَ سَائِسُهَا بَرْذَنْتَهَا(١) وَبِهَا التَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ

(١) يريد جعلها من البراذين ، وهى: ماليست من نتاج الخيل العراب .

وقال جرير يُعيِّرهم :

رَأَيْتُ مُقَاتِلَ الطَّلَبَاتِ[1] حَلَّى ... فُرُوجَ بَنَاتِهِ كَمَرَ المَوَالِي
لَقَدْ أَنكَحْتُمُ عَبْدًا لِعَبْدٍ ... مِنَ الصُّهْبِ المُشَوَّهَةِ السِّبَالِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَيْسٍ إِنَّ قَيْسًا ... خَرِئْتُمْ فَوْقَ أَعْظُمِهِ البَوَالِي

وَقال آخر في مثل هذه القصة :

أَلاَ يَاعِبَادَ اللهِ قَلْبِي مُتَيَّمٌ ... بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلاَ
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... دَبِيبَ القَرَنْبَى بَاتَ يَقْرُو نَقًا[2] سَهْلاَ

القَرَنْبَى دُوَيْبَّةٌ على هيئة الخُنْفُسِ مُنَقَّطَةَ الظَّهْرِ ، وربما كان في ظهرها نقطةٌ حمراء ، وفي قوائمها طولٌ على الخنفس وهي ضعيفة المشي ، قال الفرزدق يعني عَطِيَّةَ أبا جَرِيرٍ :

قَرَنْبَى يَحُكُّ قَفَا مُقْرِفٍ ... لَئِيمٍ مَآثِرُهُ قُعْدُدِ

(ألف قرنبي ألف إلحاق وليست للتأنيث ، والقعدد اللئيم وجمعه قَعَادِدُ) .

وفي هذا الشعر يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا بَنِي دَارِمٍ ... زُرَارَةُ مِنَّا أَبُو مَعْبَدِ
وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدَاتِ ... وَأَحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ
أَلَسْنَا بِأَصْحَابِ يَوْمِ النِّسَارِ ... وَأَصْحَابُ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ

(النسارُ جبل تألفه النُسورُ كثيراً فلذلك سُمى بهذا الاسم)

---

(١) أضافه إلى بناته .

(٢) يقرو : يتتبع قزا الأرض ، ويتعرف أمرها .

أَلَسْنَا الَّذِينَ تَمِيمٌ بِهِمْ تُسَامِى وَتَفْخَرُ فِى الْمَشْهَدِ
وَنَاجِيَةُ الْخَيْرِ وَالْأَقْرَعَانِ وَقَـبْرٌ بِكَاظِمَةَ الْمَوْرِدِ
إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِذٌ أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعُدِ
أَيَطْلُبُ مَجْدَ بَنِى دَارِمٍ عَطِيَّةُ كَالْجُعَلِ[1] الْأَسْوَدِ
وَمَجْدُ بَنِى دَارِمٍ دُونَهُ مَكَانُ السِّمَاكَيْنِ وَالْفَرْقَدِ

(الرفع فى مكان أقوى ، وهو الوجه الجيد فى العربية) .

قوله [ألم ترأنا بنى منقر[2]] منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره ، وَزُرارةُ الذى ذَكَرَ ، هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارمٍ ، وكان زرارةُ يُكْنَى أبا مَعْبَدٍ ، وكان له بنونَ : مَعْبَدٌ ، وَلقيطٌ ، وَحاجِبٌ وعَلْقَمَةُ ، والمأموم . ويزعم قوم أن المأموم هو علقمةُ ، ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النسَّابةُ ، وكان حاجِبٌ أذْكَرَ القومِ[3] .

وَرَوَوْا أن عبد المَلِكِ ذَكَرَ يوما بنى دارم فقال أحدُ جُلَسائِهِ : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء قوم محظوظون ، فقال عبد الملك : أتقول ذلك وقد مضى منهم لَقيطُ بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ ابن زُرارةَ ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِدِ بن حاجب بن زرارة وَلم يُخَلِّفْ عَقِباً !! وَالله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً .

وكان لقيط بن زرارة قُتِلَ يوم جَبَلَة ، وَأُسِرَ حاجِبٌ فَفُودِىَ ، فزعم أبو عبيدة

---

(١) دويبة تكون بالمواضع الندية ، والجمع جعلان (بكسر الجيم) .
(٢) صوابه « ألم ترأنا بنى دارم » .
(٣) أذكر القوم : أشهرهم ، من الذكر وهو بعد الصيت .

انه لم يكن عُكاظيٌّ(١) أغلى فِداءً من حَاجب ، وكان أسره زَهْدَمٌ العَبْسِيُّ (أخو كَرْدَم) فلَحِقَهُ ذو الرُقَيْبة القُشَيْرِيُّ ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ في بني عامر بن صَعْصَعَة ، فأخذه ذُو الرُقَيْبَةِ بعِزَّةٍ ، وأنه في مَحَلّ قومِهِ فقال حَاجب: لمّا تنازعني الرجلان خِفْتُ أن أُقتلَ بينهما ، فقلت : حَكّماني في نفسي ، ففعلا فحكمتُ بسلاحي وركَابي لزَهْدمٍ ، وبنفسي لذي الرُقَيْبَةِ ، وكان حَاجب يُكْنَى أبا عِكْرِشَةَ ، وكَان أحلَمَ قومه ، وفي ذي الرقيبة يقول الشاعِرُ (هو المُسَيَّبُ بن عَلَس واسمه زُهَيْرٌ ويُكْنَى أبا الفِضَّة) :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْقَائِلِينَ وَفِعْلَهُمْ ... فَلِذِي الْرُقَيْبَةِ مَالِكٍ فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفَةٌ وَمُخْلِفَةٌ ... وَعَطَاؤُهُ مُتَدَفِّقٌ جَزْلُ

فَفُدِيَ حَاجبٌ ، وقُتِلَ في ذلك اليوم لَقيطٌ ، وأُسِرَ عمرو بن عمرو بن عُدَسَ ، فلذلك يقول جريرٌ يُعَيِّرُ الفرزدق ، لأن الفرزدق من بني مُجَاشع بن دارِمٍ ، وقد مضى ذكر هذا في الكتاب ، ولجرير في قَيْسٍ خُؤولَةٌ ، فلما هجا الفرزدقُ قيسًا في أمر قُتَيْبةَ بن مُسْلم الباهليّ ، قال :

أَتَانِي وَأَهْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ ... لآلِ تَمِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمِ
كَأَنَّ رُؤُوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

(حجارةٌ تُشْدَخُ بها الرؤوسُ ، الواحدة أميمةٌ)(٢)

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً ... وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزِّ الْحَلاقِيمِ(٣)

---

(١) ممن يشهد عكاظ من أعزاء العرب .
(٢) ضبطها صاحب القاموس كجهينة .
(٣) جمع حلقوم وهوالحلق ، والميم زائدة وقيل أصلية .

أَتَغْضَبُ إِنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جِهَارًا وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلاَّ تَقَلْنَا دِمَاغَـــهُ ... إِلَى الشَّامِ فَوقَ الشَّاحِجَاتِ الرَّوَاسِمِ
تَذَبْذَبُ فِي المِخْلاَةِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مُحَـــذَّفَةُ الأَذْنَابِ جُلْحُ المَقَادِمِ
وَمَا أَنْتَ مِنْ قَيْسٍ فَتَنْبِحَ دُونَهَا ... وَلاَ مِنْ تَمِيمٍ فِي الرُّؤوسُ الأَعَاظِمِ
تُخَوِّفُنَـــا أَيَامَ قَيْسٍ وَلَمْ تَدَعْ ... لِعَيْلاَنَ أَنْفًا مُسْتَقِيمَ الخَيَاشِمِ
لَقَدْ شَهِدَتْ قَيْسٌ فَمَا كَانَ نَصْرُهَا ... قُتَيْبَـــةَ إِلاَّ عَضَّهَا بِالأَبَاهِمِ(١)

وقال جرير يجيبه :

أَبَاهِلَ مَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مُسْلِمٍ ... وَلاَ أَنْ تَرُوعُوا قَوْمَكُمْ بِالمَظَالِمِ

ثم قال يخوّف الفرزدق :

تُحَضِّضُ يَا ابْنَ القَيْنِ قَيْسًا لِيَجْعَلُوا ... لِقَوْمِكَ يَوْمًا مِثْلَ يَوْمِ الأَرَاقِمِ(٢)
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطًا وَحَاجِبًا ... وَعَمْرَو بْنَ عَمْرٍو إِذْ دَعَوْا يَالَ دَارِمِ
وَلَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ وَالشِّعْبَ ذَا الصَّفَا ... وشَدَّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَمَاجِمِ
فَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَبِيدًا لِعَامِرٍ ... وَبِالْحِنْوِ أَصْبَحْتُمْ عَبِيدَ اللَّهَازِمِ
إِذَا عُـــدَّتِ الأَيَّامُ أَخْزَيْنَ دَارِمًا ... وَتُخْزِيكَ يَا ابْنَ القَيْنِ أَيَّامُ دَارِمِ

أما قول الفرزدق :

كَأَنَّ رؤوسَ النَّاسِ إِذْ سَمِعُوا بِهَا ... مُشَدَّخَـــةٌ هَامَاتُهَا بِالأَمَائِمِ

فإن الشِّجاجَ مختلفةُ الأحكامِ ، فإذا كانت الشَّجَّةُ شُقَيْقًا(٣) يَدْمَى فهي الدامية ،

(١) يريد الأباهيم : جمع الابهام .
(٢) هو يوم كان لقيس على تغلب .
(٣) مصغر شق .

وإذا أخذت من اللحم شيئاً فهي الباضعةُ ، وإذا أمعنَتْ في اللحم فهي المُتَلاحِمةُ ، فإذا هَشَمَت العظم فهي الهاشمة ، وإذا كان بينها وبين العظم جُلَيْدةٌ رقيقة فهي السمْحاقُ (من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثَرْبِ الشاةِ من الشَّحْمِ إلا سماحيقُ أى طرائقُ) فإذا خرجت منها عظامٌ صغار فهي المُنَقِّلَةُ ـ وإنما أخذ ذلك من النَّقَلِ وهي الحجارةُ الصغارُ ـ فإذا أوضَحَتْ عن العظم فهي المُوضِحةُ ، فإذاخرقت العظم وبلغتْ أمَّ الدِّماغ وهي جُلَيْدَةٌ قد ألبست الدِّماغَ فهي الآمَّةُ ، وبعض العرب يسميها المأمومةَ ، واشتقاقُ ذلك إفضاؤها إلى أمّ الدماغ ولا غاية بعْدها ، قال الشاعر :

يَحُجُّ مَأْمُومَــةً فِى قعْرِها لَجَفٌ ... فَاسْتُ الطبيبِ قَذَاها كالمَغَارِيدِ

وقال ابن غَلْفاء[1] الهُجَيْمِيُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِقِ في هِجائه بنى تميم :

فَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَــنِي تَمِيمٍ ... كَمُزْدَادِ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ
هُمُ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى[2] ... رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ
وَهُمْ ضَرَبوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَــتَّى ... بَدَتْ أُمُّ الشُّؤُونِ[3] مِنَ الْعِظَامِ
إِذَا يَأْسُــونَهَا جَشَأَتْ إِلَيْهِمْ ... شرَنْبَثَةُ الْقَــوَائِمِ أُمُّ هَامِ

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبدالله بن خازمٍ السُّلَمِيُّ ، وهو أحد غِرْبانِ العرب فى الإسلام ، وكان من أشْجَعِ الناس ، وقتله بنو تميم بخُراسان ،

---

(١) واسمه أوس .

(٢) اسم طائر ، يقع على الذكر والأنثى ، وجمعه حبابير وحباريات .

(٣) الشؤون : العروق التي تشد قبائل الرأس ومنها تجرى الدموع .

وكان الذى وَلِيَ قتله منهم وَكيع بن الدَّوْرَقِيَّةِ القُرَيْعِيُّ . وقوله فوق الشاحجات يعنى البغال ، وَالرَّسيمُ ضربٌ من السير وإنما عنى هٰهنا بغَالَ البَريد لقوله :

* مُحَذَّفَةَ الأَذْنابِ(١) جُلْحُ الْمَقَادِمِ *

كما قال امْرُؤُ القيس :

على كل مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخيلَ .

وأما قول جرير [الجونين] فقد مضى ذكرهما ، ويوم [دير الجماجم] يريد الحَجَّاج فى وقعته بدَيْر الْجَمَاجِمِ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بن قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ ، وقوله [وبالحِنْوِ أصبحتم عبيدَ اللهازِمِ] فاللهازِمُ بنو قَيْسِ ابن ثَعْلَبَةَ ، وبنو ذُهْلِ بن ثعلبة ، وبنو تَيْمِ اللات بن ثَعْلَبَةَ ، وبنو عِجْلِ ابن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن علىّ بن بكر بن وائل ، وبنو مازِنِ بن صعبِ بن علىّ ، ثم تَلَهْزَمَتْ حنيفةُ بن لُجَيْمٍ فصارتْ معهم . وأما عَلْقَمَةُ بن زُرارةَ فإنه قتلته بنو ضُبَيْعةَ بن قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ فقَتَل به حاجبٌ أخوه أشْيَمَ بن شَرَاحِيلَ القَيْسِيَّ ، فقال حاجبٌ فى ذلك :

فَإِنْ تَقْتُلوا مِنَّا كَرِيمًا فَإِنَّنَا أَبَأْنَا به مَأْوَى الصَّعَالِيكِ أَشْيَمَا
قَتَلْنَا به خَيْرًا لِضُبَيْعَاتِ كُلِّهَا ضُبَيْعَةَ قَيْسٍ لا ضُبَيْعَةَ أَضْجَمَا

وكان يقال لأَشْيَمَ مَأْوَى الصَّعَالِيكِ ، وضُبَيْعَةُ أَضْجَمَ(٢) الذى ذَكَرَ هو ضُبَيْعَةُ بن ربيعةَ بن نِزَارٍ رهط الْمُتَلَمِّسِ هذا لقبهم ، وأما مَعْبَدُ بن زُرارةَ فإن

---

(١) أى أن حذف الأذناب كان علامة لها .

(٢) ضبيعة أضجم : من إضافة الاسم إلى اللقب .

قَيْسًا أَسَرَتْهُ يوم رَحْرَحَانَ، فساروا به إلى الحجاز فأتى لَقِيطٌ فى بعض الأشهر الحُرُم ليَفْدِيَهُ، فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط: إن أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمعَ فينا ذُؤبانُ العرب ، فقال معبدٌ يا أخِى افدنى بمالى فإنى ميتٌ فأبى لقيطٌ وأبى معبد أن يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُون فاه وَيصبون فيه الطعام والشراب لِئلا يَهلِك فيذهبَ فداؤه ، فلم يزل كذلك حتى مات ، فقال جَرير يعير الفرزدق وقومه بذلك :

تَرَكْتُمْ بِوَادِي رَحْرَحَانَ نِسَاءَكُمْ ... وَيَوْمَ الصَّفَا لاَقَيْتُمُ الشِّعْبَ أَوْعَرَا
سَمِعْتُمْ بَنِي مَجْدٍ دَعَوْا يَالَ عَامِرٍ ... فَكُنْتُمْ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ[1] مُنَفَّرَا
وَأَسْلَمْتِ الْقَلْحَاءَ[2] فى الْغُلِّ مَعْبَدًا ... وَلاَقَى لَقِيطٌ حَتْفَهُ فَتَقَطَّرَا

قوله [سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر] يعني مَجْدَ بنت النَضْرِ بن كنانةَ وَلَدَتْ رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَة ، وَوَلَدُهُ بنو كلابٍ وبنو كَعبٍ وبنو عامر بن ربيعة ، والقَلْحَاء لقب ، والقَلَحُ أن تركَبَ الأسنانَ صُفْرَةٌ تضْرِبُ إلى السواد ، ويقال لها الحَبرَةُ لشدة تأثيرها ، أنشدنى المازنى :

لَسْتُ بِسَعْدِيٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ ... وَلَسْتُ بِعَبْدِيٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمْرُ

وزعم أبو الحسن الأخفش (سعيدُ بن مَسْعَدَة) أن العرب تقول فى هذا المعنى: فى أسنانه حِبِرَةٌ ، وليس ذلك بمعروف ، ولم يأت اسم على فِعِلٍ إلاَّ إبِلٌ وَإطِلٌ (وَامرأةٌ بلِزٌ أى ضخمة قاله ابن قتيبةَ ، أما إبل فكما ذكرَ ، وأما

(١) رواية الديوان : فكنتم نعاما بالحزيز ، والحزيز: موضع .

(٢) رواية الديوان :

وأسلمتم لابن الأسيدة حاجبا ... ولاقى لقيط حتفه فتقطرا
وأسلمت القلحاء للقوم معبدا ... يجاذب مخموسا من القد أسمرا

إطِلٌ فليس كما ذكر، وَإطِلٌ أصله إطْلٌ ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة، كما قالوا فى الجِلْدِ الجِلِدُ، قال سيبويه: ليس فى الأسماء والصفات فِعِلٌ إلاَّ إبِلٌ)

وقوله [ولاَقى لَقيطٌ حتفه فتقَطَّرَا] يقال قَطَّرَهُ لجنبيه وقتَّرَهُ، لغتان لأن التاء من مخرج الطاء، فإن رَمَى به على قفاه قيل سَلَقَهُ وسَلْقاهُ وبَطَحَهُ لوجهه، فان رَمَى به على رأسه قيل نَكَتَهُ.

[رجع التفسيرُ إلى شعر الفرزدق الأول]

أما قوله [ومنا الذى منع الوائدات] فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية ابن عِقالٍ، وكانت العرب فى الجاهلية تَئِدُ البنات، ولم يكن هذا فى جميعها إنما كان فى تميم بن مُرٍّ، ثم استفاض فى جيرانهم، فهذا قولُ واحدٍ، وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقَيْسٍ وأسَدٍ وهُذَيْلٍ وبكْرِ بن وَائِلٍ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم اشْدُدْ وَطْأتكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْها عليهم سِنِينَ كسِنِى يوسُفَ » وقال بعض الرواة: اشدد وَطْدَتَكَ، وَالمعنى قريب يرْجع إلى الثِّقَل، فأجْدبُوا سبع سنين حتى أكلوا الوبَرَ بالدَّمِ، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ، ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم، ودَلَّ على ما من أجله قتلوا البناتِ فقال « وَلاَ تَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاَقٍ » وقال « وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ » فهذا خَبرٌ بَيِّنٌ أن ذلك للحاجة، وقد رَوَى بعضُهم أنهم إنما فعلوا ذلك أَنَفَةً، وذكر أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى، أن تميما مَنَعَتِ النُّعْمانَ الإتاوَةَ، وهِيَ الأديانُ، فوَجَّهَ إليهم أخاه الريَّانَ بن المُنْذِرِ، وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ، إحداها الوَضائعُ، وهم قوم من الفُرْسِ كان كسْرَى يَضَعُهُم

عنده عُدَّةً وَمَدَدًا ، فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لَخْمٍ ، فإذا كان فى رأس الحول رَدَّهُمْ إلى أهليهم وبَعَثَ بمثلهم ، وكتيبةٌ يقال لها الشَّهْباء ، وهىَ أهل بيت الملك ، وكانوا بيضَ الوجوه يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ ، وكتيبةٌ ثالثة يقال لها الصنائعُ ، وهم صنائع المَلِكِ أكثرهم من بكر بن وائلٍ ، وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ ، وهم قوم كان يأخذُهمْ من كل قبيلة فيكونون رُهُنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم ، والخامسة دَوْسَرُ(١) ، وهىَ كتيبة ثقيلة تجْمَعُ فُرْسانًا وَشُجْعانا من كل قبيلة ، فأغزاهم أخاه(٢) ، وجُلُّ من معه بكْرُ بن وائل فاستاق النَّعَمَ وسَبَى الذَّرارِىَّ ، وفى ذلك يقول أبو المُشَمْرَجِ اليَشْكُرِىُّ :

لَمَّا رَأَوْا رَايَةَ النُّعْمَانِ مُقْبِلَةً ... قَالُوا أَلَا لَيْتَ أَدْنَى دَارِنَا عَدَنُ
يَالَيْتَ أُمَّ تَمِيمٍ لَمْ تَكُنْ عَرَفَتْ ... مُرًّا وَكَانَتْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ الزَّمَنُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَأَعْيَارٌ(٣) مُجَدَّعَةٌ(٤) ... أَوْ تُنْعِمُوا فَقَدِيمًا مِنْكُمُ المِنَنُ
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ وَعَتَّابٌ وَمُحْتَضَرٌ ... وَابْنَا لَقِيطٍ وَأَوْدَى فِى الْوَغَا قَطَنُ

ويقول النعمان فى جواب هذا :

لِلّهِ بَكْرٌ غَدَاةَ الرَّوْعِ لَوْ بِهِمُ ... أَرْمِى ذُرَا حَضَنٍ زَالَتْ بِهِمْ حضَنٌ(٥)
إِذْ لَا أَرَى أَحَدًا فِى النَّاسِ أَشْبَهَهُمْ ... إِلَّا فَوَارِسَ خَامَتْ(٦) عَنْهُمُ اليَمَنُ

(١) من قولهم : جمل دوسر ، أى ضخم شديد.
(٢) أغزاهم أخاه : أعطاهم اياه يغزو بهم .
(٣) جمع عير : وهو الحمار .
(٤) مجدعة : مقطعة الآذان .
(٥) حضن : جبل بأعلى نجد .
(٦) خامت ، جبنت .

وهذا خبر طويل فوَفَدَتْ إليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا فقال :

مَا كَانَ ضَرَّ تَمِيماً لَوْ تَغَمَّدَهَا ... مِنْ فَضْلِنَا مَا عَلَيْهِ قَيْسُ عَيْلَانِ

فأناب القومُ وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباها رُدَّتْ إليه ، وإن اختارت صاحبها تُرِكَتْ عليه ، فكلُّهن اختارت أباها إلا ابنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَج ، فَنَذَرَ قيسٌ أن لا تُولَدَله ابنةٌ إلا قَتَلَها ، فهذا شيءٌ يَعْتَلُّ به مَنْ وَأَد ، ويقول فعلناه أَنَفَةً ، وقد أُكْذِبَ ذلك بما أنزل اللهُ تعالى فى القرآن ، وقال ابن عباس رحمهُ الله فى تأويل هذه الآية : وكانوا لا يوَرِّثون ، ولا يتخذون إلا مَنْ طاعَنَ بالرُّمح ومَنَع الحريم ، يريد الذُّكرانَ ، وروت الرواة ، أن صعصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، قال : يا رسول الله ! إنى كنتُ أعْمَلُ عملا فى الجاهلية فينفعُنى ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضْلَلْتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ فركبتُ جملاً ومضيت فى بُغائِهما (١) فَرُفِع لى بيتٌ حريدٌ فقصدته ، فاذا شيخ جالس بفِناء الدار فسألته عن الناقتين فقال : ما نارُهما ؟ قلتُ مِيسَمُ بنى دارم ، فقال : هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مُضَرَ ، فجلستُ معه لتُخْرَجا إلىَّ فإذا عجوز قد خرجتْ من كِسْرِ البيت (٢) فقال لها ماوَضَعَتْ ؟ فإن كان سَقْباً (٣) شارَكنا فى أموالنا ، وإن كانت حائلا وأَدْناها ، فقالت العجوز : وَضَعَتْ أُنثى ! فقلتُ : أتبيعها ؟ قال : وهل تبيعُ العربُ أولادها ؟

---

(١) أى فى طلبهما .

(٢) كسر البيت : شقته السفلى التى تلى الأرض .

(٣) السقب هو : الذكر من ولد الناقة ساعة تضعه أمه .

(قال) قلتُ : إنما أشترى منك حياتَها ، ولا أشترى رِقّها ؛ قال : فبِكَمْ ؟ قلتُ : احتَكِمْ ، قال : بالناقتين والجملِ (قال) قلتُ : ذاكَ لكَ عَلَى أن يُبَلِّغَنِى الجملُ وإيّاها ، قال ففعل فآمنتُ بك يارسولَ الله وقد صارتْ لى سُنَّةٌ فى العرب ، عَلَى أن أشترى كل موءودة بناقتين عُشَرَاوَيْنِ وَجملٍ ، فمندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْءودة فقد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا ينفعكَ ذلك لأنك لم تَبْتَغ به وجه الله وإن تَعْمَلْ فى اسلامِك عملا صالحًا تُثَبْ عليه .

وكان ابن عباس يقرأ « وإذا المَوْءودةُ سَأَلَتْ بِأىِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ » وقال أهل المعرفة فى قول الله عزّ وجل «وَإِذَا الْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» إنما تسأل تبكيتا لمن فَعَلَ ذلك بها كما قال الله تعالى « يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ» . وقوله وُئِدَتْ ، إنما هو أُثْقِلَتْ بالتُّراب ، يقال للرجل اتَّئِدْ أى تَثَبَّتْ وَتَثَقَّلْ ، كما يقال تَوَقَّرْ ، قال قَصيرٌ صاحبُ جذيمةَ :

(هذا وَهْمٌ من أبى العباس وإنما هو للزّبّاء)

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا   أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا

* أم صَرَفانًا (١) باردًا شَدِيدًا *

وقوله [أضللتُ ناقتين عُشَرَاوَيْنِ] أضللتُ : ضَلَّتَامِنى ، وتحقيقه صادفتهما ضالَّتَيْنِ (٢) كما قال (لرجل من قُضاعةَ يقال له مالك بن عمرو ، وقبله

(١) الصرفان : ضرب من أجود التمر وأرزنه ، واحدته صرفانة . وبارد : ثقيل .
(٢) كقولهم أحمدته وأبخلته: صادفته محموداً أو بخيلا .

لاَ وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجَدْتُ وَلاَ　　وَجْدُ عَجُولٍ[١] أَضَلَّهَا رُبَعٌ[٢])

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ نَاقَتَهُ　　حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ فَانْدَفَعُوا

والعُشَراء : الناقةُ التى قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر ، وإنما حَمْلُ الناقة سنةٌ ، وقوله [ما نارها] يريد ما وَسْمُهما[٣] كما قال :

قَدْ سُقِيَتْ آبَالُهُمْ بِالنَّارِ　　وَالنَّارُ قَدْ تَشْفِى مِنَ الْأُوَارِ[٤]

أى عُرِفَ وَسْمُهُمْ فلم يُمْنَعُوا الماء ، وقوله [فإذا بيت حَريدٌ] يقول مُتَنَحٍّ عن الناس ، وهذا من قولهم انْحَرَدَ الجملُ ، إذا تنحَّى عن الإناث فلم يَبْرُكْ معها ، ويقال فى غير هذا الموضع حَرَدَ حَرْدَهُ : أى قَصَدَ قَصْدَهُ ، قال الراجز :

قَدْ جَاءَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهْ　　يَحْرِدُ حَرْدًا لِجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ

وقالوا فى قوله عز وجل « وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ » أى على قَصْدٍ كما ذكرنا ، وقالوا هو أيضاً على مَنْعٍ ، من قولهم حارَدَت الناقة إذا مَنَعَتْ لبنها ، وحارَدَت السَّنَةُ إذا مَنَعَتْ مطرَها ، والبعير الأحرد هو الذى يضرب بيده ، وأصله الأمتناع من المشى ، وأما قوله :

وَقَبْرٍ بِكَاظِمَةِ الْمَوْرِدِ　　إِذَا مَا أَتَى قَبْرَهُ عَائِذٌ[٥]

* أَنَاخَ عَلَى الْقَبْرِ بِالْأَسْعُدِ *

فإنه يعنى قبر أبيه غالب بن صَعْصَعَةَ بن ناجيَة ، وكان الفرزدق يُجِير مَن استجار بقبر أبيه ، وكان أبوه جوادًا شريفاً ، ودخل الفرزدق البصرة فى إمْرَةِ

---

(١) العجول فى الإبل والنساء : الواله التى فقدت ولدها .

(٢) أراد أن يقول : أضلت ربعها فقلب ، والربع : الفصيل ينتج فى الربيع .

(٣) وإنما كان الأمر كذلك لأنها بالنار توسم .

(٤) الأوار : العطش .　(٥) أى عائذ .

زيادٍ، فباع إبلاً كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها، فقال له رجلٌ: إنك لتَصُرُّ أثمانها، ولو كان غالبُ بن صعصعةَ ما صَرَّها، ففتح الفرزدق تلك الصُّرَرَ ونَثَرَ المال، وبلغ الخبرُ زيادًا فطلبه، فهرب الفرزدق، وله في هربه حديثٌ طويل، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا إن شاء الله.

فِمَّن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأةٌ من بني جَعْفَرِ بن كلاب، خافتْ لما هجا الفرزدق بني جعفر بن كلاب أن يُسَمِّيَها ويَسُبَّها، فعاذَت بقبر أبيه، فلم يذْكُرْ لها اسمًا ولا نسبًا، ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بني جعفر بن كلاب:

عَجُوزٌ تُصَلِّي الْخَمْسَ عَاذَتْ بِغَالِبٍ ... فَلاَ وَالَّذِي عَاذَتْ بِهِ لاَ أُضِيرُهَا

ومن ذلك أن الحجاج لما وَلَّى تَمِيمَ بن زيد القَيْنِيَّ السِّنْدَ، دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء، فجاءت عجوز إلى الفرزدق فقالت: إني استجرت بقبر أبيك، وأتت منه بحَصَياتٍ، فقال لها: وما شأنك؟ فقالتْ: إن تميم بن زيد خَرَجَ بابن لي معه ولا قُرَّةَ لعيني ولا كاسِبَ لي غيرُهُ، فقال لها: وما اسمُ ابنك؟ فقالت خُنَيْسٌ، فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض مَنْ شَخَصَ:

تَمِيمُ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِي ... بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا وَاحْتَسِبْ فِيهِ مِنَّةً ... لِعَبْرَةِ أُمٍّ مَا يَسُوغُ شَرَابُهَا
أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ ... وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهَا تُرَابُهَا
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّكَ مَاجِدٌ ... وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّ شِهَابُهَا

فلما ورد الكتابُ على تميم، تَشَكَّكَ في الاسم فقال: أَحُبَيْشٌ أم خُنَيْسٌ؟

ثم قال : انظروا مَنْ له مثلُ هذا الاسم فى عسكرنا ؟ فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْشٍ وَخُنَيْسٍ فَوَجَّهَ بهم إليه .

ومنهم مكاتَبٌ لبنى مِنْقَرٍ ظَلَعَ بمكاتَبَته [١] فأتى قَبْرَ غالب فاستجار به وأخذ منه حَصَيَاتٍ فَشَدَّهُنَّ فى عِمامته ، ثم أتى الفرزدق فأخبره خَبَرَهُ وقال : إنى قد قلت شعرًا فقال هاتِه ، فقال :

بِقَبْرِ ابْنِ لَيْلَى غَالِبٍ عُذْتُ بَعْدَمَا خَشِيتُ الرَّدَى أَوْ أَنْ أُرَدَّ عَلَى قَسْرِ [٢]
بِقَبْرِ امْرِئٍ تَقْرِى [٣] الْمَئِينَ عِظَامُهُ وَلَمْ يَكُ إِلَّا غَالِبًا مَيِّتٌ يَقْرِى
فَقَالَ لِىَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إِنَّمَا فَكَاكُكَ أَنْ تَلْقَى الْفَرَزْدَقَ بِالْمِصْرِ

فقال له الفرزدق : ما اسْمُكَ ؟ قال لَهْذَمٌ ، قال يالَهْذَمُ حُكْمُكَ مُسَمَّطًا ، قال: ناقةٌ كَوْماء سوداء الحدقة ، قال يا جارية أُطْرَحِى إلينا حبلا ، ثم قال يالَهْذَمُ أخرج بنا إلى المِرْبَدِ فألْقِهِ فى عُنُقِ ما شئت ، فتخير العبدُ على عينه ، ثم رمى بالحبل فى عنق ناقةٍ وجاء صاحبها ، فقال له الفرزدق: أغْدُ علىَّ فى ثمنها ، فجعل لَهْذَمٌ يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نَفَذَ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدقُ : يالَهْذَمُ ! قَبَحَ اللهُ أخسرنا !!

قوله [تقرى المئين عظامه] يريد أنهم كانوا ينحرون الإبل عند قبور عظمائهم ، فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات ، وهذا معروف فى أشعارهم .

قوله [ولم يك إلا غالبا ميتٌ يقرى] فإنه نصب غالبًا لأنه استثناء مقدم ، وإنما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك ، وذلك أن حق الاستثناء إذا

(١) أى ضعف عن حل ما كوتب به . (٢) أى خشى أن يردّ متهوراً إلى العبودية .
(٣) من القرى بالكسر: وهو إكرام الضيف .

كَانَ الفعلُ مشغولا به أن يكون جارِيا عليه لا يكون فيه إلا هذا ، تقول : ما جاءنى إلا عبدُ الله وما رأيت إلا عبدَ الله ، وما مررت إلا بعبدِ الله ، فإن كَانَ الفعل مشغولا بغيره فكان موجَبًا لم يكن فى المستثنى إلا النصبُ ، نحو جاءنى إخوتُكَ إلا زيدا ، كما قال تعالى « فَشَرِبُوا مِنْهُ إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ » وَنَصَبَ هذا على معنى الفعل[1] وإلا دليلٌ على ذلك[2] فإذا قلت: جاءنى القوم ، لم يُؤْمَنْ أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فإذا قال إلا زيدا فالمعنى لا أعْنِي فيهم زيدًا أو أستثنى ممن ذكرتُ زيدًا ، ولسيبويه فيه تمثيل ، والذى ذكرت لك أبْيَنُ منه ، وهو مُتَرْجِمٌ عما قال غيرُ مناقِضٍ له . وإن كان الأول منفيًّا جاز البدل والنصب والبدل أحسن ، لأن الفعل الظاهر أولى بأن يعمل من المختَزَلِ[3] الموجود بدليل ، وذلك قولك: ما أتانى أحد إلا زيدٌ وما مررتُ بأحد إلا زيدٍ ، والفصل بين المنفى والموجَب أن المبدل من الشئ يُفَرَّغُ له الفعلُ فأنت فى المنفى إذا قلت: ماجاءنى أحدٌ إلا زيدٌ إذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير ماجاءنى إلا زيدٌ لأنه بدل من أحد ، والموجَبُ لا يكون فيه البدل لأنك إذا قلت : جاءنى إخوتك إلا زيدا لم يجز حذف الأول، لا تقول جاءنى إلا زيد وإن شئت أن تقول فى النفى: ماجاءنى أحد إلا زيدًا جاز ونصبهُ بالاستثناء الذى شرحتُ لك فى الواجب ، والقراءةُ الجيدةُ « مَا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ » وقد قرئ إلا قليلاً منهم على ما شرحتُ لك فى الواجب والقراءةُ الأولى ،

(١) يريد الفعل المقدر : وهو أعنى أو أستثنى فيكون شبيها بالمفعول به .

(٢) قال الشيخ المرصفى : هذا كمذهبه فى المنادى يقول : انه منصوب بالفعل المقدر وهو أنادى ، وحرف النداء دليل عليه .

(٣) أى المحذوف الذى هو فى حكم الموجود بدليل إلا .

* فإذا قدّمتَ المستثنَى بطلَ البدَلُ ، لأنه ليس قبله شيء يُبْدَلُ منه ، فلم يكن فيه إلاّ وجهُ الاستثناء ، فتقول : ما جاءنى إلاّ أباكَ أحدٌ ، و: ما مررتُ إلاّ أباكَ بأحدٍ ، وكذلك تُنْشَدُ هذه الأشعار ، قال كَعْبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

النَّاسُ أَلْبٌ علينا فيكَ ليس لنا ... إلاَّ السُّيوفَ وأطْرَافَ القَنَا وَزَرُ(١)

وقال الكُمَيْتُ بن زيد :

فَمالِيَ إلاَّ آلَ أَحْمَدَ شِيعةٌ ... وماليَ إلاَّ مَشْعَبَ الحقِّ مَشْعَبُ

لا يكون إلاّ هذا . وليونس قولٌ مرغوبٌ عنه ، فلذلك لم نَذْكره .

وقوله : «فقال لى استَقْدِمْ أَمامَكَ» مُخْبِرٌ عن الميِّت بالقَوْلِ ، فإن العربَ وأهلَ الحِكْمَةِ من العَجَم تجعلُ كلَّ دليلٍ قولاً ، فمن ذلك قول زُهَيْرٍ :

* أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ *

وإنما كلامُهَا عندَه أن تُبَيِّنَ بما يُرَى من الآثارِ فيها ، من قِدَمِ أهلِها وحِدْثانِ عَهْدِهِمْ .

ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال : هَلاَّ وقفتَ على المَعاهِد والجِنانِ ، فقلتَ : أيتُها الجِنانُ ، مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؟

---

* شرفنى صديقى الأستاذ الدكتور زكى مبارك حفظه الله ، فعهد إلىّ بإتمام تصحيح هذا الكتاب وتحقيقه ، ووافق على ذلك إخوانى الناشرون بارك الله فيهم ، فبدأت من أول هذه الصفحة ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم بى ، وأسأل الله الهداية .

الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ ... وكتب
١٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ ... أحمد محمد شاكر

(١) ألب : متجمعون ، وزر : ملجأ .

فإنها إن لم تُجِبْكَ حِوارًا(١) أجابَتْكَ اعتبارًا .

وأهلُ النظر يقولون فى قول الله عز وجل ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ — : لم يكنْ كلامٌ ، إنمـا فَعَلَ عزّ وجل ما أراد فوُجِدَ . قال الراجزُ :

قد خَنَّقَ الحَوْضُ وقال قَطْنِى   سَلاً رُوَيْدًا قد مَلأْتُ بَطْنِى(٢)

ولم يكن كلامٌ ، إنمـا وُجِدَ ذلك فيه . وكذلك قوله :

فقالَ لِىَ اسْتَقْدِمْ أَمَامَكَ إنمـا   فَكَاكُكَ أنْ تَلْقَى الفَرَزْدَقَ بالمِصْرِ

أى : قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجيرِ بقبره .

❊

وحدثنى العباسُ بنُ الفَرَجِ الرِّيَاشِىُّ فى إسنادٍ قد ذَهَبَ عنى أكثرُه ، قال : نزل النُّعْمَانُ بنُ المُنْذِرِ ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظلِّ شجرةٍ مُونقةٍ ، ليلْهُوَ النُّعمانُ هناك ، فقال له عدىُّ بن زيد : أيُّها الملكُ ! أبَيْتَ اللَّعْنَ ! أتَدْرِى ما تقولُ هذه الشجرة ؟ قال : وما الذى تقول ؟ قال : تقول :

[مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ   أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالْ(٣)

وصُروفُ الدهرِ لا يَبْقَى لها   ولِمَا تأتى به صُمُّ الجبالْ](٤)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخُوا حَوْلَنَا   يَمْزُجُونَ الخَمْرَ بالمـاءِ الزُّلالْ(٥)

---

(١) الحوار : الجواب .

(٢) « الحوض » فاعل « خنق » بمعنى امتلأ . و « سلا » بدلهـا فى س و د و هـ « مهلا » وهى رواية . و « ملأت » بضم التاء لاغير ، لأنه حكاية لقول الحوض بلسان الحال .

(٣) « موف » : مشرف . « قرن زوال » : مستعار من قرن السيف أو السنان ، وهو حده ، يريد أنه مشرف على الهلاك .

(٤) كل ما كان بين هذين المربعين [ ] فليس من أصل الكتاب ، إنمـا هو زيادات من الرواة ، فـا لم ينص على قائله فهو من أبى الحسن الأخفش .

(٥) فى س و هـ « رب شرب » .

[والأباريقُ عليهـــا فُدُمٌ   وجيادُ الخيل تَرْدِى فى الجِلال[1]
عَمِرُوا الدَّهرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ   قَطَعوا دَهرَهُمْ غَيْرَ عِجَالْ]
ثم أضْحَوْا عَصَفَ الدَّهرُ بهم   وكذاكَ الدَّهرُ حالاً بعدَ حالْ[2]

قال : فتَنَغَّصَ النعمان .

وهذا فى الأمثالِ كثيرٌ ، وفى الأشعار السائرة .

وأما قولهُ «حُكْمُكَ مُسَمَّطاً» فإعرابُه أنه أرادَ : لكَ حُكْمُكَ مُسَمَّطاً ، واسْتُعْمِلَ هذا فكَثُر ، حتى حُذِفَ استخفافاً ، لعلم السامع بما يُرِيدُ القائلُ ، كقولك : « الهلالُ واللهِ » أى : هذا الهلالُ ، وأغْنَى عن قوله « هذا » — : القصدُ والإشارةُ .

وكان يقالُ لِرُؤْبَةَ : كيفَ أصبحتَ ؟ فيقول : خَــيرٍ عافاكَ اللهُ . فلم يُضْمِرْ حرفَ الخفضِ ، ولكنه حَذَفَ لكثرة الاستعمال ، والمُسَمَّطُ : المرْسَلُ غيرُ المردودِ[3] ، والكَوْماء : العظيمة السَّنامِ .

---

(١) « فدم » بضم الفاء والدال : جمع فدام ، بكسر الفاء وفتحها مع تخفيف الدال . وهو مايوضع على فم الإبريق لتصفية الشراب . و« تردى » من الرديان ، وهو العدو . و« الجلال » جمع «جل» بضم الجيم ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

(٢) « حالا » بالنصب ، وفى بعض النسخ بالرفع ، وكلاهما صحيح .

(٣) أى النافذ حكمه .

باب

قال أبو العباس : قال الليثُ [هو الجاحِظُ] : أعتقَ سعيدُ بن العاصِي أبا رافعٍ إلاّ سَهمًا واحدًا فيه ، مِن أسْهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا ، فاشترَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهمَ فأعتقه ، وكان لأبي رافعٍ بَنُونَ أشرافٌ[1] ، منهم : عُبيدُ الله بنُ أبي رافع ، وحديثُه أثبتُ الحديثِ عن عليّ بن أبي طالب ، وكان كالكاتِب له ، وكان عُبيدُ الله بنُ أبي رافعٍ شريفًا ، وكان عُبيدُ الله يُنْسَبُ إلى وَلاء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وَلِيَ عمرُو بنُ سعيدٍ[2] الأشْدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئًا قبل إرساله إلى عُبيد الله بن أبي رافعٍ ، فقال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال له : مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأبْرَزَه فضربَه مائةَ سوطٍ ، ثم قال له : مَوْلَى مَنْ أنتَ ؟ فقال : مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضربه مائةً أخرى ، فلما رأى عبدُ الله أخاه غيرَ راجعٍ ، وأن عمرًا قد ألَحَّ عليه في ضربه ، قام إلى عمرٍو فقال له : اذكر المِلْحَ ، فأمسك عنه .

والمِلْحُ هٰهنا اللَبَنُ ، يريدُ الرَّضاعَ ، كما قال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيُّ :

وإنّي لَأرْجُو مِلْحَها في بُطونكم ... ومابَسَطَتْ مِنْ جِلْدِ أشْعَثَ أغْبَرَا[3]

[كذا وقعت الروايةُ ، والصوابُ « أغْبَرِ » لأنّ قبلَه :

---

(١) وكان رسول الله زوّجه مولاته سلمى قابلة ابنه إبرهيم .

(٢) ابن العاصى بن سعيد بن العاصى .

(٣) أى : أرجو أن ترعوا ماشربتم من ألبانها وما بسطت من جلودكم اليابسة .

ولو عَلِمَتْ صَرْفَ البُيُوعِ لَسَرَّهَا ... بِمَكّةَ أن تَبْتاعَ حَمْضًا بإذْخِرِ (١)

قاله ش] .

وكما قال الآخرُ :

لا يُبْعِدِ اللهُ ربُّ العبا ... دِ والمِلْحُ ما وَلَدَتْ خالِدَهْ

ويروى أن عُبيدالله بن أبي رافع أتى الحسنَ بنَ عليّ بن أبي طالب فقال : أنا مولاك ، فقال في ذلك مَوْلًى لِتَمَّامِ بن عبّاس بن عبدالمُطَّلِب، يَعْذُلُه و يُعَيِّرُه :

جَحَدْتَ بنى العباس حَقَّ أبيهمِ ... فما كُنْتَ في الدَّعْوَى كَرِيمَ العَوَاقِبِ

مَتَى كَانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ ... يَحُوزُ ويُدْعَى والدًا في المَنَاسِبِ

يُرِيدُ أنّ العباسَ أَوْلَى بوَلاء مَوْلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لأن العمّ مَدْعُوٌّ والدًا في كتابِ الله تعالى ، وهو يَحوزُ الميراثَ .

وقال رجلٌ من الثّقَفِيِّين: أنشدْتُ مَرْوانَ بنَ أبي حَفْصَةَ هذين البيتين ، فوقع عندي أنه من هذا أَخَذَ قولَه :

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ ... لبَنِي البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

ألْغَى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لَهُمْ ... أن يَشْرَعُوا فيه بغيرِ سِهامِ

وقال طاهرُ بن عليّ بن سليمانَ بن عليّ بن عبد الله بن العباس للطالبيين :

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وَجَدُّنا ... فتَنَازَعَا فيها لِوَقْتِ خِصَامِ

كان التُّرَاثُ لِجَدِّنا مِن دُونه ... فَحَوَاهُ بالقُرْبَى وبالإسلامِ

حقُّ البناتِ فريضةٌ معروفةٌ ... والعَمُّ أَوْلَى من بني الأعمامِ

وذكر الزُّبَيْرِيُّون عن ابن الماجِشُون (٢) قال : جاءني رجل من

---

(١) الصرف : الفضل .

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة . . مات سنة ٢١٢ أو بعدها =

وَلَدِ أبى رافعٍ ، فقال : إنى قد قاولْتُ رجلا من مَوَالِي بعضِ العربِ ، فقلتُ : أنا خيرٌ منكَ ، فقال : بل أنا خير منكَ ، فما الذى يَجبُ لى عليه ؟ فقلتُ : ليس فى هذا شىء ، فقال : أنا مَوْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويَزْعُمُ أنه خير منى ؟ ! قال : قلتُ : قد يَتَصَرَّفُ هذا على غير الحَسَبِ[١] ، قال : فلما رآنى لا أقْضِي له بشىء قال لى : أنت دافعٌ مَغْرَمًا[٢] لأن وَلائى عندَه ليس فى موضعٍ مَرْضِيٍّ ؟ قال - وصَدَقَ[٣] - : فى بنى تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ وَلاءً مِنِّى .

*

وحُدِّثتُ أن أُسامةَ بن زيد قاوَلَ عَمْرَو بنَ عثمانَ فى أمرِ ضَيْعَة يدعيها كلٌّ واحدٍ منهما ، فَلَجَّتْ بهما الخصومةُ ، فقال عمرو : يا أُسامةُ ! أتأْنفُ أن تكونَ مولاىَ ؟ فقال أُسامة : والله مايَسُرُّنى بِوَلائى مِن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَسَبُكَ ! ثم ارتفعا إلى مُعاوية ، فَلَجَّا بين يديه فى الخصومة ، فتقدم سعيدُ بن العاصى إلى جانب عَمرٍو فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ ، فتقدم الحسنُ إلى جانب أُسامة يلقّنه ، فَوَثَبَ عُتْبَةُ بن أبى سفيانَ فصار مع عمرو ، ووثَبَ الحسينُ فصار مع أسامة ، فقام عبد الرحمن بنُ أُمِّ الحَكَم ، فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن العباس فجلس مع أسامة ، فقام الوليدُ بن عُقْبَةَ فجلس مع

= و«الماجشون» بفتح الميم وكسر الجيم وضم الشين ، كما ضبطه السمعانى فى الأنساب وابن حجر فى التقريب وغيرهما ، وضبطه بعضهم بضم الجيم وبعضهم بفتحها ، والصحيح ما قال علماء الحديث والرجال.

(١) أى قد يتصرف ، زعمه هذا على النسب ، بأن يكون آباؤه خيراً من آبائك ، لا فى حسب ولائك من الرسول .

(٢) المغرم : حق يتقاضاه منه .

(٣) قال الشيخ المرصفى : اعتراض من قول ابن الماجشون .

عمرو ، فقام عبدُ الله بن جعفرٍ فجلس مع أسامةَ ، فقال معاويةُ : الجَلِيَّةُ عندي ، حَضَرْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد أقْطَعَ هذه الضَّيْعَةَ أسامةَ ، فانصرف الهاشميون ، وقد قُضِيَ لهم ، فقال الأُمَوِيُّون لمعاويةَ : هلاَّ إذْ كانت هذه القضيةُ عندَك بدأتَ بها قبل التَّحَزُّبِ ، أو أخَّرْتَها عن هذا المجلس ؟ فتكلم بكلامٍ يدفَعُه بعضُ الناس .

☆

وكان الذى اعْتَدَّ به الحجَّاجُ بن يوسفَ على سعيد بن جُبَيْر لَمَّا أُتِيَ به إليه بعدَ انقضاء أمرِ ابنِ الأشْعَثِ ، وكان سعيدٌ عبداً لرجلٍ من بنى أسَدِ بن خُزَيْمَة فاشتراه سعيدُ بن العاصِي فى مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً ، فقال له الحجَّاجُ : ياشَقِىُّ بنَ كُسَيْرٍ ! أما قَدِمْتَ الكوفَةَ وليس يؤُمُّ بها إلاَّ عَرَبِىٌّ فجعلتُك إمامًا ؟ قال : بلى ، قال : أفَمَا وَلَّيْتُكَ القَضاءَ فَضَجَّ أهلُ الكوفةِ وقالوا : لا يَصْلُحُ[1] القضاء إلاّ لعربىّ ، فاستقضيتُ أبا بُرْدةَ بنَ أبى موسى الأشعرىّ وأمَرْتُه أن لا يقطعَ أمرًا دُونَك؟ قال : بلى ، قال : أوَمَا جعلتُك فى سُمَّارِي وكلُّهم من رُؤُس العرب؟ قال : بلى ، قال : أوما أعطيتك مائةَ ألفَ درهمٍ لتفرِّقَها فى أهل الحاجة ، ثم لم أسْأَلْكَ عن شىء منها ؟ قال : بَلَى ، قال : فما أخْرَجَكَ علىّ ؟ قال : بَيْعَةٌ كانت لابن الأشْعثِ فى عُنُقِى ، فَغَضِبَ الحَجَّاجُ ، ثم قال : أفَمَا كانتْ بيعةُ أميرِ المؤمنين عبدِ الملكِ فى عُنُقِكَ قَبْلُ ؟ والله لأقْتُلَنَّكَ ، يَا حَرَسِيُّ ! اضْرِبْ عُنُقَه[2] . ونظر الحَجَّاجُ فإذا جُلٌّ مَنْ

---

(١) صلح : من باب منع وكرم .

(٢) سعيد بن جبير من سادة التابعين الفقهاء . قال أبو القاسم الطبرى : « هو ثقة إمام حجة على =

خرجَ مع عبد الرحمن ـ من الفقهاء وغيرهم ـ من الموالِي ، فأَحَبَّ أن يُزيلَهم عن موضع الفصاحةِ والآدابِ ، ويَخْلِطَهُمْ بأهل القُرَى والأنباطِ ، فقال : إنما الموالى عُلُوجٌ ، وإنما أُتِيَ بهم من القُرَى ، فقُراهُم أولَى بهم ، فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرارِ العرب بها ، وأمر بأن يُنْقَشَ على يَدِ كلّ إنسانٍ منهمُ اسْمُ قريتِهِ ، وطالتْ وِلايتُه[1]، فتَوَالَدَ القومُ هناك ، فَخَبُثَتْ لُغاتُ أولادِهم ، وفسدتْ طَبائِعُهم ، فلمّا قام سليمانُ بن عبد الملك أخرجَ مَنْ كان فى سجن الحجّاج من المظلومين ، فيقالُ إنه أخرج فى يومٍ واحدٍ ثمانين ألفاً ، وردَّ المنقوشين ، فرَجَعوا فى صورة الأنباط ، ففى ذلك يقولُ الراجزُ :

جَارِيَةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبِلْ أخرجها الحَجّاجُ من كِنٍّ وظِلّْ
لو كَانَ بَدْرٌ حاضِرًا وابنُ جَمَلْ ما نُقِشَتْ كَفَّاكِ فى جِلدِ جَمَلْ

وقال شاعرٌ لأهلِ الكوفة لمّا استُقْضِيَ عليها نُوحُ بن دَرّاجٍ [يُنسبُ للفرزدقِ][2] :

يأَيها الناسُ قد قامتْ قيامَتُكُمْ إذْ صارَ قاضِيَكُمْ نوحُ بن دَرّاجِ
لو كَانَ حَيًّا له الحجّاجُ ما سَلِمَتْ كَفّاهُ ناجيةً من نَقْشِ حَجّاجِ

ويُرْوَى عن حَسّانَ المعروفِ بالنَّبَطِيّ ، صاحبِ مَنارة حَسّانَ

═ المسلمين » . قتله الحجاج فى شعبان سنة ٩٥ ومات بعده بقليل . وانظر سيرته فى حلية الأولياء لأبى نعيم (٤ : ٢٧٢ ـ ٣٠٩) .

(١) فى هذا نظر ، بل هو خطأ ، فان الحجاج مات فى رمضان أو شوال سنة ٩٥ .

(٢) الزيادة من كلام الأخفش ، وقال أستاذنا الشيخ المرصفى رحمه الله : « هــذا خطأ ، فان الفرزدق مات سنة ١١٠ ومات نوح بن دراج وهوقاض بالجانب الشرقى ببغداد سنة ١٨٢ ».

في البَطيحة ، قال : أُريتُ الحجّاجَ فيما يُرى النائم ، فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ، ما صَنَعَ اللهُ بكَ ؟ فقال : يا نبطيُّ ! أهذا عليك ؟ ! قال : فرَأَيْتُنا لا تُفْلِتُ مِن نَقْشِهِ في الحياةِ ، ومِنْ شَتْمِهِ بَعدَ الوفاةِ ! !

ويُروى عن حسَّانَ : أنه قصَّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين ، فقال له ابنُ سيرين : لقد رأيتَ الحجّاجَ بالصِّحة .

❁

قال أبو العباس : وحُدِّثْتُ من ناحية الزُّبَيْرِيِّينَ : أن الجَحَّافَ بنَ حَكِيم[1] دخل على عبدالملك والأخطلُ عنده ، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال:

ألاَ أبْلغِ الجَحّافَ هل هُوَ ثائرٌ ... بقَتْلَى أُصِيبتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فقال الجَحّافُ :

بَلَى سَوْفَ نَبْكِيهِمْ بكُلِّ مُهَنَّدٍ ... وَنَبْكِى عُمَيْراً بالرِّماحِ الخَوَاطِرِ

ثم قال : يا ابْنَ النَّصرانيّة ! ما ظَنَنْتُكَ تَجْتَرِئُ علىَّ بمثل هذا ولو كنتُ مأسورًا لك ؟ ! فحُمَّ الأخطلُ خوفًا ، فقال له عبدُ الملك : أنا جارُكَ منه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! هَبْكَ أجرْتَنِي منه في اليَقظةِ ، فمَنْ يُجيرُني منه في النَّوم ؟ ! ومِن هذا أو نحوِه أخَذَ السُّلَمِيُّ قولَهُ [قال أبو الحسن : هو أشجعُ السُّلَمِيُّ يقوله للرشيد] :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ محمدٍ ... رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبحِ والإظْلامُ

فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ ، وإذا هَدَا ... سَلَّتْ عليه سُيوفَكَ الأحْلامُ

---

(١) حكيم : بفتح الحاء ، وكتب في الاشتقاق لابن دريد وفي نقائض جرير والفرزدق بضم الحاء ، من غير نص ولا دليل ، ولو كان بالضم لنص العلماء عليه كما نصوا على غيره .

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العِجْلِيُّ هارِبًا منَ الحجّاج ، فجعلَ لايَحُلُّ ببلدة إلاّ رِيعَ لأثَرٍ يراهُ من آثارِ الحجّاج فيَهْرُبُ ، حتى أبْعَدَ ، ففى ذلك يقول العُدَيْلُ :

يُخَشِّوِنُنِى الحجّاجَ حتى كأنّما يُحَرِّكُ عَظْمٌ فى الفؤادِ مَهِيضُ
ودُونَ يَدِ الحجّاجِ من أنْ تَنالَنِى بَسَاطٌ لِأَيْدِى اليَعملاتِ عَرِيضُ(١)

فلم يَنْشَبْ(٢) أن أُتِىَ به الحجّاجُ ، ففى ذلك يقولُ العُدَيْلُ :

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أجًا وشِعابِها لكانَ لِحَجّاجٍ علىَّ دليــــلُ
بَنِى قُبَّةَ الإسلامِ حتّى كأنّما أتَى الناسَ من بَعْدِ الضَّلالِ رسولُ

أجًا وسَلْمَى : جَبَلاَ طَيِّئٍ و« أَجأٌ » مهموز ، وإنما هو « أجًا » مقصورٌ(٣)، فاعلم ، قال زَيدُ الخَيْلِ :

جَلَبْنا الخيلَ مِنْ أجَإٍ وسَلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعًا خَبَبَ الذّئابِ(٤)

والشاعرُ إذا احتاجَ إلى قلب الهمزة قَلَبَها : إن كانت الهمزةُ مكسورةً جَعَلَها ياءً ، أو ساكنةً جعلها على حركةِ ما قَبْلَها ، وإن كانت مفتوحةً وقَبْلَها فتحةٌ جعلها ألِفًا ، وإن كانت مفتوحةً وقبلَها كسرةٌ جعلها ياءً ، وإن كانت قبلَها ضمةٌ جعلها واوًا ، قال الفرزدقُ :

---

(١) البساط — بفتح الباء — : الأرض العريضة الواسعة كالبسيطة .

(٢) أى : لم يلبث .

(٣) أجا : كتبت فى هذا الموضع فى طبعة ليبزج بالهمز ، وهو خطأ ، لأن أبا العباس يريد أن « أجأ » أصله مهموز ، وأنه فى هذا الشعر مقصور ، وأن الشاعر لضرورة الشعر سهل الهمزة ، فجاء بالكلمة على صورة المقصور.

(٤) تخب : تسرع . ونزائعا : واحدتها نزيعة ، وهى التى تشتاق إلى أوطانها .

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ عَشِيَّةً فارْعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ

وقال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

سالَتْ هُذَيلٌ رسولَ اللهِ فاحشةً ضَلَّتْ هُذَيلٌ بمَاسَالَتْ ولم تُصِبِ

وقال عبدُ الرحمن بنُ حسَّانَ :

وكنتَ أذلَّ من وَتِدٍ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجِى

وأما قولُ الفرزدق فإنه يقوله لَمَّا عُزِلَ مَسْلَمَةُ بنُ عبـــد المَلِكِ عن العِراق بعد قَتْله يزيدَ بنَ المُهَلَّبِ لحاجةِ الخليفةِ إلى قُرْبه(١) ، وَوَلِيَ عُمَرُ بن هُبَيرَةَ فقال :

راحَتْ بِمَسْلَمةَ البِغالُ عشيةً فَارْعَىْ فزارةُ لا هنَاكِ المَرْتَعُ

ولقد عَلِمْتُ إذا فَزَارَةُ أُمِّرَتْ أنْ سوفَ تَطْمَعُ فى الإمارةِ أشْجَعُ

فأَرَى الأُمورَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها حتى أُمَيَّةُ عن فَزَارةَ تُنْزَعُ

عُزِلَ ابنُ عمرٍو وابنُ بِشْرٍ قَبْلَهُ وأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِها يتَوَقَّعُ

[«تَنْزِعُ» روايةُ عاصم ، فمن رَوَى «تُنْزَعُ» بضم التاء يعنى تُعْزَلُ ، ومن رَوَى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النَّزْعِ فى القَوْس ، وهو الرمىُ ، يُشِيرُ إلى أنها محتاجةٌ إلى رَأْيها وأنها تَرْمِي عن قوسها] فى جواب هـــذا يقول الأسَدِىُّ لَمَّا وَلِيَ خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِىُّ :

بَكَتِ المنابرُ من فَزارَةَ شَجْوَها فالآنَ مِنْ قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

وملوكُ خِنْدِفَ أسْلَمُونَا لِلعِدَى للهِ دَرُّ مُلوكِنا ما تَصْنَعُ

(١) الخليفة : هو يزيد بن عبد الملك .

[كانوا كَتارِكَةٍ بَنِيها جانِبًا   سَفَهًا وغيرُهُم تَصُونُ وتُرْضِعُ]

وأما قولُ حسانَ : « سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً » ـ : فلَيس من لغته « سِلْتُ أَسَال » مثلُ : « خفتُ أخافُ » و « هُما يتَساوَلاَنِ » ، هذا من لُغةِ غيرِه ، وكانت هُذَيلٌ سألتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحِلَّ لها الزِّنَا .

ويُرْوَى أن أسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تفاخَرا ، فرَضِيا برجلٍ ، فقال : إنّى ما أقْضِي بينكما إلاّ أنْ تجعلا لِى عَقْدًا وثيقًا أن لا تضرِبَا ولا تَشْتِما ، فإنّى لستُ فى بلادِ قَومِى ، ففَعلاَ ، فقال : يا أخا بَنِى أسدٍ ! كيفَ تُفاخِرُ العربَ وأنتَ تعلمُ أنه ليس حَىٌّ أحبَّ إلى الجيشِ ولا أبْغَضَ إلى الضَّيف ولا أقلَّ تحتَ الرَايات : منكم ؟ ! وأمّا أنتَ ياأخَا هُذَيلٍ ! فكيفَ تُكلِّمُ الناسَ وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ : كان منكم دَليلُ الحبشةِ على الكَعْبةِ ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النَّحْيَيْنِ ، وسألتُم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحِلَّ لكم الزِّنا ؟ ! ولكن إذا أرَدْتُمَا بَيْتَىْ مُضَرَ ، فعليكُمَا بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيْس ، قومًا فى غيرِ حفظِ الله .

وأمّا بيتُ عبدِ الرحمن بن حسّانَ فانه يقولُه لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبى العاصِى ، وكان يُهاجيه ، فقال له فى كَلِمَتِهِ :

وأمّا قولُكَ الخُلَفاءُ مِنّا   فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِدَاجِ (١)
ولولاهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ   هَوَى فى مُظْلِمِ الغَمَرَاتِ دَاجِى

---

(١) الوريد : أحد عرقين فى العنق ، ووداجه : قطعه .

وكُنْتَ أذلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بالفِهْرِ وَاجِي[1]

وكان أحَدَ مَنْ هربَ من الحجاجِ سَوَّارُ بن المُضَرِّبِ [بفتح الراء] ففى ذلك يقولُ :

أقاتِلِي الحَجَّاجُ إنْ لم أزُرْ لَهُ دَرَابَ وأتْرُكْ عندَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا[2]
فإن كَانَ لا يُرضيكَ حتى تَرُدَّنِي إلى قَطَرِيٍّ مَا إخالُكَ راضِيَا
إذا جَاوَزَتْ دَرْبَ المُجيزِينَ نَاقَتِي فبَاسْتِ أبِي الحَجّاج لَمَّا ثَنَانِيَا[3]
ايَرْجُو بنو مَرْوانَ سَمْعِي وطاعتِي وقَوْمِى تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائِيَا

[فاعلُ « يُرْضِيك » مضمرٌ أو مَنْوِيٌّ ، تقديره : فإن كان لا يُرضيك الإرضاء ، ولا يجوز أن يكونَ ما بعدَ « يرضيك » الفاعلَ ، لأن سيبويه رحمه الله قال : الفاعلُ لا يكون جملة ، « وحتى تَرُدّنى » جملةٌ ، قاله ابن الأبْرَشِ[4]] « ووراثى » هاهنا فى معنى: أمامى ، قال الله عزّ وجل : ﴿ وإِنِّى خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِى[5] ﴾ وقال جل ثناؤه : ﴿وكان وراءهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا[6] ﴾ .

⁂

وممن هرَبَ من الحجاج محمدُ بنُ عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيُّ ، وكان

---

(١) الفهر : الحجر ملْء الكف . وواج : أصله واجيء ، من الوجء ، وهو الضرب والدق ، فسهل الشاعر الهمزة .

(٢) دراب : بفتح الدال المهملة : وهو اختصار من « دراب جرد » بكسر الجيم وإسكان الراء ، اسم كورة بفارس .

(٣) درب المجيزين : يريد به مكان الجواز ، كأبواب المدن ورؤس الطرق ، مما لا يجوزه المسافر إلا بجواز من الأمير .

(٤) هو خلف بن يوسف الأندلسى ، مات سنة ٥٣٢ .

(٥) سورة مريم (٥) .

(٦) سورة الكهف (٧٩) .

يُشَبِّبُ بزينبَ بنْت يوسفَ أختِ الحجاج ، وهو القائلُ فيها :

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعْمَانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ في نِسْوَةٍ عَطِراتِ
يُخَبِّئْنَ أطْرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

في كلمةٍ له ، فلمّا أُتِيَ به الحجاجُ قال :

هاكَ يَدِي ضاقَتْ بِيَ الأرضُ رُحْبُهَا ... وإنْ كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكانِ
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بِأُسُومِهَا ... لَخِلْتُكَ إلاّ أنْ تَصُدَّ تَرَانِي

[مَن رَفَعَ « رُحْبُهَا » فعلى البدل ، ومن نَصَبَ فعلى الظرف ، قاله ش. « وأسومها » بفتح الهمزة وبالضم ، والفتح أحسن(١) ، ش] ثم قال : والله أيُّها الأميرُ ، إنْ قلتُ إلاّ خيرًا ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى ... ويخرجن شطرَ الليل معتجِراتِ(٢)

فعفا عنه ، ثم قال له : أخبرني عن قولك :

ولَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعْرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

ـ : ما كنتم ؟ قال : كنتُ على حمارٍ هَزِيلٍ ، ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثلِه.

❊

وممن هرب منه مالكُ بن الرَّيْبِ المازنيُّ ، أحَدُ بني مَازِنِ بن مالك بن عمرو بن تميمٍ ، وفي ذلك يقول :

إنْ تُنْصِفونا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إليكم وإلاّ فَأْذَنُوا بِبِعادِ

(١) هذا خطأ ، بل هو « يسوم » بالياء في أوله ، بوزن « يقول » وهو جبل في بلاد هذيل ، انظر صفة جزيرة العرب (ص ١٢٥ س ١٧ وص ١٢٦ س ٢٠) والقاموس مادة (س و م) ومعجم البلدان .

(٢) في بعض النسخ « نصف الليل » وفي بعضها « ويخرجن بالأسحار » .

فَإِنَّ لَنَا عنكم مَزَاحًا ومَزْحَلاً بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلَاةِ صَوَادِى
فَفِى الأَرضِ عن دارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كَبِلَادِى

[كذا وقعت الروايةُ بضم الهمزة وكسر الطاء ، والأصحُّ « أَوْطَنَتْ » بفتح الهمزة وفتح الطاء ، قاله ش]

فماذا تُرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إذا نَحْنُ جاوزنا حَفِيرَ زِيَادِ
فلولا بَنُو مَرْوَانَ كانَ ابنُ يوسفٍ كما كانَ عبدًا من عَبِيدِ إيَادِ
زَمانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى ويُغَادِى

قال ذلك لأن الحجاجَ كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف ، وكان لقبهُ كُلَيْبًا ، وفى ذلك يقولُ القائل :

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زمانَ الهُزَالِ وتَعْلِيمَهُ سورةَ الكَوْثَرِ (١)
رَغِيفٌ له فَلْكَةٌ ما تُرَى وآخرُ كالقَمَرِ الأَزْهَرِ

يقولُ : خُبْزُ المُعَلِّمِينَ يأتى مختلفًا ، لأنه من بيوتِ صِبيانٍ مختلِفِى الأحوال .

وأَنْشَد أبو عثمانَ عمرُو بنُ بَحْرٍ الجاحظُ :

أَمَا رَأَيْتَ بنى بَحْرٍ وقد حَفَلُوا كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وكُتَّابِ
هــذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِدٌ يَمْشُونَ خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ (٢)

وفى لَقَبِهِ يقولُ آخرُ من أهل الطائف :

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ فى أَرْضِكم وقد كان فينا صَغِيرَ الخَطَرْ

---

(١) فى بعض النسخ « صبية الكوثر » وهو الصواب ، لأن « كوثر » قرية بالطائف كان الحجاج معلما بها ، وعلى الصواب رواه ياقوت فى معجم البلدان .

(٢) قال المرصفى « الحنبل : القصير الضخم البطن . والجحد بكسر الحاء : وصف من : جحد عيشه » .

ولما دخل الحجاجُ مكةَ اعتذر إلى أهلها لقلة ما وصلهم به ، فقال قائلٌ منهم : إذَنْ واللهِ لا نَعْذِرَكَ وأنتَ أميرُ العِراقَيْنِ وابنُ عَظيم القَرْيَتَيْنِ . وذلك أنّ عُرْوةَ بنَ مسعود وَلَدَهُ مِنْ قِبَلِ أُمِّهِ ، وتأويلُ قولِ الله عزّ وجلّ : ﴿وَقالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ[1]﴾ مجازُهُ في العربية : على رجل من رجلين من القريتين عظيمٍ ، والقريتانِ : مكةُ والطائفُ ، والرجلان : عُرْوَةُ بنُ مسعود ، والآخرُ الوَليدُبن المُغيرةِ بن عبدالله بن عُمَرَ بن مَخْزوم .

ويُرْوَى أن أبا بكر الصدّيقَ رحمه الله مَرَّ بقبره ومعه خالد ، فقال : أصْبَحَ جَمْرَةً في النار ، فأجابه خالد في ذلك بجواب غيرِ مَرْضِيّ .

وأما عُرْوةُ بن مسعود فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثَه إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام ، فَرَقِيَ سطحَهُ ، فرماه رجلٌ بسهم فقتله ، فلما وَجَّهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العباسَ بن عبد المُطّلِب رحمه الله إلى أهل مكة أبطأ عليه ، فقال : « رُدُّوا عليّ أبي ، أمَا لَئِنْ فعلتْ به قريشٌ ما فعلتْ ثقيفٌ بعروةَ بنِ مسعودٍ لأُضْرِمَنَّها عليهم نارًا » .

يقال « رَقيتُ » السطحَ وما كان مثلَهُ ، «أرقاه» ، مثلُ « خَشِيتُهُ أَخْشاهُ » كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿أوْ تَرْقَى في السَّماء[2]﴾ ويقال «رَقَيْتُ اللّديغَ أَرْقِيه » مثلُ « رَمَيْتُه أرميه » . ويقال « ما رَقَأَتْ عينُه من الدمع » مهموزٌ « تَرْقأُ » يا فتى ، مثلُ « قَرَأْتَ تقرَا » يافتى .

---

(١) سورة الزخرف (٣١) .

(٢) سورة الاسراء (٩٣) .

وكان الحجاجُ رأى فى منامه أن عَيْنَيْه قُلِعَتا فطَلَّقَ الْهِنْدَيْنِ : هنداً بنتَ المُهَلَّبِ ، وهنداً بنتَ أسماءَ بْنِ خارِجَة ، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءه نَعِيُّ أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنُه محمدٌ ، فقال : هذا والله تأويلُ رؤيايَ ، ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ فى يوم واحدٍ .

حَسْبي بقاءُ اللهِ من كلِّ مَيِّتٍ وحَسْبِي رَجاءُ الله مِن كلِّ هالِكِ
إذا كان ربُّ العرشِ عَنِّيَ رَاضِياً فإنَّ شفاءَ النفسِ فيما هُنالِكِ

[ويُرْوَى : فانّ سرورَ النفس] وقال : مَنْ يقول شعراً يُسَلِّيني به ؟ فقال الفرزدقُ :

إنَّ الرَّزِيَّةَ لا رَزِيَّةَ مثلُها فُقْدانُ مِثْلِ محمدٍ ومحمدِ
مَلِكانِ قد خَلَتِ المَنابِرُ منهما أخَذَ الحِمَامُ عليهما بالمَرْصَدِ

فقال : لو زِدْتَني ! فقال الفرزدقُ :

إنِّى لَباكٍ عَلَى ابْنَىْ يُوسُفٍ جَزَعًا ومِثْلُ فَقْدِهِمَا لِلدِّينِ يُبْكِينِي
مَا سَدَّ حَيٌّ ولا مَيْتٌ مَسَدَّهُمَا إلا الخلائفُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينِ

فقال له : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، إنما زِدْتَ فى حُزْنى ، فقال الفرزدق :

لَئِنْ جَزِعَ الحَجَّاجُ مَامِنْ مُصيبةٍ تَكونُ لمحزونٍ أجَلَّ وأوْجَعَا
مِنَ المُصْطَفَى والمُصْطَفَى من خِيارِهم جَنَاحَيْهِ لَمَّا فارقاهُ فَوَدَّعَا
أخٌ كان أغْنَى أيْمَنَ الأرضِ كُلَّهُ وأَغْنَى ابْنُهُ أهلَ العراقَيْنِ أجْمَعَا
جَناحا عُقابٍ فارقاهُ كِلاهُما ولو نُزِعَا مِن غيره لتَضَعْضَعَا

فقال : الآنَ .

أمّا قولُهُ « إلا الخلائفَ من بعد النبيئينِ » نخفضَ هذه النونَ ، وهي نونُ الجمع ، وإنما فَعَل ذلك لأنه جَعلَ الإعْرابَ فيها لا فيما قبلَها ، وجعلَ هذا الجمع كسائر الجمع ، نحو « أفْلُسٍ ، ومَسَاجدَ ، وكلاب » فإن إعرابَ هذا كاعرابِ الواحدِ ، وإنما جاز ذلك لأن الجمعَ يكون على أبْنِيَةٍ شتّى ، وإنما يُلْحَقُ منه بِمنْهاجِ التثنيةِ ما كان على حدّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه ، وإلاّ فلا ، فإنّ الجمعَ كالواحدِ ، لاختلاف معانيه ، كما تختلفُ معاني الواحدِ ، والتثنيةُ ليستْ كذلك ، لأنها ضَرْبٌ واحدٌ ، ولا يكونُ اثنانِ أكثرَ من اثنين عدداً ، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع ، فممّا جاء على هذا المذهب قولُهم : هذه سِنِينٌ ، فاعْلَمْ ، وهذه عِشْرِينٌ ، فاعلم ، قال العَدْوانِيُّ :

إنّى أَبِيٌّ أَبِيٌّ ذو مُحافَظَةٍ وابنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ من أبِيِّينِ

وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مائةٍ فأجمِعُوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فكِيدُونِي

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل :

وماذَا يَدَّرِي الشُّعَراءُ مِنّي وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعِينِ

أخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أشُدِّي ونَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ

وفي كتاب الله عز وجل : ﴿ وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾[1].

فان قال قائل : فانّ غِسْلِيناً واحدٌ . فانه كلُّ ما كانَ[2] على بناء الجمع من الواحد فإعرابه كاعرابِ الجمع ، ألاَ تَرَى أنّ « عِشْرِينَ » ليس لها واحدٌ من لفظها ، وإعرابُها كإعرابِ « مُسْلمِينَ » واحدهم مُسْلِمٌ ، وكذلك جميعُ

(١) سورة الحاقة (٣٩).

(٢) قوله « فانه كل ما كان » الخ هو جواب الاعتراض .

الإعراب،وتقول : « هذه فِلَسْطونَ يافتى ، ورأيتُ فِلَسْطِينَ يافتى » هذا القولُ الأَجْوَدُ ، وكذلك « يَبْرِينَ، وفى الرفع « يبْرُونَ يا فتى » وكلُّ ما أشْبَهَ هذا فهو بمنزلته ، تقولُ « قِنَّسْرُونَ ، ورأيت قِنَّسْرِينَ » والأجودُ فى هذا البيتِ [هو للأعشى] :

وشاهِدُنا الجلُّ والياسَمُو نَ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِهَا

[الجُلُّ : الوَرْدُ ، والقُصّابُ : الأوتارُ ، وقيلَ : الزُّمّارُ] وفى القرآن ما يُصَدِّقُ ذلك . قولُ الله عزّ وجل : ﴿كَلاَّ ، إنَّ كتابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وما أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ[1]﴾ فمن قال « هذه قِنَّسْرُونَ ويَبْرُونَ » فَنَسَبَ إلى واحدةٍ منهما رجلا أو شيئًا قال ـ : « هذا رجل قِنَّسْرِىٌّ ويَبْرِىٌّ » يَحْذِفُ النونَ والواوَ ، لمجىء حَرْفَي النَّسَب ، ولو أَثْبَتَهُمَا لكان فى الاسم رَفْعانِ ونَصبانِ وجَرّانِ ؛ لأن الياء مرفوعةٌ ، والواوَ علامةُ الرفع ، ومن قال : « هذه قِنَّسْرينُ » كما ترى ـ : قال فى النَّسَب : « قِنَّسْرِينِىٌّ » لأنَّ الإعراب فى حرف النَّسَب ، وانكسرتِ النونُ كما ينكسر كلُّ ما لحِقَهُ النَّسبُ .

وأماقوله «ونجَذَّنى مُدَاوَرَةُ الشُّؤونِ » فمعناه : فهَّمنى وعرَّفنى كما يقال: حَنَّكَتْهُ التَّجاربُ ، « والناجذُ » آخِرُ الأضراس ، من ذلك قولهم : ضحك حتى بدتْ نَوَاجِذُه . « والشؤونُ » جمعُ « شَأْنٍ » مهموزٌ، وهوالأَمْرُ .

وقال المفسّرونَ من أهلِ الفقه وأهلِ اللغة فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ ـ : هوغُسَالة أهلِ النار ، وقال النحويُّون : هو « فِعْلِينٌ » من الغُسَالة .

---

(١) سورة المطففين (١٨ و ١٩) .

ويروَى أنَّ عُمرَ بنَ عبد العزيز خرج يومًا فقال : الوَليدُ بالشَّأم ، والحَجّاجُ بالعراق ، وقُرَّة بنُ شريكٍ بمصر ، وعثمانُ بن حَيّانَ بالحجاز ، ومحمدُ بنُ يوسفَ باليمن ؟ امتلأتِ الأرْضُ واللهِ جَوْراً !

وكتب الحجاجُ إلى الوليد بنِ عبد المَلكِ بعدَ وفاةِ محمدِ بن يوسف : أُخْبِرُ أميرَ المؤمنين ـ أكرمه اللهُ ـ أنه أصِيبَ لمحمدِ بن يوسف خمسونَ ومائةُ ألف دينار، فإن يَكُنْ أصابها مِن حِلِّها فرَحِمَهُ الله ، وإن تكن من خيانة فلا رحمه اللهُ !! فكَتَبَ إليه الوليدُ : أما بعدُ ، فقد قرَأَ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلَّفَ محمدُ بن يوسف ، وإنما أصاب ذلك المالَ من تجارةٍ أحْلَلْناها له ، فتَرَحَّمْ عليه ، رحمه الله !

ويروى أن يَزيدَ بنَ معاويةَ قال لمعاوية في يومٍ بُويِعَ له على عَهْدِه ، فجَعَلَ الناسُ يَمدحونَه ويُقَرّظونَهُ : يا أميرَ المؤمنين ! واللهِ ما نَدْرى ، أنَخْدَعُ الناسَ أم يَخْدَعُونَنا ؟! فقال له معاويةُ : كلُّ مَنْ أردتَ خديعتَه فتَخادَعَ لكَ حتَّى تبلغَ منه حاجتَكَ فقد خدَعْتَهُ ! .

ويروى أن الحجاجَ كَتَب إلى عبدِ الملك بنِ مَرْوانَ : وبَلَغَنى أنَّ أميرَ المؤمنين عَطَسَ عَطْسةً فشَمَّتَهُ قوم فقال يغفر الله لنا ولكم ، فيالَيْتَنِى كنتُ معهم فأفُوزَ فَوْزًا عظيمًا !!

وزَعَمَ الأصْمَعِىُّ قال : خَرجَ الوليدُ يومًا على الناس وهو مُشْعَانُّ الرَّأس ، فقال : مات الحجاجُ بنُ يوسفَ ، وقُرَّةُ بن شَريك ، وجَعَلَ يَتَفَجَّعُ عليهما .

قوله « مشعانُّ الرأسِ » يعنى مُنْتَفِخُ الشَّعَرِ متفرِّقَة [الرواية « منتفخ »

والصحيحُ « مُنْتَفِش » قاله ابنُ سرَاجٍ] ومثلُ هذا لا يكونُ فى شِعْرٍ ، لأن فى هذا التقاء ساكنَيْنِ ، ولا يقَعُ مثلُ هذا فى وزن الشِّعر ، إلا فيما تقدم ذِكْرُهُ فى المُتَقارِبِ ، وليس ذا على ذلك الوزنِ .

وَحُدِّثْتُ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ رحمه الله وجَّهَ عبدَالله بنَ عبدِالأعْلَى(١) ومعه رجل من عَنسٍ إلى أُلْيُونَ ، فقال العَنْسِىُّ : فَخَلاَ بِى عُمَرُ دونَه ، وقال لى: احفظْ كلَّ ما يكونُ منه ، فلما صِرْنا إليه صِرْنا إلى رجلٍ عَرَبِىِّ اللسانِ ، إنَّما نَشَأَ بِرَعْشَ ، فذَهبَ عبدُ الله ليتَكَلَّمَ ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، فَحَمِدْتُ اللهَ وصليتُ على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قلتُ : إنِّى وُجِّهْتُ بالذى وُجِّهَ به هذا ، وإنَّ أميرَ المؤمنين يدعوكَ إلى الإسلام ، فإنْ تقْبَلْهُ تُصِبْ رُشْدَكَ ، وإنى لأَحْسِبُ أنَّ الكتابَ قد سَبَقَ عليك بالشَّقاء ، إلاَّ أن يشاء اللهُ غيرَ ذلك ، فإن قَبِلْتَ وإلاَّ فاكْتُبْ جوابَ كتابنا ، قال : ثم تكلَّمَ عبدُ الله ، فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذَهَبَ فى القولِ ، وكان مُفَوَّهاً ، فقال له أُلْيُونُ : يا عبدَ الله ! ما تقول فى المَسِيح ؟ فقال : رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ ، فقال : أيكونُ ولَدٌ من غيرِ فَحْلٍ ! فقال عبدُ الله: فى هذا نَظَرٌ ! فقال : أىُّ نَظَرٍ فى هذا ؟ إمَّا نَعَمْ وإما لاَ ! فقال عبدُ الله : آدمُ خَلَقَهُ اللهُ من ترابٍ ، فقال : إنَّ هذا أُخْرِجَ من رَحِمٍ ، قال : فى هذا نظر ! قال له أُلْيونُ بالرُّومِيَّة : إنِّى أَعْلَمُ أنك لَسْتَ على دِينى ولا على دينٍ

---

(١) هو عبد الله بن عبدالأعلى بن أبى عمرة الشيبانى ، كان شاعرا ، وكان متهما فى دينه ، وعاش إلى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، له ترجمة فى لسان الميزان (٣ : ٣٠٥) ، وله ذكر فى الأغانى يعلم من فهارسه .

الذى أرسلك ، قال : وأنا أفهمُ بالرُّوميةِ ، ثم قال : أتعظِّمُونَ يومًا غيرَ يومِ الجمعة ؟ فقال نعم، فقال : وما ذلك اليومُ ، أمِنْ أعْيادِكُم هو ؟ فقال : لا ، قال: فلِمَ تُعَظِّمونَه ؟ قال : عِيدٌ لقومٍ كانوا صالحين قبلَ أن يَصِيرَ إليكم ، قال : فقال له إِلْيونُ بالرومية : قد علمتُ أنكَ لستَ على دِيني ولا على دين الذى أرسلك ، فقال له عبدُ الله : أتَدْرِى ما يقولُ أهلُ السَّفَه ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون: قال إبليسُ: أمِرْتُ أن لا أسْجُدَ إلاّ لله ، ثم قيلَ لى اسْجُدْ لآدم ! قال : فقال له بالرومية : الأمْرُ فيك أبْيَنُ من ذلك ، قال : ثم كَتَبَ جوابَ كُتُبِنا ، قال : فرَجَعْنا إلى عمرَ بها ، قال : فخَبَّرْناهُ بما أرَدْنا ثم نهضنا ، فرَدَّنى إليه من باب الدار فخلا بى ، فأخبرتُه ، فقال : لَعَنَهُ اللهُ ! لقد كانت نفسى تأباهُ ، ولم أحْسِبْهُ يجْترِئُ على مِثل هذا ، قال : فلما خرجتُ قال لى عبد الله : ما الذى قال لكَ ؟ قال : قلتُ : قال لى أتَطْمَعُ فيه ؟ قلت : لا .

ولما وَجَّهَ عبدُ الملك الشَّعْبِيَّ(1) إلى صاحب الرُّوم فكلَّمه ، قال له صاحب الروم بعدَ انقضاء ما بينهما : أمِنْ أهلِ بيت المَمْلكة أنتَ ؟ قال : قلتُ : لا ، ولكنِّى رجلٌ من العرب ، قال : فكتب معى رُقْعةً ، وقال لى : إذا أدَّيْتَ جوابَ ما جئتَ له فأدِّ هذه الرُّقعةَ إلى صاحبك ، قال : فلمَّا رَجَعْتُ إلى عبد الملك فأعطيتُه جوابَ كتابِه وخَبَّرتُه بما دَارَ بيننا نَهَضْتُ ، ثم ذَكَرْتُ الرقعةَ ، فرجعتُ فدفعتُها إليه ، فلمَّا وَلَّيْتُ دعانِى ، فقال لى : أتَدْرِى ما فى هذه

(1) هو عامر بن شراحيل — بفتح الشين وكسر الحاء — الشعبي الهمدانى ، من حمير ، وعداده فى همدان ، من كبار فقهاء التابعين ، وكان سياسيا عظيما ، ولد سنة ١٦ ومات سنة ١٠٩ وفى ذلك خلاف ، وله ترجمة فى تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ — ٨٢) والتهذيب وغيرهما .

الرقعة ؟ قلتُ : لا ، قال : فيها : العَجَبُ لقوم فيهم مثلُ هذا كيفَ وَلَّوا أُمورَهم غيرَهُ ؟ قال : فلمّا وَلَّيتُ دعانى ، فقال لى : أَفتَدرِى مَا أرادَ بهذا ؟ قلتُ : لا ، قال : حَسَدَنِى عليكَ ، فأرادَ أن أَقتُلَكَ ، قال : فقلتُ : إنما كَثُرْتُ(١) عندَه ـ يا أميرَ المؤمنين ـ لأنه لم يَرَكَ ، قال . فرجَعَ الكلام إلى مَلِكِ الروم ، فقال : لِلّهِ أبُوه ! ما عَدَا مَا فى نَفْسِى !

وحُدِّثْتُ أنّ معاوية ، كان إذا أتاه عن بِطْرِيقٍ من بَطارقةِ الروم كَيْدٌ للإسلامِ احتالَ له ، فأهْدَى إليه وكاتَبَه ، حتى يُغْرِىَ به مَلِكَ الروم ، فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتُخبِرُهُ بأن هناك بِطريقاً يُؤْذِى الرُّسُلَ ، ويَطْعُنُ عليهم ، ويسىء عِشْرَتَهُمْ ، فقال معاويةُ : أىُّ ما فى عَمَلِ الإسلامِ أحبُّ إليه ؟ فقيل له : الخِفافُ الحُمْرُ ودُهْنُ البانِ ، فألْطَفَهُ بهما ، حتى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ ، ثم كَتَبَ كتاباً إليه ، كأنه جوابُ كتابٍ منه ، يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وَعَدَهُ به من نَصْرِه وخِذْلانِ مَلِكِ الروم ، وأمَرَ الرسولَ بأن يَتَعَرَّضَ لِأنْ يُظْهَرَ على الكتابِ ، فلمّا ذهبتْ رُسُلُه فى أوقاتها ثم رَجَعَتْ إليه ، قال : ما حَدَثَ هناك ؟ قالوا : فلانٌ البِطْرِيقُ رأيناهُ مقتولاً مصلوبًا ، فقال : وأنا أبو عبد الرحمن !!

وَحُدِّثْتُ أنّ ملكَ الرُّوم فى ذلك الأوانِ وَجَّهَ إلى معاويةَ : إنّ الملوكَ قَبْلَكَ كانت تُرَاسِلُ الملوكَ مِنّا ، ويَجْهَدُ بعضُهم فى أنْ يُغْرِبَ على بعضٍ ،

---

(١) فيها نسختان « كثرت » بالثاء المثلثة ، و « كبرت » بالباء الموحدة ، وقد طبعت بهما فى طبعة ليبزج وكتب فوقها « معا » إثباتا لصحتهما .

أَفتأْذَنُ فى ذلك ؟ فأَذِنَ له[1] ، فوجَّهَ إليه برجلين : أحدُهما طويلٌ جَسيمٌ ، والآخرُ أَيِّدٌ[2] ، فقال معاويةُ لعَمْرٍو : أمّا الطويلُ فقد أصبْنا كُفْأَهُ ، وهو قَيْسُ بنُ سعدِ بنِ عُبادَةَ ، وأما الآخرُ الأَيِّدُ فقد احتجْنا إلى رأيكَ فيه ، فقال : ههنا رجلانِ ، كلاهُما إليك بَغيضٌ : محمدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ ، وعبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، فقال معاويةُ : مَنْ هُوَ أقْرَبُ إلينا على حالٍ ، فلما دخلَ الرجلانِ وَجَّهَ إلى قيسِ بنِ سعدِ بنِ عُبادةَ يُعْلِمُهُ ، فدخل قيسٌ ، فلما مَثَلَ بين يَدَيْ معاويةَ نَزَعَ سَراويلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ ، فلبسها فنالتْ ثَنْدُوَتَهُ ، [الثَّنْدُوَةُ: ما اسْوَدَّ حَوْلَ الحَلَمَةِ] فأَطْرَقَ مغلوبًا ، فَحُدِّثْتُ أن قَيْسًا لِيمَ فى ذلك ، فقيلَ له : لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَّبَذُّلَ بحَضْرَةِ معاويةَ ، هَلاَّ وَجَّهْتَ إلى غيرِها ؟ ! فقال :

أَرَدتُ لِـكَيْما يَعْلَمَ الناسُ أنها سَراويلُ قَيْسٍ والوُفودُ شُهودُ
وأن لايقولُوا غابَ قَيْسٌ وهذه سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإنِّى منَ القومِ اليَمانِينَ سَيِّدٌ وما الناسُ إلاَّ سَيِّدٌ ومَسُودُ
وبَذَّ جميعَ الخَلْقِ أَصْلِى ومَنْصِبِى وجسمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجالَ مَدِيدُ

وكان قيسٌ سِناطًا ، فـكانت الأنصارُ تقول : لَوَدِدْنا أنَّا اشْتَرَينا له لحْيَةً بأَنْصافِ أموالِنا . وسَنَذْكر خبرَه بعد انقضاء الخبرِإن شاء الله . [السِّناطُ والسَّنُوطُ : أن يكونَ فى الذَّقَنِ شىءٌ من الشَّعَر ، ولا يكونَ فى العارِضَيْنِ

---

(١) فى حاشية النسخة ج مانصه « لايصح هذه الحـكاية بوجه ، قاله أبو عمر بن عبد البر » .
(٢) بتشديد الياء المـكسورة ؛ أى قوىّ .

شيء ، فإن لم يكن فيهما جميعاً شيء فهو النَّطْ] ثم وَجَّهَ إلى محمد بنِ الحنفيَّةِ ، فدخلَ ، فَخُبِّرَ بما دُعِيَ له ، فقال : قولوا له : إن شاء فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعْطِنِي يَدَهُ حتى أُقِيمَهُ ، أو يُقْعِدَني ، وإن شاء فليكُنِ القائمَ وأنا القاعِدَ ؟ فاختارَا الروميُّ الجلوسَ ، فأقامه محمدٌ ، وعجزَ هو عن إقعادِهِ ، ثم اختارَ أن يكونَ محمدٌ هو القاعدَ ، فَجَذَبَهُ فأَقْعده ، وعجزَ الروميُّ عن إقامته ، فانصرَفَا[1] مغلوبَيْنِ .

وحدثني أحدُ الهاشميِّين : أن مَلِكَ الرُّومِ وَجَّهَ إلى معاويةَ بقارورةٍ ، فقال : ابعَثْ إليَّ فيها من كلِّ شيءٍ ، فبعَثَ إلى ابنِ عباسٍ ، فقال : لِتُمْلَأْ له ماءً ، فلما وُرِدَ بها على ملكِ الروم قال : لِلَّهِ أبُوه ، ما أدْهاهُ ! فقِيلَ لابنِ عباسٍ : كيفَ اختَرْتَ ذلك ؟ فقال : لقولِ[2] اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ[3]﴾ .

وقيلَ لرجلٍ من بني هاشمٍ ، وهو جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بن الحُسَيْنِ ، وكان يُقَدَّمُ في مَعْرِفَتِهِ[4] : ما طَعْمُ الماءِ ؟ فقال : طعمُ الحَيَاةِ .

وأمّا عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ فيَذْكُرُ أهلُهُ أنه قال : عالَجْتُ لِحيَتِي لِتتَّصِلَ لي ، إلى أن بلغتُ ستِّين سنةً ، فلما أكملتُها يَئِسْتُ منها .

وكان قيسُ بنُ سعدٍ شجاعًا جوادًا سيِّدًا ، وجاءته عجوزٌ قد كانت تألَفُهُ ،

---

(١) في ج و د « فرجعا » .
(٢) في ج و د « من قول » .
(٣) سورة الأنبياء (٣٠) .
(٤) في ج و د « معرفة » .

فقال لها: كيفَ حالُكِ؟ فقالت: ما في بيتي جُرَذٌ[1]، فقال: ما أحْسَنَ ما سألْتِ! أمَا واللهِ لأُكْثِرَنَّ جُرذانَ[2] بيْتِكِ.

وكان سعدُ بن عُبادةَ حيثُ تَوَجَّهَ إلى حَوْرَانَ قَسَمَ ماله بين ولَدِهِ، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به، فلما وُلِدَ له، قال له عمرُ بن الخطّابِ ـ يعني قَيْسًا ـ: لأَنْقُضَنَّ ما فعلَ سعدٌ، فجاءه قيسٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين! نصيبي لهذا المولودِ، ولا تَنْقُضْ ما فَعَلَ سعدٌ.

قال أبو العباس: حُدِّثْتُ بهذا الحديث مِنْ حيثُ أثِقُ به: أنّ أبا بكرٍ وعمرَ رحمهما الله مَشَيَا إلى قيسِ بنِ سعدٍ يَسْألَانِهِ في أمرِ هذا المولود، فقال: نصيبي له ولا أُغَيِّرُ ما فعل سعدٌ.

⁂

وكان معاويةُ كتب إلى قيسِ بنِ سعدٍ[3]، وهو وَالِي مصرَ لعليّ بن أبي طالبٍ رحمه الله: أمّا بعد، فإنّكَ يهوديٌّ ابنُ يهوديٍّ، إن غَلَبَ أحَبُّ الفريقين إليك عَزَلَكَ واسْتَبْدَلَ بك، وإن غَلَبَ أبغضُهما إليك قتَلَكَ، ومَثَّلَ بِكَ، وقد كان أبوك فَوَّقَ سَهْمَهُ، ورمَى غَرَضَهُ، فأكْثَرَ الحَزَّ، وأخْطأَ المَفْصِلَ، حتى خَذَلَهُ قومُهُ، وأدركه يومُهُ، فمات غريبًا بحَوْرانَ،

---

(١) تريد: ما في بيتي طعام تأكله الجرذان.

(٢) الجرذ: بضم الجيم وفتح الراء. نوع من الفأر، جمعه جرذان بكسر الجيم وإسكان الراء، وضبطه صاحب القاموس بضم الجيم، ولم أجد ما يؤيده.

(٣) في حاشية ج ما نصه: «هذه حكاية غير صحيحة».

والسلام(١) . فكتب إليه قيسٌ : أمّا بعدُ ، فإنك وَثَنُ ابنُ وَثَنٍ(٢) ، لم يَقْدُمْ إيمانُك ، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ ، دَخَلْتَ فى الدين كُرْهًا ، وخرجتَ منه طوعًا ، وقد كان أبى فَوّقَ سهمَهُ ، ورَمَى غرَضَهُ ، فسَعَيْتَ عليه أنتَ وأبوكَ ونُظَرَاؤكَ ، فلم تَشُقُّوا غُبارَهُ ، ولم تُدْرِكُوا شَأْوَه ، ونحن أنصارُ الدِّين الذى خرجتَ منهُ ، وأعداءُ الدين الذى خرجتَ إليه ، والسلام .

وكان قيسٌ موصوفًا مع جماعةٍ قد بَذُّوا الناسَ طولاً وجمالاً ، منهم : العباسُ بنُ عبدِ المطلب رحمه الله ، وولَدُهُ ، وجَريرُ بنُ عبد الله البَجَلِيُّ ، والأشْعَثُ بنُ قيسٍ الكِنْدِيُّ ، وعَدِيُّ بنُ حاتمٍ الطائيُّ ، وابنُ جِذْلِ الطِّعَانِ(٤) ، الكِنانيُّ ، وأبو زُبَيْدٍ الطائيُّ . وزيدُ الخَيْلِ بنُ مُهَلْهِلٍ الطائيُّ .

---

(١) قال المرصفى : « فوق سهمه : وضع الوتر فى فوقه . والفوق — بضم الفاء — : شق رأس السهم حيث يقع الوتر . والغرض : الهدف ينصب فيرمى . والحز : القطع فى غير إبانة . والمفصل — بفتح الميم وكسر الصاد — : ملتقى كل عظمين . وهذه أمثال ضربها لمحاولة سعد بن عبادة وطمعه فى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قضى الأمر لأبى بكر رضى الله عنه تحول إلى داره ثم ارتحل إلى الشأم » . و « حوران » بفتح الحاء : كورة واسعة ذات قرى ومزارع من أعمال دمشق .

(٢) وثن : بفتح الواو والثاء ، وجمعه : وثن بضمهما ، وبتسكين الثاء تخفيفا ، وقد ضبطناه بفتح الواو على الافراد ، وضبط فى طبعة ليبزج وغيرها بضم الواو ، ولانرى له وجهاً ، وقد استدركه مصححها فى جزء التعليقات فضبطه كما قلنا .

(٣) « جذل » بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وبدون تنوين ، مضاف إلى « الطعان » بكسر الطاء وفتح العين المخففة ، وبالجرّ ، مضاف إليه . هذا هو الصواب ، وقد ضبط فى طبعة أوربة وتبعتها طبعات مصر — : بتنوين « جذل » و « الطعان » بفتح الطاء وتشديد العين ، وبالرفع ، على الوصف لكلمة «ابن» ، وهو خطأ ، والصواب ماذكرنا ، وهو الذى فى نسخة ع ، وقد استدرك ذلك مصحح طبعة أوربة فصححه فى جزء التعليقات .

«وجِذْلُ الطِّعَانِ» لقبُ «علقمةَ بْنِ فِراسٍ من مشاهير العرب» كما فى القاموس

وابنه هذا اسمه « عبد الله » وهو شاعر معروف ، ذكره الطبرى فى التاريخ (٩ : ٢٤٣) وابن الشجرى فى الحماسة (ص ٤) وابن عبد الحكم فى فتوح مصر (ص ١٢٥) وذكروا له أشعاراً .

وكان أحدُ هؤلاء يُقبِّل المرأة على الهَوْدَجِ ، وكان يقال للرجل منهم . مُقبِّلُ الظُّعُنِ ، وكان طلحةُ بنُ عُبيد اللهِ موصوفًا بالتَّمامِ .

باب

قال أبو العباس : قال السُلَيْكُ بنُ السُلَكَةِ ، وهي أُمُّه ، وكانت سَوْداء حَبَشِيَّةً ، وكان من غِرْبان العَرَب ، وهو السُّلَيْكُ بن عُمَيْرٍ السَّعْدِيُّ :

أَلاَ عَتَبَتْ عَلَيَّ فَصَارَمَتْنِي ... وأَعجَبَها ذَوُو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

فإنِّي يا ٱبْنَةَ الأَقْوامِ أُرْبِي ... على فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِّجالِ

فلا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ ... إذا أَمْسَى يُعَدُّ مِنَ العِيالِ

ولـكنْ كلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بِنَصْلِ السَّيْفِ هاماتِ الرِّجالِ

[كُلّ خبرُ ابْتِداء ، والتقديرُ : هُمْ كُلٌّ]

أَشابَ الرأْسَ أَنِّي كُلَّ يومٍ ... أَرَى لِي خالَةً وسْطَ الرِّحالِ

يَشُقُّ علىَّ أنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا ... ويَعْجِزُ عن تَخلُّصِهِنَّ مالِي

قوله : « وأَعجبها ذوو اللِّمَمِ الطِّوالِ » يعني : الجُمَمِ ، وإن شئتَ قلتَ : الجِمامَ ، يقالُ « جُمَّةٌ وجُمَمٌ » كقولك « ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ » ويقال « جِمَامٌ » كقولك « جُفْرَةٌ وجِفَارٌ » [الجُفْرَةُ : هي الحُفْرَةُ العظيمةُ] و « بُرْمةٌ وبِرامٌ » قال الشاعرُ :

إِما تَرَىْ لِمَّتِي أَوْدَى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أَصْداغِي وأَفْوَادِي

وقوله : « على فِعلِ الوَضِيِّ من الرجال » يريد : الجميل ، وهو « فَعيلٌ » مِنْ

« وَضُؤَ يَوْضُؤُ » يا فتى ، تقديرُهُ « كَرُمَ يَكْرُمُ وهو كريم » ومَصْدَرُه «الوَضاءةُ» وكذلك « قَبُحَ يَقْبُحُ قَباحَةً » و« سَمُجَ يَسْمُجُ سَماجَةً » ويقال : ما كُنْتَ وَضيئًا ، ولقد وضُؤْتَ بعدَنا ، وقوله « فلا تَصلِى بصعلوكٍ » يقول : لاَ تَتَّصِلِى به ، كما قال ابنُ أَحْمَرَ(١) :

ولا تَصِلِى بِمَطْرُوقٍ إذا ما   سَرَى فى القوم أَصْبَحَ مُسْتَكِينا
إذا شَرِبَ المُرِضَّةَ قال أَوْكِى   عَلَى مافِى سِقائِكِ قد رَوِينا

[إذا صُبَّ لبنٌ حَليبٌ على حامضٍ فهى المُرِضَّةُ] فالصعلوكُ(٢) : الذى لا مالَ لَهُ ، قال الشاعرُ [جابرُ بنُ ثَعْلَبَةَ الطائىُّ] :

كأَنَّ الفتى لم يَعْرَ يومًا إذا اكْتَسَى   ولم يَكُ صُعْلُوكًا إذا ما تَمَوَّلاَ

وقوله « نَؤُوم » يَصِفُه بالبَلادة والكَسَل ، وكانت العربُ تَمْدَحُ بخِفَّةِ الرؤُوس عن النوم ، وتَذُمُّ النُّوَمَةَ ، كما قال عبدُ الملكِ لمؤدِّبِ وَلَدِهِ : عَلِّمْهُمُ العَوْمَ ، وخُذْهُمْ بقلةِ النَّوْم . وإنما تَوَجَّعَ لخالاتِه لأنهنَّ كُنَّ إماء .

☆

ويُرْوَى عن رجلٍ من قُرَيشٍ ، لم يُسَمَّ لنا ، قال : كنتُ أُجالِسُ سعيدَ بنَ المُسَيِّبِ ، فقال لى يومًا : مَنْ أخوالُكَ ؟ فقلتُ : أُمّى فَتاةٌ ، فكأَنِّى نَقَصْتُ فى عَيْنِه ، فأَمْهَلْتُ حتى دخلَ عليه(٣) سالمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ

---

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلى ، شاعر مخضرم ، مات فى عهد عثمان بعد أن بلغ سنا عالية ، وقيل إنه عاش إلى عصر عبد الملك بن مروان . انظر الإصابة (٥ : ١١٤) .

(٢) فى طبعة أوربة بالفاء ، وفى غيرها بالواو .

(٣) فى ج و د « إليه » .

بنِ الخطَّابِ رحمه الله ، فلما خَرَجَ منْ عندِهِ قلتُ : ياعَمّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : يا سُبْحانَ اللهِ ! أتجْهَلُ مثلَ هذا مِنْ قَوْمِكَ ؟! هذا سالمُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ ! قلتُ : فَمَنْ أمُّهُ ؟ قال : فَتاةٌ ، قال : ثم أتاهُ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رحمه الله ، فجلسَ عندَه ثم نهَضَ ، فقلتُ : يا عَمّ ! مَنْ هذا ؟ فقال : أتجهلُ مِنْ أهْلِكَ مِثْلَهُ ؟! ما أعْجَبَ هذا ! ، هذا القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكر الصديقِ ! قلتُ : فَمَنْ أمُّهُ ؟ قال : فتاةٌ ، فأمْهلْتُ شَيْئًا حتى جاءه عليُّ بن الحسينِ بن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضى الله عنه ، فسلَّمَ عليه ثم نهضَ ، فقلتُ : ياعَمّ ! مَنْ هـــذا ؟ قال : هذا الّذى لا يَسَعُ مسلِمًا أن يَجْهلَه ! هذا عليُّ بن الحسينِ بنِ عليّ بن أبي طالبٍ ! قلتُ : فمن أمُّه ؟ قال : فتاةٌ ، قال : قلتُ : يا عَمّ ! رأيْتَنِي نَقَصْتُ فى عينكَ لمّـا علمتَ أنّى لِأُمّ وَلَدٍ ! أفَمَـالِى فى هؤلاءِ إسْوَةٌ ؟ ! قال : فَجَلَلْتُ فى عَيْنِهِ جِدًّا .

وكَانَتْ أمُّ عليّ بن الحسينِ « سُلافةُ » من ولد يَزْدَجِرْدَ ، معروفةَ النَّسَبِ ، وكانتْ من خِيَرَاتِ النِّساءِ(١) .

ويُرْوَى أنه قيلَ لعلِيّ بن الحسين رحمه الله : إنكَ مِنْ أبَرِّ الناسِ ،

---

(١) يزدجرد بن شهريار : آخر ملوك الفرس ، مات سنة ٣١ ، وسلافة ابنته ، وذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١ : ٤٠٣) نقلا عن ربيع الأبرار للزمخشرى أن سبي فارس لما جاء لعمر كان فيه ثلاث بنات ليزدجرد ، وأنهن أمهات : على بن الحسين زين العابدين ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، فهؤلاء الثلاثة بنو خالة ، ونقل ابن خلكان عن المبرد قصة ابن المسيب التى هنا ، ونقل أيضا عن ابن قتيبة فى المعارف : « أن زين العابدين يقال : إن أمه سندية يقال لها سلافة ويقال غزالة » . وأما ابن سعد فقد ذكر فى الطبقات (٥ : ١٥٦) قولا واحداً أن « أمه أم ولد اسمها غزالة » .

ومهما يكن من ذلك فان هذه أسماء عربية سماها بها مواليها كما لعتقد ، وأما اسمها الأصلى فى قومها فلم يذكر لنا .

ولَسْتَ تأكلُ مع أمِّكَ في صَحْفَةٍ ؟ فقال : أكرهُ أن تَسْبِقَ يَدِي إلى ما قد سبقتْ إليه عَيْنُها فأكونَ قد عَقَقْتُها .

وكان يقالُ له : ابنُ الخِيَرَتَيْنِ [بتحريك الياء أفْصَحُ] لقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : « للهِ مِنْ عِبادِهِ خِيَرَتانِ ، فَخِيَرَتُهُ من العربِ قُرَيْشٌ ، ومن العَجَمِ فارِسُ[1] » .

وكانت سُلافَةُ عَمَّةَ أمِّ يزيدَ النَّاقِصِ أو أُخْتَها[2] .

وقال رجلٌ من وَلَدِ الحَكَمِ بنِ أبي العاصِي ، يقال له عُبَيْدُ الله بنُ الحُرِّ ، وكان شاعراً متقدِّماً ، وكان لِأُمِّ وَلَدٍ ، وهو من وَلَدِ مَرْوانَ بنِ الحَكَمِ — :

فإنْ تَكُ أُمِّي مِنْ نِساءٍ أَفاءَها ... جِيادُ القَنَا والمُرْهَفاتِ الصَّفائِحِ
فَتَبًّا لِفَضْلِ الحُرِّ إنْ لم أَنَلْ به ... كَرائِمَ أولادِ النِّساءِ الصَّرائِحِ

وإنما أخَذَ هذا من قول عَنْتَرَةَ :

وأنا امْرُؤٌ مِنْ خيرِ عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي وأحْمِي سائِرِي بالمُنْصُلِ

---

(١) ليس على هذا الكلام طلاوة الأحاديث النبوية ، ولا نعرف هذا في شيء من الحديث الصحيح . وقد ذكر الفتنى في تذكرة الموضوعات حديث : « خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ، وخير العجم فارس » الخ وقال : « فيه عنبسة : متروك متهم » .
وعنبسة هذا هو ابن مهران البصرى الحداد ، روى عن الزهرى ، قال أبو حاتم : « منكر الحديث » .

(٢) قال ابن خلكان (١ : ٤٠٣) : « كان قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان لما تتبع دولة الفرس ، وقتل فيروز بن يزدجرد بعث بابنتيه إلى الحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان يومئذ أمير العراق وخراسان ، وقتيبة نائبه بخراسان ، فأمسك الحجاج إحدى البنتين لنفسه ، وأرسل الأخرى إلى الوليد بن عبد الملك ، فأولدها يزيد الناقص ، واسمها : شاه فريد ، وسمى الناقص لأنه نقص أعطية الجند » .

[« بشطرى » مبتدأٌ ، والخبرُ فى المجرور قبله] .

٭

وأنشدَ لبِلالِ بنَ جَرِيرٍ ، وبلغه أن مُوسَى بنَ جَرِيرٍ كان إذا ذَكَره نسبه إلى أمِّهِ ، لأنه ابنُ أمِّ ولدٍ ، فيقولُ : قال ابنُ أمِّ حَكِيمٍ ، فقال بلالٌ :

يارُبَّ خالٍ لِى أغَرَّ أبْلَجا   مِنْ آلِ كِسْرَى يَغْتَدِى مُتَوَّجا
لیس كَخَالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجا

والعَشْنَجُ : المُتَقَبِّضُ الوجهِ السَّيِّئُ المَنْظَرِ .

وكَان سَبَبُ أمِّ بلالٍ عندَ جريرٍ أن جريراً فى أوّل دخوله العِرَاقَ دَخَل على الحَكَمِ بنِ أيّوبَ بن أبى عَقِيلٍ الثَّقَفِىِّ ، وهو ابنُ عَمِّ الحجاجِ وعامِلُهُ على البصرةِ ، وفى ذلك يقولُ جَرِيرٌ :

أقْبَلْنَ من ثَهْلَانَ أوْ وَادِى خِيَمْ   عَلى قِلَاصٍ مِثْلِ خِيطَانِ السَّلَمْ
إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ   حَتَّى أنَخْنَاها إلى باب الحكَمْ
خَلِيفةِ الحَجَّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ   فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

فكَتَبَ الحكَمُ بعدَ أن فَاطَنَهُ(١) إلى الحجاج ، وذلك فى أوّلِ سَبَبِهِ : إنه قَدِمَ علىَّ أعرابِىٌّ باقِعةٌ لم أرَمِثْلَهُ [يريدُ : داهيةٌ ، والباقعةُ : طائرٌ حَذِرٌ] فكَتَبَ إليه الحجاجُ أن يَحْمِلَه معه ، فلما دخلَ عليه(٢) قال له : بَلَغَنِى أنك ذُو بديهةٍ ، فقُلْ فى هذه الجاريةِ — لجاريةٍ قائمةٍ على رأسِه — فقال جريرٌ : مَالِى

---

(١) فاطنه : راجعه فى الحديث ، وكأنه بذلك خبر فطنته وعرفها .
(٢) فى ج و د « إليه » .

أنْ أقولَ فيها حتّى أتأمَّلَهَا ، ومَالِى أنْ أتأمّل جاريةَ الأميرِ ! فقال : بَلَى ، فتأمَّلْهَا واسْتَلْهَا ، فقال لهـا : ما اسْمُكِ يا جارية ؟ فأمْسَكَتْ ، فقال لها الحجاجُ : خَبّرِيهِ يالَخْنَاء ! فقالتْ : أُمَامَةُ ، فقال جريرٌ :

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ منكَ رَحِيلُ إنَّ الوَدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ
مِثْلَ الكَثِيبِ تَمَايَلَتْ أعْطَافُهُ فالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهِيلُ
هٰذِى القُلُوبُ صَوَادِيًا تَيَّمْتِهَا وأرَى الشِّفاءَ ومَا إليه سَبِيلُ

فقال له الحجاجُ : قد جَعَلَ اللهُ لكَ السَّبِيلَ إليها ، خُذْهَا هىَ لكَ ، فضَرَبَ بيده إلى يَدِها ، فتَمَنَّعَتْ عليه ، فقال :

إنْ كَانَ طِبُّكُمُ الدَّلاَلَ فإنَّهُ حَسَنٌ دَلاَلُكِ يا أُمَامَ جَمِيلُ

[ش : بنصب الطِّبِّ ورَفْعِ الدَّلاَلِ ، وبالعكس ، برفع الطب ونصب الدلال . والطِّبُّ هنا : المَذْهَبُ ، والدَّلاَلُ : الدَّالَّةُ] فاستَضْحَكَ الحجاجُ ، وأمَرَ بتجهيزها معه إلى اليمامة . وخُبِّرْتُ أنها كانتْ من أهل الرَّىِّ ، وكان إخْوتُهَا أحراراً ، فاتَّبَعُوه ، فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرينَ ألفًا ، فلم يَفْعَلْ ، ففى ذلك يقولُ :

إذا عَرَضُوا عِشْرِينَ ألفًا تَعَرَّضَتْ لِأُمِّ حَكِيمٍ حاجةٌ هِىَ ماهِيَا
لَقَدْ زِدْتِ أهلَ الرَّىِّ عندِى مَوَدَّةً وحَبَّبْتِ أضْعَافًا إلىَّ المَوَالِيَا

فأولدَها حَكِيمًا وبلالاً وحَزْرَةَ : بَنِى جَرِيرٍ ، هؤلاء مَنْ أذْكُرُ مِنْ وَلَدِها .

ويقال إنَّ الحِمَّانِىَّ(١) قاوَلَ بلالاً ذاتَ يوم ، فيما كان بينهما من

(١) الحمانى ، بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم ، واسمه أبو نخيلة ، بالتصغير ، وهو شاعر راجز . قاله المرصفى .

الشرُّ ، فقال : يا ابنَ أُمِّ حَكيمٍ ! فقال له بلالٌ : مَا تَذْكُرُ من ابنَةِ دُهْقانٍ(١) ، وأَخِيذَةِ رِمَاحٍ ، وعَطِيَّةِ مَلِكٍ ؟ ليستْ كأُمِّكَ التى بالمَرُّوتِ(٢) ، تَغْدو على إِثْرِ ضَأْنِها ، كأنما عَقِباها حَافِرَا حِمَارٍ ! فقال له الحِمَّانىُّ : أنا أَعْلَمُ بأُمِّكَ ، إنما عَتَبَ عليها الحجّاجُ فى أمرٍ ، اللهُ أعلمُ به ، فَحَلَفَ أن يَدْفَعها إلى أَلْأَمِ العربِ ، فلما رَأَى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه !!

قال : وأُنْشِدْتُ لرجلٍ من رُجّازِ بنى سعدٍ :

أنا ابنُ سَعْدٍ وتَوَسَّطْتُ العَجَمْ   فأَنا فِيما شِئْتَ من خَالٍ وعَمّْ

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رحمه الله : ليس قومٌ أَكْيَسُ من أولادِ السَّرَارِىّ ، لأنهم يجمعونَ عِزَّ العَرَبِ ودَهاءَ العَجَمِ .

وكَتَبَ أميرُ المؤمنينَ المنصورُ إلى محمدِ بن عبدِالله بن حسنِ بن حسنِ بن علىِّ بن أبى طالب — رحمهم الله — لمَّا كَتَبَ إليه محمدٌ : « وَاعْلَمْ أنّى لستُ مِن أولادِ الطُّلَقاءِ ، ولا أولادِ اللُّعَناءِ ، ولا أُعْرِقَتْ فىَّ الإِمَاءُ ، ولا حَضَنَتْنى أُمَّهاتُ الأولادِ ، ولقد عَلِمْتَ أنّ هاشماً وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتين ، وأن عبدَ المُطَّلبِ وَلَدَ الحسنَ مرَّتين ، وأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَنى مرَّتين : من قِبَلِ جَدَّىَّ الحسنِ والحسينِ » . يعنى أنَّ أمَّ علىٍّ فاطمةُ بنتُ أَسَدِ بن هاشمٍ ، وأمَّ الحسنِ فاطمةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبدِ الله بن المُطَّلِب بن هاشم ، وأن أمَّهُ فاطمةُ بنتُ الحسين بن علىّ بن أبى طالب بن عبدِ المُطَّلِب بن هاشمٍ . فكتب إليه المنصور : « أمَّا ما ذكرتَ من وِلادةِ هاشمٍ

(١) دهقان ، بكسر الدال وضمها ، فارسى معرّب ، معناه : التاجر ، قاله المرصفى .

(٢) المروت ، بفتح الميم وضم الراء المشددة : اسم واد لبنى حمان بالعالية ، قاله المرصفى .

عليًّا مرتين ، وولادةِ عبدِ المطّلِبِ الحسنَ مرتين - : فخيرُ الأوّلِينَ والآخِرِينَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشمٌ إلاَّ مرةً واحدةً ، ولا عبدُ المطلب إلاّ مرةً واحدةً ، وله السَّبْقُ إلى كلِّ خير ، ولقد علمتَ أنه بُعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمومَتُهُ أَرْبَعةٌ ، فآمَنَ به اثنان ، أَحَدُهما أبي ، وكفر به اثنان أَحَدُهما أبوك ، وأمّا ما ذَكرتَ أنه لم تُعْرِقْ فيكَ الإِمَاء : فقد نَخَرْتَ على بني هاشم طُرًّا ، أوّلُهم إبرٰهيمُ بنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عليُّ بنُ الحسين ،الذي لم يُولَدْ فيكم بعدَ وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مولودٌ مثلُهُ » .

وهذه رسالة للمنصورِ طَريفةٌ(١) مُستحسَنةٌ جِدًّا ، سَنُمْلِيها في موضعها من هذا الكتاب ، إن شاء اللهُ .

*

وأنشدَنِي الرِّياشِيُّ :

إنَّ أولادَ السَّرارِيْ ... كَثُرُوا يارَبِّ فينا

رَبِّ أَدْخِلْنِي بِلاداً ... لا أَرَى فيها هَجِينا

« والهَجِينُ » عند العرب : الذي أبوه شريفٌ وأُمُّه وضِيعةٌ ، والأصل في ذلك أن تكونَ أَمَةً ، وإنما قيلَ « هجينٌ » من أَجْلِ البَيَاضِ ، وكأنّهم قَصَدُوا قَصْدَ الرُّوم وَالصَّقَالِبَةِ ومَنْ أَشبهَهم ، والدليلُ على أن الهَجِينَ الأبيَضُ - : أن العربَ تقولُ : ما يَخْفَى ذلك على الأسودِ والأحمرِ ، أي

(١) طريفة : بالطاء المهملة ، وفي س « ظريفة » بالظاء المعجمة .

العَرَبِيُّ وَالعَجَمِيُّ ، وَيُسَمُّونَ الموالِيَ وسائرَ العجمِ : « الحَمْراء » وقد ذكرنا ذلك ، ولذلك قال زيدُ الخَيْلِ :

[وأَسْلَمَ عِرْسَهُ لَمَّا رآنا] وأَيْقَنَ أَنَّنا صُهْبُ السِّبَالِ

أي كهؤلاء العَدُوِّ من العجمِ . وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ :

إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ اللَّونُ مِنِّي وعَلاَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وقَذَالِي

فَظِلاَلُ السُّيوفِ شَيَّبْنَ رَأْسِي وطِعَانِي في الحرب صُهْبَ السِّبَالِ

فقيل « هَجِينٌ » من هٰهنا .

وإذا كانت الأمُّ كَرِيمةً والأبُ خَسِيسًا قيـــلَ له « المُذَرَّعُ » قال الفرزدقُ :

إذا بَاهِلِيٌّ تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ لهُ وَلَدٌ منها فَذَاكَ المُذَرَّعُ

وقال الآخرُ :

إِنَّ المُذَرَّعَ لا تُغْنِي خُؤُولَتُهُ كَالبَغْلِ يَعْجِزُ عن شَوْطِ المَحَاضِيرِ (١)

[جمعُ « مِحْضِيرٍ » وهو الفرسُ السَّرِيعُ] وإنما سُمِّيَ « مُذَرَّعا » للرَّقْمَتَيْنِ في ذِراعِ البغلِ ، وإنما صارتا فيه من ناحيةِ الحمارِ . قال هُدْبَةُ :

وَرِثَتْ رَقَاشِ اللُّؤْمَ عن آبائِها كَتَوارُثِ الحُمُراتِ رَقْمَ الأَذْرُعِ

وقال عبدُ الله بنُ العباسِ في كلامٍ يُجِيبُ به ابنَ الزُّبيرِ : والله إنه لَمَصْلُوبُ قُرَيْشٍ ، ومتى كان عوّامُ بنُ عوّامٍ يَطمعُ في صَفيَّةَ بنتِ عبد المطَّلب ؟ مَنْ أَبُوكَ يابَغْلُ ؟ فقال : خالِي الفَرَس ؟ !

---

(١) المحاضير : جمع « محضير » بالميم والضاد المعجمة المكسورتين ، وبينهما حاء مهملة ساكنة ، من الاحضار ، وهو ارتفاع الفرس في عدوه .

باب

قال أبو العباس : قال أعرابيّ :

كُلُّ امْرِىءٍ ذِى لِحيَةٍ عَثْوَلِيَّةٍ ... يَقُومُ عليها ظَنّ أنّ لهُ فَضْلاَ
ومَا الفَضْلُ فى طُولِ السَّبالِ وعَرْضها ... إذَا اللهُ لم يجْعَلْ لِصَاحِبِها عَقْلاَ

ويُرْوى « لِحامِلِهَا » . « عَثْوَلِيَّة » يقول : كَثِيرَةٌ ، والمُسْتَعْمَلُ يقال : رجلٌ « عِثْوَلٌ » إذا كَانَ كَثِيرَ الشعَر ، وأصلُ ذلك فى الرأسِ واللّحية ، وبَناهُ الأعرابىُّ بناء « جَدْوَلٍ » كأنه « عَثْوَلٌ » ثم نَسَبَ إليه . « والسَّبَلَةُ » مُقَدَّمُ اللّحية ، يقال لِمَا أسْبَلَ من الشاربين « سَبَلَتَانِ » وتقول العربُ : أخَذَ فلانٌ شَفْرة فَلتَمَ[1] بها سَبَلَةَ بعيره ، أى نَحَرَهُ ، واللّتم : الشّقُّ ، فهذا ما أسْبَلَ من جِرانِه[2] .

وقال بعض المُحْدَثين[3] :

وما حُسْنُ الرِّجال لهم بحُسْنٍ[4] ... إذا ما أخطأَ الحُسْنَ البَيَانُ
كَفَى بالمَرْءِ عَيْباً أن تَرَاه ... لهُ وجـــهٌ وليس له لِسَانُ

وقال آخرُ :

إنّى على مَا تَزْدَرِى من دَمَامَتِى ... إذَا قيسَ ذَرْعِى بالرجالِ طويلُ

---

(١) بهامش ج « بالتاء مثناة » .
(٢) قال المرصفى : « يريد ما ذكر من سبلة البعير ، وأسبل : استرخى . والجران : جلدة تضطرب على باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق فى الرأس » .
(٣) فى ج و د « ولبعض المحدثين » .
(٤) فى س « بفخر » .

ونظر يزيدُ بن مَزْيَدٍ الشَّيْبانىُّ إلى رجل ذى لحيةٍ عظيمةٍ ، وقد تَلَفَّفَتْ على صدره ، فإذا هو خاضِبٌ ، فقال : إنّك مِن لحيتِك فى مَؤُنَةٍ ! فقال : أجَلْ ، ولذلك أقولُ :

لها دِرْهَمٌ للدُّهْنِ فى كلِّ جُمْعةٍ ... وآخَرُ للحِنَّاء يَبْتَدِرانِ
ولَوْلا نَوالٌ من يَزِيدَ بنِ مَزْيَدٍ ... لَصَوَّتَ فى حافاتِها الجَلَمانِ(١)

وقال إسحٰقُ بنُ خَلَفٍ يصفُ رجلا بالقِصَرِ وطُولِ اللّحية :

ما سرَّنى أنّنى فى طول دَاوُدِ ... وأنّنى عَــلَمٌ فى البَأْسِ والجُودِ
مَاشَيْتُ دَاودَ فاستَضْحكتُ من عجَبٍ ... كأنّنى وَالِدٌ يَمْشى بمولُودِ
مَا طُولُ داودَ إلّا طولُ لحيتِه ... يَظَلُّ دَاودُ فيها غــيرَ مَوْجُودِ
تُكِنُّهُ خُصْلةٌ منها إذا نَفَحَتْ ... ريحُ الشّتَاء وجفَّ الماءُ فى العُودِ(٢)
كالأنْبَجَانِىِّ مَصقُولاً عَوَارِضُهَا ... سَوْداءُ فى لِينِ خَدِّ الغَادَةِ الرُّودِ(٣)
أَجْزَى وأغْنَى من الخَزِّ الصَّفِيقِ ومِنْ ... بيضِ القَطائِفِ يوم القُرِّ والسُّودِ
إنْ هَبَّتِ الرِّيحُ أدَّتْهُ إلى عَدَنٍ ... إنْ كَانَ مالَفَّ منها غيرَ مَعْقُودِ

[القُرُّ بالقاف : يريد البَرْدَ ، ويروى بالغين ، يريد السحائبَ البيضَ ، وجعلها غُرًّا لبياضها] .

---

(١) الجلم : بفتح الجيم واللام — المقص ، وإنما ثنى لإرادة شفرتيه . وذكر المرصفى فى شرحه « لصيح » بدل « لصوّت » وجعل هذه رواية أخرى ، وما ندرى من أين هذا ؟ ونسخ الكامل كلها « لصوّت » ؟ ! فلو جعل الأخرى رواية كان أجود .

(٢) بحاشية ج مانصه : « نفحت : بالحاء غير معجمة » .

(٣) الأنبجانى ، بفتح الهمزة والباء — : كساء من الصوف ينسب إلى « منبج » بفتح الميم وكسر الباء على غير قياس ، وهى مدينة بينها وبين حلب عشرة فراسخ . والغادة : المرأة الناعمة اللينة . والرود : الحسنة الشباب . قاله المرصفى .

❋

وفى الحديث : « مِن سعادة المرْء خِفَّةُ عارِضَيْه » . وليس هذا بناقض لما جاء فى إعفاء اللِّحى وإحْفاء الشَّوارِبِ ، فقد رُوِىَ أنهم قالوا : لا بأسَ بأَخْذِ العارِضَيْنِ والتَّبْطِينِ[1] . وأما الإعفاء فهو التَّكْثِيرُ ، وهو من الأضدادِ ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ حَتَّى عَفَوْا[2] ﴾ أى : حتى كَثُرُوا ، ويقال : عَفَا وَبَرُ الناقةِ[3] : إذا كَثُرَ ، قال الشاعرُ :

ولَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها ... بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ

والكُومُ : العظامُ الأسْنِمَةِ ، واحدتها : كَوْماء ، ويقال : عَفَا الربْعُ[4] : إذا دَرَسَ ، ومِنْ ذلك :

* عَلَى آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفَاء *

أى الدُّروسُ

وقال مَسْلَمَةُ بنُ عبد الملك : إنى لَأعْجَبُ مِن ثلاثةٍ : من رجلٍ قَصَّرَ شَعَرَهُ ثم عادَ فأطاله ، أو شَمَّرَ ثَوْبَهُ ثم عاد فأَسْبَلَهُ ، أو تَمَتَّعَ بِالسَّرارِىِّ ثم عادَ إلى المَهِيرَاتِ ! !

واحدةُ المَهِيرَاتِ « مَهِيرَةٌ » وهى الحُرَّةُ المَمْهورَةُ ، و« مَفْعُولٌ » يَخْرُجُ إلى « فَعِيلٍ » كمقتولٍ وقَتِيل ، ومجروحٍ وجَرِيح ، قال الأعشى :

ومَنْكُوحةٍ غيرِ مَمْهُورَةٍ ... وأُخْرَى يُقالُ لها فَادِهَا

(١) التبطين : أخذ الشعر من تحت الذقن والحنك .

(٢) سورة الأعراف (٩٥) .

(٣) فى ع « وبر البعير » .

(٤) فى ع ود « عفا الرسم » .

[« فادِها » : مِنْ « فَدَيْتُ » الأَسِيرَ ، وهو يَصِفُ سَبْيًا أُخِذَ فيه إماءٌ وحَرَائِرُ] فهذا المعروفُ فى كلامِ العربِ : « مَهَرْتُ المَرْأةَ فهي ممهورةٌ » ويقالُ ـ وليس بالكثيرِ ـ : « أَمْهَرْتُهَا فهى مُمْهَرَةٌ » . أنشدنى المَازِنِيُّ :

أَخِذْنَ اغْتِصَابًا خِطْبَةً عَجْرَفِيَّةً وأُمْهِرْنَ أَرْمَاحًا من الخَطِّ ذُبَّلَا

[« عَجْرَفيةٌ » : جَافِيَةٌ ، « خِطْبَةٌ » : مَصْدَرٌ مَعْنًى(١)] .

⁂

وأهلُ الحجازِ يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دونَ الفِعْلِ ، ولا يُنكرونه فى الفعل ، ويحتجُّون بقولِ الله عزّ وجل : ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا(٢)﴾ فهذا الأَشْيَعُ فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وأَمْتَعْتُ نَفْسِي مِنَ الغانيا تِ إِمَّا نِكاحًا وإِمَّا أُزَنْ(٣)

ومِن كُلِّ بيضاءَ رُعْبُوبَةٍ لها بَشَرٌ نَاصِعٌ كاللَّبَنْ(٤)

[قوله «أُزَنْ» : أَرَادَ « أُزَنِّي » ثم حَذَفَ الياءَ وخَفَّفَ النونَ فقال «أُزَنْ »] .

ويكونُ النكاحُ الجماعَ ، وهو فى الأصل كنايةٌ . قال الراجزُ :

إذا زَنَيْتَ فأَجِدْ نِكَاحَا وأَعْمِلِ الغُدُوَّ والرَّوَاحا

والكنايةُ تقعُ عن هذا البابِ كثيرًا ، والأصلُ ما ذَكَرْنا لك . وقال

---

(١) قال المرصفى : « يريد أنه مصدر لبيان الهيئة بمنزلة قولك : إنه لحسن القعلة لطيف الجلسة » .

(٢) سورة الأحزاب (٤٩) .

(٣) فى ج ود « وأمتعت عينى » .

(٤) الرعبوبة : الحسنة الخلق الممتلئة الغضة .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أنا مِنْ نِكاحٍ لا مِنْ سِفَاحٍ[1] » . ومِنْ خُطَبِ المسلمين : « إنّ اللهَ عزّ وجل أَحَلَّ النِّكاحَ وحَرَّمَ السِّفَاحَ » .

والكنايةُ تقَعُ عن الجِمَاعِ[2] ، قال الله عزّ وجل : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ[3] ﴾ فهذه كنايةٌ عن الجماع . قال أكثرُ الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ[4] ﴾ قالوا : كنايةٌ عن الجماع ، وليس الأمْرُ عندنا كذلك ، وما أَصِفُ مذهبُ أهلِ المدينةِ ، قد فُرِغَ[5] من النكاحِ تصريحًا ، وإنما المُلَامسةُ أن يَلْمِسَها[6] الرجلُ بِيَدٍ أو بإدْناءِ جَسَدٍ من جسدٍ ، فذلك يَنقضُ الوضوء فى قول أهلِ المدينة ، لأنه قال تبارك وتعالى بعدَ ذِكْرِ الجُنُبِ ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ[7] ﴾ .

وقولُه عزّ وجل : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ[8] ﴾ : كِنَايةٌ بإجماعٍ عن

---

(١) ورد هذا المعنى فى أحاديث كثيرة ، بعضها مرسل صحيح الإسناد ، وبعضها موصول فى إسناده شىء ، ومجموعها يؤخذ منه صحة المعنى وثبوته ، وانظر شيئاً مفصلا من ذلك فى تاريخ ابن كثير (٢ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٢) فى ب « على الجماع » .

(٣) سورة البقرة (١٨٧) .

(٤) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .

(٥) فى بعض النسخ « لأنه قد فرغ » وبهامش ج « الرواية المشهورة بإسقاط : لأنه » .

(٦) «لمس» : من بابى نصر وضرب .

(٧) الذى قال أبو العباس مذهبه ورأيه ، وليس هذا القول بالراجح عندنا ، ولا هو مما تؤيده الدلائل الصحاح ، بل أدلة السنة تدل على أن الملامسة أو اللمس فى الآية ــ على اختلاف القراءتين ــ : إنما يكنى بها هنا عن الجماع ، من أجل أنه قد صح الحديث بأن النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعض أزواجه ، ثم صلى ولم يتوضأ ، وهو حديث لاشك فى ثبوته ، وهو قرينة أن المراد المعنى المجازى لا الحقيقى . وقد فصلنا القول فى ذلك فى شرحنا على سنن الترمذى (١ : ١٣٩ ـ ١٤٢) .

(٨) سورة المائدة (٧٥) .

قضاء الحاجة[١] ، لأنّ كلَّ مَنْ أكَلَ الطعامَ فى الدنيا أَنْجَى ، يقال : نَجَا وأَنْجَى : إذا قام لحاجة الإنسان .

وكذلك : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا[٢]﴾ : كنايةٌ عن الفروج .

ومثلُه : ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ[٣]﴾ فإنما الغائطُ كالوادِى ، وقال عَمْرو بنُ مَعْدِى كَرِبَ :

وكَمْ من غائِطٍ مِن دُونِ سَلْمَى ... قليلِ الإِنْسِ ليسَ به كَتِيعُ[٤]

❊

يقال[٥] : «وَهِمَ» الرجلُ «يَوْهَمُ» : إذا شكَّ ، وهو الأَجْوَدُ ، ويجوزُ : «يَيْهَمُ ، ويِيهَمُ ، ويَاهَمُ» ـ : لِعِلَلٍ ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ ، نحو: وَجِلَ يَوْجَلُ، وَوَحِلَ يَوْحَلُ ، ووَجِعَ يَوْجَعُ ، ويجوز فى « وَهِمَ » أن تقول : « يَهِمُ»

---

(١) دعوى الإجماع هنا غير جيدة ، فإن كثيراً من المفسرين لايرون إلا المعنى الحقيقى هنا ، وهو الراجح عندهم ، قال الطبرى فى التفسير (٦ : ٢٠٣) : « إنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب ، كسائر البشر من بنى آدم ، فإن من كان كذلك فغير كائن إلهاً ، لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره ، وفى قوامه بغيره وحاجته إلى مايقيمه دليل واضح على عجزه ، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لاربا » . فأنت ترى أنه لم يفسره بغير المعنى الحقيقى ، ولم يذكر الكناية أصلا ، وذكرها غيره ، وليست الكناية هنا واضحة ، لأنه وإن وجدت العلاقة بين المعنيين إلا أن القرينة التى تمنع إرادة المعنى الحقيقى وتوجب النقل إلى المجازى غير موجودة أصلا ، فإرادة المجازى لادليل عليها أصلا ، فلا تقبل ، ثم إن المعنى الحقيقى معنى عال دقيق ، كما أوضحه الطبرى ، فلا مسوّغ للعدول عنه .

(٢) سورة فصلت (٢١) .

(٣) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .

(٤) قال المرصفى : « كتيع : بالتاء ، معناه أحد ، يقال مابالدار كتيع : مابها أحد » .

(٥) بحاشية ع و د : « هذا الكلام لايتصل بما قبله ولا بما بعده ، إلى قوله : وقال رجل أحسبه من بنى تميم » .

وقال المرصفى : « كأن هنا جملة سقطت ، ذكر فيها الوهم ، فشرحها » .

فإن المُعْتَلَّ مِنْ هذا يجئُ على مثال : حَسِبَ يَحْسِبُ ، مثل : وَلِيَ الأميرُ يَلِي ، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ ، فهذا جميعُ ما في هذا الباب .

⁂

وقال رجلٌ أحْسِبُهُ من بَنِي تَمِيمٍ :

لاَ تَسْأَلَنَّ الْخَيْلَ ياسَعْدُ مَالَهَا ... وكُنْ أُخْرَيَاتِ الخيلِ عَلَّكَ تُجْرَحُ
لعلَّكَ تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ ... لها عَانِدٌ يَنْفِي الحَصَا حِينَ يَنْفَحُ
وأَكْرِمْ كريمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لِعَاقِبَةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ
[بِذَا فامْدَحِينِي وانْدُبِينِي فإنَّني ... فَتًى تَعْتَرِيهِ هِزَّةٌ حِينَ يُمْدَحُ]

[إذا أدْبَرَ القَيْظُ وبَرَدَ اللَّيْلُ تَحَرَّكَ للشَّجرِ وَرَقٌ رَطْبٌ ، فيقال : أخْلَفَ الشجرُ وتَرَوَّحَ] .

قوله : « لا تسألنَّ الخيلَ يا سعدُ مَالَها » يقول : لا تَتَخَلَّفْ عن القِتال وتَسْأَلْ عن أخبارِ القومِ ، ولكِنْ كُنْ فيهم كما قال مُهَلْهِلٌ :

ليسَ مِثْلِي يُخَبِّرُ القَوْمَ عَنْ آ ... بَائِهِمْ قُتِّلُوا ويَنْسَى القِتَالا[1]
لم أَرِمْ حَوْمَةَ الكَتِيبَةِ حَتَّى ... حُذِيَ الوَرْدُ من دِمَاهُ نِعالا[2]

(١) في ب « لست ممن » بدل « ليس مثلي » وفي هامش ع « لست ممن » و « ليس ممن » كأنهما نسختان أو روايتان . وفي ب « الحي » بدل « القوم » وفي هامش ع « الناس » وفي ب « فرسانهم » بدل « آبائهم » وذكرت هذه بهامش ع أيضاً .

(٢) لم أرم : بكسر الراء ، يعني لم أبرح .

يقول : كُنْتُ فى حَوْمَةِ القتالِ وصَليتُ الحَرْبَ[١] أكْثَرَ ممّا صَلِيَها غيْرِى .

٭

ويُرْوَى عن رجلٍ من بَنِى أَسَدِ بن عبد العُزّى ، يقال له : فُلانُ [ش : هو عبدُ الله] بنُ السّائِبِ : أنه زَوَّجَ ابنَته عَمْرَو بنَ عثمانَ بنِ عَفّانَ ، فلمّا نُصَّتْ عليه طَلَّقَهَا على المِنَصَّةِ[٢] فجاء أبوها إلى عبدِ الله بن الزُّبَيْر ، فقال : إنّ عَمْرَو بنَ عثمانَ طَلّقَ ابنَتى على المِنَصّةِ ، وقد ظنّ النّاسُ أنّ ذلك لِعَاهَةٍ ، وأنتَ عَمُّها[٣] ، فقُمْ فادْخُلْ إليها ، فقال عبدُ الله : أَوَ خَيْرًا مِنْ ذلِكَ ؟ جيئونى بالمُصْعَبِ[٤] ، فَخَطَبَ عبدُ الله فزَوَّجَها من المُصْعَبِ ، وأَقْسَمَ عليه لَيَدْخُلَنَّ بها فى لَيْلَتِهِ[٥] ، فلا تُعْرَفُ امرأةٌ نُصَّتْ عَلَى رَجُلَيْنِ فى لَيْلَتَيْنِ

---

(١) فى ج « الحروب » .

(٢) المنصة : سرير العروس ترفع عليه لترى من بين النساء ، ونصت : أقعدت على المنصة .

(٣) أخطأ الشيخ المرصفى هنا فى موضعين خطأ غريباً ، فزعم أن أبا العروس هو « السائب » ثم زعم أنه « أخو الزبير بن العوام ، أمهما صفية بنت عبد المطلب » ! أما أولا فان الرواية واضحة هنا أن والد العروس هو عبد الله بن السائب ، وأما ثانيا ، فان السائب أخا الزبير لأبيه وأمه مات وليس له عقب ، كما نص على ذلك ابن سعد فى الطبقات (٥ : ٥٨) وابن حجر فى الإصابة (٣ : ٦١) .

والتحقيق أن صاحب القصة هنا هو : عبد الله بن السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، أبوه السائب أخو فاطمة بنت أبى حبيش ، وأمه عاتكة بنت الأسود بن المطلب ، وأم السائب أم جميل بنت الفاكه بن المغيرة المخزومية ، ولا صلة له بصفية بنت عبد المطلب أصلا ، انظر الاصابة (٣ : ٥٨ — ٥٩) .

وقد استدل المرصفى لما وقع فيه من الوهم بقول عبد الله بن السائب لعبد الله بن الزبير فى شأن العروس : « أنت عمها » ! ! وليس ذلك كما ظن ، إنما قال هذا لأنهما كلاهما من بنى أسد بن عبد العزى ، فان الزبير هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، وإطلاق العم فى مثل هذا كثير شائع عند العرب .

(٤) هو مصعب بن الزبير ، أخو عبد الله بن الزبير .

(٥) فى ب « فى هذه الليلة » .

ولاءً(١) غـــيرُها ، فأولَدَها المُصْعَبُ : عيسى وعُـكَّاشَةَ ، فلمَّا كان يومُ مَسْكَنَ(٢) ، وَهَرَبَ أكثرُ الناسِ عن المُصْعَبِ ، دخل إلى سُكَيْنَةَ ابنةِ الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ ، وكانت له شديدةَ المحبَّة ، وكانت تُخْفِي ذلك(٣) فَلَبِسَ غِلَالَةً وتَوَشَّحَ عليها ، وانتضى السَّيْفَ ، فلمَّا رأتْ ذلك وعلمتْ أنه عَزَمَ أن لا يَرْجِعَ ، فصاحتْ مِن ورائه : وَاحَرَبَاهْ ؟ فالْتَفَتَ إليها ، فقال : أَوَ هذا لِي في قَلْبِكِ ؟ فقالت : إي والله ، وأكثرُ من هذا فقال : أمَا لَوْ عَلِمْتُ لَكانَ لِي ولكِ شَأْنٌ ، ثم خَرَجَ ، فقال لابنه عيسى : يابُنَيَّ ! انْجُ إلى نَجَائِكَ ، فإنَّ القومَ لاحاجةَ بهم إلى غَيْرِي ، وَسَتُفْلِتُ بحِيلَةٍ أو بُقْيَا ، فقال : يا أَبَتَاهُ ! لا أُحَدِّثُ والله عَنْكَ أبداً ، فقال : أمَا واللهِ لَئِنْ قلتَ ذلكَ لَمَا زِلْتُ أتَعَرَّفُ الكَرَمَ في أسْرَارِكَ وأنتَ تَقَلَّبُ في مَهْدِكَ .

[ش : «الأَسْرَارُ» : جمع «سِرّ» ، وهي الطَّرَائِقُ في الجَبْهَةِ(٤)] فَقُتِلَ بين يَدَيْ أبيه ، ففي ذلك يقولُ شاعِرُ أهْلِ الشَّأْمِ من اليَمانِيَةِ :

(١) بهامش ع « في ليلة » وكتب عليها « صح » وفي بعض النسخ الأخرى « في ليلة واحدة » . وهذا هو الصواب المفهوم من سياق القصة .

(٢) مسكن : بفتح الميم وسكون السين وكسر الكاف ، هكذا ضبطه ياقوت في معجم البلدان قولا واحداً ، وضبط في طبعة أوربة من الكامل بكسر الكاف وبفتحها ، وكتب فوقه « معاً » إشارة إلى أنه مصحح في الأصول المخطوطة بالضبطين ، ويوم مسكن هو يوم الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة ٧٢ هـ نسب إلى «مسكن» اسم موضع الوقعة ، وهو قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق ، وبه قتل مصعب ، وقبره هناك معروف ، كما قاله ياقوت .

(٣) كانت سكينة زوج مصعب ، إلى أن قتل عنها ، وكانت سيدة نساء عصرها ، من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً ، ولها نوادر وحكايات مع الشعراء والأدباء ، ماتت في ٥ ربيع الأول سنة ١١٧ ، قيل اسمها « آمنة » ، وقيل « أمينة » ، وقيل « أميمة » ، وأما « سكينة » فانه لقب ، لقبتها به أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي .

(٤) هي الخطوط التي تكون في الجبهة من التكسر فيها .

نَحْنُ قَتَلْنَا مُصْعَبًا وعِيسَى وابْنَ الزُّبَيْرِ البَطَلَ الرَّئِيسَا

* عَمْدًا أَذَقْنَا مُضَرَ التَّبْئِيسَا *

وقال رجلٌ يُعَاتِبُ رجلاً :

فلو كان شَهْمَ النَّفْسِ أوذَا حَفِيظَةٍ * رَأَى مارَأَى في الموتِ عيسى بنُ مُصْعَبِ

وقال بلالُ بنُ جريرٍ يمدحُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ [يُقالُ : إن بلالاً لم يَلْحق ابنَ الزُّبير ، إلاّ أن يكونَ مدحه ميّتًا] :

مَدَّ الزُّبَيْرُ عليكَ إذْ يَبْنِي العُلاَ كَنَفَيْهِ حتَّى نَالَتَا العَيُّوقَا[1]

[ويُروى « كَفَّيْه » وهو أظهرُ ، لقوله « حتى « نالتا »] :

وَلَوْ أنَّ عبدَ اللهِ فَاخَرَ مَنْ تَرَى فاتَ البَرِيَّةَ عِزَّةً وَسُمُوقَا

قَرْمٌ إذا ما كانَ يومُ نُفُورَةٍ جَمَعَ الزُّبَيْرَ عليكَ والصِّدِّيقَا[2]

لو شِئْتَ ما فَاتُوكَ إذْ جَارَيْتَهُمْ ولَكُنْتَ بالسَّبْقِ المُبرِّ حَقِيقَا

لكِنْ أتَيْتَ مُصَلِّيًا بَرًّا بِهِمْ ولقد تَرَى ونَرَى لَدَيْكَ طَرِيقَا[3]

⁂

عاد الحديثُ إلى تفسيرِ الأبياتِ المتقدّمة :

قولُه « لعلّك تَحْمِي عن صِحَابٍ بطَعْنَةٍ » يقال : « حَمَيْتُ الناحِيَةَ أحْمِيها حَمْيًا وحِمَايَةً » ، كما قال الفَرَزْدَقُ :

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا .

(٢) نفورة : بضمتين ، من المنافرة ، كالحكومة من المحاكمة ، وهي المفاخرة في الأحساب .

(٣) في س « إليك صديقاً » .

وإذا النُّفُوسُ جَشَأْنَ طَأْمَنَ جَأْشُها ... ثِقَةً لها بِحِمايَةِ الأدْبارِ[1]

ومعنى ذلك: مَنَعْتُ ودَفعتُ، ويقال «أَحْمَيْتُ الأرضَ» أي: جعلتُها حِمًى لا تُقْرَبُ، و«أحْمَيْتُ الحديدَ أُحْمِيهِ إحْماءً» و«حَمَيْتُ أَنفِي حَمِيَّةً» يأتي: إذا أنتَ أَبَيْتَ الضَّيْمَ. و«صِحَابٌ»: جمعُ «صاحِبٍ» وقد يقالُ: هو جمعُ «صَحْبٍ» كما تقول «تاجرٌ وتَجْرٌ» و«راكِبٌ ورَكْبٌ» ونحو ذلك، ثم تجمع «صَحْبًا» على «صِحَابٍ» كقولك «كَلْبٌ وكِلابٌ» و«فَرْخٌ وفِراخٌ» فهذا مذهب حَسَنٌ، ومن قال: هو جمعُ «صاحِبٍ» فنظيره «قائمٌ وقِيامٌ» و«تاجرٌ وتِجارٌ».

وقوله «لها عانِدٌ يَنْفِي الحَصَا» يعني الدَّم، يقال «عَنَدَ العِرْقُ»: إذا خرج الدَّمُ منه بِحِدَّةٍ، و«ينفي الحَصَا» يعني الدَّمَ بشدة جَرْيِه، كما قال:

«مُسْحَنْسِحَةٌ» تَنْفِي الحَصَا عن طَرِيقِها ... [يُقَطِّعُ أَحْشَاءَ الرَّعِيبِ انْتِشارُها][2]

يعني طعنةً، وقال آخرُ في صفةِ طعنةٍ:

ومُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنانِ الخَرُو ... فِ قَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بالمِرْوَدِ

والخروفُ ههنا: إنما هو الفَلُوُّ الصغير[3].

وقولُه:

«وأَكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ ... لِعاقبةٍ إنَّ العِضَاهَ تَرَوَّحُ»

(١) جشأن: تطلعن وجزعن فزعا. طأمن: سكن، وهو هنا فعل لازم، فاعله «جأشها». والجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع.

(٢) «مُسْحَنْسِحَةٌ»: متتابعة الصب. «الرعيب»: الجبان المرعوب.

(٣) «الفلو» بفتح الفاء أو ضمها مع ضم اللام وتشديد الواو، وأيضاً بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو —: هو الجحش أو المهر.

يقولُ : الشجرُ يُصيبُه النَّدَى فى آخرِ الصَّيفِ فيَنْشأُ له وَرَقٌ ، فيقولُ : لعلَّك تحتاجُ إلى هذا الكريمِ وقد قَدَرَ .

ومثلُه :

ولاتُهِينَ الكريمَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يومًا والدَّهرُ قد رَفَعَهْ

أراد « ولا تُهِينَنْ » بالنون الخفيفة ، فحذفها لالتقاء الساكنين ، وهذا الحكم فيها .

ومثلُه فى المعنى قولُ عبَّادِ بن عبَّادِ بن حَبيبِ بن المُهَلَّبِ :

إذا خَلَّةٌ نَابَتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ[1]

وبادِرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادراً زَوَالَ اقْتِدارٍ أوغِنًى عنكَ يُعْقِبُ

[« زَوَالَ » مفعولٌ لـ« بادِرْ » قاله ش] ومثلُ هذا كثيرٌ .

وقال جعفرُ بن محمد بن عليِّ بن الحسين ـ رحمهم الله ـ : إنّى لَأُسارِعُ إلى حاجة عَدُوِّى خوفًا من أن أَرُدَّهُ فيَستغنِيَ عنِّى .

وقال رجلٌ من العرب: ما رددتُ رجلاً عن حاجة فوَلَّى عنِّى إلاّ رأيتُ الغِنَى فى قَفاهُ .

وقال عبدُ الله بن العباس بن عبد المطلب : ما رأيتُ أحداً أسْعَفْتُهُ فى حاجةٍ إلاّ أضاء ما بَيْنى وبينَه ، ولا رأيتُ رجلاً رددتُه عن حاجةٍ إلاّ أظلَم ما بينِى وبينَه .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله ـ : مَنْ يَئِسَ من شَىءٍ استَغْنَى عنه .

---

(١) فى د « خليلك » بدل « صديقك » .

وقال عبدُ الله بن هَمام ٍ السَّلُولِيُّ :

فأَخْلِفْ وأَتْلِفْ إنما المالُ عارَةٌ　　فكُلْهُ معَ الدَّهرِ الذي هو آكِلُهْ
فأَهْوَنُ مفقودٍ وأَيْسَرُ هالِكٍ　　على الحيِّ من لا يَبْلُغُ الحيَّ نائِلُهْ

« عارةٌ » أي مُعارٌ ، ووزنه « فَعَلَةٌ » .

٭

وقال أحدُ المحْدَثين [هو محمودُ الورّاقُ] وليس من هذا الباب ولكنّا ذكرناه في الإعارة ـ :

أعارَكَ مالَهُ لِتقومَ فيــه　　بطاعَتِهِ وتَعْرِفَ فَضْلَ حَقِّهْ (١)
فلم تَشْكُرْهُ نِعْمَتَهُ ولٰكِنْ　　قَوِيتَ على مَعاصِيهِ بِرِزْقِهْ
تُجاهِرُهُ بِها عَوْدًا وبَدْءًا　　وتَسْتَخْفِي بها مِنْ شَرِّ خَلْقِهْ

وقال جريرٌ :

وإنّي لَأَسْتَحْيِي أَخِي أنْ أرَى له　　عَلَيَّ من الحقِّ الذي لا يَرَى لِيَا

هذا بيتٌ يحملُه قومٌ على خِلافِ معناهُ ، وإنما تأويلُه : إنّي لأَسْتَحْيِي أخِي أنْ يكونَ له عليَّ فضلٌ ولا يكونَ لي عليه فضلٌ ومِنّي إليه مُكافأةٌ ، فأستحيِي أنْ أرَى له عليَّ حقًّا لِمَا فَعَلَ إليَّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكونُ لِي به عليه حَقٌّ ، وهذا مِن مذاهبِ الكِرام ، ومِمّا تأخذُ به أنفُسَها (٢) .

---

(١) في ب « بعض حقه » .

(٢) في ب « ومما تأخذ به أنفسنا » .

فأمّا قولُ عائِذِ الكَلْبِ الزُّبَيْرِيّ [اسمُه « عبدُ الله بن مُصْعَبٍ الزُّبيريُّ » وسُمّيَ « عائذَ الكلبِ » بقوله :

مَالِيَ مَرِضْتُ فلم يَعُدْنِي عَائِدٌ　　منكم ويَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فأعُودُ

وأَشَدُّ مِن مَرَضِي علىّ صُدُودُكُمْ　　وصُدُودُ كَلْبِكُمُ علىّ شَدِيدُ]

ـ : لعبد الله بن حَسَنِ بن حَسَنٍ :

له حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ　　ومَهْما قال فالحَسَنُ الجَمِيلُ

وقدكانَ الرَّسولُ يَرَى حُقوقاً　　عليه لغيرِه وهُوَ الرَّسولُ

ـ : فإنهُ ذَكَرَهُ بقلّة الإنصافِ ، فقال : يَرَى له حقًّا على النّاس ، ولا يَرَى لهم عليه حقًّا ، من أجل نَسَبِه برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبيّن ذلك بقوله :

وقد كان الرّسولُ يرى حقوقاً　　عليه لغـــيره وهو الرسولُ

فالذى يَفتَخِرُ بِهِ عبدُ الله يَرَى للناسِ عليه حقًّا ، فالمُفْتَخِرُ بِهِ أجْدَرُ .

وقد قيل لعليّ بن الحُسَيْن ، وكان بَيِّنَ الفَضْلِ رحمهُ الله ـ : ما بالُكَ إذا سافَرْتَ كَتَمْتَ نَسَبَكَ أهْلَ الرُّفْقَة ؟ فقال : أكرهُ أنْ آخُذَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاَ أُعْطِي مِثْلَهُ .

وإنما يَعتري هذا البابُ ـ منَ الظُّلمِ وقِلّةِ الإنصاف للناس(١) والبُعْدِ من الرِّقّةِ عليهمُ ـ : الجَهلَةَ من أهلِ هذا النَّسَبِ ، والله جَلَّ ذِكْرُه يقول لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ بالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(٢) ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ إنِّي

---

(١) كلمة « للناس » ذكرت في بعض النسخ ، ولم تذكر في سائرها .

(٢) سورة التوبة (١٢٨) .

أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ[1]﴾ فإذا كان هُوَ — صلى الله عليه وسلم — يَخَافُ من المعصية فكيف يأمَنُها غيرُه به ؟!

☼

وأما قولُ جريرٍ لهشامِ بن عبد المَلك فهو المدحُ الصحيحُ على خلاف هذا المعنى ، قال :

وأنتَ إذا نَظَرْتَ إلى هِشامٍ ... عَرَفْتَ نِجَارَ مُنْتَخَبٍ كَرِيمِ[2]
وَلِيُّ الحقِّ حينَ يَؤُمُّ حَجًّا ... صُفُوفًا بينَ زمْزَمَ والحَطِيمِ
يَرَى للمسلمِينَ عليـــه حَقًّا ... كفِعْلِ الوالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ
إذا بعضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا ... كَفَى الأيْتامَ فَقْدَ أَبِي اليَتِيمِ[3]

وفى هذ الشعر :

أميرُ المؤمنينَ على صِراطٍ ... إذا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِينًا ... وحِلْمًا فاضِلاً لِذَوِى الحُلُومِ
لَكَ المُتَخَيَّرَانِ أَبًا وَخالاً ... فأَكْرِمْ بالخُؤُولَةِ والعُمُومِ
فَيَا بْنَ المُطْعِمِينَ إذا شَتَوْنا ... ويا بْنَ الذَّائِدِينَ عن الحَرِيمِ
سَمَا بِكَ خالدٌ وبنُو هِشامٍ ... إلى العَلْياء فى الحَسَبِ الجَسِيمِ[4]

---

(١) سورة الأنعام (١٥) وسورة الزمر (١٣) ولم يذكر فى الأصول هنا فى أول الآية كلمة « قل » ، وكأنه يريد آخر الآية (١٥) من سورة يونس .

(٢) « منتجب » بهامش ج : « بالجيم والخاء معجمة » وبذلك طبعت فى طبعة أوربة ، فهى بالجيم من « انتجبه » إذا استخلصه واصطفاه ، وبالخاء من « انتخبه » إذا اختاره . و « النجار » بكسر النون وضمها : الأصل .

(٣) « تعرقتنا » بالقاف فى نسخة ، وهو الصواب ، وفى سائر النسخ بالفاء ، وهو خطأ . ومعنى تعرقتنا : أخذت ماعلى العظم من اللحم .

(٤) فى ب « الصميم » وكتب عليها « صح » .

[وَهِمَ أبو العباس في قوله « وبَنُو هشامٍ » وإنما وَقَع في شعره « وأبو هشامٍ » وهو الصحيحُ ، يُرِيدُ إسمٰعيلَ بن هشامٍ ، وهو جَدُّهُ من قِبَلِ أُمِّه] .

وتَنْزِلُ مِنْ أُمَيَّةَ حَيْثُ تَلْقَى ... شُؤُنُ الرَّأْسِ مُجْتَمَعُ الصَّمِيمِ (١)

تَوَاصَتْ مِن تَكَرُّمِها قُرَيْشٌ ... بِرَدِّ الخَيْلِ دامِيَةَ الكُلُومِ

فَمَا الأُمُّ التي وَلَدَتْ قريشاً ... بِمُقْرِفَةِ النِّجارِ ولا عَقِيمِ (٢)

وما قَحْلٌ بأَنْجَبَ مِن أبيكُمْ ... ولا خَالٌ بأَكْرَمَ من تَمِيمِ

سَمَا أولادُ بَرَّةَ بِنْتِ مُرٍّ ... إلى العَلْياءِ في الحَسَبِ العظيمِ

لك الغُرُّ السَّوابقُ من قريشٍ ... فقد عُرِفَ الأغرُّ من البَهِيمِ

*

قولهُ : «حين يؤمُّ حَجًّا» فيكون « الحجُّ » جمعَ « حاجٍّ » كما يقال : « تاجرٌ وتَجْرٌ ، وراكبٌ ورَكْبٌ » قال العَجَّاجُ :

بوَاسِطٍ أكْرَمُ دارٍ دارَا ... واللهُ سمَّى نَصْرَكَ الأنْصارَا

فأخْرَجَه على « ناصِرٍ ونَصْرٍ » . قال : ويجوزُ أن يكونَ « حَجٌّ » : أصحابَ حَجٍّ ، كما قال الله عز وجل : ﴿واسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ (٣) يريد : أهْلَها .

وقولهُ « كفعلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيم » يقال « رَؤُفٌ » على « فَعُلٍ »

---

(١) يجوز في « يلقى » أن تكون بالتاء الفوقية وبالياء التحتية ، وفي « شؤن » الرفع والنصب ، وكذلك في « مجتمع » أحدهما فاعل « يلقى » والآخر مفعوله ، على التبادل بينهما في ذلك . وبهذه الأوجه ضبطت الكلمات في طبعة أوربة . وقوله « الصميم » كتب بجوارها في هامش ع « صح » وبدلها في ب « العميم » ولا وجه له .

(٢) « بمقرفة النجار » : من الإقراف ، وهو مداناة مايهجن النسب .

(٣) سورة يوسف (٨٢) .

مثلُ «يَقُظٍ وحَذُرٍ» و «رءوفٌ» على وزن «ضَرُوبٍ». وقال الأنصاريُّ [هو كَعْبُ بن مالك]:

نُطِيعُ نَبِيَّنا ونُطِيعُ رَبًّا ... هو الرَّحمنُ كان بنا رَءوفا

وقد قُرِئَ: ﴿وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ[1]﴾ و «رءوفٌ» أكثرُ، وإنما هو من الرَّأفة، وهى أشَدُّ الرَّحمةِ، ويقالُ «رَآفَةٌ» وقُرِئَ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَآفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ[2]﴾ على وزن الصَّرَامَةِ والسَّفَاهَةِ.

وقولُه «إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقَتْنا[3]» يُفَسَّرُ على وجهين: أحدُهما: أن يكونَ ذهبَ إلى أنَّ بعضَ السِّنينَ سِنُونَ[4]، كما قال الأعشى:

وتَشْرَقُ بالقولِ الذى قد أَذَعْتَهُ ... كما شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ منَ الدَّمِ[5]

لأن صَدْرَ القناة قَنَاةٌ، ومن كلام العرب: ذَهَبَتْ بعضُ أصابعه، لأن بعضَ الأصابعِ إصْبَعٌ، فهذا قولٌ.

والأَجْوَدُ: أن يكونَ الخبرُ فى المعنى عن المضاف إليه، فأُقْحِمَ المضافَ إليه توكيداً، لأنه غيرُ خارجٍ من المعنى، وفى كتاب الله عزّ وجل: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ[6]﴾ إنما المعنى: فَظَلُّوا لها خاضعينَ، والخضوعُ بَيِّنٌ

---

(١) سورة البقرة (٢٠٧) وسورة آل عمران (٣٠). والذى فى كل نسخ الكامل «إن الله رؤف بالعباد» ولا توجد آية بهذه التلاوة، فهو خطأ من الناسخين أو من المؤلف.

(٢) سورة النور (٢). والقراءة بمدّ الهمزة هى قراءة ابن جريج، ورويت عن عاصم وابن كثير، كما فى البحر لأبى حيان (٦ : ٤٢٩). وانظر الطبرى (١٨ : ٥٤).

(٣) فى نسخة بالقاف، وفى سائرها بالفاء، وهو خطأ، وقد سبق الكلام على ذلك فى الحاشية (رقم ٣ ص ٤٨٣).

(٤) فى ج و س ود «إلى أن بعض السنين يؤنث، لأنه سنة وسنون» والمراد من هذا كله أنه أنث الفعل على إرادة السنة أو السنين، ولو راعى لفظ «بعض» لقال «تعرقنا» بالتذكير.

(٥) «تشرق» من «شرق» الشىء، بكسر الراء «شرقا» بفتحها: اشتدّت حمرته بدم أو غيره، كنى بذلك عن قتله، كما قال المرصفى.

(٦) سورة الشعراء (٤). وانظر الكشاف (٣ : ١٠٧).

فى الأعناقِ ، فأَخْبَرَ عنهم ، فأَقْحَمَ الأَعْناقَ توكيداً ، وكان أبو زيدٍ الأنصاريُّ يقولُ : أعناقُهم جماعاتُهم ، تقولُ : أتانى عُنُقٌ من النّاسِ ، والأوّلُ قولُ عامّةِ النحويين . وقال جريرٌ :

لَمّا أتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ(١)

وقال أيضًا :

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلالِ(٢)

وقال ذو الرُّمَّةِ :

مَشَيْنَ كما اهتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ(٣)

[زَعمَ بَعضُهم أنّ البيتَ مصنوعٌ ، والصحيحُ فيه «مَرْضَى الرِّياحِ النَّوَاهِمِ» والمَرْضَى : التى تَهُبُّ بِلِينٍ(٤)] ومِثْلُ هذا كثيرٌ .

وعلى مِثْلِ هذا القولِ الثانى تقول : « يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ » لأنك أردت « يا تَيْمَ عَدِيٍّ » وأقْمَحْتَ الأوّلَ توكيداً [كذا وقع « وأقحمتَ الأوّل توكيداً » وإنما الصحيحُ : وأقحمتَ الثانِيَ توكيداً] وكذلك «لا أبَالَكَ » لأن الألف لا تثبُتُ فى « الأبِ » فى النصب إلّا فى الإضافة ،

---

(١) فى ب « الخُضَّعُ » .

(٢) « السرار » بفتح السين وكسرها : آخر ليلة من الشهر يستسر فيها الهلال . وفى هامش ع بدله «المُحَاقُ» وضبطت الميم بالحركات الثلاث ، وهو بمعنى السرار .

(٣) فى ب ونسخة بهامش ع « مَرَّتْ » بدل « اهتزت » . ومعنى « تسفهت » الخ : حركتها واستخفتها .

(٤) «والنواهم» : قال المرصفى : من النهيم ، وهو شبه الأنين ، استعاره لصوت حفيفها ، بمناسبة إثبات المرض لها .

أو بدلاً من التنوينِ ، فإنّما أرادَ «لا أباكَ» ثم أقْحَمَ اللّامَ توكيداً للاضافةِ ، وأنشدَ المازِنيُّ :

وقد ماتَ شَمّاخٌ وماتَ مُزَرِّدٌ   وأيُّ كَرِيمٍ لا أباكِ يُخَلَّدُ ؟

وقال آخرُ :

أبالمَوْتِ الّذي لاَ بُدَّ أنّي   مُلاَقٍ لاَ أباكِ تُخَوِّفِينِي ؟

وقولُه : «على صِراطٍ» فالصّراطُ : المِنْهاجُ الواضحُ ، وكذلك قالت العلماء في قولِ الله عزّ وجل : ﴿اهْدِنا الصِّراطَ المستقِيمَ﴾ .

وقولُه : «سَمَا بِكَ خَالِدٌ» يريدُ : خالدَ بنَ الوَليد بنِ المُغيرةِ بن عبدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُومٍ بن يَقَظَةَ بن مُرّةَ بن كَعْبٍ ، لأن أُمَّ هشامٍ بنتُ هشامٍ بن إسماعيلَ بن هشامٍ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم ، وكان هشامُ بنُ المغيرةِ أجَلَّ قُرَشِيٍّ حِلْماً وجُوداً ، وكانت قريشٌ تُؤَرِّخُ بموتِهِ ، كما كانت تُؤَرِّخُ بعام الفِيلِ وبِمُلْكِ فلانٍ ، قال الشاعر :

* زَمَانَ تَنَاعَى الناسُ موتَ هِشَامِ *

ومن أجْلِهِ يقولُ القائلُ :

فَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكّةَ مُقْشَعِرًّا   كَأَنَّ الأَرضَ ليس بها هِشَامُ

يقول : هُوَ وإن كان ماتَ فهو مدفونٌ في الأرض ، فقد كان يَجِبُ من أجله أن لا ينالَها جَدْبٌ . وقال الآخَرُ :

ذَرِينِي أَصْطَبِحْ يَاسَلْمَ إنِّي   رأيتُ الموتَ نَقَّبَ عن هِشَامِ

قوله «نَقَّبَ» أي طَوَّف حتى أصابَ هشامًا ، قال الله عز وجل : ﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ[1]﴾ أي طَوَّفُوا ، ومثلُه قولُ أمْرِيء القَيْسِ :

(١) سورة قٓ (٣٦) .

وقد نَقَّبْتُ فِي الآفَاقِ حتَّى   رَضِيتُ من الغَنِيمةِ بالإِيَابِ[١]

*

فأما التأْريخُ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ : فأوَّلُ مَن فعلَه فى الإسلام عمرُ بن الخطَّاب رحمه الله . حيث دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ ، فقيل له : لو أَرَّخْتَ — يا أميرَ المؤمنين — لكنْتَ تَعْرِفُ الأمور فى أوقاتِها ؟ فقال : وما التَّأْرِيخُ ؟ فأُعْلِمَ ما كانت العجمُ تفعلُه ، فقال : أَرِّخُوا ، فقالوا: مُذْ أيِّ سنَةٍ ؟ فاجتمعوا على سنَةِ الهجرةِ ، لأنه الوقتُ الذى حكَمَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على غير تَقِيَّةٍ ، ثم قالوا : فى أى شهرٍ ؟ فقالوا : نَسْتَقْبِلُ بالناس أمورَهم فى شهرِ المحرَّم إذا انْقَضَى حَجُّهُمْ ، وكانت هجرَةُ رسولِالله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر [الذى اتُّفق عليه أن هجرةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الأول ، وفيه مات صلى الله عليه وسلم] فَقُدِّمَ التأريخُ على الهجرة هذه الأشهُرَ[٢] ، وجاء فى تصحيح هذا الوقت ، أعنى المحرَّمَ — : ما رُوِيَ لنا عن ابن عباسٍ رحمه الله ، فإنه قال فى قول الله عز وجل : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ

---

(١) فى ج و د « طَوَّفْتُ » بدل « نقبت » .

(٢) فى فتح البارى للحافظ ابن حجر (٧ : ٢٠٩) : « أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ، ومن طريقه الحاكم ، من طريق الشعبي : أن أبا موسى كتب إلى عمر : إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس ، فقال بعضهم : أرّخ بالمبعث ، وبعضهم : أرّخ بالهجرة ، فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل ، فأرخوا بها ، وذلك سنة ١٧ ، فلما اتفقوا قال بعضهم : ابدءوا برمضان ، فقال عمر : بل بالمحرم ، فانه منصرف الناس من حجهم ، فاتفقوا عليه » . ثم نقل آثاراً أخرى وقال : « فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلىّ » .

عَشْرٍ﴾ قال : فأقسَمَ بِفَجْرِ السَّنَةِ ، وهو المحرَّمُ [١] .

❊

وقولهُ « فما الأمُّ التي ولَدَتْ قريشاً » يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ ، كانت أُمَّ النَّضْرِ بن كِنانَة ، وهو أبو قُرَيْشٍ ، ومَنْ لم يكنْ من وَلَدِهِ فليس بقُرَشىٍّ ، وتميمُ بن مُرٍّ خالُه .

وكان يقالُ : مَنْ عَرَفَ حَقَّ أخيه دام له إخاؤُهُ ، ومَنْ تكبَّرَ على الناس ورجا أن يكون له صَديقٌ فقد غرَّ نفسَه .

وقيلَ : ليس لِلَجُوجٍ تَدْبيرٌ ، ولا لِسَيِّءِ الخُلُقِ عَيْشٌ ، ولا لِمُتَكبِّرٍ صديقٌ .

وقيل : مَنْ بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطت فى القلوب محبَّتُهُ ، والمِنَّةُ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ .

ويُروى أنّ شاعراً أتَى أبا البَخْترىِّ [« البَخْترىُّ » بفتح الباء وبالخاء المعجمة] وَهْبَ بنَ وَهْبٍ ، وكان من أجْوَدِ النَّاس ، وكان إذا سمع مَدْحَ المادح ضَحك وسَرَى السُّرُورُ فى جوانحه ، وأعْطَى وزَادَ ، فأتاهُ هذا الشاعرُ فأنشده :

لِكُلِّ أخِي فَضْلٍ نَصيبٌ من العُلاَ ... ورأسُ العُلاَ طُرًّا عَقيدُ النَّدَى وَهْبُ
وما ضَرَّ وَهْباً قولُ مَنْ غَمِطَ العُلاَ ... كما لاَيَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحُهُ الكَلْبُ

---

(١) هذه رواية عن ابن عباس ، رواها عنه سعيد بن منصور والبيهقى فى شعب الإيمان وابن عساكر ، والرواية الصحيحة عنه ، التى اقتصر عليها الطبرى وابن كثير — : أن الفجر هو فجر النهار ، وانظر الدرّ المنثور (٦ : ٣٤٤) .

[«غَمِطَ» كَفَرَ النعمةَ ، و «غَمَط» ويقالُ أيضا : تنَقَّصَ] فثَنى لهُ الوِسادَةَ ، وهَشَّ إليه ورَفَدَهُ ، وحمَلهُ وأضافه ، فلمّا أنْ أرادَ الرجلُ الرِّحْلَةَ(١) لم يَخْدُمْهُ أحدٌ من غِلمان أبي البَخْتريّ ، ولا عقَدَ لهُ ولا حَلَّ معه ! فأنكَرَ ذلك مع جَميلِ ما فَعَل بهِ وأنهُ قد تجاوَزَ بهِ أمَلَه ، فعاتَبَ(٢) بعضَهم ، فقال لَه الغلامُ : إنّا إنما نُعينُ النازِلَ على الإقامةِ ، ولا نُعينُ الراحِلَ على الفِراق ، فبلغَ هذا الكلامُ جَليلاً من القُرَشِيِّين ، فقال : واللهِ لَفِعلُ هؤلاء العَبيدِ على هذا القَصْدِ أحْسنُ من رِفْدِ سَيِّدِهِمْ !

باب

قال عبدُ الملك بن مَرْوانَ يومًا لجلَسائه ـ وكان يَجْتَنِبُ غيرَ الأُدَباء ـ : أيُّ المَناديلِ أفضلُ ؟ فقال قائلٌ منهم : مناديلُ مصرَ ، كأنّها غِرْقِئُ البَيْضِ [«الغرقئ» يهمز ولا يهمز ، وكذلك فِعلُه] ، وقال آخرُ : مناديلُ اليمن ، كأنها أنوارُ الرَّبِيعِ ، فقال عبدُ الملك : ما صَنَعْتُما شيئًا ، أفضلُ المناديلِ ما قال أخو تَميم ، يعني عَبْدَةَ بنَ الطَّبيب [«عَبْدة» باسكان الباء] :

لَمّا نَزلنا نَصَبْنا ظِلَّ أخْبِيَةٍ ... وَفارَ لِلقوم باللَّحم المَراجيلُ

وَرْدٌ وأشقَرُ ما يُؤْنيهِ طابخُهُ ... مَا غَيَّرَ الغَلْيُ منه فهْوَ مأكولُ

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... أعْرافُهُنَّ لِأَيدينا مَناديلُ

(١) في س «الرحيل» .

(٢) في ع و د «فعتَبَ» .

قوله « غرقئ البيض » يعنى : القشرةَ الرقيقةَ التى تركبُ البيضةَ دونَ قشرِها الأعلَى ، وقشرُها الأعلَى يقال له « القَيْضُ » .

وقولُه ، « المَرَاجيلُ » إنما حَدُّهُ « المَرَاجِلُ » ولكن لمّا كانت الكسرةُ لازمةً أشبَعَها للضرورة ، كما قال .

* نَفْىَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ *

[الحجة فى « الصياريف »] وقد مَرَّ تفسيرُ هذا .

وقولُه : « وَرْدٌ وأَشْقَرُ ما يُؤْنِيه طابِخُهُ » يقولُ : ماتَغَيَّر من اللحم قبلَ نُضْجِهِ .

وقوله « ما يُؤْنِيه طابِخُه » يقول : ما يُؤَخِّرُه ، لأنه لو آناهُ لأَنْضَجَه ، لأن معنى « آناهُ » بلَغ به إناهُ : أى إدراكَهُ ، قال الله عز وجل : ﴿ إلى طعامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إناهُ[1] ﴾ وتقول « أَنَى يَأْنِى إِنًى » إذا أَدْرَكَ ، « وآنَ يَئِينُ » مثلُه . وقولُه عز وجلّ : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ[2] ﴾ أى قد بلَغَ إناهُ .

وقولُه : « ما غَيَّرَ الغَلْىُ منه فهو مأكولُ » يقول : نحنُ أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا مِن فعلهم [العربُ لا تُنْضِجُ اللحمَ ، إمّا لاستعجالها للضَّيف ، وإما لأنَّ ذلك مستحبٌّ عندها ، فلذلك قال : « لا يُؤْنِيه » وقيل : لتعجيلِ القِرَى] .

وقوله « مُسَوَّمَةٍ » تكونُ على ضَرْبَيْنِ : أحدُهما : أن تكونَ مُعْلَمةً ،

---

(١) سورة الأحزاب (٥٣) .

(٢) سورة الرحمن (٤٤) .

والثانى : أن تكونَ قد أُسِيمَتْ فى المَرْعَى ، وهى ههنا مُعْلَمَةٌ ، وقد مَضَى هذا التفسيرُ .

⁂

وإنما أَخَذَ ما فى هذه الأبياتِ من بيتِ امرئِ القيسِ ، فإنه جَمَعَ ما فى هذه الأبياتِ فى بيتٍ واحدٍ ، مع فضلِ التقدُّمِ :

نَمُشُّ بأعْرَافِ الجِيادِ أكُفَّنا ... إذا نحْنُ قُمْنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدْرِكْ ، « ونمشُّ » نَمْسَحُ ، ويقال للمِنْدِيل « المَشُوشُ » ، وكانت العربُ تأْنَفُ الطِّيبَ ، وتَطْرَحُ ذلك فى حالتين : فى الحرب والصَّيْدِ ، قال النابغةُ :

سَهِكِينَ من صَدَإِ الحَدِيدِ كأنَّهُمْ ... تحْتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقَّارِ[1]

وقال آخر :

وأسيافُكمْ مِسْكٌ تحَلُّ أكُفَّكُمْ ... على أنَّها رِيحَ الدِّماءِ تَضُوعُ

[« تَضَوَّعُ » روايةٌ] معنى « تَضُوعُ » تَفُوحُ[2] .

⁂

ورُوِىَ عن ابنةِ هانئِ بن قَبِيصَةَ [ذَكَرَ يعقوبُ أنها ابنةُ قَيْسِ بن خالدٍ

(١) « السهك » بفتح السين والهاء : ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق ، ولولا لبسهم الدروع التى صدئت ماوصفهم بالسهك . و « السنور » بفتح السين والنون وتشديد الواو المفتوحة : جملة السلاح ، وخص بعضهم به الدروع . و « البقار » بفتح الباء وتشديد القاف : موضع معروف عندهم بكثرة الجن . وجاء البيت على الصواب فى لسان العرب مادة « ش هـ ل » وفى مادة « ش ن ر » « جبة البقار » وهو تصحيف . وانظر صفة جزيرة العرب (ص ١٢٤ س ٧ و ١٢٨ س ٧ و ١٥٤ س ١٢) .

(٢) فى حاشية ع : « ضاعَ الشىءَ يَضُوعُه : إذا هَزَّهُ . وأضاع الشىء : إذا أهلكه » .

الشيبانى . ش] : أنه لما قُتِلَ عنها لَقيطُ بن زُرَارَةَ بنِ عُدُسَ بن زيد بن عبدالله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَةَ فتزوَّجها رجلٌ من أهلها ، فكان لايزَالُ يراها تَذْكر لَقِيطًا ، فقال لها ذَات مَرَّةٍ : مااستحسنْتِ مِن لَقيطٍ ؟ فقالت : كُلُّ أمورِه كانتْ حسنةً ، ولكنى أُحَدِّثُك : أَنَّه خرجَ مرةً إلى الصيد وقد انْتَشَى ، فرجَعَ وبقميصه نَضْخٌ من دَمِ صيده ، والمِسْكُ يَضُوعُ من أَعْطافِهِ ، ورائحةُ الشَّراب مِنْ فيه ، فَضَمَّنِي ضَمَّةً ، وشَمَّنِى شَمَّةً ، فليتَنى كنت مِتُّ ثَمَّهْ !! قال : ففعل زوجُها مثلَ ذلك ، ثم ضمها إليه ، وقال أينَ أنا مِنْ لَقيطٍ ؟ فقالت : ماءٌ ولا كَصَدْاء ـ مثلُ « حَمْراء » ووزنُها «فَعْلاء» وموضع اللام همزة ، وهى بئر مُقَدَّمَةٌ ، واسمها ما ذكرنا عن الأصمعِيِّ وأبى عبيدة ، وكذلك سمعنا العربَ تقولهُ ، ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ ، ومثلُ ذلك : رجلٌ وَلاَ كَمالِكٍ [فما يُقال(١) : فتًى ولا كمالِكٍ ، وقد تقدم لأبى العباسِ : فَتًى ، وهو الصوابُ] يَعْنُونَ مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ ـ : ومَرْعًى ولا كالسَّعْدانِ .

☆

وحدثنى علىُّ بن عبد الله عن ابنِ عائشةَ قال(٢) : كان ذو الإِصْبَعِ العَدْوانىُّ رجلاً غَيُوراً ، وكانت له بناتٌ أربعٌ ، وكان لا يُزَوِّجُهُنَّ غَيْرَةً ، فاستمع عليهنَّ(٣) يوماً ، وقد خَلَوْنَ يَتَحَدَّثْنَ(٤) ، فقالت قائلةٌ منهنَّ : لِتَقُلْ

---

(١) قال المرصفى : « صوابه : إنما يقال » والذى ألجأه إلى هذا ظنه أن « ما » نافية ، ولكنها هنا موصولة ، والمعنى : فالذى يقال الخ .

(٢) انظر هذه القصة أيضا فى الأغانى (ج ٣ ص ٤ ــ ٥ ساسى و ج ٣ ص ٩٤ ــ ٩٦ دار الكتب) .

(٣) فى ج و د « إليهنّ » .

(٤) فى س « ليتحدثن » .

كلُّ واحدة منكنَّ مافى نفسِها ، ولْنَصْدُقْ جميعاً ،قال: فقالت كُبْرَاهُنَّ :

أَلا لَيْتَ زوْجِي من أُناسٍ ذَوِى غِنًى
حَديثُ الشَبابِ طيِّبُ النَّشْرِ والذِّكْرِ
لَصُوقٌ بأَكبادِ النِّساء كأنّه خَليفةُ جانٍ لا يُقِيمُ عَلَى هَجْرِ(١)

قال : وقالت الثانيةُ :

أَلاَ لَيْتَهُ يُعطَى الجمالَ بَدِيئةً له جَفْنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزْرُ(٢)
له حَكَاتٌ الدَّهرِ من غيرِ كَبْرَةٍ تَشِينُ فَلاَ فَانٍ وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ(٣)

[أَخْذُ التَّجارِبِ(٤)، وهو مأخوذٌ من حَكَمَةِ اللِّجام . ش] فَقُلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ سَيِّداً ! فقالت الثالثةُ :

أَلاَ هَلْ تَرَاهَا مَرَّةً وَحَلِيلُهَا أَشَمُّ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنَ المهنَّدِ
عَلِيماً بِأَدْوَاء النِّساء وَرَهْطُهُ إذاما انْتَمى منْ أهلِ بَيْتِي ومَحْتِدِى(٥)

[«حَلِيلُها» بفتح اللام وبالضم ، و «أشمُّ» مِثْلُهُ] فقلْنَ لها : أنتِ تُريدينَ ابْنَ عَمٍّ لكِ ، فقد عرَفْتِهِ ! وقُلْنَ للصغرى : ما تقولين ؟ فقالتْ : لا أَقولُ شيئًا ، فَقُلْنَ : لا نَدَعُكِ وذَاكِ أنَّكِ اطَّلَعْتِ على أسرارِنا وتَكتُمِينَ سِرَّكِ ! فقالت : زَوْجٌ من عُودٍ ، خَيْرٌ من قُعُودٍ ! ! قال : فَخُطِبْنَ فَزَوَّجهُنَّ جُمَعَ ، ثم أَمْهَلَهُنَّ حَوْلاً ، ثم زارَ الكُبْرَى ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟

---

(١) فى س « خليفة حان » .
(٢) فى س « بديهة » وهى بمعنى « بديئة » .
(٣) فى ج و د « من غير ريبة » . وفى حاشية ج « كبرة » وعليها علامة التصحيح .
(٤) هذا تفسير لقولها فى الشعر « حكمات » تريد : له أخذ التجارب .
(٥) بحاشية ج « فى أهل » .

قالتْ : خيرَ زَوْجٍ ، يُكرِمُ أهلَه ، ويَنْسَى فَضْلَهُ ، قال لهـا : فَمَا مالُكُمْ ؟ قالت : الإبلُ ، قال : وما هى ؟ قالت : نَأكُلُ لُحْمَانَها مُزَعًا[1] ، ونشربُ أَلْبانَها جُرَعًا ، وتَحْمِلُنا وضَعَفَتَنَا مَعًا ، فقال لها : زوجٌ كريمٌ ، ومالٌ عَمِيمٌ . ثم زار الثّانيةَ ، فقال لهـا : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ قالت : يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ، ويُقَرِّبُ الوَسِيلَةَ ، قال : فمـا مالُكُمْ ؟ قالت : البَقَرُ ، قال : وما هى ؟ قالت : تَأْلَفُ الفِناءَ ، وَتَمْلأُ الإناءَ ، وتُودِكُ السِّقاءَ ، وَنِساءٌ مَعَ نِسَاءٍ ، قال لهـا : رَضِيتِ وحَظِيتِ . ثم زارَ الثّالثةَ ، فقال لهـا : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : لاسَمْحٌ بَذِرٌ ، ولا بَخِيلٌ حَكِرٌ[2] ، قال : فمـا مالُكُم ؟ قالت : المِعْزَى ، قال : وما هى ؟ قالت : لو كُنَّا نُوَلِّدُها فُطُمًا ، ونَسْلَخُها أَدَمًا ، لم نَبْغِ بِهَا نَعَمًا ، فقال لهـا : جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ . ثم زار الرَّابعةَ ، فقال لها : كيفَ رأيتِ زوجَكِ ؟ فقالت : شَرُّ زَوْجٍ ، يُكرِمُ نفسَهُ ، ويُهِينُ عِرْسَهُ ، قال لهـا : فمـا مالُكُمْ ؟ قالت : شَرُّ مَالٍ : الضَّأْنُ ! قال لهـا : وما هُنَّ ؟ قالت : جُوفٌ لايَشْبَعْنَ ، وهِيمٌ لايَنْقَعْنَ ، وصُمٌّ لايَسْمَعْنَ ، وَأَمْرَ مُغْوِيَتِهِنَّ يَتْبَعْنَ ، فقال : أَشْبَهَ أَمْرُؤٌ بعضَ بَزِّهِ : [أشبَه أمْرَاً بعضُ بَزِّهِ = رواية] فأَرسَلَها مثلاً[3] .

---

(١) « مزعا » جمع « مزعة » بضم الميم ، وهى القطعة من اللحم .

(٢) « الحكر » : الذى لايزال يحبس سلعته حتى يبيع بالكثرة من شدة حكره ، والمراد به هنا البخيل المقتر . وفى ج و د « حصر » بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين ، من « الحصر » بفتحهما ، وهو البخل أيضاً .

(٣) قال المرصفى : « يضرب للمتشابهين أخلاقا ، والبزّ : متاع البيت من الثياب خاصة ، كنى به عن الضأن ، وهى متاع » .

*

قال عليُّ بن عبد الله : قلتُ لابنِ عائشةَ : ما قولها « وأمْرَ مُغْوٍ يَتبعهنّ يَتْبعْنَ » ؟ فقال : أمَا تَرَاهُنّ يَعْرُزْنَ فتسقطُ الواحدةُ منهنّ فى ماء أو وَحَلٍ وما أشبهَ[١] ذلك فَيَتْبَعْنَها إليه !

قولُ الثانيةِ : « له جَفنةٌ تَشْقَى بها النِّيبُ والجُزُرُ » فالنيبُ : جمعُ نابٍ ، وهى المُسنَّةُ ، وإنما قيلَ لها « نابٌ » لطُولِ نابِها . قال أوْسُ بنُ حَجَرٍ :

* تُشَبَّهُ نابًا وَهْيَ فى السِّنِّ بَكْرَةٌ[٢] *

وتقدير « نِيبٍ » من الفعل « فُعْلٌ » ، ولـكنْ ماكانَ من ذواتِ الياء كُسِرَ له موضعُ الفاء من الفعلِ لِتَصِحَّ الياء ، لأنَّ الياء إذا سَكَنَتْ وانضمَّ ما قبلَها كانت واواً فى الأصل ، نحو : «مُوقِن ومُوسِر» ، وإن فارَقَتْها الضَّمةُ عادتْ إلى أصلِها ، نحوُ قولك : «مَيَاسِيرُ» ، ومثلُ ذلك : «أبيضُ وبِيضٌ» ، وإنما «بِيضٌ» « فُعْلٌ » كـ«أحمَرَ وحُمْرٍ» و «أصفَرَ وصُفْرٍ» ، ولـكنْ كُسِرَتِ النونُ[٣] لتصحَّ الياء ، ولو كانت واواً فى الأصل لم تُغَيَّرْ ، نحوُ : «أسودَ وسُودٍ» . وقوله «نابٌ» تقديرها « فَعَلٌ » متحركةُ العينِ ، ولا تنقلبُ الياء ولاالواوُ ألِفًا إلاَّ وَهُما فى موضِع حركةٍ وماقبلَهمامفتوحٌ ، نحو : «بَاعَ وقَالَ

---

(١) فى س و د « أوما أشبه » .

(٢) بهامش ج « فى العين » وعليها علامة الصحة .

(٣) قال المرصفى : « الصواب كسرت الباء » وهو غير سديد ، فان أبا العباس يريد تصريف « نيب » التى هى أصل البحث .

ورَمَى وغَزَا » لأن التقديرَ « فَعَلَ » ، ولو كان على « فَعْلٍ » لَصَحَّتِ الياءُ والواوُ ، كما تقول : بَيْعٌ وقَوْلٌ ، و « فَعَلٌ » قد يَجمعونَه على « فُعْلٍ » كقولهم : أَسَدٌ وأُسْدٌ ، ووَثَنٌ ووُثْنٌ .

وقولها: « تَشقَى بها النِّيبُ والجُزُرُ » فإنَّما عَطَفَتْ أحدَهما على الآخرِ لأنَّ مِنَ الإبلِ ما يكونُ جَزُوراً للنَّحْرِ لا غَيْرُ .

وأمّا قولُها: « وَلاَ ضَرَعٌ غُمْرُ » فالضَّرَعُ : الضعيفُ ، والغُمْرُ : ٱلذى لم يُجرِّب الأمورَ(١) .

❁

ويُرْوَى : أَنَّ الحجاجَ لَمَّا وَرَدَ عليه ظَفَرُ المُهَلَّبِ بن أَبِى صُفْرَةَ وَقتْلُهُ عبدَ رَبِّهِ الصغيرَ وهَرَبُ قَطَرِىّ عنه ـ : تَمَثَّلَ فقال : لله دَرُّ المُهَلَّبِ ، واللهِ لَكَأَنَّهُ ما وَصَفَ لَقِيطٌ الإيادىُّ حيثُ يقولُ :

وَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمْ
رَحْبَ الذِّرَاعِ بِأَمْرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعَا(٢)

لاَ مُتْرِفًا إنْ رَخاءُ العَيْشِ سَاعَدَهُ ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ به خَشَعَا(٣)

ما زال يَحْلُبُ هذا الدَّهرَ أَشطُرَهُ يَكُونُ مُتَّبِعًا طَوْرًا ومُتَّبَعَا(٤)

---

(١) الغمر : يجوز فى أوله الحركات الثلاث .

(٢) «رحب الذراع» : كناية عن إطاقته وسعة قوته ، و «مضطلعا» : « مفتعلا» من الضلاعة ، وهى : قوة الأضلاع ، قاله المرصفى .

(٣) « مترفا » ضبط فى طبعة أوربة بكسر الراء وفتحها وكتب فوقه « معا » توكيداً لذلك . والذى فى كتب اللغة بين أيدينا بالفتح فقط قولا واحداً ، والمترف : المنعم المدلل المتوسع فى ملاذه وشهواته .

(٤) قوله « أشطره » : يريد شطريه ، فوضع الجمع موضع المثنى ، وذلك مستعار من شطرى الناقة ، يريد : أنه اختبر ضروب الدهر من خير وشر ، وحلو ومر ، تشبيها بأخلاف الناقة : ما كان منها حفلا وغير حفل ، ودارًّا وغير دار ، قاله المرصفى .

حَتّى أسْتَمَرَّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُرُّ العَزِيمَةِ لا رَثًّا ولاَ ضَرَعَا[1]

فقام إليه رجلٌ فقال : أيُّها الأميرُ ! واللهِ لكأنّي أسمعُ هذا التمثيلَ مِنْ قَطَرِيٍّ في المهلَّب ، فَسُرَّ الحجاجُ بذلك سروراً تبيَّنَ في وجهِه .

وقولُها : « كَنَصْلِ السَّيفِ عَيْنِ المُهَنَّدِ » فالمهنَّدُ : المنسوبُ إلى الهِنْدِ .

وقولها : « مِنْ أهلِ بيتِي ومَحْتِدِي » فالمَحْتِدُ : الأصلُ ، قال الشاعرُ :

وَفِي النَّمِرِ مِنْ قَحْطَانَ أوْلاَدُ حُرَّةٍ ... عِظَامُ اللُّهَا بِيضٌ كِرَامُ المَحَاتِدِ[2]

وقولُه : « مالٌ صَمِيمٌ » يقولُ : جامعٌ ، أخَذَهُ مِنْ « عَمَّ يَعُمُّ » .

وقولُه : « جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ » فالجِذْوُ : جمعُ « جِذْوَةٍ » وهي القِطْعَةُ ، وأصلُ ذلك في الخشَبِ ما كانَ منهُ فيه نارٌ ، قال اللهُ عز وجلَّ : ﴿ أوْ جِذْوَةٍ مِنَ النَّارِ[3] ﴾ وتجمعُ أيضا « جُذًا »[4] قال ابْنُ مُقْبِلٍ :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها ... جَزْلَ الجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

« الخوَّارُ » : الضعيفُ ، و « الدَّعِرُ » : الكثيرُ الثُّقَبِ ، يقالُ : عُودٌ دَعِرٌ .

وقولها : « جُوفٌ لاَ يَشْبَعْنَ » تقولُ : عِظَامُ الأجْوَافِ ، و « هِيمٌ لايَنْقَعْنَ » الهِيمُ : العِطَاشُ ، يكونُ الواحِدُ من هِيمٍ « أهْيَمَ » ، ويقالُ

(١) « المريرة » من الحبال : ماطال واشتد فتله ، و « استمرت » . استحكمت ، و « الشزر » الفتل إلى فوق ، ضرب ذلك مثلا لاستجماع قوته ، واستحكام عزيمته . و « الرث » ماسقط من المتاع .

(٢) « اللها » بضم اللام : جمع « لهوة » بضم اللام ، وهي العطية ، أي عظام العطايا . وضبطت في طبعة أوربة بفتح اللام ، وهو خطأ .

(٣) سورة القصص (٢٩) . وكلمة «جذوة» ضبطت الجيم فيها في طبعة أوروبة بالحركات الثلاث ، وهي بالفتح قراءة عاصم ، وبالضم قراءة حمزة ، وبالكسر قراءة باقي السبعة .

(٤) « جذاً » بكسر الجيم ، ويجوز أيضا ضمها .

فى هذا المعنى « هَيْمَانُ » . وقال بعضُ المفسّرِينَ فى قول اللّٰه عز وجل : ﴿ فشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ[1] ﴾ قال : هى الإبلُ العِطَاشُ ، وقال ذو الرُّمّة [يَصِفُ حميراً] :

فراحَتِ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرَائِرُها وقد نَشَحْنَ فلا رِىٌّ ولا هِيمُ

[« الحُقْبُ » : البِيضُ الأعجاز من الحَمِيرِ] ويقال « قَصَع صارَّتَهُ » إذا رَوِى ، والصَّارَّةُ : شِدَّةُ العَطَش ، « والنُّشُوحُ » أن تَشْرَبَ دُونَ الرِّىِّ ، يقال : نَشَحَ يَنْشَحُ ، ومثلُه : تَغَمَّرَ : إذا لم يَرْوَ ، ويقالُ للقَدَح الصغير : الغُمَرُ ، مِنْ هذا . وقال بعضُ المفسّرين : الهِيمُ : رِمَالٌ بعينها ، واحدتُها « هَيْماءُ » يافتى .

وقولُها : « لا ينْقَعْنَ » أى لا يَرْوَيْنَ ، يقال : ما[2] نَقَعَتْ ماشيةُ بنى فلانٍ بِرِىٍّ : إذا لم تَبْلُغْ من الماء حقّها ، ويقال للماء « النَّقْعُ » ويقالُ « النَّقْعُ » فى غير هذا الموضع : لِلْغُبارِ ، يقال : أثارُوا النَّقْعَ بينهم ، و« النَّقْعُ » اسمُ موضعٍ بعينِه ، قال الشاعرُ :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهِها مَساكِنَ ما بين الوَتَائِرِ والنَّقْعِ

[« الوَتَائِرُ » بالتاء منقوطةً باثنتين مِن فَوْقُ[3]] « والنَّقْعُ » : الصُّرَاخُ ، قال لَبِيدٌ :

فمَتَى يَنْقَعْ صُرَاخٌ صادِقٌ يُحْلِبُوهُ ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ[4]

---

(١) سورة الواقعة (٥٥) .

(٢) حرف « ما » زيادة من س و د ، ولم يذكر فى سائر النسخ ، والصواب إثباته .

(٣) الوتائر والنقع : موضعان قرب مكة .

(٤) يقال « حلب القوم حلبا وحلوبا » : اجتمعوا من كل وجه ، ومنه « أحلب بنو فلان مع بنى فلان » : إذا جاءوا أنصاراً لهم ، وهذا كله بالحاء المهملة . ويقال أيضا « أجلبه » بالجيم :

وقولُها « وصُمٌّ لا يَسْمَعْنَ » طَرِيفٌ من كلام العرب ، وذلك أنه يقالُ لكلِّ صحيحِ البَصَرِ ولا يُعْمِلُ بَصَرَه ـ : أعمى ، وإنما يُراد به أنه قد حَلَّ مَحَلَّ مَنْ لا يُبْصِر البَتَّةَ ، إذا لم يُعْمِلْ بَصَرَه ، وكذلك يقالُ للسَّمِيعِ الذى لا يَقْبَلُ : أَصَمُّ ، قال الله جلَّ ذِكره : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[1] كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها[2] ﴾ وكذلك : ﴿ إنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ[3] ﴾ وقولُه عزّ وجلّ : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعاءً ونِدَاءً[4] ﴾ .

وتقول العربُ : أَبْلَدُ ما يُرْعَى الضَّأْنُ ، ويقالُ : أَحْمَقُ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ ثَمَانِينَ [قولُه : « أحمقُ مِن رَاعِي ضأنٍ ثمانينَ » المَثَلُ لِكِسْرَى فى أعرابيٍّ خَيَّرَهُ فاخْتارَ ذلك ، ذكره أبو عُبَيْدٍ ، وهذا غيرُ ما أشارَ إليه أبو العباس] .

وتحدَّثَ عمرُو بن بَحْرٍ قال : كان يقالُ : لا ينبغى لعاقلٍ أن يُشَاوِرَ واحداً من خمسةٍ : القَطَّانُ ، والغَزَّالُ ، والمُعَلِّم، وراعى ضأنٍ ، ولا الرجلُ الكثيرُ المحادَثَةِ للنِّساء .

أعانه ، و « أجلبوا عليه » : إذا تجمعوا وتألبوا . وقد كتبت كلمة « يجلبوه » فى طبعة أوربة بالوجهين : بالجيم وبالحاء المهملة . والضمير فى هذا الفعل عائد إلى الصراخ ، يريد : أنهم إذا ماسمعوا صوت مستغيث نصروه بالرجال .

وفى س و د « وجاب » بدل « وزجل » .

والجرس ، والزجل ، والجلب : كلها : الصوت العالى .

(١) سورة البقرة (١٨ و ١٧١) .

(٢) سورة محمد (٢٤) .

(٣) سورة النمل (٨٠) وفى سورة الروم « فانك » (٥٢) .

(٤) سورة البقرة (١٧١) .

وقيلَ في مِثْلِ هذا : لا تَدَعْ أُمَّ صَبِيِّكَ تَضْرِبُهُ ، فإنه أَعقلُ منها ، وإن كان طِفْلاً .

وقال الأَحْنفُ بن قَيْس : إنّى لَأُجالِسُ الأَحمقَ السّاعةَ فأَتبَيَّنُ ذلك في عَقْلِي .

وقال جلّ ثناؤه في صفةِ النّساء : ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وهُوَ في الخِصامِ غيرُ مُبِينٍ[1]﴾ .

☆

وحُدِّثتُ : أنّ عُمرَ بن عبدِ الله بن أبي رَبيعةَ أتى المدينةَ فأقام بها ، ففي ذلك يقولُ :

يا خَلِيلَيَّ قد مَلِلْتُ ثَوائي ... بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقِيعا

فلمّا أراد الشُّخُوصَ شَخَصَ معه الأَحْوَصُ بن محمدٍ ، فلما نَزَلاَ وَدَّانَ صار إليهما نُصَيْبٌ ، فمضى الأَحْوَصُ لبعض حاجته ، فرَجَعَ إلى صاحِبَيْه ، فقال : إنّى رأيتُ كُثَيِّرًا بموضِعِ كذا ، فقال عمرُ : فابعثُوا إليه ليَصِيرَ إلينا ، فقال الأَحْوَصُ : أَهُوَ يَصِيرُ إليكم ؟ هو واللهِ أَعظَمُ كِبْرًا من ذلك ! قال : فإذاً نَصِيرُ إليه ، فصاروا إليه ، وهو جالسٌ على جِلْدِ كبشٍ ، فوالله ما رَفَعَ منهم أحداً ولا القُرَشِيَّ ! ثم أقبلَ على القُرَشيّ ، فقال : يا أَخا قُرَيْشٍ ! والله لقد قلتَ فأَحسنتَ في كثيرٍ من شعرك ، ولكن خَبِّرْنِي عن قولك :

قالتْ لها أُختُها تُعاتِبُها ... لا تُفْسِدِنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ

---

(١) سورة الزخرف (١٨) .

[كذا وقعت الرواية « لا تُفْسِدِنّ » على النَّهْى ، والصحيح « لتُفْسِدِنّ » على القَسَم ، كأنها قالت : واللهِ لَتفسدنّ] .

تُومِى تَصَدَّىْ له لِيُبْصِرَنَا ثم اغْمِزِيه يا أُخْتِ فى خَفَرِ
قالتْ لها قد غَمَزْتُهُ فأبَى ثم اسْبَطَرّتْ تَشْتَدُّ فى أثَرِي[1]

- : والله لو قد قلتَ هذا فى هِرَّةِ أهلِكَ ما عدَا[2] ! أردتَ أن تَنْسُبَ بها فنَسَبْتَ[3] بنفسك ، أهكذا يقالُ للمرأة ؟! إنما تُوصَفُ بالخَفَرِ ، وأنها مطلوبةٌ ممتنِعةٌ ، هَلاَّ قُلْتَ كما قال هذا ؟ وضرب بيده على كَتِفِ الأحْوَصِ :

أدُورُ وَلَوْلاَ أنْ أرَى أُمَّ جَعْفَرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدُورُ
وما كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذَا الهوَى إذا لم يُزَرْ لا بُدَّ أنْ سَيَزُورُ
لقد مَنَعَتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ وإنّى إلى معروفِهـــــا لَفَقِيرُ

قال : فامتلأَ الأحوصُ سروراً ، ثم أقبلَ عليه فقال : يا أحْوَصُ ! خبِّرْنِي عن قولك :

فإنْ تَصِلِي أَصِلْكِ وإنْ تَعُودِي لِهَجْرٍ بَعْدَ وَصْلِكِ لا أُبالِي

أما واللهِ لو كنتَ من فُحول الشعراء لَبالَيْتَ ! هلاَّ قلتَ مثلَ ما قال هذا ؟ وضَرَبَ بيده على جَنْبِ نُصَيْبٍ :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أنْ يَظْعَنَ الرَّكْبُ وَقُلْ : إنْ تَمَلِّينا فَما مَلَّكِ القَلْبُ[4]

---

(١) اسبطرت : أسرعت .
(٢) « ماعدا » يريد : ماعداك الانتقاد ، فحذف لفهم السامع مايريد ، قاله المرصفى .
(٣) فى ج و د « أن تُشَبِّبَ بها فتَشَبَّبْتَ » .
(٤) فى ج و د « أن يرحل » .

قال : فانتفخ نُصَيْبٌ ، ثم أقبلَ عليه فقال له : ولكنْ أخبرني عن قولك يا أسْوَدُ ؟ :

أهيمُ بدَعْدٍ ماحَيِيتُ وإنْ أمُتْ ... فَوَاحَزَنَى مَنْ ذَا يَهِيمُ بِها بَعْدِي؟!

كأنَّك اغْتَمَمْتَ أن لا يُفْعَلَ بها بَعْدَك !! ولا يَكْنِي ، فقال بعضُهم لبعض : قوموا فقد استَوَتِ القِرْقَةُ[1] ، وهي لُعْبَةٌ على خُطُوطٍ ، فاستواؤها انقضاؤها . [قال أبو الحسن : « الطِّبِينُ » هي السُّدَّرُ ، فإذا زيدَ في خُطوطِه سمَّتْه العربُ « القِرْقَةَ » وتسميِه العامّة « السُّدَّرَ »] .

⁂

قال : وحُدِّثتُ : أن كُثَيِّرًا دَخَل على عبد الملك بن مَرْوانَ وعندَه الأخطلُ ، فأنشده ، فالتفتَ عبدُ الملك إلى الأخطل ، فقال : كيف تَرَى ؟ فقال : حجازيٌّ مُجَوَّعٌ مَقْرُورٌ[2] ، دَعني أضْغَمْهُ يا أميرَ المؤمنين ! فقال كُثَيِّرٌ : مَنْ هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال له : هذا الأخطلُ ، فقال له كُثَيِّرٌ : مَهْلاً ! فهلاَّ ضَغَمْتَ الذي يقول[3] ؟ :

لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً في تَغْلِبٍ ... فالزَّنْجُ أكْرَمُ منهمُ أخْوالاَ

والتَّغْلِبِيُّ إذا تَنَحْنَحَ للقِرَى ... حَكَّ اسْتَهُ وتَمَثَّلَ الأمْثالاَ

[« أخوالاً » منصوبٌ على الحالِ ، ومن زعم أنه تمييزٌ فقد أخطأ] فسكتَ الأخطلُ فما أجابه بحرفٍ .

---

(١) « القرقة » بقافين .

(٢) قال المرصفي : « مقرور : من : قُرّ الرجل ، بالبناء لما لم يسم فاعله : أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد ، يريد أن شعره بارد ولا دسم فيه » .

(٣) هو جرير .

قال أبو العباس : سمعتُ مَنْ يُنْشِدُ هذا الشعرَ « والتَّغلِبِيُّ إذا تُنُبِّحَ لِلقِرَى[1] » ، وهو أبلغُ .

قال : وخُبِّرْتُ : أن نُصَيْبًا نزلَ بامرأةٍ تُكْنَى أمَّ حَبيبٍ ، من أهل مَلَلٍ ، وكانتْ تُضِيفُ بذلكَ الموضِع وتَقْرِى ، ولا يزالُ الشريفُ قد نَزَل بها فأَفْضَلَ عليها الفضْلَ الكثيرَ ، ولا يزالُ الشريفُ ممن لم يَحْلُلْ بها يَتَناوَلُها بالبِرِّ ، لِيعينَها عَلَى مُرُوَّتِها ، فنزلَ بها نُصَيْبٌ ومعه رجُلانِ من قريشٍ ، فلما أرادُوا الرِّحْلَةَ عنها وَصَلَهَا القُرَشِيَّانِ ، وكان نُصيبٌ لا مالَ معه فى ذلك الوقتِ ، فقال لها : إنْ شئْتِ فَلَكِ أن أُوَجِّهَ إليكِ بمثلِ ما أعطاكِ أحدُهما ، وإن شئْتِ قلتُ فيكِ شعراً ، فَغَزِلَتْ أمُّ حَبيبٍ [أى : مالت إلى أن يَتَغزَّلَ بها] فقالتْ : بل الشِّعْرَ ! فقال :

أَلاَ حَيِّ قبلَ الْبَيْنِ أمَّ حَبيبِ ... وإنْ لم تكنْ مِنَّا غدًا بقَريبِ
وإنْ لم يكن أَنِّى أُحِبُّكِ صادقًا ... فما أحدٌ عندِى إذًا بحَبيبِ[2]
تَهامٍ أصابتْ قلبَه مَلَلِيَّةٌ ... غَريبُ الهَوَى وَاهًا لكُلِّ غَريبِ

وحُدِّثْتُ : أن نُصيبًا أَتَى عبدَ المِلكِ فأنشدَه ، فاستحسَنَ عبدُ الملكِ شِعْرَه وسُرَّ به[3] ، فوصَلَه ، ثم دَعَا بالغَدَاء فَطَعِمَ معه ، فقال له عبدُ الملكِ : يا نُصيبُ ! هل لكَ فيما يُتَنادَمُ عليه ؟ فقال : ياأميرَ المؤمنين ! تأمَّلْنِي ،

---

(١) « تنبح » أى تنبحته الأضياف : ينبحون نباح الكلب فتجيبهم كلاب الحىّ ، قاله المرصفى .
(٢) فى ح « فان لم أكن أنى » الخ .
(٣) فى ب و س « وسره » .

قال : قد أراكَ ! فقال : يأميرَ المؤمنين ! جِلْدِى أسْوَدُ ، وخَلْقِى مُشَوَّهٌ ، ووجهِى قَبيحٌ ، ولستُ فى مَنْصِبٍ ، وإنما بَلَغَ بِى مُجالَستَكَ ومؤاكَلَتَكَ عَقْلِى ، وأنا أكرهُ ـ يأميرَ المؤمنين ـ أن أُدْخِلَ عليه ما يَنْقُصُهُ ! فأعجبه كَلاَمُه ، فأعْفاهُ .

وقال الوليدُ بنُ عبدِ الملك للحجاجِ ، فى وَفْدَةٍ وفَدَها عليه ، وقد أَكَلاَ : هل لَكَ فى الشراب ؟ فقال : يأميرَ المؤمنين ! ليسَ بحرامٍ ما أَحْلَلْتَهُ[١] ، ولكنِّى أمنعُ أهلَ عَمَلِى منه ، وأَكرهُ أن أُخالِفَ قولَ العبدِ الصَّالِحِ : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ[٢]﴾ فأعفاهُ .

❁

وقال مَسْلَمَةُ بن عبد الملك يوما لنُصيبٍ : أَمْتَدَحْتَ[٣] فلانًا ؟ لِرَجُلٍ مِنْ أهلِه ، فقال : قد فعلتُ ، قال : أَوَ حَرَمَكَ ؟ قال : قد فعلَ ، قال : فهلاَّ هَجَوْتَه ؟ قال : لم أفعَلْ ، قال : ولِمَ ؟ قال : لِأَنِّى كنتُ أَحَقَّ بالهِجَاء منه ! إذْ رَأَيْتُهُ موضِعًا لِمَدْحِي ! فأُعْجِبَ به مسلمةُ ، فقال : اسْئَلْنِى ، قال : لا أفعَلُ ! قال : ولِمَ ؟ فقال : لأنَّ كَفَّكَ بالعطيَّةِ أجْوَدُ مِن لسانِى بالمسْئَلَةِ ! ! فوهَبَ له ألفَ دينارٍ .

وحُدِّثْتُ : أنَّ الكُمَيْتَ بنَ زيدٍ أنْشَدَ نُصَيْبًا فاستَمَعَ له ، فكان فيما أنشدَهُ :

---

(١) لو صحت هذه القصة لكانت كفراً من الوليد والحجاج ، والعياذ بالله ، ولسنا نظن بهما ذلك .

(٢) سورة هود (٨٨) .

(٣) فى ب و س « أمدحت » وهو الذى فى طبعات مصر .

وقد رأينا بِهَا حُـوراً مُنَعَّمَةً بِيضاً تَكَامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ(١)

فَثَنَى نُصَيبٌ خِنْصَرَهُ ، فقال له الكُمَيْتُ : مَا تَصْنَعُ ؟ فقال : أُحْصِي خَطَأَكَ ! تَبَاعَدْتَ في قولك : « تَكَامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ » هلاَّ قلتَ كما قالَ ذُو الرُّمَّةِ ؟ :

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنَبُ(٢)

ثم أنشده في أُخْرَى :

كَأَنَّ الغَطَامِطَ مِنْ جَرْيِهَا أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارَا(٣)

[وَقَعَتِ الرِّوايةُ « مِنْ جَرْيِهَا » وصوابهُ « مِنْ غَلْيِهَا » لأنه يَصِفُ قِدْرًا فيه لحمٌ ، فشبَّه غَلَيَانَ القِدْرِ وارتفاعَ اللَّحم فيه بالمَوْجِ الَّذي يرتفع] فقال له نُصيبٌ : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفَارًا قطُّ ، فاستحيا الكُمَيتُ فسَكَتَ ! .

قال أبو العباس : والَّذي عابه نُصيبٌ من قوله : « تَكَامَلَ فيهَا الدَّلُّ والشَّنَبُ » قبيحٌ جِدًّا ، وذلك أنَّ الكلامَ لم يَجْرِ على نَظْمٍ ، ولاَ وَقَعَ(٤) إلى جانب الكلمةِ ما يُشَاكِلُهَا ، وأوَّلُ ما يَحتاجُ إليه القولُ أن يُنْظَمَ على نَسَقٍ ، وأن يُوضَعَ على رسم المُشَاكلةِ .

☸

وخُبِّرْتُ : أنَّ عُمَرَ بن لَجَإٍ قال لابن عمٍّ له : أنا أَشْعَرُ منك ، قال له :

---

(١) « الشنب » . عذوبة الأسنان ورقتها .

(٢) « الحوة » : حمرة تضرب إلى سواد قليلا ، وكذلك « اللعس » .

(٣) « الغطامط » ضبطت في طبعة أوربة بفتح الغين في أولها وضمها ، وكتب فوقها « معا » . وكلاهما صواب ، فهي بالفتح جمع « غطمطة » وهي اضطراب موج البحر ، أو غليان القدر ، ونحو ذلك ، وهي بالضم : مما يوصف به البحر إذا كان عظيم الموج .

(٤) في ج و د « ولم يقع » .

وكيفَ ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنتَ تقولُ البيتَ وابنَ عمّه !

وأنشد عَمْرُو بن بَحْرٍ :

وَشِعْرٍ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرّقَ بينَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فى القَرِيضِ دَخِيلُ

وبَعْرُ الكبش يقعُ مُتفرّقًا ، فمن ذلك قولُ ابنةِ الحُطَيْئة له ، لمّا نزلَ فى بنى كُلَيْبِ بنِ يَرْبُوعٍ - : تركْتَ الثّروةَ والعَدَدَ ، ونزلت فى بنى كُلَيْبٍ : بَعْرِ الكَبْشِ !

يقال « بَعْرٌ وبَعَرٌ » و « شَعْرٌ وشَعَرٌ » و « شَمْعٌ وشَمَعٌ » ويقالُ للصَّدْرِ « قَصٌّ وقَصَصٌ » وكذلك « نَهْرٌ ونَهَرٌ » .

وزعم الأَصمعىُّ : أنه سأَلَ أعرابيًّا ، وهو بالموضع ألّذى ذكرهُ زُهَيْرٌ :

ثم استمَرُّوا وقالوا إنّ مَشرَبكُمْ ماءٌ بِشَرْقِيِّ سَلْمَى : فَيْدُ أَوْ رَكَكُ[1]

قال الأصمعىُّ : فقلتُ لأعرابيٍّ : أتعرفُ رَكَكًا ؟ فقال : لا ، ولكنْ قد كان هٰهنا ماءٌ يُسمّى رَكًّا .

فهذا ليستْ فيه لغتانِ ، ولكِنِ الشاعرُ إذا احتاجَ إلى الحركة أتبعَ الحرفَ المتحرّكَ ألذى يليه الساكنُ مايشاكلُه ، فحرّكَ الساكنَ بتلك الحركة . قال عبدُ منافِ بن رِبْعٍ [ش : رِبْعِيٍّ[2]] الهُذَلِىُّ :

إذا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قامَتا معَهُ ضَرْبًا أليمًا بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدَا[3]

---

(١) « فيد » موضع قريب من سلمى أيضا ، والبيت رواه الهمدانى فى صفة جزيرة العرب (ص ٢٢٣ س ٢٥ و ص ٢٣١ س ٣) .

(٢) قال المرصفى : « قول الأخفش : ربعىّ : خطأ » .

(٣) « النوح » . النياحة ، و « السبت » بكسر السين وسكون الباء : الجلد المدبوغ ، وكنّ نساء العرب يلطمن فى المناحة على خدودهنّ بالجلود .

يريدُ « الجِلْدَ » فهذا مُطَّرِدٌ [قال ابنُ القُوطِيَّةِ : لَعَجَ الحُبُّ قلبَه ، والصَّرْدُ جَسَدَه ـ : أحرقَه[١]] .

ومِن مَذاهِبِهم المطَّرِدَةِ فى الشِّعر أن يُلْقوا على الساكنِ الذى يَسْكُن ما بَعدَه للتَّقييدِ ـ : حركَةَ الإِعرابِ ، كما قال الراجزُ [قال ابنُ السِّيدِ : أحسِبه لِعَبِيدِ بن مَاوِيَّةَ] :

﴿ أنا ابنُ مَاوِيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقُرْ ﴾

يريدُ « النَّقْرْ » يا فتى ! وهو : النَّقْرُ بالخيل ، فلما أَسْكَنَ الرَّاءَ أَلْقَى حركتَها على الساكنِ الَّذى قبلَها [النَّقِيْرُ : صُوَيْتٌ باللسانِ يُسَكَّنُ به الفرسُ إذا اضطَرَبَ بفارسه ، قال امرؤُ القيسِ :

أُخَفِّضُهُ بالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ ... وَيَرْفَعُ طَرْفًا غيرَ جافٍ غَضِيضِ]

وشَبيهٌ بهذا قولُهُ :

عَجِبْتُ والدَّهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ ... مِن عَنَزِيٍّ سَبَّنِي لم أَضْرِبُهْ

أرادَ : «لم أَضرِبْهُ» ، يافتى ! فلما أسكن الهاءَ أَلْقَى حركتَها على الباء ، وكان ذلك فى الباء أحسنَ ، لخفاء الهاء .

وقال أبو النَّجْمِ :

﴿ أقولُ قَرِّبْ ذَا وهذا أَزْحِلُهْ ﴾

يريدُ « أَزْحِلْهُ » يافتى ! [أقول : قَرِّبْ ذَا وهـــــذاكَ أَزْحَلْهْ . كذا عن ش[٢]] .

(١) « الصرد » بسكون الراء : شدة البرد . ونسبة الاحراق إليه مجاز .

(٢) «زحل» عن مقامه ، من باب «منع» بالحاء المهملة : تنحى ، و«أزحله» و «زحله ترحيلا» :

وقال طَرَفَةُ :

حَابِسِي رَبْعٌ وقفتُ بِهِ ... لو أُطِيعُ النَّفسَ لم أَرِمْه[1]

ولم يَلزَمْهُ رَدُّ الياء لمّا تحركت الميمُ ، لأن تحرُّكَها ليس لها على الحقيقة ، وإنما هي حركةُ الهاء .

٭

وأمّا قولُ الشاعر :

حديثُ بَنِي بَدْرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... كَنَزْوِ الدَّبَى في العَرْفَجِ المُتَقَارِبِ[2]

ــ : فليس كقوله « وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ » وَلكنّه وصَفَهم بضُئُولةِ الأصواتِ وسُرعةِ الكلامِ وإدخال بعضِه في بعض .

والذي يُحْمَدُ الجَهَارَةُ والفَخامة . وأُنْشِدْتُ لرجل قال يَمدحُ الرّشيدَ :

جَهِيرُ الكلامِ جَهِيرُ العُطَاسِ ... جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّغَمْ[3]

ويَخْطُو على الأيْنِ خَطْوَ الظَّلِيمِ ... ويَعْلُو الرِّجالَ بِخَلْقٍ عَمَمْ[4]

أبعده . ومن هذا يظهر خطأ الأخفش في روايته « ازحله » متعديا من الثلاثي ، وأشد من خطئه خطأ الشيخ المرصفي ، في جعله الفعلين بالجيم ، من « زجل الحمام يزجله » بمعنى أرسله ! لأن أبا النجم إنما يتحدث عن الخيل ، يقول : قرب هذا وأبعد هذا .

(١) في د « لو أطعت النفس » . وقوله « لم أرمه » : أصله بكسر الراء وسكون الميم ، أي : لم أبرحه ، يقال « رام المكان يريمه ريما » : برحه وفارقه .

(٢) « الدبا » بفتح الدال : صغار الجراد ، واحدته « دباة » بفتح الدال وتخفيف الباء ، ونزوها : وثوبها ، والعرفج : نبت لا يطول ، سريع الالتهاب .

(٣) « الرواء » بالضم والمدّ : المنظر الحسن ، وجهارته : وضاءته . و « النغم » بفتح النون : اسم جمع للنغمة ، وهي جرس الكلمة وحسن الصوت . وضبطت في طبعة أوربة بفتح النون وبكسرها ، وكتب عليها « معاً » ولكني لم أجد وجها لصحة كسرها ، فلذلك لم أثبته .

(٤) « الظليم » : الذكر من النعام .

[الرجلُ : هو العُمَانيُّ الشاعرُ ، وقولُه « عَمَمٌ » أي : جَسِيمٌ ، « والأَيْنُ » الإعْيَاء ، ويكونُ « الأيْنُ » الحَيَّةُ ، وهى « الأَيمُ » .

ويروى : أن الرشيدَ كان يَأْتزِرُ في الطَّوافِ فيُذَنِّبُ إزارَه ويباعد بين خُطاهُ ، فإذا رجَعَ بيده كاد يُفْتِنُ مَنْ يراهُ ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشِّعرِ .

ويروى : أنّ عائشةَ رحمها الله نظرَتْ إلى رجل مُتماوِتٍ ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحَدُ القُرّاء ! فقالت : قد كان عمرُ بن الخطابِ قارئًا ، فكان إذا قال أَسْمَعَ ، وإذا مَشَى أسرعَ ، وإذا ضرب أَوْجَعَ !

ويروى : أنّ عمرَ بن الخطاب رحمه الله نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُّسُكِ مُتَماوِتٍ ، فَخَفَقَهُ بالدِّرّةِ ، وقال : لا تُمِتْ علينا دِينَنَا ، أماتَكَ اللهُ !

ويروى : أنّ عبدَ الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس أتته وُفودٌ من الرُّوم ، وقام السِّمَاطَانِ ، فأُتِيَ برجلٍ منهم ، وعَطَسَ أحَدُ مَنْ في السِّمَاطَيْنِ فأخْفَى عَطْسَتَهُ ، فقال له عبدُ الملك ـ لَمّا انقضى أمرُ الوَفْدِ : هلاَّ إذْ كنتَ لَئِيمَ العُطاسِ أَتْبَعْتَ عَطْسَتَكَ صيحةً حتّى تخْلَعَ بها قَلْبَ العِلْجِ !!

وكان العباسُ بن عبد المطلب رحمه الله ـ : أجهرَ الناسِ صوتًا ، ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لَمّا انهزمَ الناسُ يومَ حُنَيْنٍ : « ياعباسُ ! اصْرُخْ بالناس » .

ويروى : أنّ غارةً أتَتْهُم يومًا ، فصاح العباسُ : ياصَبَاحَاهْ ! فاستَسْقَطَتِ الحواملُ ، لشدةِ صوته .

وقد طُعِنَ فى قول النّابغة الجَعْدِىّ :

[وأزْجُرُ الكاشِحَ العَدُوّ إذا اغـتابَكَ عندِى زَجْرًا على أضَمِ](١)

زَجْرَ أبِي عُرْوَةَ السِّباعَ إذا أشْفَقَ أنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ

وذلك أنّ الرُّواةَ احتملتْ هذا البيتَ على أنه كان يَزْجُرُ الذّئابَ ونحوَها ، مما يُغِيرُ على الغَنَم ، فيَفْتُقُ مَرارَةَ السَّبُعِ فى جَوْفه [يُروى « زَجْرَ أبى عُرْوَةِ السِّباعِ » بخفضِ « السباعِ » كما قيل « قَيْسُ الرُّقَيّاتِ » فصارَ على هــذا يعرفُ بأبى عُرْوة السِّباعِ ، مثل ذلك] فقال مَنْ يَطْعَنُ فى هذا(٢) : السَّبُعُ أشدُّ أيْدًا(٣) من الغَنَمِ ، فإذَا فعَلَ ذلك بالسبعِ هَلَكتِ الغنمُ قبلَه ، فقال مَنْ يحتجّ له : إنّ الغنمَ كانتْ قد أَلِسَتْ بهذا منه ، والصوتُ الرّائعُ أُنْسٌ لِمَنْ أَنِسَ به ، كالرّعْدِ القاصِفِ الذى لَوْلا خَشْيَةُ صاعِقَتِه لم يُفْزِع كبيرَ فَزَعٍ ، ولو جاء أقلُّ منه مِن جَوْفِ الأرضِ لَذَعَرَ ، ولم يَبْعُدْ أنْ يَقْتُلَ ، إذا أتَى مِن حيثُ لم يُعْتَدْ .

وجملةُ هذا البيتِ : أنه وَصَفَ شدّةَ صوتِ المذكورِ ، وتأويلُه : أنه مِن تَكاذِيبِ(٤) الأعْرابِ !

***

وحُدِّثْتُ : أنّ الحسنَ نَظَرَ إلى رجلٍ يَجُودُ بنفسه ، فقال : إنّ أمْرًا

(١) « الأضم » : الحقد والغضب .

(٢) فى ع و د « فقال الطاعن عليه فى هذا القول » .

(٣) الأيد : القوة .

(٤) فى س « أكاذيب » .

هذا آخِرُهُ لَجديرٌ بأن يُزْهَدَ فى أوَّلِهِ ، وإنّ أمرًا هذا أوَّلُهُ لجديرٌ أن يُخَافَ آخِرُهُ .

وقيلَ لرجلٍ من أشرافِ العَجَم ، فى عِلَّته التى ماتَ فيها — : ما بكَ ؟ قال : فِكْرٌ عجيبٌ[١] ، وحَسْرةٌ طَوِيلةٌ ! فقيل : مِمَّ ذاكَ ؟ فقال : ما ظَنُّكُمْ بمَنْ يقطَعُ سفَرًا قفْرًا بلا زادٍ ، ويسكنُ قبرًا مُوحِشًا بلا مُؤْنِسٍ ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادلٍ[٢] بلا حُجَّةٍ ؟ !

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الورّاقُ :

بأىِّ اعتذارٍ أمْ بأيَّةِ حُجَّةٍ … يقولُ الذى يَدْرِى مِنَ الأَمْرِ لا أدْرِى[٣]
إذا كانَ وَجْهُ العُذْرِ ليسَ بِبَيِّنٍ … فإنَّ اطِّرَاحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبَةَ[٤] مِن أمرٍ بلغه عنه ، فعَذَرَهُ ، ثم قال له : يا هذا ! لا يَحْمِلَنَّكَ الخروجُ من أمرٍ تخلَّصْتَ منه على الدُّخولِ فى أمرٍ لعلكَ لا تخلَّصُ منه .

وقيلَ لخالد بن صَفْوَانَ : أىُّ إخوانِكَ أحبُّ إليك ؟ فقال : الذى يَسُدُّ خَلَلِى ، ويَغْفِرُ زَلَلِى ، ويَقْبَلُ عِلَلِى .

وافْتَقَدَ عبــدُ الله بن جعفر بن أبى طالب صَدِيقًا له مِن مجلسه ،

(١) فى ج و د « فــكرة عجيبة » .
(٢) فى د « عدل » .
(٣) فى س و د « ماأدرى » .
(٤) « سلم » بفتح السين وسكون اللام ، و « قتيبة » بالتصغير . وقد وهم الشيخ المرصفى فظن أنه « سلم بن قتيبة نزيل البصرة » وهو الخراسانى الشعيرى الراوى المتوفى سنة ٢٠٠ ، وليس كذلك ، بل هو « سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى » الأمير ، وكان ثقة عابداً ، ولى — فيما ولى — البصرة وخراسان ، ومات سنة ١٤٩ .

ثم جاءه، فقال [له (1)] : أين كانتْ غَيْبَتُكَ ؟ فقال : خرجتُ إلى عُرْضٍ (2) من أعْرَاضِ المدينةِ معَ صديقٍ لى ، فقال له : إنْ لم تَجِدْ مِن صُحبةِ الرِّجالِ بُدًّا ، فعليك بصحبةِ مَنْ إنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ ، وإنْ خَفَفْتَ له صانَكَ ، وإنِ احتجتَ إليه مَانَكَ (3) ، وإنْ رأَى منك خَلَّةً سَدَّها ، أو حَسَنَةً عَدَّها ، وإن وَعَدَكَ لم يُجْرِضْكَ (4) ، وإن كَثُرْتَ عليه لم يَرْفُضْكَ ، وإن سألتَه أعطاكَ ، وإن أمْسَكْتَ عنه ابتَدَاكَ .

(5) وامتدَحَ نُصَيْبٌ عبدَ الله بن جعفرٍ ، فأمَرَ له بخيلٍ وإبلٍ وأثاثٍ ودنانيرَ ودراهِمَ ، فقال له رجل : أمِثْلُ هذا الأَسوَدِ يُعْطَى (6) مثلَ هذا المالِ ؟ فقال له عبدُ الله [بن جعفرٍ (7)] : إنْ كان أسودَ فإنّ شِعْرَهُ لأَبْيَضُ ، وإنّ ثناءه لَعَرَبِيٌّ ، ولقد استحقَّ بما قالَ ، أكثرَ ممّا نالَ ، وهل

---

(1) كلمة « له » زيادة من ج و س و د .

(2) « عرض » بكسر العين وبضمها ، والمراد به هنا : أطراف المدينة أو ضواحيها .

(3) « مانك » : احتمل مؤونتك وقام بكفايتك .

(4) « يجرضك » بالجيم ، من « الجرض » بفتح الراء ، وهو الريق ، يقال « أجرضه بريقه » أى أغصه ، وهو هنا كناية .

وفى ا « يحرضك » بالحاء المهملة ، وهى التى شرحها الشيخ المرصفى ، وفسرها بأنها من « أحرضه المرض » : إذا أشفى منه على الموت ، يريد : لم يجهدك بكثرة خلف الوعد . والمعنيان متقاربان .

(5) هنا فى طبعات مصر زيادة « قال أبو العباس » وليست ثابتة فى طبعة أوربة المطبوعة عن أصول مخطوطة صحيحة .

(6) فى ج و د « أمثلَ هذا الأسودِ تُعْطِى » .

(7) الزيادة من ج و س و د .

أعطيناهُ إلاّ ثِياباً تَبْلَى ، ومَالاً يفْنَى ، ومَطايا تُنْضَى [١] ، وأعطانا [٢] مَدْحًا يُرْوَى ، وثناءً يَبْقَى ؟!

وقيلَ لعبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ : إنكَ لتَبْذُلُ الكثيرَ إذا سُئِلْتَ ، وتُضيِّقُ في القليلِ إذا تُوجِرْتَ ؟ فقال : إني أبْذُلُ مالِي ، وأضَنُّ بعقلِي .

وقيل ليزيدَ بنِ معاويةَ : ما الجودُ ؟ فقال : إعطاءُ المالِ مَنْ لاتعْرِفُ ، فإنه لايَصِيرُ إليه حتَّى يتَخَطَّى مَنْ تَعرِفُ .

وخُبِّرْتُ عن رجلٍ [٣] من الأنصارِ قال لابنِ عبدِ الرحمن بن عوفٍ : ما تَرَكَ لكَ أبوكَ ؟ قال : تَرَكَ لي مَالاً كثيراً ، فقال : ألا أُعلِمُكَ شيئاً هو خيرٌ لكَ مما تَرَكَ [لك] [٤] أبوكَ ؟ : إنه لا مالَ لعاجزٍ ، ولا ضَيَاعَ على حازمٍ ، والرَّقيقُ جَمَالٌ ، وليس بمَالٍ ، فعليكَ من المالِ بما يَعُولُكَ ولا تَعُولُهُ .

وقال معاويةُ : الخَفْضُ والدَّعَةُ سَعَةُ المنزلِ وكثرةُ الخَدَمِ [٥] .

وقيل لخُرَيْمٍ المُرِّيِّ ، وهو المُنَبَّزُ [٦] بخُرَيْمٍ النَّاعِمِ : ما النِّعْمَةُ ؟ فقال : الأمْنُ ، فانه ليس لخائفٍ عيشٌ ، والغِنَى ، فإنه ليس لفقيرٍ عيشٌ ، والصِّحة ، فإنه ليس لسَقِيمٍ عيشٌ ، قيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قال : لامَزِيدَ بعدَ هذا .

---

(١) تنضى : تهزل من كثرة ركوبها .
(٢) في ج و د « وأعطانا هو » .
(٣) في ج و س و د « أن رجلا » .
(٤) الزيادة من ج و د .
(٥) في ج و س و د « الخدّام » .
(٦) المنبز : الملقب .

وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ : الشَّبابُ الصحةُ ، والسلطانُ الغِنَى ، والمروءةُ الصَّبرُ على الرِّجالِ .

وقال المُهلَّبُ بن أبي صُفْرةَ : العَجَبُ لمن يَشترِى المماليكَ بماله ، ولا يَشترِى الأحرارَ بمعروفِهِ ! وكان يقولُ لبَنِيهِ : إذا غَدَا عليكم الرجلُ وراحَ مُسَلِّمًا ، فكَفَى بذلك تقاضِيًا .

وقال خالدُ بن عبد الله القَسْرىُّ : مَحْضُ الجُودِ مالم تَسْبِقْهُ مسئلةٌ ، ومالم يَتْبَعْهُ مَنٌّ ، ولم يُزْرِ بهِ قِصَرٌ ، ووافَقَ موضعَ الحاجة .

وقال بعض المُحْدَثين ، وهو [حبيبٌ[1]] الطائىُّ :

أسائِلَ نَصْرٍ لاَ تَسَلْهُ فإنه ... أحَنُّ إلى الإرْفادِ منك إلى الرِّفْدِ[2]

وقال آخرُ ، وهو أبو العَتاهِيَةِ :

لاتَسْأَلَنَّ المَرْءَ ذاتَ يَدَيهِ ... فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَنْ رَغِبْتَ إليهِ

ألمَرْءُ مالم تَرْزَهُ لك مُكْرِمٌ ... فإذَا رَزَأْتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ

وكما يكون لَدَيْكَ مَنْ عاشَرتَهُ ... فكَذاكَ فارْضَ بأنْ تكونَ لَدَيهِ

☆

ودخل النَّخَّارُ العُذْرِىُّ[3] على معاوية فى عَباءةٍ ، فاحتقَره [معاويةُ][4] ، فرأى ذلك النَّخَّارُ فى وجهه ، فقال له : ياأميرَ المؤمنين ! ليستِ العباءةُ تُكَلِّمُكَ ، إنما يكلِّمك مَنْ فيها ! ثم تكلَّمَ فَمَلأَ سَمْعَهُ ، ثم نهض ولم يَسْأَلْهُ ،

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) فى حاشيته ج « أهش » بدل « أحن » .

(٣) « النخار » بفتح النون وتشديد الخاء المعجمة ، وهو ابن أوس ، وكان ألسب العرب .

(٤) الزيادة من ج و س و د .

فقال معاويةُ : ما رأيتُ رجلاً أحقَرَ أوّلاً ولا أجَلَّ آخِراً منه !

ودخل محمدُ بن كَعْبٍ القُرَظِيُّ على سليمانَ بن عبد الملك فى ثيابٍ رَثّةٍ ، فقال له سليمانُ : ما يَحْمِلُك على لُبْسِ مثلِ هذه الثيابِ ؟ فقال : أكْرَهُ أن أقولَ : الزُّهْدُ فأُطْرِىَ نفسِى ، أو أقولَ : الفقرُ فأشْكُوَ رَبّى .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : دخلَ سالمُ بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشامِ بن عبد الملك فى ثيابٍ وعليه عِمامةٌ تُخالِفُها ، فقال له هشامٌ : كَأَنَّ العمامةَ لَيْسَتْ من الثياب ؟ ! قال(١) : إنها مُسْتَعارَةٌ ! فقال له : كم سِنُّكَ ؟ قال : ستُّونَ سنةً ، قال(١) : ما رأيتُ ابنَ ستينَ أبْقَى كُِدْنَةً(٢) منك ! [« كُِدْنَةٌ » قوةُ الجِسْمِ ، قال ابنُ القُوطِيّةِ فى الأفعال : « كَدِنَ الشَّفَةُ كُدُونًا(٣) » : اسوَدَّتْ ، و « أُكْدِنَ البعيرُ » كَثُرَ لحمُهُ وشحمُه] مَا طَعامُك ؟ قال الخبزُ والزّيتُ ، قال : أمَا تأْجُمُهما(٤) ؟ قال : إذا أجِمْتُهما تركتُهما حتّى أشْتَهِيَهُما ، ثم خرجَ مِنْ عندِه وقد صُدِعَ ، فقال : أتُرَوْنَ الأحْوَلَ لَقَعَنِى بعينه ؟ ! فماتَ من تلك العِلّةِ .

[قال ابنُ الأعرابىّ : « لقعَ » فلانٌ فلانًا بعينه ، و « زَلَقَهُ وزَلَّقَهُ وأزْلَقَهُ وشَقِذَهُ(٥) وشَوَّهَهُ » ، ويقول الرجلُ : إذا أجادَ فى عمله : « لا تُشَوِّهْ

---

(١) فى ج و س و د « فقال » .

(٢) « كدنة » ضبطت فى ج بكسر الكاف وضمها ، وكتب فوقها « معاً » ، وهو الصواب، وإن اقتصر الفيروزبادى على الكسر .

(٣) قوله « كدونا » هذا مصدر لم نجده فى شىء من مراجع اللغة ، والفعل من باب « فرح » . فمصدره « كدنا » بفتح الكاف والدال .

(٤) يقال « أجم الطعام » من بابى « ضرب » و « سمع » : إذا كرهه وملّه من المداومة عليه .

(٥) « شقذ » بكسر القاف ، وهو الذى فى كتب اللغة ، وفى ج « وشقذه » مضبوطة بفتح القاف .

عَلَيَّ » أى لاتقلْ لى أَجَدْتَ فتُصيبَنِي بالعَيْنِ ، ورجلٌ « مَعِينٌ » إذا أُصِيبَ بالعين ، و « شاهٌ وشَائِهٌ وشَقِذٌ وَشِقْذَانٌ(١) »] .

ونَظَرَ أعرابيٌّ إلى رجلٍ جيِّدِ الكِدْنَةِ ، فقال : ياهذا ! إنّي لأرى عليك قَطيفةً مُحْكَمةً من نَسْجِ أضراسِك !

ودخل أبو الأسودِ الدُّؤَلِيُّ [اسمُ أبي الأسود الدؤلى « ظالمُ بن عَمْرو بن سفيانَ » وقيل « بن عمرو بن جَنْدَلِ بن سفيانَ » وأُمه من بنى عَبْدِ الدَّارِ ، بصريٌّ تابعيٌّ ثقةٌ ، من أصحاب عليٍّ من كُتَّابِهِ] على عُبيد الله بن زيادٍ فى ثيابٍ رثّةٍ ، فكساه ثيابًا حِسانًا ، فخرج وهو يقولُ :

كَسَاكَ وما استكسيتَهُ فشكرتَهُ ... أخٌ لك يُعطيكَ الجزيلَ وناصِرُ(٢)

وإنّ أحقَّ النّاسِ إنْ كنتَ مادِحًا ... بمدحك مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافِرُ(٣)

وحدثنى الرِّيَاشِيُّ قال : دخل أبو الأسود الدُّؤلى على عُبيد الله بن زيادٍ وقد أسَنَّ ، فقال له عبيدُ الله يهزأُ به : يا أبا الأسودِ ! إنك لجميلٌ ! فلو تَعَلَّقْتَ تَميمةً تَرُدُّ عنك بعضَ العُيونِ ! فقال أبو الأسودِ :

أفْنَى الشَّبابَ الذى أفنيتُ جِدَّتَهُ ... كَرُّ الجَديدَيْنِ مِن آتٍ ومُنطلِقِ

لَمْ يَتْرُكَا لِيَ فى طُولِ اختلافِهِما ... شيئًا أخافُ عليه لَذْعَةَ الحَدَقِ

قوله « فلو تعلَّقْتَ تميمةً » هى : المَعاذَةُ يُعلِّقُها الرجلُ .

قال ابنُ قيْسِ الرُّقيّاتِ :

---

(١) « شقذان » مضبوطة فى طبعة أوربة بفتح الشين وبالحركات الثلاث فى القاف .

(٢) فى ع و س و د « ولم تستكسِهِ » .

(٣) بحاشيته ا « شاكراً » بدل « مادحا » وعليها علامة « صح » . وفى ع و س و د « والوجه وافر » .

صَدَرُوا ليلَةَ انْقَضَى الحجُّ فيهم طَفْـــلَةٌ زَانَهَا أَغَرُّ وَسِيمُ
يَتَّقِي أهلُها العيونَ عليها فعلَى جِيدِهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفارَهَا أَلْفَيْتَ كلَّ تَمِيمةٍ لاتَنفَعُ

وقوله « لَذعَةُ الحَدَقِ » فهو من قولك : « لَذَعَتْهُ النارُ » إذا لفَحَتْهُ ، ويقال : « لَذَعَ فلانٌ فلاناً بأدَبٍ » إذا أَدَّبَهُ أَدَبًا يسيراً ، كأنَّهُ كالمقدار الذى وصفناه[1] من النَّار .

وقولُ ابْنِ قيسِ الرُّقَيَّاتِ « زَانَهَا أَغَرُّ وسيم » فالأَغَرُّ : الأبيضُ ، يعنى الوَجْهَ ، والوَسِيمُ : الجميلُ ، والمصدرُ « الوَسَامَةُ والوَسَامُ » .

☆

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، ذكَرْناهُ بقولِ أبى الأسود — :

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاء فى حَلَكٍ فصرتُ أرتاعُ للسَّوداء فى يَقَقِ[2]
مَنْ لم يَشِبْ ليس يَمْلَاقًا حَلِيلَتَهُ وصاحبُ الشَّيْبِ للنِّسْوَانِ ذو مَلَقِ
قد كُنَّ يَفْرَقْنَ منـــه فى شَبيبَتِهِ فصارَ يَفْرَقُ ممن كانَ ذا فَرَقِ
إنَّ الخِضَابَ لَتَدْليسٌ يُغَشُّ به كالثَّوْبِ فى السُّوق مَطْوِيًّا على حَرَقِ

ويُرْوَى : « يُطْوَى لِتَدْليسٍ على حَرَق » .

وشبيهٌ بهذا المعنى قولُ أبى تَمَّامٍ :

---

(١) فى ج و س و د « وصفنا » .

(٢) « اليقق » بفتح الياء والقاف : شدة البياض ، وقوله « للبيضاء » يريد به : للشعرة البيضاء ، وكذلك « للسوداء » .

طَالَ إِنْكارِىَ البياضَ وإن عُمِّـــرْتُ شيأً أَنْكرْتُ لونَ السَّوَادِ

وحدثنى الزِّيادِىُّ قال قيلَ لأعرابِىٍّ : أَلاَ تَخْضِبُ بالوَسْمَةِ[1] ؟ فقال : لِمَ ذاكَ ؟ فقال : لِتَصْبُوَ إليكَ النساء ، فقال : أَمَّا نِسَاؤُنَا فَمَا يُرِدْنَ بِنَا بَدِيلاً[2] ، وَأَمَّا غيرُهنَّ فَمَا نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنَّ[3] .

وقال العُتْبِىُّ :

وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضْ وَالغَوَانِى نَوَافِرُ عن مُعَالَجَةِ القَتِيرِ[4]

[وَيُرْوَى « مُعَالِجَةِ » بكسر اللام ، فَمَنْ فتح اللاَّمَ جعله مصدراً ، ومن كَسَرَ اللامَ فهي الجماعةُ التي تُعَالِجُ ذلك الشيء]

عَلَيْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أَنْ تَدَنَّى إِلَى بيضٍ تَرَائِبُهُنَّ حُورِ[5]

فقلتُ لهـا المَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِى وَلَسْتُ مسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ[6]

وقال آخرُ ، وهو أبو خالدٍ يزيدُ بن محمدٍ المُهَلَّبِىُّ :

صَبَغْتُ الرَّأْسَ خَتْلاً للغَوَانِى كَمَا غَطَّى على الرَّيْبِ المُرِيبُ[7]

---

(١) « الوسمة » بفتح الواو مع سكون السين أو كسرها ، وهى نبات يخضب بورقه .

(٢) فى ج و س و د « فلا يبغين بنا بدلا » .

(٣) فى ج و س و د « صبوته » .

(٤) « تَبَيَّضْ » بفتح التاء ، على حذف إحدى التاءين ، وأصله « تتبيض » . و فى ج « تُبَيِّضُ » بضم التاء وكسر الياء المشددة . و « القتير » : الشيب ، وقيل : أول مايظهر منه . وأصل « القتير » رؤوس مسامير حلق الدرع تلوح فيها ، شبه بها الشيب إذا نقب فى سواد الشعر . قاله فى اللسان .

(٥) « الخطر » بكسر الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة ، وهو نبات يخضب به ، أو هو الوسمة .

(٦) فى حاشية ج : «قال قتادةُ فى قوله :﴿وجاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ قال: الشيبُ » . والآية فى سورة فاطر (٣٧) .

(٧) « الرَّيْب » بفتح الراء وإسكان الياء ، وفى ج « الرِّيَب » بكسر الراء وفتح الياء ، جمع « ريبة » والمراد الظنة والتهمة .

أُعَلَّلُ مَرَّةً وأُسَاءُ أُخْرَى ... ولا تُحْصَى مِنَ الكِبَرِ العُيُوبُ

أُسَوِّفُ تَوْبَتِي خمسينَ عامًا ... وظَنِّي أَنَّ مِثْلِيَ لا يَتُوبُ[1]

يُقَوَّمُ بِالثِّقَافِ العُودُ لَدْنًا ... وَلاَ يَتَقَوَّمُ العُودُ الصَّلِيبُ[2]

وقال مالكُ بن دِينارٍ[3] : جاهِدُوا أهواءكم ، كما تُجاهِدُونَ أعداءكم . وكان يقول : ما أشدَّ فِطَامَ[4] الكِبَرِ !

وقال آخرُ :

دَعِي لَوْمِي ومَعْتَبَتِي أَمَامَا ... فإنِّي لَمْ أُعَوَّدْ أَنْ أُلاَمَا[5]

وكيف مَلامَتِي إذْ شابَ رأسي ... على خُلُقٍ نَشَأْتُ به غُلامَا

وقيلَ لأعرابيٍّ : أَلاَ تُغَيِّرُ شيبَكَ بالخِضَابِ ؟ فقال : بَلَى ، ففعَلَ ذاكَ[6] مرةً ، ثم لم يُعَاوِدْ[7] ، فقيل له : لِمَ لا تُعاوِدُ الخِضابَ ؟ فقال : يا هَنَاهُ ! لقد شُدَّ لَحْيَايَ فجعلتُ أَخَالُنِي مَيِّتًا ! !

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ ، وهو محمودٌ الوَرَّاقُ :

يا خاضِبَ الشَّيْبِ الذي ... في كلِّ ثالثةٍ يَعُودُ

إنَّ النُّصُولَ إذا بَدَا ... فكأنَّه شَيْبٌ جَدِيدُ[8]

(١) في ج « حولا » بدل « عاما » .
(٢) « الثقاف » ما تسوّى به الرماح . و « اللدن » : اللين .
(٣) مالك بن دينار أبو يحيي البصري : كان من العلماء الزاهدين المتقشفين ، تابعي ثقة ، مات سنة ١٣٠ هـ أو قبلها بقليل .
(٤) في س « علاج » .
(٥) « ومعتبتي » ضبطت في أكثر الأصول بفتح التاء ، وضبطت في ج بضمها وكسرها معاً .
(٦) في ج و س و د « ذلك » .
(٧) في ج و س و د « لم يعاوده » .
(٨) نصول اللحية : خروجها من الخضاب .

وله بَدَاهَـــةُ لَوْعَةٍ مكروهُها أبداً عَتِيدُ[1]
فَدَعِ المَشيبَ لِمَا أَرَا دَ فلَنْ يَعُودَ كما تُرِيدُ[2]

وقال محمودٌ أيضاً :

أَليْسَ عَجِيبًا بِأَنَّ الفَــتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذى فى يَدَيهِ
فَمِنْ بَيْنَ بَاكٍ له مُوجَعٍ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِـــذٍّ إِلَيْهِ[3]
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرْخَ الشَّبَابِ فليس يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

وقال أيضًا :

يَا خَاضِبَ الشَّيْبَةِ نُحْ فَقْدَهَا فَإِنَّمَا تُدْرِجُهَا فى كَفَنْ
أَمَا تَرَاهَا مُنْــذُ عَايَنْتَهَا تَزِيدُ فِى الرَّأْسِ بِنَقْصِ البَدَنْ

وقال أيضاً :

اغْتَنِمْ غَفْلَةَ المنيَّةِ واعْــلَمْ أَنَّمَا الشَّيْبُ للمنيَّةِ جِسْرُ[4]
كم كَبِيرٍ يومَ القيامــةِ يُقْصَى وصَــغِيرٍ له هُنَالِكَ قَدْرُ

[قال أبو الحسن : يقال « جِسْرٌ وجَسْرٌ » وهو مأخوذٌ من الناقة الكبيرة ، يقال لها « الجَسْرُ »] .

وقال أعرابىٌّ [هو أبو النَّجْم] :

قالت سُلَيْمَى أنتَ شَيْخٌ أَنْزَعُ فقلتُ مَا ذَاكِ وَإِنِّى أَصْلَعُ[5]

(١) « العتيد » بالتاء المثناة : الحاضر ، وفى ج بدلها « عنيد » بالنون . وفى ج و س و د « بديهة » بدل « بداهة » .
(٢) فى ج و س و د « كما أراد » .
(٣) « مغذّ » : مسرع ، من « الإغذاذ » وهو الإسراع .
(٤) فى ا « واعمل » بدل « واعلم » ، وعليها تكون « إنما » بكسر الهمزة ، لاستئناف الكلام .
(٥) « أنزع » : منحسر مقدم شعر الرأس من جانبى الجبهة . و « أصلع » : ذاهب شعر الرأس كله ، أو وسطه .

ثم حَسَرَتْ عَنْ صَفَاةٍ تَلْمَعُ فَأَقْبَلَتْ قَائِلَةً تَسْتَرْجِعُ[1]

☆ ما رأسُ ذَا إلاّ جَبِينٌ أَجمَعُ ☆

وقال آخرُ ، وهو رُؤْبَةُ :

قد تَرَكَ الدهرُ صَفَاتِى صَفْصَفَا فصارَ رأسِي جَبْهَةً إلى القَفَا[2]

كأنَّه قــد كَانَ رَبْعًا فَعَفَا يُمْسِي ويُضْحِي للمَنَايَا هَــدَفَا

وكان نَصْرُ بن حَجَّاج بن عِــلاَطٍ السُّلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جميلاً ، فعَثَرَ عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمرٍ اللهُ أعلم به ، فحَلَقَ رأسَه ، وكان عمرُ أَصْلَعَ ، لم يَبْقَ من شَعَرِه إلاّ حِفافُه[3] ، كذلك قال الأصمعيُّ ، فقال نصرُ بنُ حجّاجٍ [فى ذلك[4]] :

لَضَــنَّ ابنُ خَطّابٍ علىَّ بِجُمَّةٍ إذا رُجِّلَتْ تَهْتَزُّ هَزَّ السَّلاَسِلِ

فَصَلَّعَ رأساً لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رَفِيفًا بعد أَسْــودَ جَاثِلِ[5]

لقد حَسَدَ الفُرْعَانَ أَصْلَعُ لم يَكُنْ إذا ما مَشَى بالفَرْعِ بالمُتَخَايِلِ[6]

قوله «بالفَرْعِ المُتَخَايِلِ» ليس أنَّهُ جَعَلَ « بِالفَرْعِ » مِن صِلَةِ « المُتَخَايل » فيكونَ معناه : بالذى يَخْتَالُ بالفَرْعِ ، فيكونَ قد قَدَّمَ الصِّلَةَ على الموصول ،

---

(١) « الصفاة » هى الصخرة الملساء .

(٢) «الصفصف» الأملس لانبات به ، شبه به الرأس الى لاشعر فيها .

(٣) « الحفاف » بكسر الحاء المهملة : الشعر حول الصلعة ، وضبط فى ع بكسر الحاء وضمها معاً .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) « يرف » يبرق ويتلألأ . و « الجاثل » بالثاء المثلثة : الشعر الكثير الملتف .

(٦) « الفرعان » جمع «أفرع» وهو الوافى الشعر ، ضد الأصلع ، و « الفرع » بسكون الراء : الشعر التام .

ولكنه جَعَلَ قولَه « بالفرع » تبييناً[1] ، فصار بمنزلة « بِكَ » التى تقعُ بعدَ « مَرْحَبًا » للتبيين[2]. وقد مَرَّ تفسيرُ هذا مستقصًى فى الكتاب (المُقْتَضَبِ[3])

وقال آخرُ :

تُغَطِّى نُمَيْرٌ بالعَمائمِ لُؤْمَهَا ... وكيفَ يُغَطِّى اللُّؤمَ طَىُّ العَمائمِ

فإنْ تَضربونا بالسِّياطِ فإنّنا ... ضَربناكُمُ بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ

وإن تَحْلِقُوا مِنّا الرؤوسَ فإننا ... حَلَقْنا رُؤوسًا باللَّهَا والغَلاصِمِ[4]

وإنْ تَمْنعُوا مِنّا السِّلاحَ فعندنا ... سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدَّراهِمِ[5]

جَلاَمِيدُ أَمْلاَءُ الأَكُفِّ كأنّها ... رؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَوَاسِمِ[6]

٭

وكان يزيدُ بن الطَّثْرِيَّةِ[7] غَزِلاً[8] ، وكان أخوه ثَوْرٌ ذَا مَالٍ ، فكان يزيدُ يأتى العطَّارَ فيقولُ : ادْهُنِّى دَهْنَةً بناقةٍ من إبلِ ثَوْرٍ ا فيفعلُ ذلك ،

(١) قال المرصفى : « يريد أنه خبر مبتدإ محذوف ، تقديره : وذلك بالفرع ، فيكون جملة مستأنفة، بيانا للمتخايل به ، قدمت على المبين » .

(٢) وقال أيضا . « يريد — كما قلنا — أنه خبر لمحذوف ، تقديره : وذلك الرحب بك ، تريد : عليك ، وقال الفراء : معناه : رحب الله بك مرحبا ، فجعله معمول الفعل المحذوف ، ووضع مرحباً موضع ترحيباً » .

(٣) هو اسم كتاب نفيس للمبرد ، فى علم النحو وماإليه ، وأخطأ صاحب كشف الظنون ، فزعم أنه فى الخطب . وهو موجود بدار الكتب المصرية بالتصوير الشمسى ، عن نسخة مكتوبة فى سنة ٣٤٧ هـ وعلى أجزائها خط الحسن بن عبدالله السيرافى، بأنه قرأه وصححه وأصلح مافيه. وكم تمنى أن نجد من ينشره ، لإحياء هذا الأثر الجليل .

(٤) « اللها » بفتح اللام : جمع « لهاة » وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى الفم . و« الغلاصم » جمع « غلصمة » وهى لحمة بين الرأس والعنق . وفى بعض النسخ « باللحى » بدل « باللها » .

(٥) فى ع و د « لانشترى » .

(٦) « جلاميد » جمع « جلمود » وهو الحجر تأخذه بيدك .

(٧) « الطثرية » بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة وكسر الراء وتشديد الياء ، وهى أمه ، وأبوه : سلمة بن سمرة بن سلمة الخير .

(٨) أى كثير الغزل .

وكان ذا جُمَّةٍ حسَنَةٍ ، فإذا كَثُرَ عليه الدَّيْنُ هربَ فتبَدَّى[1] ، فإذا ذَكَرَ حُوشِيَّةَ ، وهي امرأة ، كانَ يُشبِّبُ بها [« حُوشِيَّةُ بنتُ أبي فُدَيْكِ بن قُرَّةَ » ولها مع يزيدَ حديثٌ طَرِيفٌ] - : قَدِمَ فاقتَطَعَ من إبلِ أخيه مايَقضِي به دينَه ، وفي ذلك يقولُ :

قَضَى غُرَمائي حُبُّ أسماءَ بعدَمَا ... تَخَوَّفَنِي ظُلْمٌ لهمْ وفُجورُ
فذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى ... لثَوْرٍ على ظَهرِ الفَلاةِ بَعِيرُ

فاستَعْدَى عليه ثورٌ السُّلطانَ ، فأَمرَ بحلْقِ رأسه ، فقال [في ذلك][2] :

أقولُ لثَوْرٍ وهو يَحْلِقُ لِمَّتِي ... بعَقْفاءَ مَرْدُودٌ عليها نِصابُها
ترَفَّقْ بها يا ثَوْرُ ليس ثَوابُها ... بهذا ولكنْ عندَ رَبِّي ثوابُها[3]
ألَا رُبَّما يا ثَوْرُ فَرَّقَ بينها ... أناملُ رَخْصاتٌ حَديثٌ خِضابُها[4]
فيَهْلِكُ مِدْرَى العاجِ في مُدْلَهِمَّةٍ ... إذا لم تُفَرَّجْ مات غَمًّا صُؤابُها[5]
فجاءَ بها ثَوْرٌ تَرِفٌ كأنَّها ... سلاسِلُ بَرْقٍ لِينُها وانْسِكابُها[6]
ورُحْتُ برأسٍ كالصُّخَيْرَةِ أشْرَفَتْ ... عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها[7]
خُدارِيَّةٌ كالشَّرْيَةِ الفَرْدِ جادَها ... من الصَّيِّفِ أنواءٌ مَطِيرٌ سَحابُها[8]

---

(١) أي : أقام بالبادية .
(٢) الزيادة من ج و د .
(٣) بحاشية ج « ولكن غَيْرُ هٰذا ثوابُها » وكأنها رواية أخرى .
(٤) « الرخص » بفتح الراء وسكون الخاء : الشيء الناعم اللين .
(٥) « المدرى » : المشط . و « الصؤاب » : بيض القمل .
(٦) بحاشية ج « سلاسل درع » .
(٧) في س « ثم طار عقابها » وفي ج و د « طار عنها عقابها » .
(٨) « خدارية » : وصف للمة ، وهي شدة السواد ، و « الشرية » : النخلة تنبت من النواة ، و « الفرد » : المنفردة ، قاله المرصفي .

باب

قال رجلٌ من المتقدِّمين ، وهو قَيْس بن عاصمٍ المِنْقَرِىُّ [١] :

أَيَا بْنَةَ عبدِ اللهِ وابْنَةَ مالكٍ ... ويا بْنَةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ [٢]

إذا ما أَصَبْتِ الزَّادَ فالتَمِسِى له ... أَكِيلاً فإنِّى غيرُ آكِلِهِ وَحْدِى [٣]

قَصِيًّا كَرِيمًا أو قَرِيبًا فإننى ... أَخافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِن بَعْدِى [٤]

وإنِّى لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دامَ ثَاوِيًا ... وما مِنْ خِلاَلِى غيرَها شِيمَةُ العَبْدِ [٥]

« غيرَها » استثناءٌ مقدَّم . وقد مضَى تفسيرُه [٦] .

وقوله « قَصِيًّا كريمًا » : من طَرِيف المَعانى ، وذلك : أنه لم

---

(١) هذا هو الصحيح فى نسبة هــذه الأبيات ، وأخطأ التبريزى فى شرح الحماسة (٤ : ١٠٠ بولاق) إذ نسبها لحاتم الطائى .

(٢) فى ا « أَيَابِنْتَ » ، وفى س « يَابِنْتَ » ، وفيها أيضا « ذِى الجَدَّيْنِ » وهو خطأ ، فان ذا الجدين شخص آخر ، وإنما الشاعر يخاطب امرأته « منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى » نسبها لعمها وجدها الأكبرين «عبد الله» و « مالك » ، ثم نسبها لجدها لأمها « ذى البردين » وهو « عامر بن أحيمر » ، والبردان : ثوبان لبسهما عامر ، حين قال النعمان فى وفود العرب : ليقم أعز العرب فليلبسهما ! و « الفرس الورد » : ما كان لونه أحمر يضرب إلى الصفرة. وفى حاشية ا : « وهذا الفرس الورد : يقال : إنه أخذ السباق عشرين سنة ».
والظر تحقيقنا لهــذه الأبيات فى التعليق على (لباب الآداب) للأمير أسامة بن منقذ (ص ١٢٠) .

(٣) بحاشية ا و د «صَنَعْتِ» وفى س «وَضَعْتِ» : كلاهما بدل « أَصَبْتِ » . وبحاشية ا « لَسْتُ آكِلُهُ » وفى ع و س و د « لَسْتُ آكِلَهُ » وبالأخيرة طبعت طبعات مصر.

(٤) « المذمة » بفتح الذال : الذم واللوم ، وكذلك بكسرها ، أو الثانية : من الذمام ، بالكسر أيضا ، بمعنى الحق ، والمعنى فيهما واحد أو هما متقاربان .

(٥) فى ع و س و د « نازلا » وهو بمعنى « ثاوياً » .

(٦) فى ع و س و د « تفسيرُ هذا » .

يحتَجْ إلى أن يَشترطَ فى نِسْبته الـكَرَمَ[1] ، لأنه قد ضَمِنَ ذلك. واشترط فى القَمِىِّ أن يكونَ كريماً ، لأنه كَرِه أن يكونَ مُوَاكِلُه غيرَ كريمٍ .

وهذا ليس من البابِ الذى ذَكَره جريرٌ ، حيثُ يقولُ فى هجائه بنى هِزّانَ[2] :

ضَيْفُكُمْ جائعٌ إذْ لم يَبِتْ غَزِلاً … وجارُكُمْ يابَنِى هِزّانَ مَسْرُوقُ[3]

رأيتُ هِزّانَ فى أَحْرَاحِ نِسْوَتِها … رُحْبٌ وهِزّانُ فى أخلاقِها ضِيقُ[4]

وقال آخرُ من المُحْدَثِينَ ، وهو يحيي بنُ نَوْفَلٍ ، أنشدَه دِعْبِلٌ :

كنتُ ضَيْفاً بِبَرْمَنَا يالِعَبْدِ اللهِ والضَّيْفُ … حقُّهُ معلومُ

فانْبَرَى يَمْدَحُ الصِّيامَ إلى أنْ … صُمْتُ يومًا ما كنتُ فيه أصومُ

ثم أنشا يَسْتامُ بِرْذَوْنِىَ الوَرْ … دَ مُلِحًّا كما يُلِحُّ الغَرِيمُ

[قال الأخفش : يُرْوَى « بِرْذَوْنِىَ الزَّرْدَ » وهو الأصفرُ]

ولَعَمْرِى إنَّ ابنَ قَيْلَةَ إذْ يَسْـــتامُ بِرْذَوْنَ ضيفِه لَلَئيمُ

وقال رجلٌ، أنشَدَنِيه السِّجِسْتانِىُّ ، يَقُولُه[5] لابن دَغْلَجٍ ، وكان ابنُ دَغْلَجٍ يَتَوالَى[6] بنى تميمٍ :

إذا جئتَ الأميرَ فقلْ سَلَامٌ … عليكَ ورحمةُ اللهِ الرحيمِ[7]

---

(١) فى ج و س و د « الـكرام » .

(٢) « هزان » بكسر الهـاء وتشديد الزاى ، وهو : ابن صباح بن عتيك ، من بنى عنزة بن أسد بن ربيعة .

(٣) فى ج و س و د « إن » بدل « إذ » وبها طبعت فى طبعات مصر .

(٤) فى ج و س و د « أفعالهـا » بدل « أخلاقها » .

(٥) « يقوله » فعل مضارع ، وفى طبعة أوربة وطبعات مصر « بقوله » وهو خطأ ظاهر .

(٦) فى ج و د « يتَوَلَّى » .

(٧) فى ج و د « ورحمةُ الرَّبِّ » وبحاشية ج « ورحمةُ البَرِّ » .

وأمّا بَعْدَ ذاكَ فلِي غَرِيمٌ ... مِنَ الأعْرابِ قُبِّحَ مِن غَرِيمِ
لَزُومٌ ما دَلِمْتُ بِباب دارِي ... لُزُومَ الكَهْفِ أصحابُ الرَّقِيمِ (١)
لَهُ مائةٌ علىَّ ونصفُ أُخْرَى ... ونصفُ النّصْفِ فى صَكٍّ قَدِيمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ ... حَبَوْتُ بها شُيوخَ بنى تَمِيمِ (٢)

[زاد أبو الحسنِ :

أَتَوْنِى فى العَشيرَة يَسْئلُونِى ... ولم أَكُ فى العَشيرة بالمليمِ

قال أبو الحسن : لم يَعْرِفْ أبو العباس هذا البيتَ الأخيرَ ، وهو صحيحٌ](٣) .

وجاوَرَ قَيسُ بنُ عاصمِ بن سِنَانِ بنِ خالدِ بن مِنْقَرِ بن عُبيدٍ تاجراً خَمّاراً(٤) ، فشرب شَرَابَهُ ، وأَخَذَ متاعَه ، ثم أَوْثَقَهُ ، فقال [لهُ](٥) : افْدِ نَفْسَكَ ! وقال فى ذلك :

وتاجِرٍ فاجِرٍ جاءَ الإلٰهُ به ... كأنَّ عُثْنُونَهُ أَذْنابُ أَجْمَالِي(٦)

قال ذلك : لأن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ إلى الصُّهْبَةِ ، وفيه استواءٌ ، وهو يُشْبِهُ اللِّحْيَةَ(٧) .

---

(١) فى ج و س و د « بباب » بدل « لباب » . وفى س وحاشيتى ج و د « لُزُومَ الكلبِ أَصحابَ الرَّقيم » .

(٢) فى ج و د « وَصَلْتُ » بدل « حبوت » .

(٣) زيادة أبى الحسن ذكرت فى ج و س و د بالنص الآتى : « وروى أبو الحسن ولم يعرفه أبو العباس : زيادة فيها : أتونى بالعشيرة » البيت .

(٤) فى ج و س و د « ويروى : أن قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر أجار خمّاراً » .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

(٦) «أجمالى» بالاضافة إلى ياء المتكلم فى طبعة أوربة ، وفى طبعات مصر «أجمال» بدون الاضافة. و « الأجمال » جمع « جمل » . « والعثنون » : ما نبت على الذقن وتحته .

(٧) نقل المرصفى تفصيل القصة من رواية أبى حاتم ، وفيها أن قيساً فعل ذلك لما سكر ، وأنه لما أصبح أخبر بما كان منه ، فآلى أن لاتدخل الخمر أضلاعه أبداً .

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

إذا كنتَ في سَعْدٍ وأُمُّكَ منهمُ غَرِيبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ مِنْ سَعْدِ[1]

فإنّ ابنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إناؤُهُ إذا لم يُزاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[2]

وَاسْتَعْمَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَيْسَ بنَ عاصمٍ على صدقاتِ بني سعدٍ ، فتُوُفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقَسَمَها قيسٌ بعدُ في بَنِي مِنْقَرٍ ، وقال [في ذلك[3]] :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا رسالةً إذا ما أتتْها مُحْكَماتُ الوَدائعِ

حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العامِ مِنْقَرًا وأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامِعِ

☆

وجاور عُرْوةُ بن مُرَّةَ أخو أبي خِراشٍ الهُذَليِّ ثُمالَةَ من الأَزْدِ ، فجلس يومًا بِفِناء بيته آمِنًا لا يخاف شيئًا ، فاستدبره رجلٌ منهم من بني بِلالٍ بسهم ، فقَصَم صُلْبَهُ ، ففي ذلك يقولُ أبو خِراشٍ :

لَعَنَ الإلهُ وُجُوهَ قومٍ رُضَّعٍ غَدَرُوا بعُرْوَةَ من بني بِلالِ[4]

وأُسِرَ خِراشُ بن أبي خِراشٍ[5] ، أَسَرَتْهُ ثُمالَةُ ، فكان فيهم مُقيمًا ، فدعا

(١) « غريبا » حال من ضمير « كنت » . وفي بعض النسخ « فلا يغررك أمك » وفي بعضها « فلا تغررك أمك » .

(٢) « مصغى » ممال ، وبذلك فسرت في حاشية ج . وهو من « أصغى الإناء » إذا أماله .

(٣) الزيادة من ج و د .

(٤) في ج و س و د « قَبَحَ » بدل « لعن » . وهي بتخفيف الباء . وفي اللسان : « قَبَحَ اللهُ فلانا قَبْحًا وَقُبُوحًا : أي أقصاه وباعده من كل خير » . وأما « قَبَّحَ » بالتشديد فإن معناها : صيره قبيحاً .

(٥) في ج و س و د « قال أبو العباس : أسر ابن أبي خراش ، وهو خراش بن أبي خراش » .

آسِرُهُ يومًا رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابنَ أبى خِرَاشٍ مُوثَقًا فى القِدِّ[1] ، فأَمْهَلَ حتى قامَ الآسِرُ لحاجةٍ ، فقال المَدْعُوُّ لابنِ أبى خِرَاشٍ : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ابنُ أبى خِرَاشٍ ، فقال : كيفَ دِلِّيلاكَ[2] ؟ قال : قَطَاةٌ ، قال : فقمْ فاجْلِسْ وَرَائى ، وأَلْقِ عليه رِداءهُ ، ورَجَعَ صاحِبُهُ ، فلمّا رأى ذلك أصْلَتَ بالسَّيْفِ[3] ، وقال : أسِيرِى ! فنَثَلَ المُجِيرُ كِنانَتَهُ[4] ، وقال : واللهِ لأَرْمِيَنَّكَ إنْ رُمْتَهُ ، فإنى قد أجَرْتُهُ ! فَخَلَّى عنه ، فجاء إلى أبيه ، فقال له : مَنْ أجارَكَ ؟ فقال : واللهِ ما أعْرِفُهُ ، فقال : أبو خِرَاشٍ ، وقال الرُّواةُ : لا نَعْرِفُ أحدًا[5] مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غيرَ أبى خِرَاشٍ [فى قوله[6]] :

حَمِدْتُ إلٰهِى بعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا ... خِرَاشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فواللهِ لا أنسَى قَتِيلاً رُزِيتُهُ ... بجانبِ قَوْسَى مامَشَيْتُ على الأرضِ[7]

(١) « القدّ » بكسر القاف وتشديد الدال : سير يقدّ من جلد غير مدبوغ .
(٢) يسأله عن معرفته بالطريق إلى قومه .
(٣) « أصلت السيف » أى جرده ، وهو متعدّ بنفسه ، فاستعماله هنا متعديا بالباء لعله من إجراء المتعدى مجرى اللازم ، وهو كثير . و فى ج و س و د « أصلت له السيف » وهو أجود .
(٤) « نثل كنانته » : أخرج مافيها من السهام استعداداً للرمى بها ، وفى ج و د « فنثر » وفى س « فلهمر » والمعنى مقارب .
(٥) فى ج و س و د « وتزعم الرواة : أنها لاتعرف رجلا » .
(٦) الزيادة من ج و د .
(٧) « قوسى » بفتح القاف وسكون الواو ، مقصور ، بوزن « سكرى » وضبط فى طبعة أوربة بضم القاف ، وذكر بحاشيتها أن فى ج « قُوْسَى » مضبوطة بالفتح والضم ، وأنه كتب عليها « معا » و « صح » توكيداً لصحة الضبطين ، ولكن الذى فى كتب اللغة ومعجم البلدان الفتح وحده ، وقال ياقوت إنه « بلد بالسراة ، وبه قتل عروة أخو أبى خراش الهذلى ونجا ولده » ثم ذكر بعض هذه الأبيات .

بَلَى إنها تعفُو الكُلومُ وإنَّما ... تُوَكَّلُ بالأَدْنَى وإنْ جَلَّ ما يَمْضِي
ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عليه رِدَاءَهُ ... عَلَى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضِ
[ولم يَكُ مَثْلُوجَ الفُؤَادِ مُهَيَّجًا ... أضاعَ الشَّبابَ فى الرَّبِيلَةِ والخَفْضِ(١)
ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ ... على أنه ذُو مِرَّةٍ صادِقُ النَّهْضِ](٢)
كأنَّهُمُ يَسْعَوْنَ فى إثْرِ طائرٍ ... خفيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذِي نَحْضِ(٣)
يُبَادِرُ جُنْحَ اللَّيْلِ فهو مُهَابِذٌ ... يَحُثُّ الجَنَاحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ(٤)

قولُه « قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ » فهو جماعةُ « راضِعٍ » . وقومٌ يقولون(٥) : هو توكيدٌ لِلَئِيمٍ ، كما يقولون : جائعٌ نائعٌ ، وحَسَنٌ بَسَنٌ ، وعَطْشَانُ نَطْشَانُ ، وأجمعُ أَكْتَعُ . وقومٌ يقولون : الراضعُ هو الذى يَرْتَضِعُ من الضَّرْعِ لئلاّ يَسْمعَ الضَّيفُ أو الجارُ صوتَ الحَلَبِ فَيَطْلُبَ منه ، وتصديقُ ذلك ما أنشدَناه أبو عثمانَ عَمْرُو بن بَحْرٍ لرجلٍ من الأَعراب يَنْسُبُ ابنَ عَمٍّ له إلى اللُّؤْمِ والتَّوَحُّشِ :

أَحَبُّ شىءٍ إليه أنْ يكونَ له ... حُلْقُومُ وَادٍ له فى جَوْفِهِ غارُ
لا تَعْرِفُ الرِّيحُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ ... ولا يُشَبُّ إذا أَمْسَى له نارُ

---

(١) «المثلوج الفؤاد» : البليد . و « المهيج » الذى هيجه الداء وأثاره . و « الربيلة » : السمن والنعمة . و «الخفض» : لين العيش وسعته .

(٢) « الخامص » : الجوع ، جمع « مخمصة » . و « المرة » بكسر الميم : القوة ، وفى س بدل « على أنه » « سوى أنه » وبحاشية ج « خلا أنه » .

(٣) « المشاش » : رؤوس العظام اللينة .

(٤) « جنح الليل » : الطائفة منه ، وهو بكسر الجيم وضمها .

(٥) قال المرصفى : « كان المناسب أن يقول : واختلف أهل اللغة فى قول العرب : فلان لئيم راضع، فقال قوم الخ » .

لا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لُؤْمًا فى الإناء ولا ... يُرَى له فى نَواحى الصَّحْنِ آثارُ

وقوله « كيفَ دِلِّيلاكَ » ، فهى كثرةُ الدَّلالة ، و « الفِعِّيلَى » إنما تُستعملُ فى الكثرة ، يقالُ « القِتِّيتَى » لكثرة النَّميمة ، ويقالُ « الهِجِّيرَى » لكثرة الكلمة المتردِّدَةِ على لسانِ الرَّجلِ ، يقالُ ذِكْرُكَ هِجِّيرَاىَ ، أى : هو الذى يَجْرِى على لسانى . وفى الحديث : « كان هِجِّيرَى أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ رحمه الله بلا إلَه إلاّ الله » ويقال : كان بينهم رِمِّيًا : لكثرة الرَّمْىِ ، وكذلك كلُّ ما أشْبَه هذا .

وقولُه « بجانب قَوْسَى » فهو بلد تَحُلُّهُ ثُمالَة بالسَّرَاةِ[1] .

وقولُه « بلى إنَّها تَعْفُو الكُلُومُ » فهى الجِراحُ والآثارُ التى تُشبِهها ، قال جريرٌ :

تَلْقَى السَّلِيطِىَّ والأبطالُ قد كَلِمُوا ... وَسْطَ الرِّجال سليمًا غيرَ مَكْلُومِ

ويُنشد « وَسْطَ الرِّحالِ » و « تَعْفُو » تَدْرُسُ .

وقولُه « عظمُهُ غيرُ ذِى نَحْضٍ » « النَّحْضُ » : اللَّحْمُ ، يقالُ : يأكلُ نَحْضًا ، ويُرَوِّى الرِّجالَ مَحْضًا[2] .

وقولُه « فهو مُهابِذٌ » يقولُ : مجتهدٌ[3] . وهُذَيْلٌ فيها سَعْىٌ شديدٌ ، وفى جماعةٍ من القبائلِ التى تَحُلُّ بأكْنافِ الحجازِ .

---

(١) مضى الكلام على ضبط « قوسى » فى التعليق رقم (٧) بصفحة (٥٢٩) .

(٢) فى ع « وَيَرْوَى مَحْضًا » . والمحض : اللبن الخالص .

(٣) « المهابذ » من المهابذة ، وهى : الإسراع فى المشى والطيران ، كالهبذ ـ بسكون الباء والاهتباذ والإهباذ .

*

ولقى الزِّبْرِقَانُ بنُ بَدْرٍ وهو قاصدٌ بصَدَقاتِ قومه إلى أبى بكرٍ الصديق رحمه الله — : الحُطَيْئةَ[1] فى طريقه ، فقال له الزِّبْرِقانُ : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا أبو مُلَيْكَةَ ، أنا حَسَبٌ مَوْضُوعٌ ! فقال له الزبرقانُ : إنِّى أُريدُ هذا الوَجْهَ ، ومالَكَ مَنْزِلٌ[2] فامْضِ إلى منزلى بهذا السَّهْمِ ، فسَلْ عن القَمَرِ بن القَمَرِ ، وكُنْ هناكَ حتى أَعُودَ إليك ، فَفَعَلَ ، فأَنْزَلُوه وأَكرموه ، فأقامَ فيهم[3] ، فحَسَدَهُم عليه بَنُو عَمِّهم[4] مِن بَنِى قُرَيْعٍ ، وذلك : أنَّ الزبرقانَ من بنى بَهْدَلَةَ بن عَوْفِ بنِ كعبِ بن سعدِ بن زيدِ مَنَاةَ بن تَمِيمٍ ، وحاسِدُوهُ بَنُو قُرَيْعِ بن عوفِ بن كعبِ بن سعدٍ ، ولم يَكُنْ لِعَوْفٍ إلاّ قُرَيعٌ وعُطارِدٌ وبَهْدَلَةُ ، وكان الذين حَسَدوه منهم بنو لأْىِ بن شمَّاسِ بن أنفِ النَّاقةِ بن قُرَيْعٍ ، فَدَسُّوا إلى الحُطَيئة : أن تحوَّلْ إلينا نُعطِكَ مائةَ ناقةٍ ، ونَشُدُّ كُلَّ طُنُبٍ[5] مِن أطْنابِ بيتِكَ بِجُلَّةٍ[6] بَحْوَنَةٍ ، قال : فأنّى لِى بذلك ؟ ! قالوا : إنهم يريدونَ

---

(١) «الزبرقان» ضبط فى ع بالنصب ، و « الحطيئة » بالرفع ، وكتب عليها علامة الصحة ، وضبط فى سائر النسخ بعكس ذلك ، وقد جمعنا بين الإعرابين ، أحدهما فاعل والآخر مفعول ، على التعاقب .

(٢) فى ع و س و د « مَتْرَكٌ » .

(٣) فى ع و س و د « وأقام بينهم » .

(٤) فى ع و س و د « فحسده عليه بنو عمه » .

(٥) « الطنب » بضمتين : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد .

(٦) « الجُـلة » بضم الجيم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها ، عربية معروفة ، قاله فى اللسان . وسيأتى للمبرد تفسير البحونة .

النُّجْعَة[١] فإذا احْتَملُوا فَتَخلَّفْ عنهم ، ثم دَسُّوا إلى امرأةِ الزِّبرقانِ مَنْ خَبَّرَ بأنَّ[٢] الزبرقانَ إنما قَدَّمَ هذا الشَّيْخَ ليتزوَّجَ ابنتَه ! فَقَدَحَ ذلك فى قَلْبِها[٣] ! فلمَّا تَحَمَّلَ القومُ[٤] تَخلَّفَ الحُطَيْئَةُ ، فاحْتَمَلَهُ القُرَيْعِيُّونَ ، فبَنَوْا لَهُ ووَفَوْا له ، فلمَّا جاء[٥] الزِّبرقانُ صارَ إليهم ، فقال : رُدُّوا عَلَىَّ جارِى ، فقالوا : ليس لَكَ بِجارٍ وقد طَرَحْتَه ! فذلك حيثُ يقولُ الحُطَيْئَةُ[٦] :

وإنَّ التى نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَلَىَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا[٧]
أتَتْ آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيٍ وإنَّما ... أتاهُمْ بها الأَحْلامُ والحَسَبُ العِدُّ
فإنَّ الشَّقِىَّ مَنْ تُعادِى صُدُورَهُمْ ... وذا الجَدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ وَدُّوا[٨]
يَسُوسُونَ أحلامًا بَعِيدًا أناتُها ... وإنْ غَضِبُوا جاء الحَفِيظَةُ والجِدُّ[٩]
أَقِلُّوا عليهم لا أَبا لِأَبِيكُمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أُولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحْسَنُوا البُنا ... وإنْ عاهدوا أوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا[١٠]

---

(١) « النجعة » بضم النون وسكون الجيم : طلب الكلإ فى موضعه .

(٢) فى ج و س و د « من خَبَّرَها أنَّ » .

(٣) فى بعض النسخ « فى عقلها » .

(٤) فى ج و س و د « فلما احْتَمَلَ القومُ » .

(٥) فى ج و د « فلما قدم » .

(٦) فى س « فذلك قول الحطيئة » وفى ج و د « ففى ذلك يقول الحطيئة » .

(٧) « نكبتها » أى عدلت بها . يريد المدحة التى عدل بها عن الزبرقان وقومه بنى بهدلة .

(٨) « تعادى صدورهم » فى النسخ بالتاء فى أوله ورفع « صدورهم » وفى ج « يعادى » بالتاء والياء معا ، و « صدورهم » بالرفع والنصب معا ، فلذلك أثبتناها كلها . و « الجد » بفتح الجيم : الحظ والبخت . وفى ج و س و د « وذوالجد » .

(٩) « الحفيظة » : اسم من « الحفاظ » وهو الذبّ عن المحارم والمحافظة عليها ، و « الجدّ » بالكسر : الاجتهاد ساعة البأس ، قاله المرصفى . وبحاشية طبعة أوربة أن رواية الأصمعى « والحد » بفتح الحاء المهملة ، وهو : مايعترى الإنسان من الغضب والنزق كالحدة .

(١٠) « البنا » ضبطت فى طبعة أوربة بضم الباء وكسرها معاً ، وسيأتى شرح ذلك لأبى العباس .

وإن كانتْ النَّعْمَاءُ فيهم جَزَوْا بِهَا ... وإن أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوهَا ولاَ كَدُّوا
وإن قال مَوْلاَهُمْ على جُلِّ حَادِثٍ ... من الدَّهْرِ: رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُم، رَدُّوا
وتَعْذُلُنِي أَفْنَاءُ سَعْدٍ عليهمُ ... وما قلتُ إلاَّ بالذى عَلِمَتْ سعدُ[1]

☼

قولُه « جُلَّةٌ بَحْوَنَةٌ » : أى ضَخْمَةٌ ، يقالُ ذلك للناقةِ والنَّخلةِ إذا اسْتَفْحَلَتْ[2] وطَالَتْ .

وقولُه « نَكَبْتُها » يقولُ : عَدَلْتُ بها .

وقولُه « والحَسَبُ العِدُّ » معناه : الجليلُ الكَثِيرِ، وأصلُ ذلك فى الماء ، يقال « بِئْرٌ عِدٌّ » إذا كانت ذاتَ مادَّةٍ من العُيونِ لا تَنْقَطِعُ ، وكلُّ ماءٍ ثابتٍ فهو « عِدٌّ » .

وقولُه « يَسُوسُونَ أحلامًا بعيدًا أَنَاتُها » يقولُ : ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخِرُها ، وأصلُ « الأَناةِ[3] » من التأَنِّى والانتظارِ ، فيقولُ : لا يُبْلَغُ آخِرُها فَتُسَفَّهَ .

وقولُه « أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنُوا البُنَا » وإن شِئْتَ قلتَ « البِنَا » فهما مقصورانِ ، يقال « بَنَى بِنْيةً وبُنْيةً » فجَمْعُ « بِنْيةٍ » « بِنًى » وجَمْعُ « بُنْيةٍ » « بُنًى » فبِنْيةٌ وبِنًى كَكِسْرةٍ وكِسَرٍ ، وبُنْيةٌ وبُنًى كظُلْمةٍ

---

(١) « بالذى » بدلها فى ع « بالتى » وكتب فوقها « صح » وبحاشيتها : « بالذى رواية ، وهو الأصح » .

(٢) فى ع و د « إذا استقلت » .

(٣) فى ع و س و د « وأصل ذلك أن الأناة » .

وظُلَمٍ ، فأمّا المصدرُ مِنْ « بَنَيْتُ » فممدودٌ ، يقالُ « بَنَيْتُه بِناءً حسنًا » « وما أَحْسَنَ بِناءَكَ[1] » .

وقولُه « وإنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا » « أَوْفَى » أَحْسَنُ اللُّغَتَيْنِ ، يقالُ « وَفَى وَأَوْفَى » . قال الشاعرُ ، فَجَمَعَ [بينَ[2]] اللغتين — :

أَمَّا ابنُ بِيضٍ فقد أَوْفَى بذمَّتِهِ كما وَفَى بِقِلاصِ النَّجْمِ حادِيها[3]

وفي القرآن : ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ[4] ﴾ وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عاهَدْتُمْ[5] ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عاهَدُوا[6] ﴾ فهذا كله على « أَوْفَى » وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما رُوِيَ مِنْ أنه قَتَلَ مسلِمًا بِمُعاهَدٍ ، وقال : « أنا أَوْلَى مَنْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ[7] » .

وقال السَّمَوْءَلُ في اللغة الأُخْرَى :

---

(١) ويجوز أن يكون « البنا » في البيت بالضم مصدر أيضا ، قصره بحذف الهمزة تسهيلا أو مراعاة للوزن .

(٢) الزيادة من س و د .

(٣) « بيض » بكسر الباء في طبعة أوربة ، وفي القاموس : « وابن بيض وقد يفتح ، أو هو وهم للجوهري — : تاجر مكثر من عاد، عقر ناقته على ثنية فسد بها الطريق ومنع الناس من سلوكها » .
وقوله « كما وفى » الخ قال المرصفي : « ذلك على ما تزعم العرب : أن الدبران خطب الثريا وساق لها عشرين نجما » .

(٤) سورة آل عمران (٧٦) .

(٥) سورة النحل (٩١) .

(٦) سورة البقرة (١٧٧) .

(٧) هذا حديث ضعيف ، إنما روى مرسلا من طرق ضعاف ، والحديث الضعيف ليس بحجة ، لا في الفقه ولا في العربية ، وإنما الثابت الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقتل مؤمن بكافر » رواه أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود والترمذي من حديث أبي جحيفة ، ورواه الشافعي وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث علي بن أبي طالب ، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو . وانظر تفصيل كل هذا في نيل الأوطار (ج ٧ ص ١٥٠ — ١٥٥) وفي نصب الراية (ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٩ من طبعة الهند) وفي اختلاف الحديث للامام الشافعي بهامش الجزء السابع من الأم (ص ٣٨٨ — ٣٩٩) .

وفَيْتُ بأَذْرُعِ الـكِنْدِيِّ إِنّى ... إذا ماهدتُ أقواماً وَفَيْتُ[1]

وقال المُـكَعْبَرُ الضَّبِّيُّ [قال أبو الحسن : حفظى « المُـكَعْبِرُ[2] »] :

وَفَيْتُ وَفَاءً لَمْ يَرَ الناسُ مِثْلَه ... بِتِعْشَارَ إِذْ تَحْبُو إِلىَّ الأَكَابِرُ[3]

وقولُهُ :

«وإنْ كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بِها ... وإنْ أَنْعَمُوا لا كَدَّرُوها وَلاَ كَدُّوا»

يقولُ ما قالَ جريرٌ مِثْلَه :

وإنّى لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ ... علىَّ من الحقِّ الّذى لا يَرَى لِيَا

يقولُ : أَسْتَحْيِي أَن أَرَى نعمتَه علىَّ ولا يرَى على نفسِه لى مِثْلَها .

وقولُه : « على جُلِّ حادثٍ » فهو الجليلُ من الأمرِ ، يقالُ : فلان يُدْعَى للجُلَّى ، قال طَرَفَةُ :

* وإنْ أُدْعَ لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِها *

❋

وفيهم يقولُ الحطيئةُ[4] :

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أَنَّ دِرَّتَكُمْ ... يوماً يَجِيءُ بها مَسْحِي وإِبْسَاسِي

---

(١) فى نسخة بحاشية « إذا ماخان أقوام وفيت » .

(٢) الصواب ماقال أبو الحسن ، قال فى اللسان : « ويقال كَعْبَرَهُ بالسيف : أى قطعه ، ومنه سُمِّيَ المُـكَعْبِرُ الضَّبِّيُّ ، لأنه ضَرب قوماً بالسيف » .

(٣) « تعشار » موضع بالدهناء ، ولم أجـد له ضبطا إلا بكسر التاء ، وضبط فى بعض نسخ الـكامل بفتحها .

(٤) لم يشرح المرصفى هذه الأبيات هنا ، وأحال على ماشرحها به فيما مضى ، إذ ذكرها هناك استطراداً ، وشرحها (ج ٣ ص ٨١ ــ ٨٣) .
وقد شرح أبو العباس هنا أكثر مافيها ، وهو موضع ذلك .

لَمَّا بَدَا لِيَ منكم غَيْبُ أَنْفُسِكم ... ولم يَكُنْ لِجِرَاحِي فيكُمْ آسِي[١]

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِن نَوَالِكُمُ ... ولا تَرَى طارِدًا للحُرِّ كاليَاسِ[٢]

ما كان ذَنْبُ بَغِيضٍ لا أَبا لَكُمُ ... في بَائِسٍ جاء يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ

جَارٍ لقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ... وغَادَرُوهُ مُقِيمًا بين أَرْمَاسِ

مَلُّوا قِرَاهُ وهَرَّتْهُ كِلَابُهُمُ ... وجَرَّحُوه بأَنْيَابٍ وأَضْرَاسِ

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[٣]

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قولُه « لقد مَرَيْتُكُمُ » أصلُ[٤] « المَرْيِ » : المَسْحُ ، يقال « مَرَيْتُ النَاقَةَ » إذا مسحتَ ضَرْعَها لِتَدُرَّ[٥] ، ويقالُ « مَرَى الفرسُ والناقةُ » : إذا قام أحدُهما على ثلاثٍ ومَسَحَ الأَرضَ بيده الأُخرَى ، قال الشاعرُ :

إذا حُطَّ عَنْها الرَّحْلُ أَلْقَتْ بِرَأْسِهَا ... إلى شَذَبِ العِيدَانِ أَوْ صَفَنَتْ تَمْرِي[٦]

وهذا مِن أَحْسَنِ أَوصافِها .

---

(١) في ج « غيب » بنقطة فوق العين وعين مهملة تحتها ، وكتب عليها « معا » إشارة إلى قراءتها بالمعجمة والمهملة ، كأنهما روايتان ، وكتب أيضا بحاشيتها « الغين معجمة لاغير » . وهي في ديوان الحطيئة بشرح السكري (ص ٥٣) بالمعجمة فقط .

(٢) بحاشية ج « يأساً مريحاً » وهو يوافق ما في الديوان .

(٣) « لبغيتها » ضبطت في طبعة أوربة بكسر الباء فقط ، وطبعت في شرح المرصفي بالضم ، وكلاهما جائز ، ولكنا نثبت ما ثبت في الأصول الصحيحة المطبوعة عنها نسخة أوربة .

(٤) في ج و د « فأصل » .

(٥) « لتدر » ضبطت في طبعة أوربة بضم الدال لاغير ، وهي جائز فيها الكسر أيضاً ، و « الدر » بفتح الدال : كثرة اللبن .

(٦) « شذب العيدان » : ما تفرق منها ، الواحدة « شذبة » . و « الصافن » من الخيل : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، ومنه : ﴿ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ ﴾ (سورة ص ٣١) ، ويطلق أيضا على كل قائم صافٍّ قدميه ، ولعله الأنسب هنا إذا فسر

وقال بعض المحْدَثِينَ يَصِفُ بِرْذَوْنًا بحسن الأَدَبِ .[الشعرُ لمحمد بن يَزِيدَ ، مِنْ ولدِ مَسْلَمةَ بن عبد الملك ، يصفُ فرسَه ، وقبلَهُ :

عَوَّدْتُهُ فيما أَزُورُ حَبَائِبِي إهمالَهُ وكذاكَ كلُّ مُخاطِرِ[(1)]]

وإذا احْتَبَى قَرَبُوسَهُ بِعِنَانِهِ عَلَكَ اللِّجامَ إلى انْصِرافِ الزَّائرِ[(2)]]

ويقال : « مَرَاهُ » مائةَ سوطٍ ومائةَ درهمٍ : إذا أَوْصَلَ ذلك إليه ، وَلِـ« مَرَاهُ » موضعٌ آخرُ ، ومعناه : مَرَاهُ حقَّهُ : إذا دَفَعَهُ عنه ومنَعهُ منه ، وقد قُرِئَ : ﴿ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى[(3)] ﴾ أي تَدْفَعُونَهُ [عنه[(4)]] ، « وعلى » [هٰهنا[(4)]] في موضع « عن » قال العامِرِيُّ [هو القُحَيْفُ العُقَيْلِيُّ[(5)]] :

إذا رَضِيَتْ عليَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وبنو كَعْبِ بن رَبِيعةَ بن عامرٍ يقولونَ : « رضى الله عليك » .

وأمَّا « الإِبْسَاسُ » : فأَنْ تَدْعُوَ الناقةَ باسمِها ، أَوْ : تُلَيِّنَ لها الطريقَ إلى

« المرى » بتفسير أبي العباس ، وأما على الأول فيكون « المرى » المسح فقط ، قال في اللسان : « مَرَى الفرسُ بيديه إذا حركهما عن الأرض كالعابِثِ » .

(1) « حبائبي » هي في طبعة أوربة « حبابي » وهو خطأ ، صحته من معاهد التنصيص (ص ٢٤٠ طبعة بولاق) .

(2) قال في معاهد التنصيص : « القربوس ، بفتح الراء ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر ، وهو حنو السرج ، وهما قربوسان ، والعنان ، بكسر العين : سير اللجام الذي تمسك به الدابة » .

(3) سورة النجم (١٢) وهذه قراءة حمزة والكسائي ، وقرأها باقي السبعة : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ ﴾ . قال في اللسان : « فمن قرأ : أَفَتُمَارُونَهُ : فمعناه أفتجادلونه ... ومن قرأ : أَفَتَمْرُونَهُ : فمعناه أفتجحدونه » .

(4) الزيادة في الموضعين من ج و د .

(5) الزيادة من حاشية ج .

الحَلَبِ ، بقولٍ أو مَسْحٍ أو ما أشبهَ ذلك ، فإذا كانت الناقةُ تَدُرُّ على الدُّعاء والمَلَقِ قيل : « ناقةٌ بَسُوسٌ » وذلك مِن صفاتِها فى حُسْنِ الخُلُق.

وقوله « ولم يكُنْ لِجراحِى فيكُمُ آسِى » يقول : مُداوٍ ، و« الآسِى » : الطبيبُ ، قال الفرَزْدَقُ يَصِفُ شَجَّةً :

إذا نَظَرَ الآسُونَ فيها تَقَلَّبَتْ   حَمَالِيقُهُمْ مِن هَوْلِ أنيابِها العُصْلِ[1]

و« والإساء » الدَّواء ، ممدودٌ ، قال الحطيئةُ :

هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرَّأْسِ لَمَّا   تَوَاكَلَهَا الأَطِبَّةُ والإساءُ[2]

فأمَّا[3] « الأَسى » فمقصورٌ ، وهو: الحُزْنُ ، ومِن[4] ذلك قولُ الله جل ثناؤه : ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[5]﴾ وقال العَجَّاج :

ياصاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ؟   قال : نَعَمْ أَعْرِفُهُ ، وأَبْلَسَا[6]

---

(١) « العصل » بضم العين وسكون الصاد المهملتين : جمع « أعصل » والناب الأعصل : المُعْوَجّ وكل شىء معوجّ فيه صلابة : أَعْصَلُ . والشطر الأخير فى ج « وجُوهُهُمْ من خَوْفِ أنيابِها العُصْلِ » . وبحاشيتها : « العصل : يريد المعوجة » .

(٢) « الأطبة » جمع « طبيب » وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة « أطباء » . وقال فى اللسان فى شرح هذا البيت (١٨ : ٣٦) : « والاساءة ممدود مكسور : الدواء بعينه ، وإن شئت كان جمعا للآسى ، وهو المعالج ، كما تقول : راع ورعاة . قال ابن برى : قال على بن حمزة : الإساء فى بيت الحطيئة : لايكون إلا الدواء لاغير » .

(٣) فى ج و س و د « وأما » وبها طبعت فى طبعات مصر .

(٤) فى طبعات مصر « من » بحذف الواو ، وهى ثابتة .

(٥) سورة المائدة (٦٨) .

(٦) « مكرسا » فسر فى حاشية ج بأن « معناه مجتمعا » . وفسر فى اللسان (٧ : ٣٢٨) بأنه « الذى صار فيه الكِرْسُ ، وهو الأبوالُ والأبعارُ » . وفسر فيه أيضا (٨ : ٧٧) بأنه « الذى قد بَعَرَتْ فيه الإبلُ ، وبوّلت فركب بعضهُ بعضاً ، ومنه سميت

* وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِن فَرْطِ الأَسَىٰ *

فإذا قلتَ « الأُسَى » قَصَرْتَ أيضًا ، وهو جَمْعُ « أُسْوةٍ »[1] تقولُ[2] : فلانٌ أُسْوَتِي وقُدْوَتِي » قال الله جل وعزّ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[3] :

و « الرَّمْسُ » : التُّراب ، يقال : رُمِسَ فلانٌ فى قبره .

*

وأشعارُ الحُطيئةِ فى هذا الباب كثيرةٌ ، ولولاَ أنّها معروفةٌ مشهورةٌ لَأَتَيْنا على آخِرِها ، ولكنّا نذكُرُ منها شيئًا مختارًا .

فمن ذلك قولُه :

جَزَى اللهُ خيرًا والجَزاءُ بكفِّه ... عَلَى خَيْرِ ما يَجْزِى الرجالَ بَغِيضَا

فلو شاءَ إذ جئناهُ ضَنَّ فلم يُلَمْ ... وصادفَ مَنًّا فى البلادِ عَرِيضَا

[كذا وقعتِ الروايةُ « مَنًّا » والصوابُ « مَنْأًى » أىْ بُعْدًا ، مأخوذٌ من « نأَيْتُ » إذا بَعُدْتَ ، ومنه «النَّأْىُ»][4] يقولُ : كَثُرَتْ محاسِنُه حتى كُذِّبَ

الـكُرَّاسةُ » يعنى لاجتماعها ، لأن أصل المادة فى معنى الجمع ، قال : «وكلُّ ماجُعِل بعضُهُ فوقَ بعضٍ فقد كُرِّسَ وتَكَرَّسَ هو . . . والكُرَّاسَةُ من الكتب سميت بذلك لتَكَرُّسِها » .

وأما « أبلس » فهو من « الإبلاس » وهو : الانكسار والحزن ، يقال : « أبلس فلان » : إذا سكت ، غمًا ، كما فى اللسان .

(١) « الأسوة » بضم الهمزة وبكسرها ، وكذلك جمعها بهما .

(٢) فى ع و س و د « يقال » .

(٣) سورة الأحزاب (٢١) .

(٤) الزيادة من حاشية ع .

ذَامُّهُ ، فاستَغْنَى عن أن يُكثِّرَ مادحَه ، ثِقةً بأنَّ هاجيه غيرُ مُصدَّقٍ ، فاعتَبِرْ هذا الكلامَ ، فإنك تجدُه رأسًا فى بابه .

ومن ذلك قوله :

وإنّى قد عَلِقْتُ بحَبْلِ قومٍ ... أعانَهُمُ على الحسَبِ الثَّرَاءُ
إذا نَزَلَ الشِّتاءُ بِجارِ قومٍ ... تجَنَّبَ جارَ بَيْتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسُونَ أُمَّ الرأسِ لَمَّا ... تَوَاكَلَها الأَطِبَّةُ والإِسَاءُ

ثم قال يخاطبُ الزِّبْرِقانَ ورَهْطَهُ :

ألم أَكُ نائِيًا فَدَعَوْتُمُونِى ... فجاءَ بِىَ المَوَاعِدُ والدُّعاءُ[1]
فلمّا كنتُ جارَكُمُ أَبَيْتُمْ ... وشَرُّ مَوَاطِنِ الحَسَبِ الإباءُ
ولمّا كنتُ جارَهُمُ حَبَوْنِى ... وفيكم كانَ لو شئتُمْ حِباءُ[2]
فلمّا أنْ مدحتُ القومَ قلتم ... هجوتَ، وهل يَحِلُّ لِىَ الهِجَاءُ
ولم أشتِمْ لكم حَسَبًا ولكنْ ... حَدَوْتُ بحيثُ يُستَمَعُ الحُدَاءُ[3]

ويُرْوى أنّ الحُطَيْئةَ ، واسمُه : جَرْوَلُ بن أَوْسٍ ، ويُكْنَى : أبا مُلَيْكَةَ ـ : مَرَّ بحسانَ[4] بن ثابتٍ وهو يُنْشِدُ [ش : أدخلَه سيبويهِ رحمه الله على أنّ « الجَفَنَاتِ » من الجمعِ الكثيرِ] :

---

(١) فى ج و س و د « والرجاء » . و « المواعد » جمع « موعد » .
(٢) « الحباء » بكسر الحاء : العطاء .
(٣) فى ج و س و د « فلم أشتم لكم عرضاً » . والذى فى الديوان (ص ٢١) « فلم أشتم لكم نسباً » .. و «الحَدْوُ» و «الحُدَاء» : سوق الإبل والغناء لها ، يريد أنه مدح حيث يستمع لمدحه ويجاز عليه ، فهو لم يسبّ الزبرقان ورهطه ، وإنما مدح أعداءهم ومنافسيهم ، فكان هذا هجواً لهم .
(٤) « حسان » يجوز صرفه ومنعه من الصرف ، إن كان « فعلان » من « الحسّ » منع ، وإن كان « فعال » من « الحسن » صرف .

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأَسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا

فالتفت إليه فقال : كيفَ ترَى فقال : ما أَرَى بأسًا ! فقال حَسانٌ : انظرُوا إلى [هذا[1]] الأعرابيِّ يقولُ ما أرَى بأساً ! ! أبو مَنْ؟ قال : أبو مُلَيْكَةَ ، قال حسان : ما كنتَ علىَّ أهونَ منكَ حيثُ ا كْتَنَيْتَ بامرأةٍ ! ما اسمُكَ؟ قال : الحطيئةُ ، قال : امْضِ بسَلَامٍ .

وكان الحطيئةُ فى حَبْسِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله ، باستدعاء الزِّبْرِقانِ عليه فى هذه القصة ، ولِعُمَرَ يقولُ [الحطيئةُ][2] :

ماذا تقولُ لِأَفْرَاخٍ بذى مَرَخٍ حُمْرِ الحواصِلِ لاماءٌ ولا شَجَرُ[3]

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغفِرْ عليكَ سلامُ اللّهِ يا عُمَرُ

أنتَ الإمامُ الذى مِنْ بَعْدِ صاحِبِه ألقتْ إليكَ مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ

ما آثَرُوكَ بها إذْ قَدَّموكَ لها لكنْ بكَ استأثَرُوا إذْ كانتِ الأُثَرُ

ويُروى عن أبى زيدٍ الأنصارىِّ أنه قال : ويُرْوَى « الإِثَرُ » والواحدةُ « أُثْرَةٌ » و « إِثْرَةٌ » ومعناه : الاستئثارُ .

فَرَقَّ له عمر فأخرجه ، فيُرْوَى أنَّ عمرَ رحمه الله دَعَا بكرسىٍّ فجلسَ عليه ، ودَعَا بالحُطيئة فأجلسه بينَ يديه ، ودَعا بإشْفَى وشَفْرَةٍ[4] ، يُوهِمُه أنه[5] على

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) الزيادة من ع و د .

(٣) « ذو مرخ » واد بالحجاز . وفى كل نسخ الكامل التى صححت عليها طبعة أوربة « حمر الحواصل » ولكن الشيخ المرصفى رحمه الله غير البيت فى شرحه فجعله « زغب الحواصل » وهذه رواية معروفة ، ولكن مافى الأصول أولى بالإثبات ، إذ هو رواية المبرد .

(٤) « الإشفى » بكسر الهمزة مقصور : مثقب للأساكفة يثقبون به الجلد . و « الشفرة » : السكين العريضة .

(٥) فى حاشية ع زيادة « عازم » وكأنها حاشية لتفسير المراد .

قَطْعِ لسانِه ، حتى ضجَّ من ذاكَ ، فكان فيما قال له الحطيئةُ : يا أميرَ المؤمنين ! إنى والله قد هجَوتُ أبى وأُمّى ، وهجَوتُ امرأتى ، وهجَوتُ نفسِى !! فتبسّمَ عمرُ رحمه الله ، ثم قال [له[1]] : فما الذى قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبى وأُمّى والمخاطَبةُ للامّ .

ولقد رأيتُكِ فى النِّساء فَسُؤْتِنِي ... وأبا بَنِيكِ فساءنِي فى المَجْلِسِ

وقلتُ لها [أيضاً[1]] :

تَنَحَّىْ فاجْلِسِى مِنِّى بَعِيداً ... أَراحَ اللهُ منكِ العالَمِينا

أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً ... وكانُوناً على المُتَحَدِّثِينا

[قولُه « كانُوناً » قيلَ : الكانونُ : النَّمّامُ ، وقيلَ : الثقيلُ ، وقيل : الذى إذا دَخَلَ على القوم كَنُّوا حديثَهم منه ، وقيلَ : هو المُصْطَلِي ، وقيل : إنه هو كانونُ النّارِ ، لأنه يُؤْذِى . . . . . ويَحْرِقُهُنّ[2]] وقلتُ لامرأتِى :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِى ... إلى بيتٍ قَعِيدَتُهُ لَكَاعِ[3]

فقال له عمرُ رحمه الله : فكيفَ هَجَوْتَ نفسَكَ ؟ فقال : اطَّلَعْتُ فى بئرٍ فرأيتُ وجهِي فاستقبحتُه ! فقلتُ :

أَبَتْ شَفَتَايَ اليومَ إلاّ تَكَلُّماً ... بِسُوءٍ فما أدْرِى لِمَنْ أنا قائِلُهُ

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) كذا فى طبعة أوربة نقط فى موضع بياض ، ثم كلمة « ويحرقهن » . وقد غير ذلك فى طبعات مصر ، فحذفت النقط وكتبت الكلمة « ويحرق » وهو تصرف غير سائغ عندنا .

(٣) قالوا فى النداء للرجل : « يالُكَعُ » ، وللمرأة : يالَكَاعِ » و « لَكِعَ الرجلُ يَلْكَعُ لَكَعاً وَلَكَاعَةً : لَؤُمَ وَحَمُقَ » . قاله فى اللسان ، وقد ذكر هذا البيت ولسبه لأبى الغريب النصرى .

أرى لِىَ وَجْهاً قَبَّحَ الله خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ !!

٭

ونزَل أعرابىٌّ من طَيِّئٍ ، يقالُ له المُثَنَّى بنُ معروفٍ ـ : بأبى جَبْرٍ الفَزارِىّ ، فسمعه يوماً يقول : والله لوَدِدْتُ أنى أبيتُ الليلةَ خالياً بابنةِ عبد الملك بن مَرْوَانَ ! فقال له المُثَنَّى : أحلالاً أم حرامًا ؟ فقال : ما أُبالِى ! فوَثَبَ عليه فضرب رأسَه بِرِحَالة[1] ، ثم انتقلَ وهو يقولُ :

أبْلِـغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً ... عَلَى النَّأْى أنِّى قد وَتَرْتُ أَبَا جَبْرِ

كسرتُ على اليافوخِ منه رِحَالَةً ... لِنَصْرِ أميرِ المؤمنينَ وما يَدْرِى

على غيرِ شئٍ غيرَ أنِّى سمعتُهُ ... بَغَى بنساء المسلمينَ بلا مَهْرِ

ويُرْوَى : أنّ الحجاجَ [بن يوسفَ[2]] جلسَ لقَتْلِ أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ ، فقامَ رجلٌ منهم فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ! إنَّ لِى عليك حَقًّا ، قال : وما حَقُّكَ ؟ قال : سَبَّكَ عبدُ الرحمن يومًا فرددتُ عليه ، قال : مَنْ يعلمُ ذاكَ ؟ قال : أنْشُدُ اللهَ رَجلاً سمعَ ذاكَ إلاّ شَهِدَ به ، فقام رجلٌ من الأُسَرَاء[3] فقال : قد كان ذاكَ أيُّها الأميرُ ! قال : خَلُّوا عنه ، ثم قال للشاهد: فما منعك أن تُنْكِرِ كما أنْـكَرَ ؟ قال : لِقَدِيم بُغْضِى[4] إيَّاكَ ! قال : ويُخَلَّى عنه لصِدْقِهِ .

---

(١) « الرحالة » : سرج من جلد لا خشب فيه ، يتخذ للركض الشديد .

(٢) الزيادة من ج و س و د .

(٣) فى ج و س و د « الأَسْرَى » وكلاهما جمع « أسير » .

(٤) فى ج و س و د « بِغْضَتِى » بكسر الباء ، وهى شدة البغض .

❋

وقال عمرُ بن الخطاب لرجلٍ ، وهو أبو مريمَ السَّلُولِيُّ ـ : واللهِ لاَ أُحِبُّكَ حَتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ ! قال : أَفَتَمْنَعُنِي حقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلاَ بأسَ إنَّمَا يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ !

[وَهِمَ أبو العباس رحمـــه الله في قوله « أبو مريمَ السَّلُولِيُّ » إنما هو « أبو مريمَ الحَنَفِيُّ » وكان سببُ بغضِه إيَّاهُ : أنهُ قتَلَ أخاهُ زيدَ بنَ الخطاب ، وكانَ أبو مريمَ صاحِبَ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ ، واسمُ أبي مريمَ «إياسُ بنُ صُبَيْحٍ» ثقةٌ كوفيٌّ ، واسمُ أبي مريمَ السَّلُولِيِّ «مالكُ بنُ رَبيعةَ» من الصحابة ، رَوَى عنه ابنه بُرَيْدٌ وغيرُه[1]] .

---

(١) هذا استدراك صحيح ، ولـكن وقع في نسخة الـكامل طبعة أوربة وفي طبعات مصر تصحيف في اسم ابن أبي مريم السلولي ، فجعل فيها « يزيد » بالياء التحتية في أوله وبالزاي ، وصوابه « بريد » بضم الباء الموحدة وفتح الراء ، وله ترجمة في التهذيب (ج ١ ص ٤٣٢ في حرف الباء) وهو ثقة روى عن أبيه وعن أنس وابن عباس وغيرهم ، مات سنة ١٤٤ . وأما « يزيد بن أبي مريم » بالتحتية : فإنه دمشقي مولى سهل بن الحنظلية الأنصاري ، وله ترجمة في التهذيب (ج ١٢ ص ٣٥٩) وهو من طبقة الذي قبله مات سنة ١٤٤ وقيل سنة ١٤٥ ولـكنه مولى ، والأول عربي نسباً .

وأبو مريم السلولي له ترجمـة في طبقات ابن سعد (ج ٦ ص ٢٤ و ج ٧ ق ١ ص ٣٧) ووقع اسم ابنه فيه على الصواب في الموضع الأول وعلى الخطأ في الموضع الثاني ، وله ترجمة أيضا في التهذيب (ج ١٠ ص ١٦) والإصابة (ج ٦ ص ٢٤) ووقع فيهما اسم ابنه على التصحيف . وله حديث واحد ، رواه أحمد في مسنده (ج ٤ ص ١٧٧) .

وأما أبو مريم الحنفي فهو « إيَاسُ بن ضُبَيْحٍ » بالضاد المعجمة المضمومة وفتح الباء الموحدة وآخره حاء مهملة ، وقد تصحف أيضا هنا في نسخ الـكامل كلها ، فجعل بالصاد المهملة، وصوابه من طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) ونص عليه الذهبي في المشتبه (ص ٣١٣) وذكر أنه فرد ، أي لم يشاركه غيره في الضاد المعجمة .

وقال ابن سعد في ترجمـة أبي مريم الحنفي : « كان من أهل اليمامة ، وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وأسلم وحسن إسلامه ، وولي قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين ، في زمن عمر بن الخطاب » .

وقال الحجاج لرجلٍ من الخوارج : واللهِ إنّى لأُبْغِضُكُمْ ، فقال له الخارجيُّ : أدْخلَ اللهُ أشدَّنا بُغْضًا لصاحبه الجنّةَ !

وأُتِيَ الحجاجُ بامرأةٍ من الخوارجِ ، فجعلتْ لا تَنْظُرُ إليه ، وكان يزيدُ بن أبي مُسْلمٍ يَرَى رأى الخوارجِ ويَكْتُمُ ذاكَ[١] ، فأَقبَلَ على المرأةِ فقال : انْظُرِى إلى الأميرِ ، فقالت : لا أنظر إلى مَنْ لا ينظر اللهُ إليه ! فكلّمها الحجاجُ وهى كالسّاهِيَة ، فقالَ لها يزيد : اسْمَعِى — وَيْلَكِ من الأميرِ ! فقالت : بل الويل لك أيها الكافرُ الرَّدِّيُّ .

[قال أبو العباس][٢] : « والرَّدِّيُّ » عند الخوارج : الذى له عَقْدُهُمْ ويُظهِر خلافَه رغبةً فى الدنيا[٣] .

وكانَ صالحُ بنُ عبد الرّحمنِ كاتِبَ الحجاجِ وصاحِبَ دواوينِ العراقِ ، والذى قَلَبَ الدّواوينَ إلى العربية ، ثم كان على خَرَاجِ العراقِ أيامَ وَلِيَ يزيدُ بن المُهلَّبِ [العراقَ[٢]] ، فأشْجَى يزيدَ[٤] ، وقد كان يَرَى رأْى الخوارجِ ، فكايَدَهُ يزيدُ بن أبى مُسْلِمٍ مَوْلَى الحجاج ، فأشارَ على الحجاج أن يأْمُرَهُ بقتلِ جَوّابِ الضَّبِّيِّ ، وهو رأسٌ من رؤوسِ الخوارجِ ، وقال يَزيدُ : إنْ فَعَلَ بَرِئَتْ منه الخوارجُ ، وقَتَلَتْهُ ، وإنْ أَمْسَكَ قَتَلَه الحجاجُ ، فقتله ،

(١) فى ج و س و د « ذلك »
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) قال المرصفى : « الردى : بكسر الراء والدال المشددة وتشديد الياء ، منسوب إلى الردّ ، بالفتح ، يرون أنه ردّ نفسه من إقبالها على الآخرة جهرة رغبة فى الدنيا » .
(٤) « أشجاه » أغضبه وأغصه وضايقه ، كأنه صار كالشجا فى حلقه ، و « الشجا » : ما اعترض فى حلق الإنسان والدابة ، من عظم أو عود أو غيرهما ، وكان يزيد كلما طلب شيئاً من المال أباه عليه صالح .

وخُبِّرْتُ(١) : أنه قال : والله ما قتلتُه رغبةً فى الحياةِ ، ولـكنِّى خفتُ يَسْبِي الحجاجُ بَنَاتِى ، وكان يقولُ [بَعْدُ (٢)] : إنِّى حينَ أُقْتَلُ جَوَّابًا لَحَرِيصٌ على الدنيا ! فلما عَذَّبه عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ فى خلافةِ يزيدَ بنِ عَاتِـكَةَ(٣) رُمِىَ به على قُـامَةٍ(٤)، وهو لِمَا بِهِ(٥) ، فَسُمِعَ يُحَـكِّمُ عليها(٦) وحَـكَّمَ مالكُ بن المنذرِ بن الجارودِ وهو بآخر رَمَقٍ فى سجنِ هشام بن عبد الملك .

ودخلَ يزيدُ بن أبى مُسلمٍ على سليمانَ بن عبد الملك ، وكان دَمِيمًا ، فلما رآهُ [سليمانُ(٧)] قال : قَبَحَ اللهُ رجلاً أجرَّكَ رَسَنَهُ(٨)، وأشْرَكَكَ فى أمانتِه ! فقال له يزيدُ : ياأميرَ المؤمنين ! رأيتَنى والأمْرُ لكَ ، وهو عَنِّى مُدْبِرٌ ولو رأيتَنى والأمرُ علىَّ مُقْبِلٌ لاَسْتَـكْبَرْتَ مِنِّى ما اسـتصغرتَ ، واستعظمتَ منِّى ما استحقرتَ ، فقال : أَتُرَى الحجاجَ اسْتَقَرَّ فى قعرِ الجحيم(٩) بَعْدُ ؟ ! فقال : ياأميرَ المؤمنين ! لا تَقُلْ ذلكَ [فى الحجاج(١٠)]، فإنَّ الحجاجَ وطَّأَ لـكم المنابرَ،

(١) فى ج و د « فَحُدِّثْتُ » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، نسب إلى أمه عاتـكة بنت يزيد بن معاوية .
(٤) « القمامة » بضم القاف : الـكناسة .
(٥) « لمـآبه » يريد : لمسيره الذى يؤوب اليه ويرجع فى الآخرة .
(٦) « يحكم » يقول « لاَحُـكْمَ إلاَّ لِلهِ » وهو قول الخوارج حين حكم علىٌّ ومعاوية أباموسى وعمرو بن العاص ، ثم صار شعاراً للخوارج .
(٧) الزيادة من ج و س و د .
(٨) قال المرصفى : « الرسن : الحبل يقاد به البعير والفرس والدابة . وأجرك : جعلك تجرّه ، وذلك كناية عن انقياد الحجاج له فيما يشاء ويهوى . والعرب تقول : أجررتُ البعيرَ رسنه ، ومعناه فى الأصل : جعلته يجره ، وخليته يرعى كيف شاء . ثم تكنى به عن ترك التضييق عليه » .
(٩) فى ج و س و د « جهنم » .
(١٠) الزيادة من ج و س و د ، وفى بعض النسخ «ذاك» بدل «ذلك» .

وأذلّ لكم الجبابرَ[1]، وهو يجيء يومَ القيامةِ عن يمينِ أبيكَ ، وعن يسارِ أخيكَ ، فحيثُ كانا كانَ ! !

باب

قال أبو العباس وهذا بابٌ من تكاذيبِ الأعرابِ .

حدثني أبو عُمَر الجَرْمِيُّ قال : سألتُ أبا عُبيدةَ عن قولِ الرّاجِزِ :

أَهَدّمُوا بيتَكَ لاَ أَبالَكا وأنا أَمْشى الدَّأَلاَ حَوالَكا[2]

فقلتُ : لِمَنْ هذا الشعرُ ؟ فقال : [تقولُ العربُ[3]] : هذا يقولُه الضّبُّ للحِسْلِ ، أيّامَ كانت الأشياءُ تتكلّمُ !

[و[4]] « الدَّأَلاَ » مَشْيٌ كَمَشْيِ الذّئبِ ، يقالُ : هو يَدْأَلُ في مَشْيِه[5] : إذا مَشَى كَمِشْيةِ الذّئبِ ، من ذلك قولُ امرئِ القيسِ :

* أُقَبَّ حَثِيثَ الرَّكْضِ والدَّأَلاَنِ[6] *

ومَنْ قال في بيتِ ابنِ عَنَمَةَ الضّبّيّ :

[حَقيبةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ] تُعارِضُهُ مُرَبَّبَةٌ دَءولُ

ـ : فإنما أرادَ هذا ، ومن قال « ذَءولُ » فإنما أرادَ السُّرعَةَ ، يقالُ « مَرَّ يَذْأَلُ » إذا مَرَّ يُسْرِعُ .

(١) في ج و س و د « الجبابرة » .

(٢) في ج « أَهَدَمُوا » وهو الموافق لما في لسان العرب (١٣ : ٢٤٨) .

(٣) الزيادة من ج و س و د .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) في ج و د « مِشْيَتِهِ » .

(٦) « الأقب » الضامر البطن ، وهو يصف به هنا الفرس .

وقولُه « حَوَالَـكَا » يقالُ : هو يطوف «حَوَالَهُ وحَوْلَهُ وحَوَالَيْه» ومَنْ قال « حواليهِ » بالكسر : فقد أخْطأَ ، وفى القرآن : ﴿ نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا[1] ﴾ و « حَوَالَيْهِ » تثنيةُ « حَوَالٍ » كما تقولُ « حَنَانَيْهِ » الواحدُ « حَنَانٌ » قال الشاعرُ :

فقالتْ حَنَانٌ ما أَتَى بكَ هاهُنا أَذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحَيِّ عارِفُ

و « الحنانُ » الرحمةُ ، قال الله عز وجل : ﴿ وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا[2] ﴾ وقال الشاعر [وهو الحُطَيْئةُ[3]] لعمرَ بن الخطاب رحمه الله :

تَحَنَّنْ عَلَىَّ هَدَاكَ المَلِيكُ فإنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقالاَ

وقال طَرَفَةُ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا حنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

[قال أبو العباس[4]] : وحدَّثنى غيرُ واحدٍ مِن أصحابِنا ، قال : قيلَ لرُؤْبة : ما قولُكَ :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ سِنَّ الحِسْلِ أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

* والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَمِثْلِ الوَحْلِ *

ـ : ما زمنُ الفِطَحْلِ ؟ قال: أيامَ كانت السِّلاَمُ رِطَابًا[5] ! !

---

(١) سورة النمل (٨) .
(٢) سورة مريم (١٣) .
(٣) الزيادة من س .
(٤) الزيادة من ع و س و د .
(٥) « السِّلاَمُ » بكسر السين وتخفيف اللام ، جمع «سَلِمَة» بفتح السين وكسر اللام ، وجمعها أيضا « سَلِمٌ » بحذف الهاء ، وهى : الحجارة الصلبة ، سميت بهذا لسلامتها من الرخاوة . وانظر الأبيات فى لسان العرب (١٤ : ٤٣) .

قولُه « سِنَّ الحِسْلِ » مَثَلٌ تضربُه العربُ في طول العُمْرِ ، [ذكر ابنُ جِنّي أنَّ الحِسْلَ يعيشُ ثلاثمائةِ سنةٍ[1]] .

وأنشدني رجلٌ من بني العَنْبَرِ ، أعرابيٌّ فصيحٌ ، لعُبَيْدِ بن أيوبَ العَنْبَرِيِّ :

كأنّي ولَيْلَى لم يكنْ حَلَّ أهْلُنا ... بوادٍ خَصيبٍ والسَّلامُ رِطَابُ

وحدثني سليمانُ بن عبد الله عن أبي العَمَيْثَلِ مولَى العباسِ بن محمد [قال[2]] تَـكاذَبَ أعرابيّانِ فقال أحدُهما : خرجتُ مرةً على فرسٍ لي ، فاذا [أنا[3]] بظُلْمةٍ شديدةٍ ، فيَمَّمْتُها حتى وصلتُ إليها ، فاذا قِطْعَةٌ من اللّيل لم تَنْتَبِهْ ! فما زِلْتُ أحمِلُ بفرسِي عليها حتى أنْبَهْتُها ، فانجابَتْ ! ! فقال الآخرُ : لقد رَمَيْتُ ظَبْيًا مَرّةً بسهمٍ فعَدَلَ الظّبيُ يَمْنَةً ، فعدلَ السهمُ خلفَه ، فتيَاسَرَ الظبيُ ، فتيَاسَرَ السهمُ خلفَه ! ثم عَلاَ الظبيُ فعَلاَ السهمُ خلفَه ! فانحدرَ فانحَدَرَ عليه حتى أخَذَه ! !

وتزعمُ الرُّواةُ أن عُرْوةَ بن عُتْبةَ بن جعفرِ بن كِلابٍ قال لِابْنَيِ الجَوْنِ الـكِنْدِيَّيْنِ يومَ جَبَلَةَ : إن لي عليكما حَقًّا لِرِحْلَتِي ووِفَادَتِي ، فَدَعُوني

(١) « الحسل » بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ولد الضب . وهذا القول من ابن جني يخالف ما في كتب اللغة ، ففي اللسان (١٣ : ١٦١) : « وقولهم في المَثَل : لا آتيكَ سِنَّ الحِسْلِ : أي أبَدًا ، لأن سِنَّها لاتَسْقطُ أبداً حتى تموتَ » .
وانظر الميداني في مجمع الأمثال القولين معاً (٢ : ١٤٨ ــ ١٤٩) .

(٢) الزيادة من ح و س و د .

(٣) الزيادة من ح .

أُنْذِرُ(١) قومى من مَوضِعِى هذا ، فقالوا : شَأْنَكَ ، فصَرَخَ بقومه ، بعد أن قالا له شأنَكَ ، فأَسْمَعَهُمْ على مسيرةِ ليلةٍ ! !

ويروى عن حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ قال : قالتْ ليلَى بنتُ عروةَ بن زَيْدِ الخَيْلِ لأبيها : أرأيتَ قولَ أبيك [إذْ يقولُ(٢)] :

بَنِي عامرٍ هل تَعرفونَ إذا غَدَا ... أبو مِكْنَفٍ قد شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ

بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَرَاتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّداً للحَوَافِرِ

وَجَمْعٍ كمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغَى ... كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ البَوَادِرِ

أبَتْ عادةٌ للوَرْدِ أنْ يَكْرَهَ الوَغَى ... وحاجةُ رُمْحِى فى نُمَيْرِ بن عَامِرٍ(٣)

فقلتُ لأبِى : أحَضَرْتَ هذه الوَقْعَةَ ؟ فقال : نعم ، قلتُ : فكم كانتْ خيلُكم ؟ قال : ثلاثةُ أفراسٍ أحدُها فَرَسُهُ، قال : فذكرتُ هذا لابن أبى بكرٍ الهُذَلِىِّ ، فحدَّثنى عن أبيه قال : حضرتُ يوم جَبَلَة ، قال : وكان قد بَلَغَ مائةَ سنةٍ ، وكان قد أدْرَكَ أيّامَ الحجاجِ ، قال : فكانت الخيلُ فى الفريقَيْن ، مع ما كان مع ابْنَىِ الجَوْنِ — : ثلاثين فرساً ، قال : فحدَّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَمِىَّ ، وكان راويةَ أهلِ الكوفةِ ، فحدثنى : أنّ خَثْعَمَ قَتَلَتْ رجلاً من بنى سُلَيْمِ بن منصورٍ ، فقالت أختُه تَرْثِيهِ :

لَعَمْرِى وما عَمْرِى علىَّ بِهَيِّنٍ ... لَنِعْمَ الفتَى غَادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا

---

(١) ضبط الفعل بالرفع وبالجزم معاً فى ج .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) بحاشية ا « وعاداتُ رُمْحِى فى سُلَيمٍ وَعامِرٍ » .

وكان إذا ما أوْرَدَ الخيلَ بِيشَةً ... إلى جَنْبِ أشْراجٍ أناخَ فألْجَما[1]

فأرْسَلَها رَهْواً رِعالاً كأنّها ... جَرادٌ زَهَتْهُ رِيحُ نَجْدٍ فأتْهَما

فقيلَ لها : كم كانتْ خيلُ أخيكِ ؟ فقالت : اللهم إنى لا أعْرِفُ إلا فرسَه !

قولُه « قد شَدَّ عقدَ الدَّوايرِ[2] » يريدُ : عَقْدَ دوايرِ الدِّرْعِ ، فانّ الفارسَ إذا حَمِيَ فعلَ ذلك .

وقولُه « تَضِلُّ البُلْقُ فى حَجَراتِه » يقولُ : لـكثرته لا يُرَى فيه الأبْلَقُ ، والأبلقُ مشهورُ المَنْظَرِ ، لاختلافِ لَوْنَيْهِ[3] ، من ذلك قولُه :

فلَئِنْ وَقَفْتَ لَتَخْطِفَنْكَ رِماحُنا ... وَلَئِنْ هَرَبْتَ لَيُعْرَفَنَّ الأَبْلَقُ[4]

و « حَجَراتُه » نواحِيه .

وقولُه « تَرَى الأُكْمَ منه سُجَّدًا للحوافرِ » يقول : لـكثرةِ الجيشِ يَطْحَنُ الأُكْمَ حتى يُلْصِقَها بالأرض .

---

(١) أصل « البيش » و « البيشة » بكسر الباء فيهما ، وقد تهمز ياء الثانية — : موضع بطريق اليمامة كثير الأسود ، ثم أطلق ذلك على المأسدة حيث كانت . و « الأشراج » جمع « شرج » بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وآخره جيم ، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل ، وهو جلس ، والواحدة « شرجة » .

(٢) « الدوابر » هنا وفيما مضى فى الشعر ، بالياء المثناة ، وقد تهمز ، جمع « دائرة » وفى بعض نسخ الكامل ، وعليها طبعات مصر « الدوابر » بالباء الموحدة ، وفسرها الشيخ المرصفى بأنها مآخير الدرع ، ثم استدرك على المبرد بأن الصواب « أنه إنما أراد شد دوابر البيضة بالدرع ، لئلا تسقط إذا ركض الفارس » . ولم أجد فى نصوص اللغة مايؤيد تفسيره هذا ، والذى أرجحه هو مافى النسخ الأخرى « الدواير » وهو الذى اخترت إثباته فى المتن هنا ، وأن المراد بالدوائر حلق الدرع ، أراد أنهم أحكموها ولبسوها سابغة ، استعداداً للحرب .

(٣) فى ج و س و د « ألوانه » وماهنا أجود ، لأن « البلق » سواد وبياض .

(٤) فى ج و د « وَلَئِنْ فَرَرْتَ » .

وقولُه « كَمِثْلِ اللَّيلِ » يقول : كَثْرَةً ، فيكاد يَسُدُّ سوادُهُ الأُفُقَ ، ولذلك يقال « كَتِيبَةٌ خضراء » أي : سوداء ، وكانت كَتيبةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التي هو فيها والمهاجرون والأنصارُ - يقالُ لها : « الخَضْرَاء » .

و « المُرْتَجِسُ » [هو[1]] الذي يُسْمَعُ صوتُه ولا يَبِينُ[2] كلامُهُ ، يقال « ارتجَسَ الرَّعْدُ » من هذا . و « الوَغَى » الأصواتُ .

و « التَّوَالِي » اللَّواحقُ[3] يقال « تلاهُ يَتْلُوهُ » إذا اتَّبَعَهُ ، و « تلوتُ القرآنَ » أتبعتُ بعضَه بعضاً ، و « المُتْلِيَةُ » التي معها أولادُها .

وقولُه « فأرْسَلَها رَهْوًا » يقولُ : ساكنةً ، . قال الله جل وعزَّ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا[4] ﴾ ويقالُ « عيشٌ رَاهٍ » يافتى : أي ساكنٌ .

و « رِعالٌ » جمعُ « رَعِيلٍ » وهو : ما تقدَّم من الخيل ، يقالُ « جاء في الرَّعيلِ الأوَّلِ » قال عَنْتَرَةُ :

إذْ لاَ أُبادِرُ في المَضِيقِ فَوَارِسِي ... وَلاَ أُوَكِّلُ بالرَّعيلِ الأوَّلِ

وقولُه « زَهَتْهُ ريحُ نجْدٍ فأتْهَمَا » يقول : رَفَعَتْهُ واسْتَخَفَّتْهُ ، قال ابنُ أبي رَبيعةَ :

فلما تَوَافَقْنَا وسَلَّمْتُ أشْرَقَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعا

ومعنى « أتْهَمَ » أتى تِهامَةَ .

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) في ج و س و د « وَلاَ يَتَبَيَّنُ » .

(٣) في بعض طبعات مصر « واللواحق » وهو خطأ ، لأنه تفسير للتوالي .

(٤) سورة الدخان (٢٤) .

٭

وَزَعَمَ أبو عُبَيْدَةَ [مَعْمَرُ بنُ الْمُثَنَّى[١]] عَمَّنْ حَدَّثَهُ : أنّ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ أرادتِ الغارةَ على قبائِلِ بنى تميمٍ ، فقالوا : إنْ عَلِمَ بِنَا السُّلَيْكُ أَنْذَرَهُمْ ، فبعثُوا فارسَيْنِ على جوادَيْنِ يُرِيغَانِ[٢] السُّلَيْكَ ، فَبَصُرَا به ، فَقَصَدَاهُ ، وخَرج يَمْحَصُ[٣] كأنه ظَبْيٌ ، فَطارَدَاهُ سَحَابَةَ يومِهِما ، فقالا : هذا النهارُ ، ولوجَنَّ عليه اللَّيلُ لقد فَتَرَ ، فَجَدَّا فى طلبه ، فاذا بِأَثَرِهِ قد بال فَرَغَا فى الأَرْضِ وخَدَّها[٤] ، فقالاَ : قاتَلَهُ اللهُ ! ما أَشَدَّ مَتْنَيْهِ ! ولعلّ هذا كانَ مِنْ أوَّلِ الليلِ فلما امْتَدَّ به الليلُ فَتَرَ ، فاتَّبَعَاهُ ، فإذا به قد عَثَرَ بأَصْلِ شَجَرةٍ فَنَدَرَ منها كَمَكَانِ تلاثٍ[٥] ، وانكسرتْ قوسُه ، فارْتَزَّتْ قِصْدَةٌ[٦] منها فى الأرضِ ، فنَشِبَتْ ، فقالا : قاتَلَه اللهُ ! واللهِ لاَ نَتْبَعُهُ[٧] بعدَ هذا ! فرجَعَا عنه ، وأَتَمَّ إلى قومِه [ش : يُرْوَى « أَتَمّ » بأَلِفٍ ، و « تَمّ » بغير ألفٍ ، « ونَمّ » بالنون ، ومعنى « تَمَّ إلى قومه » أى نَفَذَ[٨]]

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « يريغان » يطلبان ، تقول « أراغ الصيد يريغه إراغة » طلبه ، وتقول لمن حام حولك « ماذا تريغ ؟ » تريد : ماتطلب منى ؟ قاله المرصفى .

(٣) « يمحص » أى : يعدو عدواً شديداً .

(٤) « رغا فى الأرض » : ظهرت لبوله رغوة ، وقد أرغى البائل : صارت لبوله رغوة . و « خدها » أى : شق فيها شقا .

(٥) أى سقط منها ماصار أثره كأثر بوله فى الأرض .

(٦) « ارتزت » : ثبتت ، و « القصدة » بكسر القاف وسكون الصاد المهملة : الكسرة من العود .

(٧) فى ج « لاَ نَتَّبِعُهُ » .

(٨) الزيادة من حاشية ج . قال المرصفى : « تم إلى قومه بغير ألف : هذه هى المعروفة ، فأما أتم بالألف ، ونم بالنون — : فلم أر أحداً من أهل اللغة ذكرها » هذا قوله ! ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، والمعاجم التى فى أيدينا لم تحصر كل لغة العرب ولم تستوعبها .

فأنذرهم !! فلم يصدِّقوه لِبُعْدِ الغاية ، ففى ذلك يقولُ :

يُكَذِّبنى العَمْرَانِ عَمْرُو بنُ جُنْدُبٍ وعمرُو بنُ كَعْبٍ والمكَذِّب أكْذَبُ

ثَكِلْتُكما إنْ لم أكُنْ قد رأيتُها كَرَاديسَ يَهْدِيها إلى الحيِّ مَوْكِبُ[(١)]

كراديسُ فيها الحَوْفَزَانُ وحولَه فوارسُ هَمَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا[(٢)]

فصدَّقه قومٌ فنجَوْا ، وكذَّبه قومٌ فوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَسَحُهُمْ .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ قال : سألتُ أبا عُبيدَةَ عن مثلِ هذه الأخبارِ مِن أخبارِ العرب[(٣)] ؟ فقال لى : إن العجَمَ تَكْذِبُ فتقولُ : كان رجلٌ ثُلُثُهُ من نُحاسٍ وثلثه من رَصاصٍ وثلثه من ثَلْجٍ ! فتُعارِضُها العربُ بهذا وما أشبهه .

ومن ذلك قول مُهَلْهِلِ بنِ رَبيعةَ :

فلو نُشِرَ المَقابرُ عن كُلَيْبٍ فتُخْبِرَ بالذَّنائِبِ أىُّ زِيرِ[(٤)]

بيَوْمِ الشَّعْثَمَيْنِ لَقَرَّ عَيْنًا وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبورِ[(٥)]

كأنَّا غُدْوَةً وبَنِى أَبِينَا بجَنْبِ عُنَيْزَةٍ رَحَيَا مُدِيرِ

---

(١) « كراديس جمع « كردوس » بوزن « عصفور » وهو القطعة العظيمة من الخيل .

(٢) « الحوفزان » هو الحرث بن شريك بن عمرو ، من بنى ذهل بن شيبان ، لقب بذلك يوم حفزه قيس بن عاصم بالرمح فى استه ، فتحاز به فرسه ، فنجا . قاله المرصفى .

(٣) فى ع و س و د « من أخبار العجم » . وفى حاشية ع : « كذا وقع : من أخبار العجم ، والصواب : من أخبار العرب » .

(٤) « الذنائب » هى سوق الذنائب ، قرية دون زبيد من أرض اليمن ، وبها قبر كليب . وفى ع و س و د « فيُخْبِرَ » .

(٥) « الشعثمان » هما : « شَعْثَم وشُعَيْث » ابنا معاوية بن عامر ، من بنى بكر بن وائل ، قتلا يوم واردات ، وهى موضع عن يسار مكة . قاله المرصفى .

كأنَّ رِمَاحَهم أشْطَانُ بِئْرٍ ... بَعيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ(١)

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ ... صَلِيلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ(٢)

[قال أبو الحسن: يقالُ فلانٌ «زِيرُ نِسَاء، وطِلْبُ نساء، وتِبْعُ نساء، وخِلْوُ(٣) نساء»: إذا كان صاحبَ نساء، وذلك: أنّ مُهَلْهِلاً كان صاحِبَ نساء، فكان كُلَيْبٌ يقولُ: إنّ مهلهلاً زيرُ نساء ولا يُدْرِكُ بثَأْرٍ، فلمّا أدْرَكَ مهلهلٌ بثأرِ كليبٍ، قال «أيُّ زِيرٍ» فرَفَعَ «أيًّا» بالابتداء، والخبرُ محذوفٌ، فكأنه قال: أيُّ زِيرٍ أنا في هذا اليوم!].

☼

قال أبو العباس: وحدثني عَمْرُو بن بَحْرٍ قال: أتيتُ أبا الرَّبيع الغَنَوِيَّ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم، ومعي رجلٌ من بني هاشمٍ،

---

(١) «أشطان» البئر: حبالها، الواحد «شطن» بفتح الشين والطاء. و «الجال» و «الجول»: ناحية البئر من أسفلها إلى أعلاها. والبئر «الجرور» بفتح الجيم: البعيدة القعر.

(٢) في بعض النسخ «أهْلَ حَجْرٍ». وفي ج «صليلَ» بالنصب. و «حجر» بفتح فسكون مدينة اليمامة، وهي شرق الحجاز.

(٣) «خلو» بكسر الخاء وسكون اللام وآخره واو. قال في اللسان: «الخِلْوُ بالكسر: الفارغُ البالِ من الهمومِ، والخِلْوُ أيضا: المنفرد» فالمعنى على هذا سليم صحيح: أنه الذي ينفرد بالنساء، أو الذي يفرغ لهن باله، فلا شغل له إلا بهنّ. وهكذا هو في نسخ الكامل المطبوع عنها طبعة أوربة، ويظهر أن مصححي طبعات مصر لم يجدوا في معاجم اللغة استعمال «خلو نساء» فغيروا الكلمة من عند أنفسهم، فجعلوها «خِلْب نساء» بوزن «خلو» ولكن آخرها باء موحدة. وهذا اللفظ منصوص في كتب اللغة، ولكنه لا ينفي صحة ما في الكامل، إذ يكون استعمالا صحيحاً زائداً عما في المعاجم، فتغييره عمل غير سديد.

فقلتُ : أأبو الرَّبيع هٰهنا ؟ فخرج إليَّ وهو يقول: خَرَجَ إليك رجلٌ كريمٌ ! [1] فلمّا رأى الهاشميَّ استحيا من فَخْرِهِ بحضرته ، فقال : أكرمُ الناسِ رَدِيفاً ، وأشرفُهم خَلِيفاً [2] ، فتحدثنا [3] مَلِيًّا ، فنهض [4] الهاشميُّ ، فقلتُ لأبي الرَّبيعِ : يا أبا الرَّبيعِ ! مَنْ خيرُ الخلقِ ؟ فقال : الناسُ والله ، فقلتُ : مَنْ خيرُ الناسِ ؟ قال : العربُ واللهِ ، قلتُ : فمَنْ خيرُ العرب ؟ قال : مُضَرُ واللهِ ، قلتُ : فمَنْ خيرُ مُضَرَ ؟ قال : قيسٌ واللهِ ، قلتُ : فمَنْ خيرُ قيسٍ ؟ قال : يَعْصُرُ واللهِ ، قلتُ : فمَنْ خيرُ يَعْصُرَ ؟ قال : غَنِيٌّ واللهِ ، قلتُ : فمن خيرُ غَنِيٍّ ؟ قال : المُخَاطِبُ لك واللهِ !! قلتُ : أَفأَنْتَ خيرُ الناسِ ؟ قال : نَعَمْ إي واللهِ ! ! قلتُ : أيَسُرُّكَ أنَّ تحتَكَ بنتَ يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ ؟ قال : لا واللهِ [5] ! قلتُ : ولكَ ألفُ دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ! قلتُ : فألفا دينارٍ ؟ قال : لا واللهِ ! قلتُ : ولك الجَنَّةُ ؟ فأطرقَ [مَلِيًّا [6]] ثم قال : على أن لا تَلِدَ مِنّي !! وأنْشَدَ :

---

(١) في ج و س و د « رجلٌ كَرَمٌ » وهو استعمال طريف جميل ، قال في اللسان : « ورجل كَرَمٌ : كريم ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنث ، تقول : امرأة كَرَمٌ ونسوة كَرَمٌ ، لأنه وصف بالمصدر » .

(٢) هكذا هي بالخاء المعجمة في كل النسخ ، وسيأتي أن يفسرها المبرد بمعنى « حليف » بالحاء المهملة ، وأغلب ظني أن الإعجام هنا خطأ .

(٣) في ج و س « فحدَّثَنا » وفي د « فحدثني » .

(٤) في ج و س و د « ثم نهض » وبها طبعت طبعات مصر .

(٥) لأن يزيد بن المهلب باهليٌّ .

(٦) الزيادة من ج و س و د .

تَأْبَى لِأَعْصُرَ أَعْرَاقٌ مُهَذَّبَةٌ ... مِنْ أن تُناسِبَ قوماً غيرَ أكفاء

فإن يَكُنْ ذاكَ حَتْماً لا مَرَدَّ لهُ ... فاذْكُرْ حُذَيْفَ فإنِّى غيرُ أَبّاء[1]

قولُه « أكرمُ الناسِ رديفاً » فإن أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِىَّ كانَ رديفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقولُه « وأشرفُهم حَليفاً [فانه[2]] كانَ أبو مَرْثَدٍ حليفَ حمزةَ بن عبد المطّلب .

وقولُه « فاذْكُرْ حُذَيْفَ » أرادَ حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ الفَزارىَّ ، وإنما ذَكره مِن بينِ الأشرافِ لأنه أقربُهم إليه نسباً ، وذاكَ[3] : أنّ يَعْصُرَ ابنُ سعدِ بن قيسٍ ، وهؤلى[4] بنو رَيْثِ بن غَطَفَانَ بن سعد بن قيسٍ ، وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يَهْجُو وَلَدَ يَعْصُرَ ، وهُمْ : غَنِىٌّ وباهِلَةُ والطُّفَاوَةُ :

أَبَاهِلَ ما أدْرِى أمِنْ لُؤْمِ مَنْصِبِى ... أُحِبُّكُمُ أمْ بِى جُنونٌ وأَوْلَقُ[5]

أُسَيِّدُ أخْوَالِى وَيَعْصُرُ إخْوَتِى ... فَمَنْ ذَا الَّذِى مِنِّى معَ اللُّؤْمِ أحْمَقُ[6]

فقال الباهلىُّ يُجيبُهُ :

---

(١) هذه الحكاية نقلها ياقوت فى معجم الأدباء عن الجاحظ (٦ : ٦٣ — ٦٤ من الطبعة الثانية لتذكار جب) .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) فى ج و س و د « وذلك » .

(٤) فى ج و س و د « وهؤلاء » ، وكلاهما صحيح .

(٥) « الأولق » الجنون ، وهو « فَوْعَل » من قولهم : « أُلِقَ الرَّجلُ يُؤْلَقُ أَلْقاً » ، فهو مَأْلُوقٌ ومُؤَوْلَقٌ » ويقال أيضاً : « أَلَقَهُ الله يَأْلِقُهُ أَلْقاً » . هكذا نصّ عليه فى لسان العرب ، وأتى بهذا البيت وببيت آخر للأعشى ، شاهدين على أن « الأولق » الجنون . وقد خلط الشيخ المرصفى رحمه الله فى شرح هذا الحرف .

(٦) فى ج و س و د « فمن ذا الذى منهم » .

وكيف تُحِبُّ الدهرَ قومًا هُمُ الأُولَى ... نَوَاصِيَكُمْ فى سالفِ الدَّهْرِ حَلَّقُوا

أَلَسْتَ فَزَارِيًّا عليكَ غَضَاضَةٌ ... وإنْ كنتَ كِنْدِيًّا فإنك مُلْصَقُ

وتَحَدَّثَ الرواةُ بأنَّ الحجاجَ رأى محمدَ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقفيَّ ، وكان يَنْسِبُ بزينبَ بنتِ يوسفَ ، فارْتَاعَ مِن نظرِ الحجاجِ [إليه (١)] فَدَعَا به ، فلمَّا عَرَفَهُ قال مُبْتَدِئًا :

هاكَ يَدِي ضاقتْ بِيَ الأرضُ رُحْبَها ... وإنْ كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مَكَانِ

ولو كنتُ بالعَنْقاء أوْ بِيَسُومِها ... لَخِلْتُكَ إلاَّ أنْ تَصُدَّ تَرَانِي (٢)

ثم قال : واللهِ إنْ قلتُ إلاَّ خيرًا ، إنما قلتُ :

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ مِنَ التُّقَى ... ويَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ (٣)

قال [له (٤)] : أَجَلْ ، ولكنْ أخبرنى (٥) عن قولِكَ :

ولمَّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرَضَتْ ... وكُنَّ مِنَ أن يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

فى كَمْ كُنْتَ ؟ قال : واللهِ إنْ كنتُ إلاَّ على حمارٍ هزيلٍ ، ومعى رَفِيقٌ (٦) على أتانٍ مثلِهِ .

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « يسوم » جبل فى بلاد هذيل ، وقد مضى البيتان فى (ص ٤٤٦) وكتبت هناك «بأسومها» وبينا فى التعليق عليه أنه خطأ ، وقد كتب هنا بحاشية بعض النسخ « يَسُومُ : جبلٌ معروفٌ قريبٌ من آمِدَ » .

(٣) فى ج و س و د « شطر الليل » وهو موافق لما مضى (٤٤٦) .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) فى ج و د « خبِّرْنِي » .

(٦) فى ج و س و د « رفيق » .

٭

ومن ذلك ما يَحْكُونَ في خبر لُقْمانَ بن عَادٍ ، فإنهم يَصِفون أنَّ جاريةً له سُئِلَتْ عمَّا بَقِيَ مِن بَصَرِه ، لدخولِه في السِّنِّ ؟ فقالتْ : والله لقد ضَعُفَ بَصَرُه ، ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ : إنَّهُ لَيَفْصِلُ بين أَثَرِ الأُنثى والذَّكرِ من الذَّرِّ إذا دَبَّ على الصَّفَا !! في أشياءَ تُشاكِلُ هذا من الكَذِب .

وحُدِّثْتُ أنَّ امرأةَ عِمْرانَ بن حِطَّانَ السَّدُوسِيِّ قالت له : أما حَلَفْتَ أنَّك لا تَكْذِبُ[1] في شعرٍ ؟ فقال لها : أَوَكانَ ذاكِ ؟ قالت : نعم ، قلتَ :

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بنُ ثَوْ ... رٍ كانَ أشْجَعَ من أُسامَهْ

أيكونُ رجلٌ أشجعَ من أسَدٍ ؟ ! فقال لها : ما رأيتُ أسداً فتَحَ مدينةً قطُّ ، ومَجْزَأَةُ بن ثَوْرٍ قد فتَحَ مدينةً[2] .

[مجزأةُ بن ثَوْرٍ جعَلَ له عمرُ رحمه الله رئاسة بَكْرٍ ، فلما اسْتُ[شْهِدَ مَجْزَأَةُ جعلها أبو موسى لخالدِ بن المُعَمَّرِ ، ثم[3]] فَعَلَ عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه

---

(١) في ج و د « ألا تكذبَ » .

(٢) هذه القصة نقلها الأمير أسامة بن منقذ في لباب الآداب (ص ١٨٦ — ١٨٧) وفيها بعض الخلاف لما هنا .

(٣) ما بين المربعين مقطوع من الورق في الأصل المخطوط المنقول عنه ، لأن الزيادة كلها من أول قوله « مجزأة بن ثور جعل له عمر » إلى قوله « من أبطال المسلمين » — : منقولة من حاشية ج فلما رأى مصحح طبعة أوربة هذا القطع في الورق أثبت ما بين يديه ، ووضع نقطا لموضع النقص فأثبت من قوله « استشهد » « است » فقط ، ثم بعد النقط كلمة « فعل » .

وقد أتممت أنا هذا النقص بقريب من لفظه الأصلي نقلا عن البيان والتبيين للجاحظ (٣ : ٧٤ طبعة التجارية) وعن الإصابة لابن حجر (٢ : ١٤٧ في ترجمة خالد بن المعمر) .

وأما طبعات مصر ، فإن مصححيها تصرفوا في الكلام تصرفا غير مرضيّ ، فجعلوه « فلما أسن فعل عثمان » الخ فأفسدوه ، لأن مجزأة بن ثور قتل في الوقعة بعد فتح تستر ، قتله الهرمزان ، كما في الإصابة (٦ : ٤٤ — ٤٥) وتاريخ الطبري (٤ : ٢١٦) وغيرهما ، فلما رأى الشيخ المرصفي — رحمه الله — ذلك لخص قصة قتل مجزأة ، ثم قال : « ومن هذا التاريخ تعلم أن أبا العباس

ذاكَ مع ابنه شَقِيقِ بن مَجْزَأَةَ ، وقُتِل رحمه الله على شُسْتَرَ (١) ، هو والبَرَاء بن مالكٍ ، وكانا من أبطالِ المسلمينَ (٢)] .

ومَرَّ عِمرَانُ بن حِطَّانَ بالفرزدقِ وهو يُنْشِدُ ، فوقف عليه فقال :

أيُّها المادِحُ العِبادَ ليُعْطَى ⁂ إنَّ لِلّهِ ما بأيدِى العِبادِ

فاسْألِ اللهَ ماطلبتَ إليهم ⁂ وارْجُ فضلَ المقَسِّمِ العَوَّادِ

لا تَقُلْ لِلْجَوَادِ ماليس فيه ⁂ وتُسَمِّ البَخِيلَ باسْمِ الجَوادِ

وأنشدنِي الحسنُ بن رَجَاء لرجلٍ من المُحْدَثِينَ لم يُسَمِّهِ [وهو بَكْرُ بنُ النَّطَّاح فى أبى دُلَفَ (٣)] :

أبا دُلَفٍ يا أكْذَبَ الناسِ كُلِّهِمْ ⁂ سِوَايَ فإنِّى فى مَدِيحِكَ أكْذَبُ

غلط فى قوله : فلما أسن فعل الخ » وقد أصاب الشيخ فى اعتراضه ، ولكنه أخطأ أن لم يحقق أصل الكلام حتى يعلم ماسقط منه ، وأن نسب هذا الخطأ للمبرد ، مع أنه من الزيادات التى أدخلها مصحح طبعة أوربة من حواشى الأصول المخطوطة ، وجعل علامة زيادتها هذين المربعين [ ] ونص على الموضع الذى نقلها منه .

(١) هكذا هى فى هذا الموضع «شستر» بالشين فى أولها ، وهى مدينة « تستر » نفسها ، بضم التاء المثناة فى أولها ثم سكون السين المهملة ثم فتح التاء المثناة ثم الراء ، كذا ضبطها السمعانى فى الأنساب ، وياقوت فى معجم البلدان ، والفيروزابادى فى القاموس وقال : «وششتر بمعجمتين لحن » وقال ياقوت : « تستر .. وهو تعريب شوشتر » . ووقعت أيضاً فى أصلى لباب الآداب « دستر » بالدال فى أولها ، والصواب « تستر » كما نطقها العرب الذين فتحوها ، والعرب يلعبون بهذه الأعلام الأعجمية حين ينقلونها إلى لغتهم الفصيحة ، لا كما يريد أن يفعل المجمع اللغوى المصرى ، إذ يريد أن يخضع لغة العرب لكل لهجات الأجانب فى تعريب الأعلام ، إذ قرر أن تنطق كما ينطقها أهلها ، ليكون على كل عربى حين ينطق علما أجنبياً أن يرتضخ من أجله لكنة أعجمية !! ولن يكون هذا إن شاء الله .

(٢) الزيادة كلها من حاشية ج كما قلنا فيما مضى . وانظر تفصيل فتح « تستر » فى تاريخ الطبرى (٤ : ٢١٥ — ٢١٨ سنة ١٧) وفتوح البلدان للبلاذرى (ص ٣٨٧ — ٣٨٩) ومعجم البلدان (٢ : ٣٨٦ — ٣٨٨) .

(٣) الزيادة من ج و د .

وأنشدنى آخرُ لرجلٍ من المُحْدَثِينَ [أيضاً قال أبو الحسن : هو بكرُ بن النّطّاح[١]] :

إنّى امْتَدَحْتُكَ كاذباً فأَثَبْتَنِي … لمّا امتدَحْتكَ ما يُثَابُ الكاذبُ[٢]

قال الأصمعيُّ : قلتُ لأعرابيٍّ كنت أعرفُه بالكذبِ : أَصَدَقْتَ قطُّ؟ قال : لولا أنّى أخافُ أنْ أَصْدُقَ فى هذا لقلتُ لَكَ : لا !![٣] .

⁂

وتحَدَّثُوا مِن غيرِ وجهٍ : أَنَّ عَمْرَو بن مَعْدِى كَرِبَ كان معروفاً بالكذبِ . وقيلَ لِخَلَفٍ الأحمرِ ، وكانَ شديدَ التعصُّبِ لِلْيَمَنِ ـ : أكانَ عَمْرُو بن معدى كربَ يَكذبُ ؟ فقال : [نعم[٤]] كان يكذبُ فى المَقَالِ ، ويَصْدُقُ فى الفَعَالِ !

وذَكَرُوا من غيرِ وجهٍ : أنّ أهلَ الكوفةِ من الأشرافِ كانوا يَظْهَرُونَ بالكُنَاسةِ فيَتحدّثونَ على دَوَابّهم ، إلى أن يَطْرُدَهُمْ حَرُّ الشّمسِ ، فوقفَ عمرُو بن معدى كربَ وخالدُ بن الصَّقْعَبِ النَّهْدِيُّ ، فأقبلَ عمرٌو يُحَدِّثُه ، فقال [له[٥]] : أغَرْنا مَرّةً عَلَى بنى نَهْدٍ ، فخرجوا مُسْتَرْعِفِينَ بخالدِ بن الصَّقْعَبِ ، فحملتُ عليه فطعَنْتُه فأذْرَيْتُه[٦] ، ثم مِلْتُ عليه بالصَّمْصَامَةِ ،

---

(١) الزيادة من ج و د .
(٢) فى س « مدحتك » .
(٣) كلمة «لا» لم تذكر فى طبعات مصر خطأ .
(٤) الزيادة من س .
(٥) الزيادة من ج و س و د .
(٦) «أذريته» بالذال المعجمة ، وفى بعض طبعات مصر «أزريته» بالزاى ، وهو خطأ و «الاذراء» الرمى والالقاء ، وفى اللسان : «تقول ضربته بالسيف فأذريت رأسه ، وطعنته فأذريته عن فرسه ، أى : صرعته وألقيته» .

فأخذتُ رأسَهُ ! فقال له خالدٌ : حِلاًّ أبا ثَوْرٍ ! إنّ قتيلكَ هو المُحَدِّثُ . فقال [له عمرٌو[1]] : يا هذا ! إذا حُدِّثتَ [بحديثٍ[1]] فاستَمِعْ ، فإنما نتحدَّثُ بمثلِ ما تَسمعُ لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّةُ[2] !!

قولُه « مُسْتَرْعِفِينَ » يقولُ : مُقَدَّمِين له ، يقال : جاء فلانٌ يَرْعُفُ الجيشَ ويَؤُمُّ الجيشَ : إذا جاء متقدِّمًا لهم ، ويقالُ في الرُّعافِ : « رَعَفَ يَرْعُفُ » لا يقالُ غيرُ « رَعَفَ » ويجوز « يَرْعَفُ » مِن أَجْلِ العَيْنِ ، وليس من الوَجْهِ . وسنذكُرُ هذا البابَ بعدَ انقضاءِ هذه الأخبارِ . إن شاء الله .

وقولُه « حِلاًّ أبا ثَوْرٍ » يقولُ : اسْتَثْنِ ، يقالُ : حَلَفَ ولم يَتَحَلَّلْ ، أي : لم يَسْتَثْنِ .

وخُبِّرْتُ[3] أنّ قاصًّا كان يُكْثِرُ الحديثَ[4] عن هَرِمِ بن حَيَّانَ[5] [« الهَرِمُ » الضَّبُّ ، يقالُ : إنه في الشتاءِ يأكل حُسُولَهُ[6] ولا يَخرُجُ ، قال الشاعرُ :

* كما أَكَبَّ على ذِي بَطْنِهِ الهَرِمُ *

قيلَ : إنّ هَرِمَ بن حَيَّانَ حملتْه أُمُّه أربعَ سنينَ ، ولذلك سُمِّيَ هَرِمًا[7]] فاتفق

---

(1) الزيادة في الموضعين من ج و س و د .

(2) في ج و س و د « لِتُرْهَبَ به هذه المَعَدِّيَّةَ » و « المعدية » بنو معدّ بن عدنان ، يعني بني ربيعة ومضر ، لأن التفاخر قديم بينهم وبين أهل اليمن .

(3) في ج و س و د « وحُدِّثْتُ » .

(4) في س « التحدث » .

(5) هو هرم بن حيان العبدي ، قال ابن عبد البر : « هو من صغار الصحابة » . وله ترجمة في الإصابة (٦ : ٢٨٢) .

(6) جمع « حسل » بكسر الحاء وسكون السين المهملتين ، وهو ولد الضب .

(7) الزيادة من حاشية ج .

هرمٌ [مرةً[1]] معه في مسجدٍ[2] وهو يقول : حَدَّثَنا هرِم بن حيان ، مرةً بعدَ مرةٍ ، بأشياءَ لا يعرِفُها هرمٌ ، فقال له : ياهذا ! أتعرِفُني ؟ أناهرِمُ بنُ حيان ، [واللهِ[1]] ما حدثتُك من هذا بشيء قطُّ ! فقال له القاصُّ : وهذا أيضاً مِن عجائبِكَ ، إنّه ليُصَلِّي معنا في مسجدنا خمسةَ عشَرَ رجلاً اسمُ كلِّ رجلٍ منهم هَرِمُ بنُ حَيَّانَ ، كيفَ توهَّمتَ أنه ليس في الدنيا هرمُ بن حيانَ غيرُك[3] ! ؟ .

وكان بالرَّقَّةِ قاصٌّ يُكْنَى أبا عقيلٍ ، يُكْثِرُ التحدثَ عن بني إسرائيلَ فيُظَنُّ بِهِ الكذبُ ، فقال له يوماً الحجاجُ بن حَنْتَمَةَ : ما كان اسمُ بقرةِ بني إسرائيلَ ؟ قال : حَنْتَمَةُ ! فقال له رجلٌ من ولد أبي موسى الأشعريِّ : في أيِّ الكتب وَجَدْتَ هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاصِ[4] !

وقال القَيْنِيُّ[5] : أنا أُصَدِّقُ في صغيرِ مَا يَضُرُّني ليجوزَ كَذِبِي في كَبِيرِ ما ينفعُني ؟ .

وأنشد[6] المازِنيُّ للأعشى ، وليس ممّا رَوَتِ الرواةُ متَّصلاً بقصيدةٍ :

فَصَدَّقتُهُمْ وكَذَّبتُهُمْ والمَرْءُ ينفعهُ كِذَابُهْ

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) في ج و د « في المسجد » .

(٣) اتفق لأحمد بن حنبل ويحي بن معين حكاية مثل هذه ، مع قاص صفيق الوجه ، كهذا الذي هنا ا ذكرناها في شرحنا على ألفية السيوطي في المصطلح (ص ٨٧ ــ ٨٨) وشرحنا على اختصار علوم الحديث لابن كثير (ص ٨٨ ــ ٨٩) .

(٤) في ج و س و د « العاصي » .

(٥) في س « وقال الليثي » وهما اسمان مبهمان ، لاندرى من يراد بهما .

(٦) في س « وأنشدني » .

⁂

ويروى: «أنّ رجلاً وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله [عن بعضِ شيءٍ[1]] فكَذَبَهُ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أأَسْئلُكَ[2] فتَكْذِبُنِي؟ لولا سَخاءٌ فيكَ وَمِقَكَ اللهُ عليه لشَرَّدْتُ بكَ مِنْ وافدِ قَوْمٍ».

معنى «وَمِقَكَ» أحَبَّكَ، يقال «وَمِقْتُهُ أمِقُهُ» وهو على «فَعِلْتُ أفْعِلُ» ونظيرُه من هذا المُعْتَلّ[3] «وَرِمَ يَرِمُ» و«وَلِيَ [الأميرُ[4]] يَلِي»، وكذلك «وَسِعَ يَسَعُ» كانت السينُ مكسورةً، وإنما فُتِحتْ للعينِ، ولو كانَ أصلُها الفتحَ لظَهَرَتِ الواوُ، نحو «وَجِلَ يَوْجَلُ» و«وَحِلَ يَوْحَلُ» والمصدرُ «مِقَةٌ» كقولك «وَعَدَ يَعِدُ عِدَةً» و«وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً».

ويُروى: «أنّ رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأسلَمَ، ثم قال: يارسولَ الله! [إني[5]] إنما أُوخَذُ من الذنوب بما ظَهَرَ، وأنا أستَسِرُّ[6] بخِلالٍ أربعٍ: الزنا والسَّرَقِ وشُرْبِ الخمرِ والكذبِ، فأيُّهُنَّ أحْبَبْتَ تركتُ لك سِرًّا؟! فقال رسولُ الله: دَعِ الكذبَ. فلما ولّى مِنْ عندِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هَمَّ بالزنا، فقال: يَسْئَلُنِي رسولُ الله فإنْ

---

(١) الزيادة من ج و د.

(٢) في ا «أسئلك» وفي ج و س و د «آأكلك» وفي حاشية ج «آأسئلك».

(٣) في ج و د «ونظير هذا من المعتل».

(٤) الزيادة من ج و د وفي س بدلها «الأمْرَ».

(٥) الزيادة من ج.

(٦) في ج و س و د «أستَتِرُ».

جَحَدْتُ نقَضْتُ ما جَعلتُ له [علىّ[1]] ، وإن أقررتُ حُدِدْتُ ، فلم يَزْنِ ، ثم هَمّ بالسَّرِقِ[2] ، ثم هَمّ بشربِ الخمرِ ، ففكّرَ فى مثلِ ذلك ، فرجَعَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسولَ الله ! قدتَركتُهن جُمَعَ[3] » .

❊

وشهِدَ أعرابىٌّ عند معاويةَ بشهادةٍ ، فقال له معاويةُ : كذبتَ ! فقال له الأعرابىُّ : الكاذبُ [واللهِ[4]] مُتزَمِّلٌ فى ثيابك ، فقال معاويةُ : هذا جزاءُ مَنْ عجّلَ .

وقال معاويةُ يومًا للأحْنَفِ ، وحدّثه حديثًا[5] — : أتكذِبُ [يا أحنفُ[6]] ؟ فقال : والله ما كذبتُ مُذْ[7] علمتُ أنّ الكذبَ [ممّا[1]] يَشِينُ أهلَه .

ودخلَ عبدُ الله بن الزُّبير يومًا على معاوية ، فقال : اسمعْ أبياتًا قُلتُهُنّ ، وكان واجدًا عليه ، فقال معاويةُ : هاتِ ، فأنشدَه :

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدتَه ... على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كانَ يَعقِلُ
ويرَكبُ حَدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضيمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ[8]

(١) الزيادة من ج و د .
(٢) فى س « بالسرقة » .
(٣) فى س « جميعا » . وهذا الحديث والذى قبله لم أجدهما فى شىء من كتب الحديث .
(٤) الزيادة من ج و س و د .
(٥) فى ج و س و د « بحديث » .
(٦) الزيادة من س .
(٧) فى ج و د « منذ » .
(٨) فى ا « مَعْدِلُ » .

فقال له معاويةُ : لقد شَعَرْتَ بعدنا يا أبا بكرٍ ! ثم لم يَنْشَبْ معاويةُ أنْ دَخَلَ عليه[1] مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنِيُّ ، فقال له : أَقُلْتَ بعدَنا شيئاً ؟ قال : نَعَمْ [يا أميرَ المؤمنين[2]] ، فأنشدَهُ :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنّى لَأَوْجَلُ   على أيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ[3]

حتى صارَ إلى الأبيات التى أنشدَها ابنُ الزبير ، فقال له معاويةُ : يا أبا بكر ! أَمَا ذَكَرْتَ آنفاً أنَّ هذا الشِّعرَ لك ؟ قال : أنا أصْلَحْتُ مَعَانِيَهُ[4] ، وهو أَلِفُ الشعرَ ، وهو بَعْدُ ظِئْرِى[5] ؟ فما قالَ مِنْ شىءٍ فهو لِى !! .

وكان عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ مُسْتَرْضَعاً فى مُزَيْنَةَ .

❋

وحُدِّثْتُ . أن عُمرَ بن عبد العزيز [بن مَرْوَانَ[6]] كَتَبَ فى إشْخاصِ إِيَاسِ بن معاويةَ المُزَنِيِّ وعَدِيٌّ بن أرْطاةَ الفَزَارِيُّ أَميرِ البَصْرَةِ وقاضيها يومئذٍ[7] فصار إليه عدىٌّ ، فقَرَّبَ[8] أنْ يُزَيِّنَهُ عند الخليفةِ ، فقال يا أبا واثِلَةَ ! إنَّ لنا حَقّاً ورَحِماً ، فقال [له[6]] إياسٌ : أَعَلَى الكذب تُرِيدُنِى ؟ واللهِ

---

(١) فى ع و س و د « إليه » .
(٢) الزيادة من س .
(٣) « تغدو » بالغين المعجمة ، وفى بعضها « تعدو » بالعين مهملة .
(٤) فى ع و س و د « المعانى » .
(٥) يريد : بعد ماذكرت لك فهو أخى من الرضاعة . قاله المرصفى .
(٦) الزيادة من ع و س و د .
(٧) كذا وقع فى بعض الأصول « وعدى » بالخفض ، وفى ع « وعدىٌّ بن أرطاة الفزارىٌّ ، وهو إذْ ذاك أميرُ البصرة » برفع «عدى» ومثل ذلك فى س بدون ضبط ، وبحاشية ع مانصه : « كذا وقع هنا ، وهى رواية ابن سراج رحمه الله : وعدىٌّ بن أرطاة ، ورواية عاصم المزنى : إلى عدى بن أرطاة ، وهو أظهر » .
(٨) «فقرب» يعنى : توسل إليه بقربة رغبة فى أن يمدحه عند الخليفة .

مايَسُرُّنِى أَنِّى كَذَبْتُ كَذْبةً يغفرُها اللهُ [لى](١) ولا يَطَّلِعُ عليها إلاّ هذا — وأَوْمَأَ إلى أبيهِ — ولِى(٢) ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ .

[قال أبو الحسن : « التَّمَزُّنُ » المَدْحُ ، ولم أَسْمَعْ هذه اللفظةَ إلاَّ مِن أبى العباس ، وهى عندى مشتقّةٌ مِن « المازِنِ » وهو النَّمْلُ ، وبهذا سُمِّيَتْ « مازِنٌ » كأنه أرادَ منه أن يُكَبِّرَهُ ، ويروى يُكَثِّرَه . قال القُتَبِيُّ : « المَازِنُ » بَيْضُ النَّمل . قال الشيخُ : قولُه « أن يُمَزِّنَهُ عندَ الخليفة » أى كأنه يَجعلُه سَيِّدَ مُزَيْنَةَ ، لأنه كان مُزَنِيًّا ، والصوابُ « يُعَزِّزَهُ » قال المَوْصِلِيُّ :

* وَإنِّىَ مَعْ ذَا الشَّيْبِ حُلْوٌ مَزِيرُ *

ولم يَكُنْ فى القُضَاةِ ، وإنّما كان أميرًا على البصرة .... إن مات عمرو .... وكتب عُمَرُ إلى عَدِىّ : اجْمَعْ ناسًا مِمَّنْ قِبَلَكَ وشاوِرْهُمْ فى إياس بن معاويةَ والقاسِمِ بن رَبيعةَ ، واسْتَقْضِ أَحَدَهما . فَوَلَّى عَدِىٌّ إياسًا(٣)] .

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى ج و س و د « وأومأ بيده إلى ابنه ، وأنّ لى » الخ .

(٣) هذه الزيادة كلها منقولة من ج كما ذكر ذلك مصحح طبعة أوربة فى حاشيتها باللغة الانكليزية، وأن موضع النقط فى أثناء الكلام مقطوع من الورق فيها . وذكر أيضا أن صدر هذه الزيادة إلى قوله « من المازن وهو النمل » مذكور فى س و د و ا مع بعض الاختلاف ، وأن فى بعضها « تمرّن » و « مرنت » و « التمرين » و « المارن » كلها بالراء من غير نقط وسنصرح هذا الحرف .

أما الشيخ الذى قال « يمزنه : كأنه يجعله سيد مزينة » الخ فقد أخطأ فى موضعين ، إذ أن عدى بن أرطاة فزارى لامزنى ! والآخر أن قوله « والصواب : يعززه » خطأ لأن « المزير » هو الشديد القلب القوىّ النافذ ، كما هو فى الشاهد الذى أتى به، ويكون أيضا بمعنى الظريف ، وكلاهما لايصلح فى تفسير ماذكر المبرد .

والصواب « يُمَزِّنه » بالزاى والنون ، كما ذكر أبو العباس ، وإن لم يعرفه الأخفش وغيره .

ففى الجمهرة لابن دريد (ج ٣ ص ١٩ — ٢٠) : « فلانٌ يَتَمَزَّن على أصحابه : كأنه

ويروَى : أنّ أخا إياسٍ صارَ إلى أبي هُبَيْرَةَ فقال : طَرَقَنِي اللصوصُ فحارَبْتهم فهزَمْتُهم ، وظفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ[1] فجعله ابن هُبيرةَ تحتَ مُصلاّهُ ، ثم بعثَ إلى الصَّياقِلَة فأحضَرَهم ، فقال : أيَعْرِفُ منكم الرجلُ

يتفضل عليهم ويظهر أكثر مما عنده . فسألت أبا حاتمٍ فقال : يتَصَحَّتُ عليهم ! ففسَّرَهُ بأغربَ من الأول ، بمعنى يتكبَّرُ» .

وفى اللسان : « وتمزَّن على أصحابه : تفضَّلَ وأظهر أكثرَ مما عنده ، وقيل التمزُّنُ : أن ترَى لنفسك فضلاً على غيرك ولستَ هناك ، قال رَكَّاضٌ الدُّبَيْرِيُّ :

يا عُرْوَ إنْ تكْذِبْ علىّ تمزُّناً بما لم يَكُنْ فأكْذِبْ فلستُ بكاذِبِ

قال المبردُ : مزَّنْتُ الرجلَ تمزيناً : إذا : قرَّظْتَه من ورائه عند خليفةٍ أو والٍ، ومزَنَه مزْناً : مدحه » .

فهذا نقل صاحب اللسان عن أبي منصور الأزهرى صاحب التهذيب وعن المبرد معاً ، والمبرد لم يذكر هذا الكلام فى الكامل ، والظاهر أنه نقله عنه من كتاب آخر . وقد تأيد هذان النقلان بكلام ابن دريد فى الجمهرة ، وصاحب اللسان لم يطلع عليها ولم ينقل عنها ، ويدل على هذا أنه لم يذكر مادة « تصحت » التى أتى بها ابن دريد استطراداً هنا ، وأتى بها أيضاً فى (ج ٢ ص ٤) قال : « فلانٌ يتصَحَّتُ علينا : أى يتَكبَّرُ » . فلو اطلع صاحب اللسان على الجمهرة لأتى بهذا الحرف ، ونستطرد نحن أيضاً، فنذكر أنّ صاحب القاموس قال « تصحت : استحيا » ونقل شارحه عن الصاغانى عن الأصمعى : « يقال : تصحت الرجل عن مجالستنا : أى استحيا » وأنا أرجح أن هذا غلط ، إما من الأصمعى ، وإما ممن نقل عنه ، وأن الصواب فى معناها : تكبر ، كما قال ابن دريد » .

وقال الزمخشرى فى الأساس : « يتمزَّنُ : يتَسَخَّى، كأنه يتشبه بالمُزْنِ » فهذا معنى آخر ، نراه يرجع إلى الأول أيضا ، وأن اشتقاق الحرف من «المزن» وهو السحاب أقرب ، فالتفضل والتسخى أقرب إلى أن يكون كل منهما تشبها بالسحاب فى رفعته وجوده ، وهو به ألسب من اشتقاقه الذى زعم أبو الحسن من «المازن» !

وأما موضع القطع فى الورق فانى عجزت عن استكماله وتصحيحه .

(١) «المغول» بالغين المعجمة ، وفى ا «المعول» بالمهملة ، وهو ينافى التفسير الآتى ، لأن «المعول» هو الحديدة ينقربها فى الجبال .

عملَه ؟ قالوا : نعم ، فأخرجَ المِغْوَلَ فقال : مِنْ عَمَلِ أيِّكُمْ هذا[1] ؟ فقال قائلٌ منهم : أنا عملتُ هذا ، واشتراهُ مِنِّى هذا أَمْسِ [« المِغْوَلُ » سيفٌ صغيرٌ] .

باب

ما يجوزُ فيه « يَفْعَلُ » فيما ماضيهِ « فَعَلَ » مفتوحُ العينِ

اعلم أنَّ كلَّ فِعْلٍ على « فَعُلَ » فهو غيرُ متعدٍّ إلى مفعولٍ ، لأنَّه فِعْلُ الفاعلِ فى نفسه ، وتأويلُه الانتقالُ ، وذلك قولُك « كَرُمَ » عبـــدُ اللهِ ، و « ظَرُفَ » عبدُ اللهِ .

وتأويلُ قولِى «الانتقالُ » إنَّما هو انتقالٌ من حالٍ إلى حال ، تقولُ : ما كانَ كريمًا ولقد « كَرُمَ » وما كانَ شريفًا ولقد « شَرُفَ » ، فهذا تأويلُه ، فأمَّا قولُهم « كِدْتُ أكادُ » فإنما « كِدْتُ » معترِضَةٌ على « أكادُ » .

وما كانَ من[2] «فَعِلَ » الصحيحِ فإنهُ « يَفْعَلُ » نحو «شَرِبَ يَشْرَبُ » و « عَلِمَ » و « فَرِقَ » ويكونُ متعدِّيًا وغيرَ متعدٍّ ، تقولُ «حَذِرْتُ » زيدًا ، و « عَلِمْتُ » عبدَ اللهِ ، ويكونُ فيه مثلُ « سَمِنْتُ » و« بَخِلْتُ » غيرَ متعدٍّ ، وكلُّه على « يَفْعَلُ » نحو « يَسْمَنُ » و « يَبْخَلُ » و « يعْلَمُ » و « يطْرَبُ » .

فأمَّا قولُهم فى الأربعةِ من الأفعالِ : « يَحْسِبُ » و « يَيْئِسُ » و «يَنْعِمُ »

---

(١) فى ج و س و د «فقال أيكم عمل هذا» .

(٢) كلمة «من» زيادة من ج و س و د .

و « يَيْبِسُ » ـ : فهى معترِضَةٌ على « يَفْعِلُ » تقولُ فى جميعها « يَحسَبُ » و « يَنْعَمُ » و « يَيْأَسُ » و « يَيْبَسُ » .

وما كان على « فَعَلَ » فبابُه « يَفْعُلُ » و « يَفْعِلُ » نحو « قَتَل يقتُل » «وضرب يضرِبُ» «وقعد يقعُد» « وجلس يجلِس » فقد أنبأتُكَ أنه يكونُ متعدِّيًا وغيرَ متعدٍّ . فأمّا « يَأْبَى » و « يَقْلَى » فلهما عِـلَّةٌ تُبَيَّنُ عندَ ماأذْكُرُهُ لكَ إن شاء اللهُ .

ولا يكونُ « فَعَلَ يَفْعَلُ » إلاّ أن يكون يَعرِضُ له حرفٌ من حروف الحَلْقِ الستةِ فِى موضعِ العينِ أو موضع اللاّم ، فإن[1] كان ذلك الحرفُ عينًا فَتَحَ نَفْسَه ، وإن[2] كَانَ لامًا فتح العينَ .

وحروفُ الحَلْقِ : الهمزةُ والهاء ، والعينُ ، والحاء ، والغينُ والخاء .

وذلك قولهم « قَرَأَ يَقْرَأُ قَرْأً » يافتَى ، و « قِرَاءةً » و « سأَلَ يَسْأَلُ » و « جَبَهَ يَجْبَهُ[3] » و « ذَهَبَ يذهَبُ » ، وتقولُ « صَنَعَ يصنَعُ » و « طَعَنَ يَطْعَنُ » و « ضَبَحَ يَضْبَحُ[4] » وكذلك « فرَغَ يفْرَغُ » و « سَلَخَ يَسْلَخُ » .

وقد يجوزُ أَنْ يجىء الحرفُ على أصلِه وفيه أحدُ السِّتَّةِ ، يجوزُ « زَأَرَ يَزْئِرُ » و « فَرَغَ يَفْرُغُ » و « صَبَغَ يَصْبُغُ » إلاَّ أَنَّ الفتحَ لا يكونُ فيما ماضيه « فَعَلَ » إلاّ وَأَحَدُ هذه الحروفِ فيه .

---

(١) فى ج و س و د «فاذا» .

(٢) فى ج و د «فان» .

(٣) بحاشية ج « جَبَهْتَ الرجلَ : إذا قابلتَه بما يَكرَه» .

(٤) بحاشية ج « ضبح الثعلب يضبح : إذا صاح » .

وأما « يأْبَى » فله علّة ، وأما « يَقْلَى » فليس يَثْبُتُ(١) . وسيبويه يذهبُ في « يَأْبَى » إلى أنه إنما انفتح(٢) مِن أجلِ أنّ الهمزةَ في موضع فائه ، والقولُ عندى على ما شَرَحْتُ(٣) لك ، من أنه إذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرفٌ من حروف الحلق ، فإنما انفتح(٢) لأنهُ يصيرُ إلى الألفِ ، وهى من حروف الحلق ، ولكن لم نَذْكرها لأنها لا تكونُ أصلاً ، إنما تكونُ زائدةً أو بَدَلاً ، ولا تكونُ متحركةً ، فإنما هى حرفٌ ساكنٌ ، ولا يَعْتَمِدُ اللّسانُ بِهِ على موضعٍ ، فهذا الذى ذكرتُ لك مِن أنّ « يَسَعُ » و « يَطَأُ » حَدُّهما « فَعِلَ يَفْعِلُ » فى المعتلِّ ، كـ « حَسِبَ يَحْسِبُ » من الصحيح ، ولكنْ فَتَحَتْهما العينُ والهمزةُ ، كما تقول « وَلَغَ » الكلبُ « يَلَغُ » والأصلُ « يَلِغُ » لحرفُ الحلقِ فَتَحَهُ .

باب

[قال أبو العباس : و(٤)] يُرْوَى عن علىّ بن أبى طالبٍ رحمةُ الله عليه : أنه افْتَقَدَ(٥) عبدَ اللهِ بنَ العباس رحمه الله [فى وَقْتِ صلاةِ الظُّهْرِ(٤)] ، فقال [لأصحابه(٤)] : ما بَالُ أَبى العباسِ لم يَحْضُرْ ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ ، فلما صلَّى

(١) فى ج و د « يَثْبُتِ » .
(٢) فى ج و د « يفْتَحُ » .
(٣) فى ج « شرحته » .
(٤) الزيادة من ج و س و د .
(٥) فى ج و د « أن على بن أبى طالب رحمه الله افتقد » .

عليٌّ رحمه الله قال: امضُوا بِنَا إليه ، فأتاه فهنَّأه ، فقال : شَكَرْتَ الواهِبَ، وبُورِكَ لك فى الموهوبِ ، ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال : أَوَ يَجُوزُ لى أنْ أُسَمِّيَه حتى تُسَمِّيَه! فأمَرَ به فأُخْرِجَ إليه ، فأخذَه وحَنَّكَه(١) ودَعَا له ، ثم رَدَّه إليه ، وقال : خُذْه إليك أبا الأمْلاكِ ، قد سَمَّيْتُه « عليًّا » وكَنَّيْتُهُ « أبا الحسنِ » فلما قام معاويةُ قال لابن عباسٍ : ليس لكم اسمُه وكنيتُه ، قد كَنَّيْتُه « أبا محمدٍ » فجَرَتْ عليه .

وكان عليٌّ سيداً شريفاً بليغاً ، وكان له خَمْسُمائةِ أصلِ زَيْتُونٍ ، يصلِّى فى كل يومٍ إلى كلِّ أصلٍ ركعتين ، فكان يُدْعَى « ذَا الثَّفِنَاتِ(٢) » .

وضُرِبَ بالسَّوْطِ(٣) مرتين ، كلتاهُما ضربَهُ الوليدُ ، إحداهُما : فى تَزَوُّجِهِ(٤) لُبَابَةَ بنتَ عبد الله بن جعفرٍ ، وكانت عندَ عبد الملك ، فعَضَّ تُفَّاحَةً ثم رَمَى بها إليها ، وكان أبْخَرَ ، فدَعَتْ بِسِكِّينٍ ، فقال : ما تصنعينَ به(٥) ؟ قالتْ أُمِيطُ عنها الأذَى ! فطلَّقَها ، فتزوَّجها علىُّ بنُ عبد الله ، فضربه الوليدُ ، وقال : إنما تَتَزَوَّجُ بأُمَّهاتِ الخلفاء لِتَضَعَ منها ، لأنَّ مَرْوانَ بن الحَكَمِ [إنما](٦) تزوَّجَ أمَّ خالد بن يزيدَ بن معاوية لِيَضَعَ منه ، فقال

(١) « الحَنَكُ » باطن الفم من الداخل ، قيل : أعلاه ، وقيل أسفله . و « التحنيك » مضغ التمر ثم دلكه بحنك الصبي داخل فمه ، وهو عادة معروفة عند العرب .

(٢) « الثفنات » جمع « ثفنة » بكسر الفاء ، وهى من كل ذى أربع مايصيب الأرض منه إذا برك أو ربض ، فيغلظ ، شبهت بها أعضاء سجوده التى غلظت ، قاله المرصفى .

(٣) فى ج و س و د « بالسياط » .

(٤) فى ج و د « تزويجه » .

(٥) فى س « بها » والسكين تذكر وتؤنث ، والتذكير أغلب وأكثر .

(٦) الزيادة من ج و س و د .

علىُّ بن عبد الله : إنما أرادتِ الخروجَ من هذه البَلْدَة ، وأنا ابنُ عَمِّها ، فتزوجتُها لأكُونَ لها مَحْرَمًا[1] .

وأمّا[2] ضربُه إيّاه فى المرّة الثانيةِ فإنّا نرويه من غيرِ وَجْهٍ ، ومِنْ أتمّ ذلك ما حَدَّثنيهِ أبو عبد الله محمدُ بن شُجاعٍ البَلْخِىُّ [هو محمد بن شجاع الثَّلْجِيُّ ، كذا صوابُه[3]] فى إسنادٍ له مُتَّصِلٍ ، لستُ أحفظُه ، يقولُ فى آخِرِ ذلك الإسناد : رأيتُ عليًّا[4] مضروبًا بالسَّوْط يُدَارُ به على بَعيرٍ ووجهُهُ ممّا يلِي ذَنَبَ البعيرِ ، وصائحٌ يَصِيحُ عليه : هذا علىُّ بن عبد الله الكذّابُ ! قال : فأتيتُه فقلتُ : ما هذا الذى نَسَبُوكَ فيه إلى الكذب ؟ قال بلَغهم قولى[5] : أنّ هذا الأمْرَ سيكونُ فى ولدى ، واللهِ ليكونَنّ فيهم حتى يَمْلِكَهُمْ عَبيدُهم الصِّغَارُ العيونِ ، العِراضُ الوُجُوهِ ، الذين كأنَّ وجوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ[6] .

ومع هذا الحديثِ آخَرُ فى شَبَهِهِ [له[7]] باسنادِه : أن علىَّ بن عبد الله

---

(١) يعنى لتخرج فى سفرها معه ، إذ يحرم شرعا أشدّ الحرمة سفر المرأة وحدها من غير زوج أو ذى رحم محرم . وفى ج و س و د « مَحْرَمًا » والمراد واحد .

(٢) فى ج و س و د « فأما » .

(٣) « الثلجى » بالثاء المثلثة والجيم ، هذا هو الصواب ، كذا ضبطه السمعانى فى الأنساب والذهبى فى المشتبه والفيروزابادى فى القاموس وغيرهم . ومحمد بن شجاع هذا فقيه معروف من أصحاب الحسن بن زياد اللؤلؤى ، ولد فى رمضان سنة ١٨١ ومات فى ذى الحجة سنة ٢٦٦ ، وكان فى الحديث كذابا كبيراً .

(٤) الذى يقول « رأيت عليا » ليس الثلجى ، وإنما هو الراوى الذى فى آخر الإسناد من أعلاه .

(٥) فى ج و س و د « بلغهم أنى أقول » .

(٦) « المجانّ » جمع « مجن » بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون ، وهو الترس ، و « المطرقة » التى أطرقت بالجلد طاقاً فوق طاق ، كالنعل المطارقة المخصوفة ، يريد : أن وجوههم عراض غلاظ صلاب ، قاله المرصفى . وهذا اللفظ ورد فى الحديث النبوى الصحيح فى وصف الترك ، انظر فتح البارى (٦ : ٧٥ — ٧٦ و ٤٤٧ — ٤٤٨) .

(٧) الزيادة من ج و س و د .

دخلَ على سليمانَ بن عبد الملك ، ومعه ابْنَا ابْنِه : الخليفتانِ أبو العباسِ وأبو جعفرٍ[١] — قال أبو العبَّاسِ[٢] : وهذا غَلَطٌ ، لِمَا أَذْكُرُهُ لك ، إنما ينبغي أن يكونَ دخلَ على هشامٍ — : فَأَوْسَعَ له على سَرِيرِه ، وسأله عن حاجتِه ، فقال : ثلاثون ألفَ درهمٍ عليَّ دَيْنٌ ، فَأَمَرَ بِقَضَائِهَا ، قال له : وتَسْتَوْصى بِابْنَيَّ هٰذين خيراً ، ففعلَ ، فشكرَهُ ، وقال : وَصَلَتْكَ رَحِمٌ ، فلما وَلَّى عليٌّ قال الخليفةُ لأصحابه : إنّ هذا الشيخَ قد اختَلَّ وأَسَنَّ وخُلِطَ فصار يقول : إن هذا الأمْرَ سينتقلُ إلى وَلَدِه ، فسَمِعَ ذلك عليٌّ فالتفتَ إليه فقال : والله ليكونَنَّ ذَاكَ[٣] ، ولَيَمْلِكَنَّ هذانِ .

قال أبو العباس : أمّا قولى : إن الخليفة فى ذلك الوقتِ لم يكن سليمانَ — : فلأنَّ محمدَ بن على بن عبد الله كان يُمْنَعُ من تَزَوُّجِ الحارِثيَّةِ[٤] ، للحديثِ المَرْوِيِّ[٥] ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز جاءه محمدٌ ، فقال له : إنى أردتُ أن أتزوج بنتَ خالِى من بنى الحرِثِ بن كَعْبٍ ، أفتأْذَنُ لى [يا أميرَ المؤمنينَ[٦]] ؟

---

(١) أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور .

(٢) هو المبرد نفسه مؤلف الكتاب .

(٣) فى ج و د « ذلك » .

(٤) فى ج و س و د « من التزوج فى بنى الحرث بن كعب » .

(٥) قال المرصفى : « عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية فى وصيته لمحمد بن على بن عبدالله بن العباس ، وهو بالحميمة لما حضرته الوفاة ، قال فى آخرها : واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك : عبد الله بن الحارثية . والحميمة — بالتصغير — بلد من أعمال عمان ، فى أطراف الشأم ، كان منزل بنى العباس » هكذا قال ، وهو لا يتفق مع كلام المبرد ، لأن كلامه يشير إلى حديث شاع عندهم قبل زواج محمد بالحارثية ، وأما كلام أبى هاشم فانه — كما ذكر هنا — قاله بعد زواجه بها وولادة ابنه عبد الله ، وما أظن هذا الذى نقله الشيخ المرصفى صحيحا ، ولا الذى أشار إليه المبرد .

(٦) الزيادة من ج و د .

فقال [له(١)] عمرُ: تزوَّجْ ـ رحمكَ اللهُ ـ مَنْ أحببتَ ، فتزوَّجها ، فأولَدَها أبا العباسِ أميرَ المؤمنين ، وعُمَرُ بعدَ سليمانَ ، فلا ينبغي [له(١)] أن يكونَ تَهَيَّأَ له أن يدخلَ على خليفةٍ حتى يَتَرَعْرَعَ [ش : كذا وقعَ في الأُمِّ والروايةِ ، والصحيحُ « لهما أن يدخلاَ على خليفةٍ حتى يترعرعا »(٢)] فلا يَتِمُّ مِثلُ هذا إلاّ في أيامِ هشامٍ .

وكان عبدُ الملكِ يُكْرِمُ عليًّا وَيقدِّمُه ، فحدثني التَّوَّزِيُّ قال : قال عليُّ بن عبد الله : سايَرْتُ يومًا عبدَ الملكِ ، فما جاوَزْنا(٣) إلاَّ يسيراً حتى لَقِيَهُ الحجاجُ قادمًا عليه ، فلما رآه تَرَجَّلَ ومَشَى بين يديه ، فَخَبَّ(٤) عبدُ الملكِ ، فأسرعَ الحجاجُ ، فزادَ عبدُ الملكِ ، فهَرْوَلَ الحجاجُ ! فقلتُ لعبد الملك : أَبِكَ مَوْجِدَةٌ على هذا ؟ فقال : لا ، ولكنَّه رَفَعَ مِنْ نَفْسِهِ ، فأحببتُ أن أَغُضَّ منه .

وحدَّثني جعفرُ بن عيسى بن جعفر الهاشميُّ ، قال: حضرعليٌّ عبدَ الملكِ(٥) وقد أُهْدِيَ(٦) له من خُراسانَ جاريةٌ وفَصٌّ وسيفٌ ، فقال : ياأَبا محمدٍ ! إنَّ حاضِرَ الهديّةِ شريكٌ فيها ، فاختَرْ مِن الثلاثة واحداً ، فاختارَ الجاريةَ ، وكانت

---

(١) الزيادة من ج و د .

(٢) الزيادة من حاشية ج والمراد بالأم نسخة الكتاب التي هي أصل يعتمد عليه في النقل .

(٣) « جاوزنا » بالجيم والزاى ، واضحة مفهومة ، وهي مافي ج و س و د و هـ وفي بعض النسخ « حاورنا » بالحاء المهملة والراء ، وهي التي طبعت عليها بعض طبعات مصر ، ولا وجه لها فيما أرى .

(٤) في س و هـ « خف » والمعنى متقارب فيهما ، وفي ج بالروايتين معاً .

(٥) في هـ « عند عبد الملك » .

(٦) في ج و س و د « أهديت » .

تُسَمَّى سُعْدَى ، وهي من سَبْيِ الصُّغْدِ[1] من رَهْطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ[2]، فأولدها سليمانَ وصالحًا ابْنَيْ عليّ .

وذَكَرَ جعفرُ بن عيسى : أنه لمَّا أَوْلَدَها سليمانَ[3] اجتنبَتْ فِرَاشَه ، فرضَ سليمانُ من جُدَرِيّ خرج عليه ، فانصرفَ عليٌّ مِنْ مُصَلّاهُ فإذا بها على فراشه ، فقال مرحبًا بكِ يا أُمَّ سليمانَ ، فوَقَعَ بها ، فأولدها صالحًا ، فاجتنبتْ بَعْدُ[4] ، فسألها عن ذلك ؟ فقالت: خِفْتُ أن يموتَ سليمانُ فينقطعَ النَّسَبُ[5] بيني وبينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فالآنَ إذْ ولَدْتُ صالحًا فبِالحَرَى[6] إنْ ذهبَ أحدُهما أن يبقَى الآخَرُ ، وليس مثلي اليومَ مَنْ وطِئَهُ الرجالُ[7] .

وزَعم جعفرٌ أنه[8] كانتْ فيها رُتّةٌ . فالرُّتَّةُ : تعذُّرُ الكلامِ إذا أراده الرجلُ ، فهيَ الآنَ معروفةٌ في ولدِ سليمانَ وولدِ صالحٍ .

وكان عليٌّ يقولُ : أكره أن أُوصِيَ إلى محمدٍ ، وكان سيِّدَ ولدِهِ — : خوفًا من أنْ[9] أَشِينَهُ بالوصيةِ[10] ، فأوْصَى إلى سليمانَ ، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء

---

(١) « الصغد » بضم الصاد المهملة وسكون الغين المعجمة : كورة قصبتها سمرقند .
(٢) عجيف هذا قال المرصفي : «أحد قواد المعتصم العباسي» .
(٣) في ج و س و د « سليمان بن علي وصالح بن علي » .
(٤) في ج « فاجْتَنَبَتْهُ » .
(٥) في ج « السَّبَبُ » .
(٦) « فبالحرى » قال المرصفي : « مقصور ، كالفتى ، ومعناه : فبالجدير والخليق ، وهو مصدر لا يغير لفظه » .
(٧) في ج نسختان « من وطِئَتْهُ الرجالُ » و « وَطِيئَةَ الرجالِ » بحذف « من » .
(٨) في ج و س و د « أبو جعفر » وفي ج و د « أنها » .
(٩) في ج « مخافة أن » .
(١٠) قال المرصفي : « وكله إلى كمال عقله ، ووفور فضله ، وعلوّ منزلته » .

محمدٌ إلى سُعْدَى [ليلاً ⁽¹⁾] فقال [لهـا⁽²⁾] : أَخْرِجِي إليَّ وصيةَ أبي ، فقالتْ: إن أباكَ أجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيتُه ليلاً، ولـكنَّها تأتيك⁽³⁾ غدًا ، فلمَّا أَصبحَ غدَا بها عليه سليمانُ ، فقال : يا أَبي ويا أَخِي ! هذه وصيةُ أبيك ، فقال محمدٌ : جزاكَ اللهُ مِن ابنٍ وأخٍ خيرًا ، ما كنتُ لِأُثَرِّبَ على أَبِي بعدَ موتِه ، كما لم أُثَرِّبْ عليه فى حياتِه⁽⁴⁾ .

☸

قال أبو العباس : « التَّمْتَمَةُ » التردُّدُ فى التاء . « والفَأْفَأَةُ » الترددُ فى الفاء . « والعُقْلَةُ » الْتِوَاءُ اللسانِ عندَ إرادة الـكلام ، و « الحُبْسَةُ » تَعَذُّرُ الـكلامِ⁽⁵⁾ عند إرادته . و « اللَّفَفُ » إدخالُ حرفٍ فى حرفٍ . و « الرُّتَّةُ » كالرَّتَجِ تمنعُ أوّلَ الـكلامِ ، فإذا جاء منه شىء اتَّصَلَ . و « الغَمْغَمَةُ » أن تسمع الصوتَ ولا يَتَبَيَّنَ لك تقطيعُ الحروفِ . و « الطَّمْطَمَةُ » أن يكونَ الـكلام مُشْبِهًا لـكلامِ العجمِ . « واللُّـكْنَةُ » أن تَعْتَرِضَ على الـكلامِ اللغةُ الأعجميةُ⁽⁶⁾ . وسَنُفَسِّرُ هذا بحجحِه⁽⁷⁾ حرفًا حرفًا ، وما قيل فيه ، إن شاء الله . و « اللُّثْغَةُ » أن يُعْدَلَ⁽⁸⁾ بحرفٍ إلى

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) فى هـ « ولـكنا نأتيك » .
(٤) « التثريب » : اللوم والتأنيب .
(٥) فى ج و د « التعذر فى الـكلام » .
(٦) فى ج و د « العجمية » .
(٧) فى ج و هـ « بحجته » .
(٨) فى ا « يَعْدِلَ » .

حرف . و « الغُنَّةُ » أن يُشْرَبَ الحرفُ(١) صوتَ الخَيْشُومِ . و « الخُنَّةُ » أشدُّ منها . و « التَّرْخِيمُ » حَذْفُ الكلامِ [و « الفَأْفَأَةُ » أيضاً : اعْتِقَالُ اللِّسَانِ عن التَّمْرِينِ](٢) ، يقالُ : رجلٌ « فَأْفَاءٌ » يا فتى ! تقديرُه « فَاعَالٌ » ونظيرُه من الكلامِ « سَابَاطٌ وخَاتَامٌ » ، قال الراجزُ :

يا مَيُّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ أَخَذْتِ خَاتَامِي بِغَيْرِ حَقِّ(٣)

[كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى ، والصحيحُ أنه بالهمز ، على « فَعْلَال » مثل « خَضْخَاضٍ(٤) » و « قَمْقَامٍ » . فالذى حكى أبو العباس غَلَطٌ ، لأن سيبويه رحمه الله قال : ليس فى الصفاتِ « فَاعَالٌ(٥) » . قال أبو الحسن : يقال « خاتَمٌ » على وزن « دَانَقٍ » و « خاتِمٌ » على وزن « ضارِبٍ » و « وخَيْتامٌ » على وزن « دَيَّانٍ » و « خاتَامٍ » على وزن « سابَاطٍ »] .

---

(١) فى ا « يُشْرِبَ الحرفَ » .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) بحاشية ع « بغير الحق » .

(٤) فى القاموس « الخضخاض : نفط أسود تهنأ به الإبل الجرب » .

(٥) قال المرصفى : « هذا كذب على سيبويه ، لم يذكره فى كتابه . وقوله : ليس فى الصفات : كذب آخر ، لأن خاتاماً من الأسماء لا من الصفات » .

وهذا فيما أرى تسرع منه رحمه الله ، أما صحة النقل عن سيبويه فإنى لم أستوعب كتابه حتى أثبت أو أنفى ، ولكن المثبت مقدم ، ولعله قال هذا فى غير كتابه أيضا . وأما قوله : إن خاتاماً من الأسماء لا من الصفات » فنعم ، ولكنه — رحمه الله — فهم أن الاعتراض على المبرد هو فى « خاتام » وليس كذلك ، بل الاعتراض إنما هو على « فأفاء » وهو صفة لا اسم ، وسياق الكلام كله فى هذا ، وإنما ذكر المبرد « خاتام » مثالا للوزن فقط ، ولم يقل أحد قط إنه مهموز .

وقال رَبيعة الرَّقِّيُّ فى مَدْحِـــه يزيدَ بنَ حاتِم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب ، وربيعةُ احتجَّ به الأصمعيُّ ، وذَمِّهِ يزيدَ بنَ أُسَيْدٍ السُّلَمِيَّ :

لَشَتَّانَ ما بَيْنَ اليَزِيدَيْنِ فى النَّدَى ... يَزيدُ سُلَيْمٍ والأغرُّ ابنُ حاتِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأَزْدِيِّ إتلافُ مالِهِ ... وهَمُّ الفتى القَيْسِيِّ جمعُ الدَّراهِمِ
فلا يَحْسِبِ التَّمْتَامُ أَنِّى هَجَوْتُهُ ... ولكنَّنِي فَضَّلْتُ أهلَ المَكارِمِ
[فيَا بْنَ أُسَيْد لا تُسَامِ ابنَ حاتمٍ ... فتَقْرَعَ إنْ سَامَيْتَهُ سِنَّ نادمِ
هوالبحرُإن كَلَّفْتَ نفسَكَ خَوْضَه ... تهالَكْتَ فى آذِيِّهِ المتلاطِمِ[(١)]]

وقال آخرُ أيضاً[(٢)] :

ليس بِفَأْفَاء ولا تَمْتَامِ ... ولا مُحِبٍّ سَقَطِ الكلامِ

وقال الشاعرُ :

وقد تَعْتَرِيه عُقْلَةٌ فى لسانِهِ ... إذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غيرَ قريبِ

وزعم عمرُو بن بحرٍ الجاحظُ عن محمد[(٣)] بن الجَهْمِ قال : أقبلتُ على الفِكْرِ فى أيامِ محاربةِ الزُّطِّ[(٤)] ، فاعتَرَتْنِي[(٥)] حُبْسةٌ فى لسانِي . وهذا يكونُ لأنَّ اللسانَ يَحتاجُ إلى التَّمْرِينِ[(٦)] على القولِ ، حتى يَخِفَّ له ، كما تحتاجُ اليد

(١) « الآذِيّ » الموج . والبيتان زيادة من حاشية ع ولكن الورق كان مقطعا ، فضاع أكثر الكلام فى الشطر الثانى من كل منهما ، كما ذكر ذلك مصحح طبعة أوربة ، إذ نقلهما بالحاشية ناقصين ، وأكملناهما من شرح المرصفى .
(٢) فى ع و س و د « وقال الراجز » .
(٣) فى هـ « على بن الجهم » .
(٤) فى هـ « الترك » .
(٥) فى ع و د « فأصابتنى » .
(٦) فى ع و س و د و هـ « إلى أنْ يُمَرَّنَ » .

إلى التمرينِ على العملِ ، والرِّجْلُ إلى التمرينِ على المَشْيِ ، وكما يعانيه مُوَتِّرُ[1] القَوْسِ ورافعُ الحجرِ ليَصْلُبَ[2] ويَشتدَّ ، قال الراجزُ :

كأنَّ فيه لَفَفًا إذا نَطَقْ مِن طُولِ تَحْبِيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال ابنُ المُقفَّعِ : إذا كَثُرَ تقليبُ اللسانِ رَقَّتْ جوانبُه[3] ولانت عَذَبَتُهُ .

وقال العَتَّابيُّ : إذا حُبِسَ اللسانُ عن الاستعمالِ اشتدَّتْ عليه مخارجُ الحروفِ .

وأما الرُّتّةُ فإنها تكونُ غريزةً[4] ، قال الراجزُ :

* يأيُّها المُخَلِّطُ الأَرَتُّ *

ويقالُ: إنها تَكثُرُ في الأشرافِ ، ولم تُوجدْ تخْتَصُّ[5] واحداً دونَ واحدٍ .

وأما الغَمغمةُ فقد تكونُ من الكلامِ وغيرِه ، لأنه صوتٌ لا يُفهَمُ تقطيعُ حروفِه .

⁂

وحدثني مَنْ لا أُحْصِي من أصحابِنا عن الأصمعيِّ عن شُعبةَ عن قتادةَ ، قال : قال معاويةُ يوماً : مَنْ أفصحُ الناسِ ؟ فقام رجلٌ من السِّماطِ فقال : قومٌ تباعَدُوا عن فُراتيةِ العِراقِ ، وتيامَنُوا عن كَشْكَشَةِ تميمٍ ، وتياسَرُوا عن كَسْكَسَةِ بَكْرٍ ، ليس فيهم غَمْغَمةُ قُضاعةَ ، ولا طُمْطُمانيّةُ حِمْيَرَ . فقال

---

(١) بحاشية ح « بتخفيف التاء وتثقيلها من : موتر » .
(٢) « صلب » من بابي « كرم وسمع » .
(٣) في هـ « حواشيه » .
(٤) بحاشية ح « غريزية » .
(٥) في س و هـ « تخص » .

له معاويةُ : مَنْ أولئك ؟ فقال : قَوْمِى يا أَميرَ المؤمنين ! فقال له معاويةُ : مَنْ أنتَ[1]؟ قال: أنا رجلٌ من جَرْمٍ . قال الأصمعىُّ: وجَرْمٌ من فُصَحاء الناسِ[2].

قولُه « تيامَنُوا عن كشكشةِ تميمٍ » فإنّ بنى عمرِو بنِ تميمٍ إذا ذَكَرتْ كافَ المؤنّثِ فوقفتْ عليها أبْدَلَتْ منها شِينًا ، لقُرْبِ الشين من الكافِ فى المَخْرَجِ ، وأنها مهموسةٌ مثلُها ، فأرادُوا البيانَ فى الوقفِ ، لأنّ فى الشّين تَفَشِّيًا ، فيقولون للمرأة : جعَلَ اللهُ لكِ البركةَ فى دَارِشْ ، ووَيْحَكِ ما لَشْ ، والتى[3] يُدْرِجُونها يَدَعُونَها كافًا ، والتى يَقِفُون عليها يُبْدِلونها شينًا .

وأما بَكْرٌ فتختلفُ فى الكسكسةِ ، فقومٌ منهم يُبْدِلونَ من الكاف سينًا ، كما يفعلُ[4] التميميون فى الشين ، وهم أقلُّهم ، وقومٌ يُبَيِّنُونَ حركةَ كافِ المؤنّثِ فى الوقفِ بالسين، فيزيدونَها بعدَها ، فيقولون : أعْطَيْتُكِسْ .

وأما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك .

وقال الهاربُ لامرأتِه يومَ الخَنْدَمَةِ ، وذاكَ أنها نَظَرَتْ إليه يَحُدُّ[5] حَرْبةً فى يوم فتح مكةَ ، فقالتْ [له[6]] : ما تَصْنَعُ بهذه ؟ قال : أعْدَدْتُها لمحمدٍ وأصحابِه ! فقالت : واللهِ إنْ أُراهُ يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ ، فقال لها : إنّى لأَرْجو أن أُخدِمَكِ بعضَهم ! وأنشأ يقولُ [الهارِبُ هو أبو عثمانَ الهُذَلىُّ ،

(١) فى هـ « ممن أنت » .

(٢) فى هـ « وجرم أفصح الناس » .

(٣) فى س و هـ « فالتى » .

(٤) فى س و د و هـ « كما فعل » .

(٥) فى هـ « يُحِدُّ » .

(٦) الزيادة من هـ .

ويقال له « الرَّقَّاشُ » ويقال إن الرَّجزَ المذكورَ بعدَ هذا لِحَمَاسِ بن قيسٍ أخي بني بَكْرِ بن عبدِ مَنَاةَ ، أنشده له أبو إسحٰقَ، و« الخَنْدَمَةُ » جبلٌ دخلَ منه النبي صلى الله عليه وسلم مكةَ يومَ الفتح ، وقيل « الخندمة » مَشْيٌ فيه إسراعٌ ، فأُضِيفَ إلى اليومِ لِمَا كَثُرَ فيه(١)] :

إنْ يُقْبِلُوا اليومَ فَمَا بِي عِلَّهْ(٢) هـــذا سِلاحٌ كامِلٌ وأَلَّهْ

* وذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّهْ(٣) *

« الأَلَّةُ » الحَرْبَةُ » و« الغِرَارُ » هٰهنا : الحَـــدُّ ، يعني « بذي غِرارينِ » السَّيْفَ - : فلمَّا لقِيَهم خالدٌ يومَ الخَنْدَمَةِ انهزمَ الرجلُ ! فَلَامَتْهُ امرأتُه ، فقال :

إنَّكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ(٤) إذْ فَرَّ صَفْوَانُ وفَرَّ عِكْرِمَهْ(٥)

---

(١) هذا القول الأخير غريب ، لم أجد شيئاً منه في مراجع اللغة ، والذي فيها كلها أن «الخندمة» جبل بمكة ، فقد قال ذلك ابن دريد في الجمهرة (ج ١ ص ١٦٦) وكذلك صاحب القاموس، وقال في اللسان : « قال ابن الأثير : هو جبل معروف عند مكة . قال ابن برّي : كانت به وقعة يوم فتح مكة » . وانظر أيضا معجم البلدان ، مادة « خندمة » وانظر سيرة ابن هشام (ص ٨١٧ طبعة أوربة) إذ ذكر هذه القصة ، وقال فيها : « كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة » والتجميع لا يكون إلاّ في مكان . والقصة والرجز مذكوران أيضا في لسان العرب ، مادة « خندمة » وفي الاستيعاب لابن عبد البر (ص ٣٢٨ طبعة الهند) . وفي الجمهرة لابن دريد (ج ١ ص ١٦٥ — ١٦٦) وفي الاصابة لابن حجر (ج ٢ ص ٣٥) مع شيء من التطويل والاختصار والمغايرة ، وقد نشير إلى بعض ذلك .

(٢) « يقبلوا » بالتحتية في أوله ، كما في السيرة ولسان العرب (١٥ : ٨٢) وفي طبعة أوربة من الكامل « تقبلوا » بالمثناة الفوقية ، وهو غير جيد .

(٣) « السله » بفتح السين ، كما في نسخ الكامل والسيرة ولسان العرب (١٣ : ٣٦٠) وضبط فيه (١٥ : ٨٢) بكسرها ، والراجح ما هنا .

(٤) في الاصابة « وأنت لو شهدت » وفي اللسان « إنك لو شاهدت » .

(٥) « صفوان » هو ابن أمية بن خلف الجمحي ، و « عكرمة » هو ابن أبي جهل .

[وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمُوتَمَهْ(١)] وَلَحِقَتْنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَهْ(٢)

يَفْلِقْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ(٣) ضَرْبًا وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهْ

لَهُمْ نَهِيتٌ خَوْلَنَا وَحَمْحَمَهْ(٤) لَمْ تَنْطِقِ فِي اللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

وأما «الطُّمْطُمَانِيَّةُ» ففيها يقولُ عَنْتَرةُ :

تَبْرِي لَه حُولُ النَّعَامِ كَأَنَّها حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ(٥)

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيي(٦) صاحِبُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رُومِيَّةً ، ويَذْكُرونَ أَنَّ نَسَبَهُ فِي النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ صحيحٌ .

وقد قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ ، وسَلْمَانُ سابِقُ الفُرْسِ ، وبِلالٌ سابِقُ الحَبَشَةِ(٧) » .

---

(١) الزيادة من الجمهرة والسيرة ومعجم البلدان وشرح المرصفى ، و « أبو يزيد » هو سهيل بن عمرو خطيب قريش ، وسهل الراجز همزة « أبو » لحذفها ، وهؤلاء الثلاثة أسلموا يوم الفتح . وهذا البيت مغلوط فى معجم البلدان ، وماهنا هو الصواب .

(٢) فى الجمهرة والسيرة « واستقبلتهم » وفى الإصابة والاستيعاب ومعجم البلدان « واستقبلتنا » وفى اللسان « ولحقتنا » كما هنا .

(٣) فى جميع الروايات ماعدا اللسان « يقطعن » بدل « يفلقن » .

(٤) « النهيت » صوت الأسد . وفى الجمهرة والسيرة والاستيعاب « خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ » وقد ذكر ابن دريد الرجز شاهدا لكلمة « همهمة » وكذلك فى اللسان (ج ١٦ ص ١٠٦) . و « الهمهمة » ترديد الصوت فى الصدر . وأما اللسان فى (ج ١٥ ص ٨٢) فبلفظ « لهم نهيت حوله وحمحمه » .

(٥) قال المرصفى : « تبرى له : تعارضه فى عدوه ، وحول : النعام : حائلتها ، وهى التى لاحمل فى بطونها ، وحزق : جمع حزقة ، كفرقة وفرق ، وهى : الجماعة من الناس والإبل والطير وغيرها . شبه انضمام كل فرقة بعضها إلى بعض بانضمام جماعات الابل لراعيها » .

(٦) هو صهيب بن سنان الرومى .

(٧) هذا الحديث رواه ابن سعد فى الطبقات عن الحسن البصرى مرسلا ، وفرقه فى تراجم هؤلاء الثلاثة : صهيب (ج ٣ ق ١ ص ١٦١) وسلمان (ج ٤ ص ٥٩ وج ٧ ق ٢ ص ٦٥) وبلال (ج ٣ ق ١ ص ١٦٥) .

وقال عمرُ لصهيبٍ في قوله إنه من النَّمِرِ بن قاسطٍ — : قد سمعتَ ما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيمن انْتَمَى إلى غيرِ نَسَبِهِ ؟ فقال صهيبٌ : أنا مِن القومِ ، ولكنْ وَقَعَ عليَّ سِباءٌ(١) .

وكان عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنةً حبشيةً ، فلما أنشدَ عمرَ بن الخَطَّاب :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غادِيَا ... كَفَى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهِيَا

فقال عمرُ : لو كنتَ قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأَجَزْتُكَ ، فقال : ما سَعَرْتُ ، يريدُ : ما شَعَرْتُ .

وكان عُبَيْدُ الله بن زِيادٍ يرتضخُ لكنةً فارسيةً ، وإنما أَتَتْه مِن قِبَلِ زوجِ أُمه شِيرَوَيْهِ الإُسْوارِيِّ(٢) .

ويقالُ : إن عليًّا عليه السلام عادَ زِيادًا في منزل شِيرَوَيْه ، فقال عبيدُ الله يومًا لرجلٍ كلَّمه فظَنَّ به رأيَ الخوارج [الرجلُ الذي كلَّمه عبيدُ الله بن زيادٍ

= وقال الحافظ في الاصابة (٣ : ٢٥٥) : « روى ابن عدى من حديث أنس ، والطبراني من حديث أم هانئ ، ومن حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : السباق أربعة ، أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق الفرس » .

(١) انظر تفصيل ذلك في الاصابة وابن سعد ، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (١ : ١٥١) . والحديث الذي يشير اليه عمر هو ماورد من الوعيد الشديد على ذلك . فمنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، وانظر باقي الأحاديث في الترغيب والترهيب (٣ : ٨٧ — ٨٩) .

(٢) « الإسواري » ضبطت في طبعة أوربة بكسر الهمزة ، وفي بعض النسخ بحاشيتها بضمها ، وضبطها السمعاني بالضم فقط ، وفي القاموس : « الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس » وأما الذهبي فضبط المادة في المشتبه (ص ١٢) بالضم فقط ، نسبة إلى الأساورة ، ثم قال : « ويوجد هذا في القدماء ، فأما المتأخرون فبالفتح ، ينسبون الى قرية بأصبهان » .

وظنّ أنهُ من الخوارج ـ : هانئ بن قَبيصة[1]] : أهَرُورِيٌّ مُنْذُ اليومِ ؟ يريدُ: أحَرُورِيٌّ ، وهذه الهاء يَشترك فى قلبها من الحاء أصنافٌ من العجم .

وكان زيادٌ الأعْجَمُ وهو رجلٌ من عبْدِ القيْسِ ـ : يَرْتَضِخُ لُكْنةً أعجميّةً ، يذهبُ فيها إلى مذهبِ قومٍ بأعيانهم من العجم .

وأنشدَ المُهَلَّبَ بنَ أبى صُفْرةَ فى مَدْحِه إياهُ :

فَتًى زَادَه السُّلْتانُ فى المدحِ رَغْبةً ... إذا غَيَّرَ السُّلْتانُ كلَّ خليلِ

يريد « السلطان » وذلك : أنّ بين التاء والطاء نَسَبًا ، فلذلك قَلَبَها تاءً ، لأن التاء من مخرج الطاء ، فقال « السُّلْتَان » .

وأمّا « الغُنّةُ » فتُستَحْسَنُ[2] من الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ ، لأنها مالم تُفْرِطْ تَميلُ إلى ضَرْبٍ من النَّغْمةِ ، قال ابنُ الرِّقاعِ العامليُّ يصفُ الظَّبْيَةَ وولدَها :

تُزْجِي أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أصابَ من الدَّوَاةِ مِدَادَها[3]

---

(١) الزيادة من حاشية ج .

(٢) فى ج و د « فَتُسْتَحْسَنُ » .

(٣) « تزجى » تسوق برفق ، و « روقه » : قرنه ، و « إبرة » الروق : ماحدد من طرفه كأنه إبرة .

باب

قال محمدُ بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ :

لم تَرَعَيْنِى مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ   خَرَجْنَ من التَّنْعِيمِ مُعْتَجِراتِ[1]
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً   يُلَبِّينَ للرَّحْمٰن مؤْتَجِراتِ[2]
تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مَشَتْ   به زينبٌ فى نسوةٍ عَطِراتِ[3]
وقامتْ تَرَآى يومَ جَمْعٍ فأَفتَنَتْ   برؤيتها مَن راحَ مِن عَرَفاتِ[4]
ولَمّا رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِىِّ أعرضتْ   وكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
دَعَتْ نِسوةً شُمَّ العَرانِينِ بُدَّناً   نَوَاعِمَ لا شُعْثاً ولا غَبِراتِ

[ويروى « ولا غفِراتِ » بالفاء أختِ القاف ، من « الغَفَرِ » وهو الشَّعَرُ الذى يَنبتُ فى اللَّحْيَيْنِ ، يقالُ « غَفِرَتِ » المرأةُ : إذا نَبَتَ لها ذاك الشَّعَرُ[5]] :

---

(١) اختلفت نسخ الكامل فى أول هذا البيت ، فنى بعضها « لم » وفى بعضها « ولم » وفى بعضها « فلم » . و « التنعيم » موضع بجوار مكة على ثلاثة أميال أو أربعة ، وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت . و « معتجرات » من قولهم « اعتجرت المرأة » إذا لوت على رأسها ثوباً من غير إدارة تحت الحنك .

(٢) « فخ » بحاشية ج « مُوَيْهٌ قريبٌ من مكة » . وهو اسم للوادى الذى فيه هذا الماء . و « مؤتجرات » طالبات للأجر .

(٣) « نعمان » بفتح النون : واد بمكة على نصف ليلة منها . وفى حاشية هـ : « زينب هذه هى بنت يوسف ، أخت الحجاج » . وقد مضى هذا البيت مراراً .

(٤) « جمع » هو مزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها .

(٥) الزيادة من حاشية ج .

فَأَدْنَيْنَ لمَّا قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونَها حِجابًا مِنَ القَسِّيِّ والحِبَراتِ(١)
أَحلَّ الّذى فوقَ السَّمٰوَاتِ عَرْشُهُ أَوانسَ بالبَطْحاء مُعْتَمِرَاتِ(٢)
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنَانِ من التُّقَى ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُخْتَمِرَاتِ(٣)

قولُه « مثلَ سِرْبٍ رأيتُه » هو القِطْعةُ من النِّساء أو من الظِّباء أو من البقَرِ أو من الطَّير ، كما قال :

لم تَرَ عَيْنِي مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ وَاقِفِ

فهذا يعنى نساء [القطيعُ من السِّباع يقالُ له « سِرْبٌ » قاله ابنُ جنّي ، وكذلك من الماشيةِ كلِّها(٤)] ويقالُ : مَرَّتْ بنا سُربةٌ من الطَّير ، فى هذا المعنى ، قال ذُو الرُّمَّةِ :

سِوَى ما أصابَ الذِّئْبُ منه وسُربةٌ أطافتْ به مِنْ أُمَّهاتِ الجَوَازِلِ(٥)

ويقالُ : فلانٌ واسعُ السِّرْبِ ، يعنى بذلك الصَّدْرَ ، ويقال : خَلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ ، أى طريقَه الذى يَسْرُبُ(٦) فيه ، ويقالُ للإبلِ كذلك بالفتح : لأذعَرَنْ سَرْبَكَ .

---

(١) « القسيّ » ثياب من كتان مخلوط بحرير ، تصنع ببلدة « القس » بفتح القاف وتشديد السين ، وهى بين العريش والفرما بساحل البحر ، فنسبت إليها . و « الحبرات » جمع « حبرة » بوزن « عنبة » وهى ضرب من برود اليمن موشى .

(٢) « أحل » بالحاء المهملة . وفى ج و س و د و هـ « أجَلّ » بالجيم .

(٣) فى ج و س و د « شطر الليل » وقد مضى البيت فى هذا الجزء (ص ٤٤٦ و ٥٠٩) وفيه « معتجرات » بدل « مختمرات » .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

(٥) « الجوازل » جمع « جوزل » بوزن « جعفر » ، وهو فرخ الحمام .

(٦) فى هـ « ينسرب » وفى ج و س و د « يتسرب » .

ويقالُ « حَذِرَاتٌ » و « حَذُراتٌ » و « يَقِظٌ » و « يَقُظٌ » قال ابنُ أَحْمَرَ :

هل يُنْسِئَنْ يَوْمِى إلى غَيْرِهِ   أَنِّى حَوَالِىٌّ وأَنّى حَذُرْ[1]

وقوله « وكُنَّ مِنَ أنْ يلْقَيْنَهُ حَذِراتٍ » الأصلُ[2] «مِنْ أن يلقينه» ولكنَّ الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ وقبلَها ساكنٌ ليس من حروفِ اللِّينِ الزوائد ـ : فتخفيفُها ، متصلة كانت أومنفصلةً : أن تُلْقِىَ حركتَها على ماقبلَها وتَحْذِفَها ، تقول « مَنَ أبوكَ ؟ » فتفتحُ النُّونَ وتحذفُ الهمزةَ ، و « مَنِ اُخْوَانُك ؟ » و « مَنُ اُمُّ زيدٍ ؟ » فتَضُمُّ النونَ وتَكسرُها وتفتحُها ، على ماذكرتُ لك ، وتقولُ ﴿ الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السَّمٰوَاتِ[3] ﴾ و « فلانٌ له هَيَةٌ » و« هذه حَرَةٌ » إذا خَفَّفْتَ الهمزةَ فى «الخَبْءِ[4]» و« الهَيْئَةِ » و « المرأةِ » وعلى هذا قولُه تعالى ﴿ سَلْ بَنِى إِسْرائيلَ[5] ﴾ لأنَّها كانت « اسْئَلْ » فلمَّا حُرِّكَتِ السينُ بحركةِ الهمزةِ[6] سَقَطَتْ ألفُ الوصْلِ ، لِتَحَرُّكِ ما بعدها ، وإنما كانَ

---

(١) فى ج « يَنْسَأَنْ » وبحاشيتها أنه « أحسن » . وضبطت أيضا فى بعضها « يُنْسَأَنْ » بضم الياء . و « الحوالىّ » الشديد الاحتيال .

(٢) فى ج و س و د و ه « فالأصل » .

(٣) سورة النمل (٢٥) وهذه القراءة منسوبة لأبىّ وعيسى بن عمر ، انظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٠٩ س ٦) والكشاف (ج ٣ ص ١٤٠) والبحر لأبى حيان (ج ٧ ص ٦٩) وتفسير الآلوسى (ج ٦ ص ٢٨٠ بولاق) .

(٤) فى ج و س و ه « همزة الخبء » .

(٥) سورة البقرة (٢١١) .

(٦) فى ج و س و د « فلمّا حرّكت السّينَ الهمزةُ » .

التخفيفُ فى هذا الموضع بحذف الهمزةِ : لأن الهمزةَ إذا خُفِّفَتْ قَرُبَتْ[١] من الساكنِ ، والدليلُ على ذلك أنها لا تُبْتَدَأُ إلا مُحَقَّقَةً ، كما لا يُبْتَدَأُ إلاَّ بمتحرِّكٍ ، فلما التَقى الساكنُ وحروفٌ تجْرِى مَجْرَى الساكنِ حَذَفْتَ المعتلَّ منها ، كما تَحْذِفُ لالتقاء الساكنَيْن[٢] .

وقولُه «دَعَتْ نِسْوَةً شُمُّ العَرانينِ» — : فـ«الشَّمَّاء» السابِغَةُ الأَنْفِ[٣] والمصدرُ «الشَّمَمُ» وقال أحد الشعراء يمدحُ قُثَمَ بنَ العبَّاس :

يانَاقَ إنْ قَرَّبْتِنى من قُثَمْ ... نَجَوْتِ مِن حَلٍّ ومِن رِحْلَةٍ[٤]

عاشَ لنا اليُسْرُ وماتَ العَدَمْ ... إنَّكِ إنْ قَرَّبْتِنِيهِ غَدًا[٥]

نُورٌ وفى العِرْنِينِ منهُ شَمَمْ ... فى باعِهِ طُولٌ وفى وجهِهِ

فعافَها واعْتَاضَ منها «نَعَمْ» ... لم يَدْرِ مَا «لاَ» و«بَلَى» قَدْ دَرَى

[قال أبو الحسنِ : أنشدَنيه أبى لسليمانَ بن قَتَّةَ[٦] ، وزادنى :

---

(١) فى ع «قُرِّبَتْ» .

(٢) مضى شىء من هذه القاعدة باختصار ، فى الجزء الأول (ص ٢١٦) . وهذه القاعدة هى التى يقرأ عليها ورش ، إلا أنه يقيد ذلك بما إذا كان الحرف الساكن آخر الكلمة والهمزة أول الكلمة التى تليها ، ولا يفعل ذلك فيما إذا كان الحرف الساكن والهمزة فى كلمة واحدة . انظر التيسير لأبى عمرو الدانى (ص ٣٥ — ٣٦ طبعة أوربة) والنشر لابن الجزرى (ج ١ ص ٤٠٢ وما بعدها) .

(٣) يريد : الطويلة الأنف . وفى هـ «السانعة» بالنون والعين المهملة ، وهو بمعنى الطويلة أيضا .

(٤) «حل» بفتح الحاء ، مصدر «حَلَّ بالمكان يَحُلُّ» . و «الرحلة» الارتحال .

(٥) فى ع و س و د و هـ «بَلَّغْتِنِيه» .

(٦) «قتة» بفتح القاف وتشديد التاء ، وهو اسم أمه ، وهو : سليمان بن حبيب ، من بنى محارب بن خصفة ، وهو تابعى معروف ، هكذا زعم الشيخ المرصفى ، تقليداً لشارح القاموس ، رحمهما الله ، ولم أجد مايؤيد هذا ، بعد طول التتبع والبحث ، فسليمان بن حبيب له ترجمة لم يذكر فيها بالشعر ، ولا بأنه نسب إلى أمه ، وسليمان بن قتة مذكور فى الشعراء لابن قتيبة

أَصَمُّ عن ذِكْرِ الخَنَا سَمْعُهُ   ومَا عَنِ الخَيْرِ به مِنْ صَمَمْ][١]

« والعِرْنِينُ » و « المَرْسِنُ » و « الأَنْفُ » واحدٌ ، لِمَا يُحِيطُ بالجميع[٢] .

و « البُدَّنُ » واحدُها « بادِنٌ » كقولك « شاهدٌ وشُهَّدٌ » [« وضَامِنٌ وضُمَّنٌ »][٣] و « ضامِرٌ وضُمَّرٌ » وهو العظيمُ البَدَنِ ، يقالُ « بَدُنَ » فلانٌ : إذا كثر لحمُهُ ، و « بَدَّنَ » إذا أَسَنَّ ، وفي الحديثِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد بَدَّنْتُ ، فلا تَسْبِقُونِي بالركوع والسجود » [مَنْ رَوَاه « بَدُنْتُ » بضمِّ الدالِ ـ : فقد أخطأَ ، لأن « بَدُنَ » بمعنى ضخمُ ، وَلم يكن صِفَتُه عليه السلام أنه ضَخْمُ الجِسْمِ ، ولكنّه الرَّجُلُ بَيْنَ الرجُلَيْنِ ، ومعنى « بَدَّنَ » بالتشديد : أَسَنَّ[٤]] .

والأغانى ، ولم يذكر اسم أبيه ، بل نسبه ابن قتيبة أنه « تيمى » وبهامشه مانصه : « قال الشريف : ابن قتة هـذا عدوى ، وهو أول من رثى أهل البيت » . وفى تاريخ الطبرى (ج ٨ ص ٢٤٨) : « وقال سليمان بن قتة مولى بنى تيم بن مرة » . فهذا يوافق مانسبه ابن قتيبة ، ويخالف مازعم شارح القاموس ، لأن سليمان بن حبيب المحاربى عربى لامولى .

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) أى : لما يحيط بجميع الأنف ، وفى التفرقة بين مدلولاتها أقوال أخر .

(٣) الزيادة من ج و د .

(٤) الزيادة من حاشية ج . والحديث الذى ذكره المبرد رواه بمعناه أبو داود (ج ١ ص ٢٣٩) وابن ماجه (ج ١ ص ١٥٨) وهو حديث صحيح . والرواية فيه « بَدُنْتُ » بضم الدال ، ففى النهاية : « قال أبو عبيد : هكذا روى الحديث : بَدُنْتُ : يعنى بالتخفيف ، وإنما هو بَدَّنْتُ : بالتشديد ، أى كبرت وأسننت ، والتخفيف من البدانة ، وهى كثرة اللحم ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم سمينا . قلت : قد جاء فى صفته صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن أبى هالة : بادن متماسك . والبادن الضخم ، فلما قال بادن أردفه بمتماسك ، وهو الذى يمسك بعض أعضائه بعضا ، فهو معتدل الخلق » . وقال الخطابى فى معالم السنن (ج ٦

و « الأَشْعَثُ » و « الشَّعْثاء » الخاليانِ من الدُّهْنِ ، وكان عمرُ بن عبد العزيز يتَمَثَّلُ :

مَنْ كان حينَ تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه ... أو الغُبارُ يخافُ الشَّيْنَ والشَّعَثا[1]
ويألفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشاشتُه ... فسوفَ يَسكُنُ يومًا راغِمًا جَدَثا

[قال أبو الحسن : وزادَنِي أبِي :

فى بَطْنِ مُظْلِمَةٍ غَبْراءَ مُقْفِرةٍ ... كَيْما يُطِيلُ بها فى بطنها اللَّبَثا
تَجَهَّزِى بِجَهازٍ تَبْلُغِينَ به ... يانفسُ واقتَصِدِى لم تُخْلَقِى عَبَثا]

✡

وقال عمرُ بن [عبد الله بن[2]] أبِى رَبيعةَ ، ونَظَرَ إلى أمّ عمرَ بنتِ مَرْوانَ بن الحَكَمِ ، وكانتْ صارتْ إليه متنكِّرةً [فى عامِ حِجَّتِه[3]] فرَأَتْهُ وقَضَتْ من مُحادثَتِه وَطَرًا ، ثم انصرفتْ ، فلما رجَعَتْ مِن مِنًى عرفَها ، فعلمتْ ذلك ، فبعثَتْ إليه : لا تَرْفَعْ بِى صوتًا ، وأهدتْ له ألفَ دينارٍ ، فاشتَرَى بها عِطْرًا وبَزًّا وأهداهُ لها ، فأَبَتْ أنْ تَقْبَلَه ، فقال : إذًا واللهِ أُنْهِبَهُ فيكونَ أَذْيَعَ له ! فقبِلَتْه ، وفى ذلك يقولُ :

من ١٧٦) : « يروى على وجهين ، أحدهما : بَدَّنْتُ ، بتشديد الدال ، ومعناه كبر السن ، يقال : بدن الرجل تبدينا : إذا أسن ، والآخر : بَدُنْتُ ، مضمومة الدال غير مشددة ، ومعناه زيادة الجسم واحتمال اللحم . روت عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طعن فى السن احتمل بدنه اللحم ، وكل واحد من كبر السن واحتمال اللحم يثقل البدن ويثبط الحركة » .

(١) فى هـ « التراب » بدل « الغبار » .

(٢) الزيادة من ج و د .

(٣) الزيادة من هـ .

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُباء به دَمٌ ومِن غَلِقٍ رَهْناً إذا ضَمَّهُ مِنَى[١]

وكم مَالِئٍ عينيه مِن شَيْءِ غيْرِهِ إذا راح نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى[٢]

يُجَرِّرْنَ أذْيالَ المُرُوطِ بِأسْوُقٍ خِدَالٍ إذا وَلَّيْنَ أعجازُها رِوَى[٣]

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤَادَهُ فيَاطُولَ ما حُزْنٍ ويَاحُسْنَ مُجْتَلَى[٤]

فلمْ أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ولا كَلَيَالِي الحَجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى[٥]

وفيها أيضاً يقولُ :

أيُّها الرائِحُ المُجِدُّ ابْتِكَارَا قد قَضَى من تِهامةَ الأَوْطارَا

لَيْتَ ذا الحجَّ كان حَتْماً علينا كلَّ شهرَيْنِ حِجَّةً واعْتِمارَا

قولُه « وكم من قتيلٍ لا يُباء به دَمٌ » يقولُ : لا يُقادُ به قاتِلُهُ ، وأصلُ هـذا أنه يقالُ « أَبأْتُ » فلاناً بفلانٍ « فَباء به » إذا قتلْتَه بِهِ ، ولا يكادُ يُستعملُ هذا إلاّ والثانى كُفْءٌ للأوَّلِ ، فمن ذلك قولُ مُهَلْهِلِ بن ربيعةَ ، حيثُ قَتَلَ بُجَيْرَ بْنَ الحارثِ بن عُبادٍ ، فقيلَ للحارثِ ولم يكنْ دَخَلَ فى حربِهم — : إنَّ ابنَك قُتِلَ ، فقال : إنَّ ابْنِي لأعظَمُ قتيلٍ بركةً ،

---

(١) فى حاشية ج « غَلِقٍ رَهْنٍ » .

(٢) بحاشية ج « أنشده سيبويه : ومن مالئٌ » .

(٣) فى ج « بأسؤق » .

(٤) بحاشية ج « ياطول : منادى ، فيه معنى التعجب » .

(٥) فى س « أفلَـتْنَ » وفى ج و د « أصْبَيْنَ » وبحاشية ج أيضا « أقْتَلْنَ » و و« أفْلَـتْنَ » . وقال « أفلتن بتقديم اللام على التاء : رواية » .

إذْ أَصلحَ اللهُ[1] بِهِ بَيْنَ ابْنَيْ وَائِلٍ ، فقيل له : إنهُ ، لمّا قُتِلَ قال مُهَلْهِلٌ : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ[2] ! فعند ذلك أدْخلَ الحارثُ يدَه في الحرب ، وقال :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعامـــةِ مِنّي   لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ[3]

لا بُجَيْرٌ أَغْنَى قتيلاً ولا رَهْـــطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عن ضَلالِ

لم أَكُنْ مِن جُنَاتِها عَـــلِمَ اللهُ وإنّي بِحَرِّها اليـــومَ صَالِي

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

فإنْ تَــكُنِ القَتْلَى بَوَاءً فإنكم   فَتًى مّا قتلْتُمْ آلَ عَوْفِ بن عَامِرِ[4]

وقال عمرُو بن حُيَيٍّ التَّغْلِبِيُّ[5] :

ألا تَنْتَهِي عَنّا مُلُوكٌ وتَتّقِي   مَحَارِمَنا لا يَبْؤُءِ الدَّمُ بالدَّمِ[6]

ويقالُ « بَاءَ » فلانٌ بذَنْبِهِ ، أي : بَخَعَ به وأقرّ ، قال الفرزدقُ لمعاويةَ :

فلو كان هذا الحكمُ في غيرِ مُلْكِكُمْ   لَبُؤْتُ به أو غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ

---

(١) في ج و س و د « إنِ اللهُ أَصْلَحَ » .

(٢) معناه : كن كفؤا لشسع النعل ، وهي الجلدة التي بين الأصابع .

(٣) « النعامة » فرس الحرث ، وكانت معروفة بالسرعة .

(٤) بحاشية ج أن : فتى « مفعول مقدم » وأن « ما : حَرْفٌ مُؤَيِّدٌ ، معناه التعظيمُ ، وقامَتْ مَقَامَ الصِّفَةِ » .

(٥) بحاشية ج « هو جابرُ بن حُيَيٍّ » وقال المرصفي : « هــذا غلط ، والصواب : جابر بن حُنَيٍّ ، بضم الحاء وفتح النون وتشديد الياء ، ابن حارثة بن عمرو بن غنم ، بفتح فسكون ، ابن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلي قديم » .

(٦) « يبؤء » بهمزتين في بعض النسخ ، وعليها علامة « صح » وفي باقي النسخ « يبؤ » بهمزة واحدة ، والصواب الأول ، وهو كما قال المرصفي مجزوم في جواب « ألا تنتهي » لأن المعنى فيه على الأمر ، وقلبت مدته همزة للضرورة .

ويقالُ « باء » فلانٌ بالشيء ، من قولٍ أو فعلٍ ، أي : احتمله فصَارَ عليه . وقال المفسّرون فى قولِ الله جــل وعزّ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ[1] ﴾ ـ : أي يجتمعَا[2] عليك فتحْمِلَهُما [معاً[3]] :

وأما قولُه «ومِنْ غَلَقٍ رَهْنًا[4]» فَمَنْ جَرَّ فهو مِن قولهم «رَهْنٌ غَلِقٌ» فلما قدَّمَ النعتَ اضطرارًا أَبْدَلَ[5] منه المنعوتَ ، ولو قال « ومِنْ غَلِقٍ رَهْنًا» فنصَبَ على الحال من المعرفةِ بَقِيَ الاسمُ المضمَرُ فى « غَلِقٍ » .

وقولُه « إذا ضَمَّهُ مِنًى » فإنما سُمِّيَتْ « مِنًى » لِمَا يُمْنَى فيها من الدَّمِ ، يقالُ فى المَنِيِّ ، وهى النُّطْفَة : «مَنَى» الرجلُ و « أَمْنَى » . والقراءةُ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾[6] ويقالُ « مَذَى » الرجلُ و « أَمْذَى » و « وَدَى » و«أَوْدَى» فقولُهم « وَدَى » يعنى البَلَّةَ [بِكَسْرِ الباءِ روايةُ عاصمٍ ، وبفتحِها روايةُ ابن سِرَاجٍ[7]] التى تكونُ فى عَقِبِ البَوْلِ كالمَذْيِ ، وأما المَذْيُ فيَعْتَرِي من الشَّهْوَةِ والحَرَكةِ ، وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رحمه الله : كلُّ فَحْلٍ مَذَّاء . ومِن كلامِ العَرَبِ : كلُّ فَحْلٍ يَمْذِي ، وكلُّ أُنْثَى تَقْذِي . وهو : أن يكونَ

---

(١) سورة المائدة (٢٩) .

(٢) فى ج و س و د « يجتمعان » .

(٣) الزيادة من ج و د . وفى س « فتحتملهما » بدل « فتحملهما » .

(٤) هكذا رسمت فى طبعة أوربة هنا « رهن » وتحتها كسرتان وفوقها فتحتان وعلى طرف النون ألف ، لتقرأ بالنصب وبالخفض معاً .

(٥) فى ج و س ود « اضطر إلى أن أبدل » .

(٦) سورة الواقعة (٥٨) وفى ج و س و د و ﻫ « مَا تَمْنُونَ ، وَ : مَا تُمْنُونَ» . يعنى من الثلاثى والرباعى ، والقراءة المعروفة بضم التاء ، وأما بفتحها فهى قراءة أبى السمال ، انظر القراءات الشاذة لابن خالويه (ص ١٥١ س ٧) والكشاف (ج ٤ ص ٦٠) .

(٧) الزيادة من حاشية ج .

منها مثلُ المَذْيِ . و لِ« مَنَى » موضعٌ آخرُ ، يقالُ « مَنَى » اللهُ لك خيرًا ، أي : قَدَّر لك خيرًا ، ويقال «منَى» اللهُ أنْ ألْقَى فلانًا ، أي : قَدَّرَ. و «المَنِيَّةُ» مِنْ ذَا ، يقالُ : لَقِيَ فلانٌ مَنِيَّتَه ، أي : ما قُدِّرَ له من الموت ، فأمَّا « المَنِيئَةُ » بالهمز ، فهي : المَدْبَغَةُ [١] ، وهي : المكانُ الذي يُدْبَغُ فيه .

وقولُه « إذا راحَ نحوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى » «الجمرةُ[٢]» إنما سُمِّيَتْ لاجتماعِ الحَصَى فيها ، ومِن ثَمَّ قيلَ : لا تُجَمِّرُوا المسلمينَ فتَفْتِنُوهم وتَفْتِنُوا نساءهم ، أي : لاتَجْمَعُوهم في المَغازِي ، و « التَّجْمِيرُ » التَّجميعُ. وكذلك قيل في « جَمَرَاتِ العربِ » وهم : بنو نُمَيْرِ بن عامرِ بن صَعْصَعَةَ ، وبنو الحَارِثِ بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْدٍ ، وبنو ضَبَّةَ بن أُدِّ بن طَابِخَةَ ، وبنو عَبْسِ بن بَغِيضِ بن رَيْثٍ [بن غَطَفَانَ][٣] — : لأنهم تَجَمَّعُوا في أنفسهم ولم يُدْخِلُوا معهم غيرَهم . وأبو عُبيدةَ لم يَعْدُدْ فيهم عَبْسًا في كتاب « الدِّيباجِ » ولكنه قال : فَطَفِئَتْ جَمْرَتانِ ، وهما بنو ضَبَّةَ ، لأنها صارَتْ إلى الرِّبابِ فحالفَتْ ، وبنو الحَارِثِ ، لأنها صارتْ إلى مَذْحِجٍ ، وبَقِيَتْ بنو نُمَيْرٍ إلى الساعةِ ، لأنها لم تُحالِفْ . وقال النُّمَيْرِيُّ يُجيبُ جريرًا :

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ العَربِ التي لم ... تَزَلْ في الحربِ تَلْتَهِبُ الْتِهابَا
وإنِّي إذْ أَسُبُّ بها كُلَيْبًا ... فَتَحْتُ عليهمُ لِلْخَسْفِ بابَا

وقال في هذا الشعرِ[٤] :

---

(١) بحاشية ج « وقعت الرواية بفتح الميم وبكسرها ، والفتح أحسن » .
(٢) في ج و د و هـ « فالجمرة » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) في ج و د « وفي هذا الشعر يقول » .

وَلولا أنْ يقالَ هَجَا نُمَيْرًا ... ولم نَسْمَعْ لشاعِرِها جَوَابَا
رَغِبْنَا عن هِجَاءِ بنى كُلَيْبٍ ... وكَيفَ يُشَاتِمُ الناسُ الكِلاَبَا

☆

وقال عمرُ بن عبد الله بن أبى رَبِيعَةَ :

لَيتَ شِعرى هلْ أقُولَنْ لِرَكْبٍ ... بِفَـــلاَةٍ هُمُ لديها هُجُوعُ
طالَ ما عَرَّسْتُمُ فاسْتَقِلُّوا ... حَانَ مِن نَجْمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ
إنَّ هَمِّى قد نَفَى النَّومَ عنِّى ... وحديثُ النفسِ شىءٌ وَلُوعُ[1]
قال لى فيها عَتِيقٌ مَقَالاً ... فَجَرَتْ ممّا يقولُ الدُّمُوع
قال لى : ودِّعْ سُلَيْمَى ودَعْهَا ... فأَجابَ القَلْبُ : لا أسْتَطِيعُ
لا تَلُمْنِى فى اشْتِيَاقِى إليها ... وَابْكِ لى ممّا تُجِنُّ الضُّلوعُ

قولُه « حَانَ من نَجمِ الثُّرَيَّا طُلُوعُ » كنايةٌ ، وإنما يريدُ الثُّرَيَّا بنتَ علىِّ بن عبد اللهِ بن الحَارِثِ بن أُمَيَّةَ الأَصْغَرِ ، وهُمُ العَبَلاَتُ[2] ، وكانت الثريا وأختُها عائشةُ أعْتَقَتَا الغَرِيضَ المُغَنِّىَ ، واسمُه عبدُ الملك ، ويُكْنَى أبا يزيدَ ، ويقولُ إسحٰق بن إبرٰهيمَ المَوْصِلِىُّ : إنما سُمِّيَ الغَرِيضَ بالطَّلْعِ ، لأن الطَّلْعَ يقالُ له الإغْرِيضُ ، وليس هو عندى كما قال[3] ، وإنما سُمى الغَرِيضَ لطَرَاءَتِهِ ،

(١) فى بعض النسخ « قِدْمًا وَلُوعُ » .

(٢) قال المرصفى : « الذى ذكره ياقوت فى مقتضبه : أن عبد شمس بن عبد مناف ولد أمية الأكبر وحبيبا ، وأمهما كلابية ، وأمية الأصغر وعبد أمية ونوفلا ، وأمهم عبلة — بفتح فسكون — بنت عبيد بن جادل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . بها يعرفون . وقول صاحب القاموس : وعبلة بالفتح جارية من قريش أم قبيلة يقال لهم العبلات محركة — : وهم ، وقد نبه عليه شارحه » .

(٣) فى ج و س و د و هـ « كما يقول » .

يقال: لَحْمٌ غَرِيضٌ. وكانت الثُّرَيَّا موصوفةً بالجمالِ، وتزوَّجها[1] سُهَيْلُ بن عبد الرحمٰن بن عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ[2]، فنقلها إلى مصرَ، فقال[3] عمرُ يَضْرِبُ لهما[4] المَثَلَ بالكوكبَيْنِ:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً　　عَمْرَكَ اللهَ، كيفَ يَلْتَقِيَانِ

هي شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ　　وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَمَانِي

وقولُه «قال لى فيها عَتِيقٌ مَقالاً» تَزْعُمُ الرواةُ أنَّ كلَّ شيء ذَكَرَ فيه عَتيقاً أو بَكْرًا فإنما يَعْنِي ابنَ أبي عَتِيقٍ [ابنُ أبي عتيقٍ هو عبدُ الله بن أبي عَتيقِ بن عبد الرحمٰن بن أبي بكرٍ الصديقِ بن أبي قُحَافَةَ، وأبو عتيقٍ اسمُه محمد، وهو صحابيٌّ، وأبوه عبدُ الرحمٰن صحابيٌّ، وجدُّه أبو بكر صحابيٌّ، وجدُّ أبيه أبو قُحَافَةَ صحابيٌّ، ولم يَكُنْ أحدٌ من الصحابةِ كذلك غيرَهم[5]، وعبدُ الله بن أبي عتيقٍ غَلَبَتْ عليه الدُّعابةُ وشُهِرَ بها[6]].

وكان ابنُ أبي عتيقٍ من نُسَّاكِ قريشٍ وظُرَفائهم، بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفاً، وله أخبارٌ كثيرةٌ، سيَمُرُّ بعضُها في الكتابِ، إن شاء اللهُ.

---

(١) فى ج و د «فتزوجها».

(٢) هكذا هنا، وفى بعض الروايات أن الذى تزوجها هو سهيل بن عبد العزيز بن مروان، ولعبد الرحمن بن عوف ولعبد العزيز بن مروان ولدان، كل منهما اسمه «سهيل»، قال صاحب الأغانى (ج ١ ص ٩٠ ساسى): «والصواب قول من قال: سهيل بن عبد العزيز، لأنه كان هناك — يعنى بمصر — منزله، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع».

(٣) فى د «ففى ذلك يقول».

(٤) فى ج و س و د «لها».

(٥) كذلك «عبد الله بن الزبير» صحابى، وأمه «أسماء بنت أبى بكر» صحابية، ثم أبوها وجدها صحابيان. وانظر شرحنا على ألفية السيوطى فى المصطلح (ص ٢٣١ — ٢٣٢).

(٦) الزيادة من حاشية هـ.

فمن طريفِ[1] أخبارِه : أنهُ سمعَ وهو بالمدينة قولَ ابنِ أبي ربيعةَ :

فما نِلتُ منها محرَّمًا غيرَ أننا كِلانا من الثوبِ المُطرَّفِ لابِسُ[2]

ـ : فقال أبنا يلعبُ ابنُ أبي ربيعةَ ؟ فأيُّ محرَّمٍ بقِيَ ! فركبَ بغلتَه متوجِّهًا إلى مكةَ ، فلما دخلَ أنصابَ الحرَمِ قيل له: أحرِمْ ، قال : إن ذا الحاجةِ لا يُحرِمُ ، فلقِيَ ابنَ أبي ربيعةَ فقال : أمَا زعمتَ أنك لم تركبْ حراما قطُّ ؟ قال بلَى ، قال : فما قولُك :

* كِلانا من الثوبِ المطرَّفِ لابسُ ؟ *

فقال له : إذًا أُخبِرَكَ : خرجتُ[3] بعِلَّةِ المسجدِ ، فصرنا إلى بعض الشِّعابِ ، فأخذتْنا السماء ، فأمرتُ بمُطرَفِي فستَرَنا الغِلمانُ بهِ ، لئلاَّ يرَوْا بها بِلَّةً فيقولوا[4] هلاَّ استترتِ بسقائفِ المسجدِ ؟ فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : ياعاهرُ ! هذا البيتُ يحتاجُ إلى حاضِنةٍ !!

وهو الذي[5] سمِع قولَ عمرَ بن أبي ربيعةَ :

مَنْ رسولي إلى الثُّريَّا بأنِّي ضِقتُ ذرْعًا بهجرِها والكتابِ[6]

فلبسَ ثيابَه وركِبَ بغلتَه وأتى بابَ الثُّريَّا ، فاستأذنَ عليها ، فقالتْ : واللهِ

(١) في س و د و هـ « ظريف » بالظاء المشالة .

(٢) في هـ « من الخزّ » . و « المطرف » الذي خالف لون طرفيه سائره .

(٣) في هـ « خرجنا » .

(٤) في ج و د « فيقولون » .

(٥) في ج و س و د و هـ « وابن أبي عتيق الذي » .

(٦) في ج و د « مَنْ رسولٌ » وفي س و هـ « فإني » بدل « بأني » .

ما كنتَ لنا زوّارًا ، فقال : أَجَلْ ، ولكنّي[١] جئتُ برسالةٍ : يقولُ لكِ ابنُ عمِّكِ عُمَرُ بن أبي ربيعة «ضِقْتُ ذرعًا بهجركِ والكتابِ » ، فلامَهُ عمرُ ، فقال له ابنُ أبي عتيقٍ : إنما رأيتُكَ مُتَلَدِّدًا[٢] تلتمسُ رســــولاً ، فخففتُ في حاجَتِك ، فإنما كان ثوابي أن أُشكَرَ !

ومن طَريفِ[٣] أخبارِه : أن عائشةَ بنتَ طلحةَ عَتَبَتْ على مُصْعَبِ بن الزُّبير فهَجرَتْهُ ، فقال مصعبٌ : هذه عشَرةُ آلافِ درهمٍ لمنِ احْتَالَ[٤] لِي أن تُكلِّمَنِي ، فقال له ابنُ أبي عتيق : عَدِّلِ[٥] المالَ ، ثم صار إلى عائشةَ ، فجعلَ يَسْتَعْتِبُها لِمصعبٍ ، فقالت : واللهِ ما عَزْمِي أن أُكلِّمه أبدًا ! فلما رأى جِدَّها[٦] قال لها : يا بنتَ عمِّ[٧] ! إنهُ قد ضَمِنَ لي إن كلَّمْتِهِ[٨] عشَرةَ آلافِ درهمٍ ، فكلِّميه حتَّى آخُذَها ، ثم عُودِي إلى ما عوَّدَكِ اللهُ [من سُوءِ الخُلُقِ[٩]] !!

ومن أخبارِه : أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَمِ قال يومًا : إنِّي لَمَشْعُوفٌ[١٠]

---

(١) في ج و س و هـ « ولكن » .

(٢) يعنى : متحيراً .

(٣) في س و د و هـ « ظريف » بالمعجمة .

(٤) في ج و س و د « لمن اجْتَلَبَ » .

(٥) في د « عُدَّ لِي » .

(٦) في هـ « الجدَّ منها » .

(٧) في ج « يا ابْنَةَ عمِّي » وفي س و د هـ « يا ابنة عم » .

(٨) في س « إن كلمتيه » .

(٩) الزيادة من س وهي زيادة ثابتة في هذا الخبر ، في غير هذا الكتاب.

(١٠) بالعين المهملة ، وفي ج و س و د و هـ « مشغوف » بالغين معجمة وبحذف اللام .

ببغلةِ الحسنِ(١) [بن علي بن أبي طالبٍ(٢)] رحمهما الله ، فقال له ابنُ أبي عتيقٍ: إن دَفعتُها إليك أتقضي لِي ثلاثين حاجةً ؟ قال: نعم ،قال : إذا(٣) اجتمعَ الناسُ عندكَ العَشيَّةَ فإني آخُـذُ(٤) في مآثرِ قُريشٍ ، ثم أُمسِكُ عن الحسنِ ، فَلُمْنِي على ذلك ، فلمّا أخذ الناسُ(٥) مجالِسَهم أخذَ في مآثرِ قريشٍ(٦) ، فقال له مروانُ : ألا تذكُرُ أوّليّةَ أبي محمدٍ ، وله في هذا [الأمرِ(٧)] ما ليسَ لأحدٍ؟! فقال : إنما كُنّا في ذِكْرِ الأشرافِ ، ولو كُنّا في ذكر الأنبياء لَقدَّمْنا ما لِأبي محمدٍ ! فلمّا خرجَ الحسنُ ليركبَ تبِعَهُ ابن أبي عتيقٍ ، فقال له الحسنُ - وتَبَسَّمَ - : أَلَكَ حاجةٌ ؟ فقال : ذَكرتُ البغلةَ ، فنزل الحسنُ ودَفَعها(٨) إليه !!

ومِنْ طَريفِ(٩) أخبارِه : أنَّ عثمانَ بنَ حيّانَ المُرّيَّ لمّا دخلَ المدينةَ والياً عليها(١٠) اجتمعَ الأشرافُ عليه(١١) من قريشٍ والأنصارُ ، فقالوا له : إنك لا تعمَلُ عملاً أجْدَى ولا أوْلَى مِن تحريم الغِناء والرِّثاء(١٢) ، فَفَعَلَ ، وأَجَّلَهُمْ

(١) في ج و س و د « ببغلةٍ للحسن » .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) في ج و س و د و هـ « فاذا » .
(٤) في ج « آخذُ » .
(٥) في ج و س و د « القوم » .
(٦) في ج و س و د و هـ « أفاض في أولية قريش » .
(٧) الزيادة من هـ .
(٨) في ج و س و د و د و هـ « فدفعها » .
(٩) في ا و س و د « ظريف » بالمعجمة .
(١٠) من قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٩٣ .
(١١) في ج و د و س و هـ « اجتمع إليه الأشراف » .
(١٢) قال المرصفي : « يريد النياحة بالمراثي » .

ثلاثًا، فقَدِمَ ابنُ أبي عتيقٍ في الليلةِ الثالثة ، فحَطَّ رَحْلَه بباب سَلاَّمَةَ الزَّرْقاء[١]، وقال لها : بَدَأْتُ بكِ قبلَ أن أصِيرَ إلى منزلى ، فقالت : أوَ ما تَدْرِى ما حَدَثَ ؟ ! وأخبرَتْه الخبرَ ، فقال : أقيمِي إلى السَّحَرِ حتّى ألقاهُ ، فقالت : إنا نخافُ أن لا تُغْنِيَ شيئًا ونُنْكَظَ [تعْنِي : تَنالَنا شِدَّةٌ[٢]] فقال : إنه لا بأسَ عليكِ ، ثم مَضَى إلى عثمانَ [بن حَيَّانَ[٣]] فاستأذَنَ عليه ، فأخبره أنَّ أحَذَّ[٤] ما أقْدَمَهُ عليه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له : إنَّ مِنْ أفضلِ ما عمِلْتَ به تحريمُ الغِنَاءِ والرِّثاء ! قال : إنَّ أهْلَكَ أشاروا عليَّ بذلك ، قال : فانك قد وُفِّقْتَ ! ولكنِّي رسولُ امرأةٍ إليكَ تقولُ : قد كانت هذه صِناعَتِي فتُبْتُ إلى الله منها ، وأنا أسْأَلُكَ أيها الأميرُ أن لا تَحُولَ بينَها[٥] وبينَ مجاورةِ قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال عثمانُ : إذَنْ أدَعَها لك ، قال : إذَنْ لا يَدَعَها الناسُ ، ولكن تَدْعُو بها فتَنْظُرُ إليها ، فان كانت ممَّنْ يُتْرَكُ

(١) « سلامة » ضبطت في ج بتشديد اللام ، وهو الصواب ، وهي — كما قال المرصفي — : « من مولدات المدينة ، وكانت أحسن النساء وجها ، وأتمهن عقلا ، وأجودهن حديثاً ، قرأت القرآن وروت الأشعار ، وأخذت الغناء عن جميلة مولاة بنى سليم ، وعن معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة . وعن الزبير بن بكار : أنها كانت لسهيل بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى ، ثم اشتراها يزيد بن عبد الملك ، ويقال لها سلامة القس ، وذلك أن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار الجشمي أحد قراء مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته — : لما سمع غناءها افتتن بها ! فأضيفت إليه » .

(٢) الزيادة من ج و س و د ، وفي حاشية ا « أي نُعَجَّلُ » وفي هـ « ننكل » . وقال المرصفي : « عن الأصمعي : أنْكَظْتُهُ إنْكاظًا : إذا أعجلته » . فتفسيره بقوله « تنالنا شدة » يعني من ذلك الإعجال .

(٣) الزيادة من ج و د .

(٤) « أحذّ » بالذال المعجمة يعني: أسرع شيء ، من « الحذذ » بفتح الحاء والذال ، وهو السرعة ولا فعل له . وفي ج و س و د و هـ « أحب » وهو ظاهر .

(٥) في ا « بيني » .

تَرَكْتَها ، قال: فادْعُ بها ، قال : فأمَرَها ابنُ أبى عتيقٍ فتقشَّفت[1] [له[2]] ، وأخذَتْ سُبْحةً فى يدها ، وصارتْ إليه ، وحدَّثتْهُ[3] عن مآثر آبائِه ، ففَكِهَ لها[4] ؟ فقال لها ابنُ أبى عتيقٍ : اقرَئى للأميرِ ، ففعلتْ ، فأُعجِبَ بذاك ، فقال لها : فاحْدِى للأميرِ ، فحرَّكَهُ حُدَاؤُها ، ثم قال لها : غَنِّى للأميرِ ، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ ، فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : فكيفَ لو سمعْتَها فى صناعتها ؟ ! فقال : قُلْ لها فلتَقُلْ ، فأمَرَها فتغنَّتْ :

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لمّا دَخَلْنَهُ ... بكلِّ لَبَانٍ واضِحٍ وجَبِينِ[5]

فنزل عثمانُ بن حَيَّانَ عن سريرِه حتّى جلس بين يديها ! ! ثم قال : لا واللهِ ، ما مِثْلُكِ يَخْرُجُ عن المدينةِ ! ! فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : إذَنْ يقولَ الناسُ أَذِنَ لِسَلامةَ فى المُقامِ ومَنَعَ غيرَها ! فقال له عثمانُ : قد أَذِنْتُ لهم جميعاً ! !

☆

وقال ابنُ نُمَيْرٍ الثَّقَفِىُّ :

أَشَاقَتْكَ الظَّعائنُ يومَ بَانُوا ... بذِى الزِّىِّ الجميلِ من الأَثاثِ[6]

ظعائنُ أَسْلَكَتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تَحُثُّ إذا وَنَتْ أَىَّ احْتِثاثِ

(١) فى س « أن تتقشف » .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فحدثته » .
(٤) أى : أعجبته وطابت نفسه بحديثها .
(٥) « الخصاص » خروق واسعة فى الخيم قدر الوجه ، الواحد « خصاصة » يصف نساء تطلعن منها ، قاله المرصفى .
(٦) فى س و هـ « من الإناث » .

كأنّ على الظّعائنِ يوم بانُوا نِعاجًا ترْتعِي بقْلَ البِرَاثِ
يُهيِّجُني الحَمَامُ إذا تغنّى كما سَجَعَ النَّوائحُ بالمَرَاثِي

قولُه « الظعائنُ » واحدتها « ظَعينةٌ » وإنما قيلَ لها « ظَعينةٌ » وهم يريدون مَظعُونًا بها ، كقولك « قتيلٌ » في معنى مقتولٍ ، ثم استُعمِل هذا وكَثُرَ ، حتى قيلَ للمرأة المُقيمة « ظَعينةٌ »[1] .

وقولُهُ « بذِي الرّيِّ الجميل من الأَثاثِ »[2] هي الروايةُ الصحيحة ، وقد قيلَ بذِي « الزّيّ[3] الجَميلِ » واستَهواهُمْ إليه قولُ اللهِ جلّ ثناؤه : ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثاثًا وَرِيًّا[4] ﴾ فـ « الأَثاثُ » مَتاعُ البيت ، و « الرّيّ[5] » ماظَهَرَ مِن الزِّينةِ ، وإنما أُخِذَ من قولك « رَأَيْتُ » فالرّيُّ غيرُ الأَثاثِ ، والزّيُّ من الأَثاثِ ، فمِن ههنا غَلِطُوا[6]

---

(١) قال المرصفي : « إنما يريد — يعني الشاعر — بالظعائن الإبل التي عليها الهوادج ذات الزيّ الجميل ، ولا يريد النساء ، ألا تراه يقول : كأن على الظعائن يوم بانوا نعاجا . والنعاج النساء ، على ما يأتي » .

(٢) في س « من الإناث » .

(٣) في ج « الرِّئْي » .

(٤) سورة مريم (٧٤) وهذه قراءة قالون وابن ذكوان . وفي ج « وَرِءْيًا » وهي قراءة باقي السبعة .

(٥) في ج « والرِّءْيُ » وهكذا رسمت وحافظنا على رسمها .

(٦) قال المرصفي : « عبارة الجوهري : وقوله تعالى (هم أحسن أثاثا ورئيا) : من همزه جعله من المنظر ، من : رأيت ، وهو ماراَته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . وأنشد أبو عبيدة :

أشاقتك الظعائن يوم بانوا بذي الرئي الجميل من الأثاث

ومن لم يهمزه : فإما أن يكون على تخفيف الهمزة ، أو يكون من : رويت ألوانهم وجلودهم ، إذا امتلأت وحسنت . وقول أبي العباس والزي من الاثاث : صريح في أن الزي بعض الأثاث ، يريد به ما على الهودج من الأنماط ، وهي ثياب مصبغة من حمرة وصفرة ،

[قالَ أبو العباس[١]] : وقولُه « أَسْلَكْتَ نَقْبَ المُنَقَّى » فـ« المُنَقَّى » موضعٌ بعينه[٢] و « النَّقْبُ » الطريقُ فى الجبل ، و « الخَلُّ » الطريقُ فى الرَّمْلِ ، فإن اتَّسَعَ[٣] الطريقُ في الجبل وعَلاَ فهو « ثَنِيَّةٌ » [و][٤] قال ابنُ الأَيْهَمِ التَّغْلِبِيُّ :

وَتَرَاهُنَّ شُزَّبًا كالسَّعَالِي ... يَتَطَلَّعْنَ مِن ثَنَايا النِّقَابِ[٥]

وقولُه «نِعَاجًا تَرْتَعِي بَقْلَ البِرَاثِ» فـ«النعجةُ» عندالعرب البقرةُ الوَحْشِيَّةُ ، وحُكْمُ البقرةِ عندَهم حُكْمُ الضَّائِنةِ ، وحُكْمُ الظَّبيةِ عندهم حُكْمُ الماعِزَةِ ، والعربُ تَكْنِي بالنعجة عن المرأة وبالشاةِ[٦] ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً[٧] ﴾ ، وقال الأَعْشَى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عينِه عن شاتِهِ ... فأصبتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَهَا

والمعنى : يوم بانوا بذى نمط من جملة الأثاث . وليت شعرى ماذا يصنع أبو العباس فى قراءة من قرأ ﴿ أثاثا وزيا ﴾ بالزاى ؟ ! والصواب تفسير الزىّ بالهيئة ، و « من » فى قوله : من الأثاث : بيان لذى الزىّ ، وحينئذ يكون الزىّ كالرىّ ، فلم يكن استهواء ولا غلط كما زعم » .

وقراءة « وزيا » بالزاى التى نقلها الشيخ المرصفى منسوبة لسعيد بن جبير ، كما فى شواذ القراءات لابن خالويه (ص ٨٦ س ٦) ونسبها أبوحيان فى البحر (ج ٦ ص ٢١١) لابن عباس وابن جبير ويزيد البربرى والأعسم المكى . ولم ينسبها الطبرى لأحد بعينه ، بل قال « حكى عن بعضهم » . ثم قال (ج ١٦ ص ٨٩) : « وأما قراءته بالزاى فقراءة خارجة عن قراءة القراء ، فلا أستجيز القراءة بها ، لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم فى التأويل وجه صحيح » .

(١) الزيادة من ا .

(٢) ذكر ياقوت أنه بين أحد والمدينة .

(٣) فى ج و س و د و هـ « فإذا اتسع » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٥) فى ج و س و د و هـ « من ثغور النقاب » . وقوله « شزبا » يعنى ضوامر ، يريد الخيل ، و « السعالى » جمع « سعلاة » بكسر السين ، وهى أخبث الغيلان .

(٦) فى ج و س و د و هـ « والشاة » .

(٧) سورة ص (٢٣) .

يريدُ المرأة . وأمّا « البِرَاثُ » فهى الأماكنُ السَّهلةُ من الرَّمْلِ ، واحِدُها « بَرْثٌ » مفتوحُ موضعِ الفاء من الفِعْل ، وتقديرُها « كَلْبٌ وكِلاَبٌ » والسَّجْعُ » من الـكلام : أن تأْتَلِفَ أواخرُه[1] على نَسَقٍ ، كما تأْتلفُ القوافِي ، وهو فى البهائِمِ : مُوالاَةُ الصَّوْتِ ، قال ابنُ الدُّمَيْنَةِ :

أأَنْ سَجَعَتْ وَرْقَاء فى رَوْنقِ الضُّحَى على فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ من الرَّنْدِ

[« الرَّنْدُ » صِغَارُ الآسِ] .

❊

وقال عمرُ بن عبد الله[2] بن أبى رَبِيعَةَ :

قال لِى صاحِبِى لِيَعْلَمَ مَا بِى أَتُحِبُّ القَتُولَ أختَ الرَّبَاب ؟
قلتُ :وَجْدِى بها كوَجْدِكَ بالما ء إذا مَا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
مَن رَسُولِى إلى الثُّرَيَّا بأنِّى ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرِها والـكتاب
سَلَبَتْنِى مُجاجَةُ المِسْكِ عَقْلِى فسَلُوها : بما تُحِلُّ اغْتصابِى ؟[3]
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إذْ دَعَتْها مُهْجَتِى ، ما لِقَاتِلِى مِن مَتَاب
حينَ قالتْ لها : أَجِيبِى، فقالتْ: مَنْ دَعَانِى ؟ قالتْ : أبو الخَطَّاب
فاستجابتْ عنـــدَ الدُّعاء كما لَـــبَّى رجالٌ يَرْجُونَ حُسْنَ الثَّواب
أَبْرَزُوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى بيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَاب
وَهْى مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها فى أَدِيمِ الخَدَّيْنِ ماء الشَّباب

(١) فى ج و س و د و هـ « والسجع فى كلام العرب أن تأتلف أواخر الـكلام » .
(٢) « بن عبد الله » لم تذكر فى ج و س و د و هـ .
(٣) « مجاجة المسك » يريد بها ريقتها التى تنفح رائحة المسك ، قاله المرصفى .

ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلتُ :بَهْرًا   عَدَدَ النَّجْمِ والحَصَى والتُّرابِ
دُمْيَةٌ عندَ راهبٍ ذِى اجتهادٍ   صَوَّرُوها فى جَانِبِ المحرابِ

قوله « قلتُ وَجْدِى بها كوَجْدِكَ بالماء » معنًى صحيحٌ ، وقد اعْتَوَرَهُ الشعراء ، وكلُّهم أجادَ فيه .

وقولُه « إذا مامُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ » يريدُ : عندَ الحاجةِ[1] ، وبذلك صَحَّ المعنَى ، ويُرْوَى عن على بن أبى طالبٍ رحمه الله : «أنَّ سائلاً سأله ،فقال : كيفَ كان حُبُّكم لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كان واللهِ أحَبَّ إلينا من أموالِنا وأولادِنا وآبائِنا وأُمَّهاتنا ومن الماء البارِدِ على الظَّماء » . وقال آخرُ ، وأحْسِبُهُ قَيْسَ بن ذَرِيحٍ :

حَلَفْتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ   وذُو العرشِ فَوْقَ المُقْسِمِينَ رَقيبُ[2]

[قال أبو الحسن : ويُرْوَى « واللهُ فوقَ المُقْسِمِينَ » وهو أحبُّ إلىَّ][3]

لَئِنْ كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صادِيًا   إلىَّ حبيبًا إنَّها لَحَبِيبُ[4]

وقال القُطَامِىُّ :

يَقْتُلْنَنَا بحديثٍ ليس يَعْلَمُهُ   مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِى[5]
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به   مَوَاقِعَ الماءِ مِن ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

(١) فى هـ « وقت الحاجة » وفى ج و س و د « عند وقت الحاجة » .
(٢) قال المرصفى : « أراد بالمشعرين : المشعر الحرام ، فثناه ، وهو موضع بالمزدلفة » .
(٣) الزيادة من حاشية ا .
(٤) « حران صاديا » حالان من ضمير المتكلم فى « إلىّ » تقدمتا عليه ، قاله المرصفى .
(٥) فى ج و س و د و هـ « وَلاَ مَكْتُومُهُ » .

والقولُ فيه كثيرٌ .

وقولُه « ضِقْتُ ذَرْعًا[1] بهجرِها والـكتابِ » قوله « والـكتابِ » قَسَمٌ .

وقولُه « أزْهَقَتْ أمُّ نوفلٍ[2] إذْ دعَتْها مُهْجَتِي » تأويلُه : أبْطَلَتْ وأذْهَبَتْ ، قال الله جل وعزّ : ﴿ فيَدْمَغُهُ فإذَا هُوَ زَاهِقٌ[3] ﴾ وللزّاهِقِ موضع آخرُ ، وهو : السَّمِينُ المُفْرِطُ ، قال زُهَيْرٌ :

أَلْقَائِدُ الخيلَ مَنْكُوبًا دَوَابِرُها منها الشَّنُونُ ومنها الزَّاهِقُ الزَّهِمُ[4]

وقولُه « ما لِقَاتِلِي مِن مَتَابِ » يقولُ : من توبةٍ ، والمصدَرُ إذا كان بزيادة الميم مِن « فَعَلَ يَفْعُلُ » فهو على « مَفْعَلٍ » قال الله جل وعزّ : ﴿ فإنَّه يَتُوبُ إلى اللهِ مَتَابًا[5] ﴾ وأمّا قولُه جلّ ذِكره : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ[6] ﴾ — : فيكونُ على ضَرْبَيْنِ : يكونُ مصدرًا ، ويكون جِمَاعًا[7] ، فالمصدرُ قولُكَ « تابَ يَتُوبُ تَوْبًا » كقولك « قال يقولُ قولاً »

---

(١) « الذرع » هنا : القوة والطاقة ، يريد ضعفت قوته فلم يطقه ، والأصل فيه بسط اليد كأنه مد إليه يده فلم ينله ، قاله المرصفى .

(٢) قال المرصفى : « هى أم ولد عبدالله بن الحرث بن أمية الأصغر، وكانت تطلب الحيل لعمر فى إصلاحها » .

(٣) سورة الأنبياء (١٨) . وقوله « فيدمغه » ضبط فى طبعة أوربة بالنصب ، أى بفتح الغين ، وهى قراءة شاذة ، نسبها ابن خالويه (ص ٩١) وأبو حيان فى البحر (ج ٦ ص ٣٠٢) إلى عيسى بن عمر ، ونقل أبو حيان عن الزمخشرى تضعيفها .

(٤) قال المرصفى : « منكوبا : من نكبت الحجارة الحافر تنكب — بالضم — : أصابته فأدمته ، و : دوابرها : ما آخيز حوافرها ، الواحدة دابرة ، و : الشنون من الخيل : بين السمين والمهزول ، و : الزهم — بكسر الهاء — : الكثير الشحم » .

(٥) سورة الفرقان (٧١) .

(٦) سورة غافر (٣) .

(٧) فى س و ه « جمعاً » .

والجمعُ « تَوْبَةٌ وتَوْبٌ » مثلُ « تَمْرةٍ وتَمْرٍ » و « جَمْرَةٍ وجَمْرٍ » .

وقولُه « أَبْرَزُوها مِثْلَ المهاةِ تَهَادَى » فـ « المَهَاةُ[1] » البقرةُ في هذا الموضعِ ، وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرةِ من الوَحشِ لِحُسْنِ عينِها[2] ولِمشْيَتِها ، والبقرةُ يقالُ لها « العَيْناءُ » والجماعُ « العِينُ » وكذلك يقالُ للمرأةِ ، وتكونُ « المَهاةُ » البِلَّوْرَةَ في غيرِ هذا الموضعِ .

وقولُه «تَهَادَى» يريدُ : يَهْدِي بعضُها بعضًا في مِشْيَتِها ، ومِشْيَةُ البقرةِ تُستَحْسَنُ ، قال ابنُ أبي ربيعةَ :

أبصَرْتُها لَيْلَةً ونِسْوَتَها يَمْشِينَ بين المَقامِ والحَجَرِ[3]
يَمْشِينَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما تَمْشِي الهُوَيْنَا سواكِنُ البَقَرِ[4]

وقوله : « كواعب » الواحدةُ « كاعِبٌ » وهي التي قد كَعَّبَ ثَدْيَاها للنُّهُود .

و « أَتْرَابٌ » أقرانٌ ، يقال « تِرْبُ » فلانٍ .

« والمَمْكُورَةُ » المُكْتَنِزَةُ[5] .

---

(١) الفاء زيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) في ج و د « عينيها » .

(٣) في ج و س و د « غُدْوَةً » بدل « ليلة » .

(٤) في ج و س و د و هـ « تمشى » وفي سائر النسخ « يمشى » . و « الريط » جمع « ريطة » وهي الملاءة ، ولا تكون إلا بيضاء ، و « المروط » جمع « مرط » بكسر الميم وسكون الراء ، وهو كساء من خزّ أو صوف أو كتان ، ملخص عن المرصفي .

(٥) « المكتنزة » هي الممتلئة اللحم ، وأما « الممكورة » فهي التي امتلأ ساقاها واستدارا . وقد شرح أبو العباس البيت على رواية « ممكورة » ولكن الرواية التي ذكرها في القصيدة « مكنونة » .

وقولُه « ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا » قال قومٌ : أراد بقوله « تُحِبُّهَا » الاستفهامَ ، كما قال امرؤُ القَيْسِ :

* أحارِ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ ومِيضَهُ *

فحَذَفَ ألفَ الاستفهامِ ، وهو يريدُ « أَتَرَى » ، وقالوا : أرادَ « أَتُحِبُّها » ، وهذا [القولُ](١) ، خطأٌ فاحشٌ ، إنما يجوز حذفُ الألِفِ إذا كان في الكلامِ دليلٌ عليها ، وسنفسرُ هذا ونذكُرُ الصَّوابَ منه ، إن شاء الله . قولُه « تُحِبُّها » إيجابٌ عليهِ ، غيرُ استفهامٍ ، إنما قالوا : أنتَ تُحِبها ، أى : قد علمنا ذاكَ ، فهذا معنًى صحيحٌ لا ضرورةَ فيهِ [وليس باستفهامٍ](٢) . وأمَّا قولُ امرئُ القيسِ فإنما جازَ لأنه جعَلَ الألِفَ التي تكونُ للاستفهامِ تنبيهًا للنِّداء ، واستَغْنَى بها(٣) ، ودَلَّتْ على أنَّ بعدها ألفًا منويَّةً ، فحُذِفَتْ ضرورةً ، لِدِلالَةِ هذه عليها ، ونظيرُ قولِ امرئُ القيسِ « أحارِ تَرَى بَرْقًا » فاكتفى بالألفِ عن أن يُعِيدَها في « تَرَى » — : قولُ ابنِ هَرْمَةَ :

وَلاَ أَرَاها تَزَالُ ظالمةً   تُظْهِرُ لى قَرْحَةً وتَنْكَؤُها

استَغْنَى بـ «لا» الأُولى عن إعادتها ، كما قال التَّمِيمِيُّ ، وهو اللَّعِينُ المِنْقَرِيُّ(٤) .

لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا   شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ(٥)

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٢) الزيادة من هـ .
(٣) فى ج و س و د « واستغناءً بها » .
(٤) اسمه « مُنَازِلُ بن زَمَعَةَ » وكنيته « أبو الأُكَيْدِرِ » من بنى منقر بن عبيد ، من شعراء العرب وفرسانهم ، ويروى أن عمر بن الخطاب سمعه ينشد شعراً والناس يصغون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ، قاله المرصفى .
(٥) « شعيث » آخره ثاء مثلثة فى أكثر الأصول ، وفى بعضها « شعيب » بالباء الموحدة .

يريد « أشُعَيْثُ » ، فدلّتْ « أمْ » على ألفِ الاستفهامِ ، وقال ابنُ أبي ربيعةَ :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنْ كنتُ دارِيًا بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بِثَمانِ

مثلُ ذلك ، وبيتُ الأخطلِ فيه قولانِ[1] ، وهو :

كَذَبَتْكَ عينُكَ أمْ رأيتَ بِواسِطٍ غَلَسَ الظّلامِ من الرَّبابِ خَيالا

قال : أراد « أكَذَبَتْكَ عينُكَ » ، كما قلنا فيما قبلَه ، وليس هذا بالأجوَدِ ، ولكنّه ابتدأ مُتَيَقِّنًا ثم شَكَّ ، فأدخلَ « أم » كقولك « إنها لإبِلٌ » ثم تَشُكُّ فتقولُ « أمْ شاءٌ » ياقومِ[2] .

وقولُه « قلتُ بهْرًا » يكونُ على وجهين : أحدُهما : حُبًّا « يَبْهَرُنِي بَهْرًا » أي : يَغْلِبُني ، ويقالُ للقمرِ ليلةَ البدرِ « بَاهِرٌ » أي : يَبْهَرُ النُّجومَ ، أي : يَغْلِبُها ، كما قال ذو الرُّمّةِ :

* كما يَبْهَرُ البدرُ النُّجومَ السَّوارِيَا *

---

(١) في بعض النسخ « قال أبو العباس : وفي بيت الأخطل قولان » .

(٢) استدرك الشيخ المرصفي على أبي العباس هذا البحث ، فقال : « كذا زعم أبو العباس ، وكأنه نسي ماسلف له أول الكتاب من قول حضرمي بن عامر :

أَغْبَطُ أنْ أَرْزَأَ الكرامَ وأنْ أُورَثَ ذَوْدًا شصائصاً نَبَلاَ ؟

أراد : أأغبط ؟ لحذف ولم يذكر دليلا عليها ، ونحوه قول الكميت :

طَرِبْتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطرَبُ ولا لعباً مِنِّي وذُو الشَّيبِ يلعبُ ؟

أراد : أوذو الشيب يلعب ؟ لحذف الألف بلا دليل عليها . ثم رأيت بعضهم نقل عن ابن السيد البطليوسي قال : أكثر ماتحذف ألف الاستفهام إن كان بعدها أم ، لأنها هي الدالة عليها ، فاذا لم تكن في الكلام لم يجز عند أكثر النحويين ، قال : وهذا هو الذي أراده أبو العباس رحمه الله تعالى » .

أقول : والراجح جواز حذفها إذا فهم الاستفهام من سياق الكلام ، وهو كاف للدلالة على المحذوف .

وقال الأعشَى :

حَكَّمْتُمُوهُ فَقَضَى بينَكُمْ ... أَبْلَجُ مثلُ القمرِ الباهِرِ

والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ أرادَ « بَهْرًا لكم » أى : تبًّا لكم حيثُ تلومُونَنِي على هذا ، كما قال ابن مُفَرِّغٍ[1] :

تَفَاقَدَ قَوْمِى إذْ يَبِيعونَ مُهْجَتِى ... بجاريةٍ بَهْرًا لهم بَعْدَهَا بَهْرَا

وقولُه « عَدَدَ النجمِ والحَصَى والترابِ » فيه قولانِ : أحدُهما : أنه أراد بالنَّجم : النجومَ ، ووَضَعَ الواحدَ فى موضعِ الجمعِ ، لأنه للجنس ، كما تقولُ : أَهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ ، و : قد كَثُرَتِ الشَّاةُ والبعيرُ ، وكما قال الله جل وعزَّ : ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[2] ﴾ .
وقال الشاعرُ :

فباتَ يَعُدُّ النَّجمَ فى مُسْتَحِيرَةٍ ... سريعٍ بأيدى الآكلين جُمُودُها

يريدُ : النجومَ ، ويعنى بالمستحيرة إهالةً[3] . والوجهُ الآخرُ : أن يكونَ النجمُ : ما نَجَمَ من النَّبْتِ ، وهو ما لم يَقُمْ على ساقٍ ، والشجرُ ما يقومُ على ساقٍ ، واليَقْطِينُ ما انتشر على وجه الأرضِ . قال الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمُ

---

(١) قال المرصفى : « هذا غلط ، صوابه : كما قال ابن ميادة ، والبيت من كلمة له فى أم جحدر بنت حسان المرية ، وقد روى الأصبهانى منها أبياتاً متفرقة » ثم ذكر القصيدة فى شرحه (ج ٥ ص ٢٥٦) .

(٢) سورة العصر (٢ و ٣) .

(٣) « الإهالة » ما أذيب من الشحم ، واستحارتها : تحيرها وترددها فى الجفنة ، قاله المرصفى . فقوله « مستحيرة » بالحاء المهملة ، ولكنها طبعت فى بعض طبعات مصر بالجيم ، وهو تصحيف .

وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ[1] ﴾ وقال الحرثُ بن ظالمٍ ، للأَسْوَدِ بن المُنْذِرِ بن ماء السماء :

أَخُصْيَيْ حِمَارٍ باتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً ... أَيُؤْكَلُ جِيرانِي وجارُكَ سالِمُ[2]

☆

ومن طريف[3] شعره قولُه[4] .

[أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَداةَ غَدٍ أم رائحٌ فَمُهَجِّرُ]

[بحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابِها ... فَتُبْلِغَ عذراً والمقالةُ تُعْذِرُ]

[تَهيمُ إلى نُعْمٍ فَلا الشَّمْلُ جامعٌ ... ولا الحَبْلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقْصِرُ]

---

(١) سورة الرحمن (٦) .

(٢) « خُصْيَيْ » تثنية « خصية » وقال له ذلكَ متهكما به . و « يكدم » بكسر الدال وضمها ، من « الكدم » وهو العضّ بأطراف الأسنان . وفى ع و س و د و هـ « أَتُؤْكَلُ جاراتِي » .

(٣) فى ا و س و هـ « ظريف » بالظاء المشالة .

(٤) هذه قصيدة من عيون الشعر فى ديوان العرب ، وهى من مفاخر الشعراء ، وكان ابن عباس يحفظها كلها ، ويستجيدها ويعجب بها .

وأبو العباس ذكر منها فى هذا الموضع ٢٩ بيتا ، ثم ذكر منها ١٤ بيتا فيما يأتى فى (باب من أخبار الخوارج) (ص ٥٧٠ — ٥٧١ من طبعة أوربة ، و ج ٧ ص ١٦٥ من شرح المرصفى) .

وقد أكمل الشيخ المرصفى الناقص منها هنا فذكره فى الشرح ، ورأيت أن الفائدة فى قراءتها فى نسق أتم ، فأتممتها فى المتن ، مبينا مازدته بوضعه بين مربعين هكذا [ ] وهذه الزيادات من ديوان عمر المطبوع فى أوربة سنة ١٣١٨ (ص ١ — ٤) ومن شرح المرصفى (ج ٥ ص ٢٦١ — ٢٦٤) ومن مهذب الأغانى لأستاذنا العلامة الشيخ محمد الخضرى رحمه الله (ج ٦ ص ٢١٣ — ٢١٧) وكلها متفقة فى الزيادة إلا بيتين لم يذكرا فى الديوان ، وهما البيتان (٣٥ و ٥٤) . وقد نبهت عليهما فى موضعيهما . ثم إنى لم أذكر الاختلاف بين هذه الكتب الثلاث فى رواية الأبيات التى اتفقت فى إثباتها ، تجنبا للإطالة ، ولم أشرح منها إلا ماقضت الضرورة القصوى بشرحه .

[ولا قُرْبُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لك نافعٌ ... ولا نَأْيُهَا يُسْلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ]
[وأُخرَى أتَتْ مِن دُونِ نُعْمٍ ومثلُها ... نَهَى ذا النُّهَى لو تَرْعَوِي أو تُفَكِّرُ]
[إذا زُرْتُ نُعْمًا لم يَزَلْ ذو قرابةٍ ... لها كُلَّما لاقَيْتُها يَتَنَمَّرُ]
[عَزِيزٌ عليه أن أُلِمَّ ببيتِها ... يُسِرُّ لِيَ الشَّحناء والبُغْضَ مُظْهِرُ]
[أَلِكْنِي إليها بالسلامِ فإنه ... يُشَهَّرُ إلمامِي بها ويُنَكَّرُ(١)]
[بآيةِ ما قالتْ غَداةَ لقيتُها ... بمَدْفَعِ أكْنانٍ: أهذا المُشَهَّرُ ؟]
[قِفِي فانظري أسماءُ هل تعرفينَه ... أهذا المُغِيرِيُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟]
[أهذا الذي أَطْرَيتِ نَعْتًا فلم أَكُنْ ... وعَيْشِكِ أَنْسَاهُ إلى يومِ أُقْبَرُ ؟]
[فقالت: نَعَمْ لاشَكَّ غَيَّرَ لَوْنَه ... سُرَى الليلِ يُحْيِي نَصَّهُ والتَّهَجُّر]
[لَئِنْ كان إيّاهُ لقد حالَ بَعْدَنَا ... عن العهدِ والإنسانُ قد يَتَغَيَّرُ]
[رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضَتْ ... فيَضْحَى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ(٢)]
[أخا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تقاذفَتْ ... به فَلَوَاتٌ فهو أشْعَثُ أغْبَرُ]
[قَلِيلٌ على ظهر المطيَّةِ ظِلُّه ... سِوَى ما نَفَى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ(٣)]
[وأعجبَها من عَيشِها ظِلُّ غُرفةٍ ... ورَيّانُ مُلْتَفُّ الحدائقِ أخْضَرُ]
[ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يُهِمُّها ... فليستْ لشيءٍ آخِرَ الليلِ تَسْهَرُ]
[ولَيلةَ ذي دَوْرَانَ جَشَّمْتِنِي السُّرَى ... وقد يَجْشَمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ]

(١) « ألكنى » أى أرسلنى ، من « الأَلُوكَة » وهى الرسالة .

(٢) « يضحى » يظهر للشمس ، « ويخصر » يبرد .

(٣) قال الشيخ الخضرى : « يصف نفسه بأنه ضئيل لا يكاد يكون له ظل إلا ما أراه رداؤه » .

[فبتُّ رقيباً للرفاقِ على شَفاً ... أُحاذرُ منهم من يَطُوفُ وأَنظُرُ]
[أَليهمْ متى يَسْتَمْكِنِ النَّوْمُ منهم ... وَلِى مجلسٌ لولا اللُّبانَةُ أَوْعَرُ]
[وباتَتْ قَلُوصِى بالعَراءِ ورَحْلُها ... لِطارقِ ليلٍ أو لمن جاء مُعْوِرُ]
[وبتُّ أُناجى النفسَ : أينَ خِباؤُها ... وكيفَ لمَا آتِى من الأمرِ مَصْدَرُ؟]
[فدلَّ عليها القلبَ رَيّا عــرفتُها ... لَها ، وهوَى النفسِ الذى كاد يَظْهَرُ]
فلمّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهم وأُطفِئَتْ ... مصابيحُ شُبَّتْ بالعِشاءِ وأَنْؤُرُ(١)
وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ ... ورَوَّحَ رُعْــيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ أَقبلتُ مِشْيَةَ الْــ ... ـحُبابِ ورُكْنِى خِيفَةَ القومِ أَزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ إذْ فاجَــأْتُها فتَوَلَّهَتْ ... وكادتْ بمكنونِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ(٢)
وقالت وعَضَّتْ بالبَنانِ : فَضَحْتَنِى ... وأنتَ امْرُؤٌ ميسورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ
أَرَيْتَكَ إذْ هُــنّا عليكَ أَلم تَخَفْ ... رَقيباً وحَوْلِى من عَدُوِّكَ حُضَّرُ(٣)؟
فواللهِ ما أَدْرِى أَتَعْجِيلُ حاجةٍ ... سَرَتْ بكَ أم قد نامَ مَن كنتَ تَحْذَرُ(٤)؟
فقلتُ لهــا : بل قادَنِى الشَّوقُ والهَوَى ... إليكِ وما عَيْنٌ من الناسِ تَنْظُرُ(٥)
[فقالتْ وقد لانَتْ وأَفْرَخَ رَوْعُها: ... كَلاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكبِّرُ]

---

(١) فى د « شُبَّتْ بالشِّتاءِ » . وفى ا و س و هـ « وَأَنْوُرُ » .
(٢) فى ج و س و د و هـ « فتَلَهَّفَتْ » . وفى ج و س و د بدل « بمكنون » « بمكتوم » وفى هـ « بمرفوع » وهى غير جيدة المعنى .
(٣) فى ا بدل « رقيبا » « هُدِيتَ » .
(٤) فى ا « أم قد غاب » .
(٥) فى ا « وما خَلْقٌ من الناس يَشْعُرُ » .

[فأنتَ أبا الخطّابِ غيرُ مُدافَعٍ ... عليَّ أميرٌ ما مَكَثْتَ مُــؤَمَّرُ]

[فبتُّ قريرَ العينِ أُعطِيتُ حاجتي ... أُقَبِّلُ فاهَا فى الخَلاءِ فأُكْثِرُ(١)]

فيالَكَ من ليلٍ تَقاصَرَ طُولُهُ ... وما كانَ لَيلِي قبلَ ذلك يَقْصُرُ

ويالَكَ من مَلْهًى هُناكَ ومَجلِسٍ ... لَنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ(٢)

يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منها مُفَلَّجٌ ... رقيقُ الحَواشِي ذو غُرُوبٍ مُؤَشَّرُ

يَرِفُّ إذا يَفْــتَرُّ عنه كأنَّه ... حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوانٌ مُنَوِّرُ(٣)

وتَرْنُو بعينيهـا إلىَّ كما رَنَا ... إلى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخَمِيلَةِ جُؤْذُرُ

فلما تقَضَّى اللَّيــلُ إلاَّ أقَلَّهُ ... وكادتْ تَوالِى نجمِهِ تتَغَــوَّرُ

أشارَتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمُ ... هُبُوبٌ ولـكِنْ مَوْعِدٌ لكَ عَزْوَرُ

فما راعَنِي إلاَّ مُنادٍ بِرِحْــلةٍ ... وقد لاحَ مَفْتُوقٌ من الصُّبحِ أشْقَرُ

فلمَّا رأتْ مَنْ قَدْ تَثَوَّرَ منهمُ ... وأيقاظَهُمْ قالت: أشِرْ كيفَ تأمُرُ(٤)

فقلتُ : أُبادِيهِمْ فإمَّا أفُوتُهمْ ... وإمَّا يَنالُ السيفُ ثأرًا فيَثْأَرُ(٥)

فقالتْ : أتحقيقًا لِمَا قال كاشِحٌ ... علينا ، وتَصْديقًا لِمَا كانَ يُؤْثَرُ ؟!

فإنْ كانَ ما لا بُدَّ منه فغَــيْرُهُ ... مِنَ الأمرِ أدْنَى للخَفاءِ وأسْــتَرُ :

أقُصُّ عَلَى أُخْتَــيَّ بَدْءَ حديثِنَا ... ومَا لِيَ مِن أنْ تَعْلَمَا مُتَأخَّــرُ

---

(١) هذا البيت زيادة من مهذب الأغانى وشرح المرصفى .

(٢) فى ج و س و د . «ويالَكَ من لَيلٍ» . وفى د بدل «علينا» «عليك» .

(٣) فى ا «منوَّر» .

(٤) «تثور» بالثاء المثلثة ، وفى س و د و هـ «تنور» بالنون .

(٥) فى ا «فيَتْأَرُ» بالتاء المثناة بدل المثلثة .

لعلهما أن تبغيا لك مخرجا   وأن ترحبا سرباً بما كنت أحصر(١)
فقامت كئيباً ليس في وجهها دم   من الحزن تذرى عبرة تتحدر
[فقامت إليها حرتان عليهما   كساءان من خز دمقس وأخضر]
فقالت لأختيها: أعينا على فتى   أتى زائراً والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا: أقلي عليك الهم فالخطب أيسر
[فقالت لها الصغرى: سأعطيه مطرفي   ودرعي وهذا البرد إن كان يحذر(٢)]
يقوم فيمشي بيننا متنكراً   فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر(٣)
فكان مجني دون من كنت أتقي   ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي: ألم تتق الأعداء والليل مقمر؟(٤)
وقلن: أهذا دأبك الدهر سادراً   أما تستحي أو ترعوي أو تفكر؟(٥)
[إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا   لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر]
[فآخر عهدي بها حين أعرضت   ولاح لها خد نقي ومحجر]
[سوى أنني قد قلت يا نعم قولة   لها والعتاق الأرحبيات تزجر:]
[هنيئاً لأهل العامرية نشرها الـ   ـلذيذ ورياها الذي أتذكر]

---

(١) في س و هـ «لي» بدل «لك».

(٢) هذا البيت زيادة من مهذب الأغاني وشرح المرصفي.

(٣) في ج و س و هـ وحاشية د «ولا هو يبصر».

(٤) في ا «ألم تتقي» باثبات حرف العلة.

(٥) في بعض النسخ «كله» بدل «سادراً» والسادر: اللاهي الذي لا يهتم لشيء، ولا يبالي ما صنع.

[فقمتُ إلى عَنْسٍ تَخَوَّنَ نَيَّها ... سُرَى اللَّيلِ حتى لَحْمُها مُتَحَسِّرُ(١)]
[وحَبْسِى عَلَى الحاجاتِ حتى كأنها ... بَقِيَّةُ لَوْحٍ أو شِجارٌ مُؤَسَّرُ(٢)]
[ومَاءٍ بِمَوْماةٍ قليلٍ أنيسُــــهُ ... بَسَابِسَ لم يَحْدُثْ به الصَّيْفَ مَحْضَرُ(٣)]
[بِهِ مُبْتَنًى للعنكبوتِ كأنه ... على طَرَفِ الأَرْجاءِ خامٌ مُنَشَّرُ]
[وَرَدْتُ وما أدرى أمَا بَعْدَ مَوْرِدِى ... مِنَ الليلِ أم مَّا قد مَضَى منهُ أكثرُ]
[فقمتُ إلى مِغْلاَةِ أرضٍ كأنّها ... إذا الْتَفَتَتْ مَجْنُونَةٌ حينَ تَنْظُرُ(٤)]
[تُنَازِعُنِى حِرْصاً على الماءِ رَأْسَها ... ومِن دونِ ماتَهْوَى قَلِيبٌ مُعَوَّرُ(٥)]
مُحاوِلَةً للماءِ لولا زِمامُهــــا ... وجَذْبِى لها كادتْ مِراراً تَكَسَّرُ]
[فلمّا رأيتُ الضُّرَّ منها وأنّنِى ... بِبَلْدَةِ أرضٍ ليس فيها مُعَصَّرُ(٦)]
[قَصَرْتُ لها مِن جانبِ الحوضِ مُنْشَأً ... جديداً كقابِ الشِّبْرِ أو هو أصغرُ]
[إذا شَرَعَتْ فيـــه فليس لِمُلْتَقَى ... مَشافِرِها منه قِدَى الكَفِّ مَسْأَرُ(٧)]
[ولا دَلْوَ إلاَّ القَعْبُ كانَ رِشاءَهُ ... إلى الماءِ نِسْعٌ والأَدِيمُ المُضَفَّرُ]
[فَسافَتْ وما عافَتْ ومَا رَدَّ شُرْبَها ... عنِ الرِّىِّ مَطْروقٌ مِنَ الماءِ أكْدَرُ(٨)]

---

(١) « تخوّن » : تنقّص. « وَالنَّىُّ » : الشحم .
(٢) « الشجار » : خشب الهودج . و « المؤسر » : المشدود بالإسار ، وهو الحبل .
(٣) « الموماء » و « الموماة » : المفازة . و « البسابس » جمع « بَسْبَسٍ » وهو القفر .
(٤) أصل « المغلاة » السهم ، وشبه به ناقته لإسراعها .
(٥) « القليب » : البئر . و « المعوّر » الذى أفسد منبعه .
(٦) « المعصر » : الملجأ .
(٧) « مسأر » : مفعل ، من « السؤر » وهو بقية الماء التى يبقيها الشارب ، معناه : إذا التقت شفتاها عليه لم يبق منه شىء . قاله الخضرى .
(٨) « سافت » : شمت . و « المطروق » : ماء السماء الذى تبول فيه الابل .

*

وقوله « شُبَّتْ » يقولُ : أُوقِدَتْ ، يقالُ « شَبَبْتُ » النارَ والحرْبَ ، أى : أوْقَدْتُهما .

وقوله « وأنْؤُرُ » إنْ شِئتَ همَزْتَ ، وإن شئتَ لم تَهْمِزْ ، وإنما الهمزُ لانضمامِ الواوِ ، وقد مضى تفسيرُ هذا .

وقوله « قُمَيْرٌ » [تصغيرٌ[1]] ، إنما صَغَّره لأنهُ ناقصٌ عن التَّمام ، وهذا فى أول الشهر ، وكذلك يُصَغَّرُ فى آخر الشهر ، لأن النقصانَ فيهما واحدٌ ، قال عُمَرُ :

وقُمَيْرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وعشريـــنَ لَهُ قالَتِ الفَتَاتَانِ قُوما

وقوله « رُعْيَانٌ » يريدُ جمعَ « الرَّاعِى » ومثلُهُ « راكبٌ ورُكْبانٌ » و « فارِسٌ وفُرْسانٌ » .

و « السُّمَّرُ » جمعُ « السَّامِرِ » وهم الجماعةُ يتحدَّثون ليلاً .

و « الحُبَابُ » حَيَّةٌ بعينِه[2] .

وقوله « ونَفَّضْتُ عَنِّى العَيْنَ » يقول : احترستُ منها وأَمِنْتُها ، « والنَّفَضَةُ » أَمَامَ العَسْكَرِ : القومُ[3] يتقدَّمون فيَنْفُضُونَ الطريقَ .

وقوله « أزْوَرُ » يعنى متجافياً ، يقال « تَزَاوَرَ » فلانٌ : إذا ذهبَ فى شِقٍّ .

(١) الزيادة من د .
(٢) فى د و هـ « بعينها » .
(٣) فى ج و س « قومٌ » .

وقوله « ذُو غُرُوبٍ » غَرْبُ كلِّ شيء : حَدُّهُ ، وإنما يعنى الأسنانَ .

وقوله « مُؤَشَّرٌ » يعنى له : « أُشُرٌ » وهو تشْرِيفُ(١) الأسْنانِ فى قول الناس جميعاً ، يقال : لأسنانه «أُشُرٌ» ، فهذا الشائعُ الذائعُ ، وأمّا «الشَّنَبُ» فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ فى الأسنان . وحدَّثنِى الرِّيَاشِىُّ عن ابنِ عائشةَ(٢) قال : أخذَ أبى حَبَّةَ رُمَّانٍ بين إصْبَعَيْه فإذا هى تَرِفُّ ، فقال : هذا الشَّنَبُ .

وقولُه «وكَادَتْ تَوالِى نجمِهِ تَتَغَوَّرُ » ، «التَّوالِى» التوابعُ ، و «تتغَوَّرُ» تغُورُ فتذْهَبُ ، وهو مأخوذ من « الغَوْرِ » .

وقوله « أشارتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ منهمُ هُبُوبٌ » يقول : انتباهٌ ، يقال «هَبَّ» من نومه «يَهُبُّ» ، قال عمرُو بن كُلْثُومٍ :

أَلاَ هُبِّى بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا [ولا تُبقِى خُمُورَ الأَنْدَرِينا](٣)

---

(١) فى س و د « تَحْزِيزُ » وكتب ذلك بحاشية ع وكتب بها أيضا « تَحْدِيدُ » والظاهر أن المراد بهما تفسير قوله « تشريف » لأنه تعبير غريب . والذى فى موسوعات اللغة : « تأشِيرُ الأسنانِ : تَحْزِيزُها وتَحْدِيدُ أطرافها » ، انظر لسان العرب . وفى طبعات مصر من الكامل : « وهو تشرير الأسنان » وهو خطأ من الناسخين ، وقد نص الشيخ المرصفى على أنه خطأ .

(٢) قال الشيخ المرصفى : « هو عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر التيمى ، من أهل البصرة ، قدم بغداد ، واتصل بقاضيها أحمد بن أبى دؤاد ، وكان متأدباً . وأبوه عبيد الله كان أديباً فصيحا مستقيم الحديث ، عليما بأخبار العرب وأنسابهم . وكلاهما يقال له : ابن عائشة ، لأنهما من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن معمر التيمى . ذكر ذلك كله أبو سعد عبد الكريم فى كتاب الأنساب ، وقال توفى عبد الرحمن سنة ٢٢٧ قبل أبيه بسنة » . وقد وقع خطأ فى كلام الشيخ المرصفى من الطبع ومن نسخة الأنساب للسمعانى ، أصلحناه من الأنساب (ورقة ٤٠٤) ومن التهذيب لابن حجر (ج ٧ ص ٤٥ — ٤٦ » .

(٣) الزيادة من هـ . و «الصحن» قدح لا بالكبير ولا بالصغير ، و « اصبحينا » اسقينا صباحا ، من «صَبَحَهُ» بوزن «مَنَحَهُ» و« الأندرين» قرية قريبة من حلب .

وقال الآخرُ :

هَبّتْ تلُومُ وليستْ ساعةَ اللّاحِي   هَلاّ انتظرْتِ بهذا اللّوم إصْباحِي[١]

و « عَزْوَرُ » موضع بعينه[٢] .

وقولُه « وأيْقاظَهُمْ » جمعُ « يَقُظٍ » .

وقوله « فقالتْ أتحْقيقًا » أي : أتفعلُ هذا تحقيقًا ، ومن كلام العربِ : أَ كُلَّ هذا بُخْلاً ! وذاكَ أنهُ رآهُ يفعلُ شيأً أنْكَرَهُ[٣] فقال : أتفعلُ كلَّ هذا بخلاً[٤] !

وقوله « أُبادِيهِمْ » [يقولُ[٥]] : أُظْهِرُ لهم ، غيرُ مهموزٍ ، يقال « بَدَا يَبْدُو » غيرُ مهموزٍ : إذا ظَهر ، و« بَدَأْتُ » بهذا ، مهموزٌ[٦] : إذا أردتَ بهِ معنى الأوّلِ .

وقوله « بَدْءِ حديثِنا » ، يريد : أوّلَ حديثِنا .

وقوله « وأنْ تَرْحُبا » يريدُ : أن يَتّسِعَا ، أي يَتّسِعَ صدورُهما ، من قولِهم : فلانٌ « رَحِيبُ » الصّدْرِ .

وقوله « أَحْصَرُ » أَضيقُ به ذَرْعًا ، وقد مضى تفسيرُه ،

---

(١) في ج و د « بذاك اللوم » وفي س « لذاك اللوم » .

(٢) قال المرصفي : « هو ثنية الجحفة ، بها طريق المدينة إلى مكة » .

(٣) في ج و س و د « يُنْكِرُهُ » .

(٤) في ج و س و د و هـ « أَ كُلَّ هذا تفعل بخلاً » .

(٥) الزيادة من س و هـ .

(٦) في س و د و هـ « مهموزًا » بالنصب ، وفي باقي النسخ بالرفع ، فجمعنا بين الإعرابين وتركنا كتابة الألف ، لجواز كتابة المنصوب بدونها ، على لغة ربيعة ، وقد ثبت مثل هذا الرسم في كثير من النصوص الصحيحة الموثوق بها .

وقوله « مِجَنِّى » يريد : تُرْسِى .

وقوله « ثَلاَثَ شُخُوصٍ » والوجهُ[1] « ثلاثةَ أشْخُصٍ[2] » ولـكنه لمّا قَصَدَ إلى النساء[3] أنّثَ على المعنى ، وأبانَ ما أرادَ بقوله « كاعِبانِ ومُعْصِرُ ».

ومثلُه قولُ الشاعرِ :

فإنَّ كِلابًا هذه عَشْرُ أبْطُنٍ   وأنتَ برىءٌ من قَبائلها العَشْرِ

فقال « عَشْرُ أَبْطُنٍ » ، لأنَّ البطنَ قبيلةٌ ، وأبانَ ذلك فى قوله « من قبائِلها العَشْرِ » ، وقال الله جل وعز : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا[4]﴾ . لأن المعنَى حسناتٌ[5] .

ويُرْوَى أن يزيدَ بن معاويةَ لمّا أرادَ توجيهَ مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ المُرِّىِّ إلى المدينةِ اعترضَ الناسَ ، فمرَّ به رجلٌ من أهل الشأم معه تُرْسٌ قبيحٌ ، فقال له : يا أخا أهلِ الشأمِ ! مِجَنُّ ابنِ أبى ربيعةَ أحسنُ من مِجَنِّكَ ! يريدُ قولَ [عمرَ[6]] بنِ أبى ربيعة :

فكانَ مِجَنِّى دونَ مَنْ كنتُ أتّقِى   ثلاثَ شخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ

(١) فى ج و د و ﻫ « فالوجه » .
(٢) فى ج و س و د و ﻫ « شخوص » .
(٣) فى ج و س و د و ﻫ « لنساء » .
(٤) سورة الأنعام (١٦٠) .
(٥) قال المرصفى : « قال ابن جنى فى فصل من خصائصه ، سماه : الحمل على المعنى : اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد ، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منظوما ومنثوراً ، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث ، وتصوير معنى الواحد فى الجماعة ، والجماعة فى الواحد ، قال : فمن تذكير المؤنث قول الحطيئة [ثلاثة أنفس] ذهب بالنفس إلى الانسان ، فذكّر ، وقال عمر : [ثلاث شخوص] فأنّث الشخص ، لأنه أراد به المرأة » .
(٦) الزيادة من د .

وقوله « أما تَسْتَحِى » يريد « تَسْتَحْيِي » وله تفسيرٌ يَبْعُدُ فى العربية قليلاً ، وسنذكره بعد ذا ، إن شاء اللهُ .

باب

قال أبو العباس : وحُدِّثتُ : أن عُمَرَ الوَادِي[1] قال : أقبلتُ من مكةَ أريدُ المدينةَ ، فجعلتُ أسيرُ فى صَرْدٍ[2] من الأرضِ ، فسمعتُ غِناءً من القَرارِ[3] لم أسمعْ مثلَه ، فقلتُ : واللهِ لَأَتَوَصَّلَنَّ إليه ولو بذهابِ نفسِي ، فانحدرتُ إليه ، فإذَا عَبدٌ أسْوَدُ[4] ، فقلتُ له : أعِدْ علىَّ ما سمعتُ [منكَ[5]] ، فقال لى : واللهِ لو كان عندى قِرًى أَقْرِيكَ ما فعلتُ ، ولكنِّى أجعلُه قِرَاكَ ، فإنى [واللهِ[6]] رُبَّما غنَّيْتُ هذا الصوتَ وأنا جائعٌ فأشْبَعُ ، ورُبَّما غنيتُه وأنا كَسْلانُ فأَنْشَطُ ، وربَّما غنيتُه وأنا عطشانُ فأَرْوَى ، ثم انبرَى[7] يُغَنِّينِي[8] .

وكنتُ إذا مازرْتُ سُعْدَى بأَرْضِها ‌ ‌ ‌ ‌ أَرَى الأَرضَ تُطْوَى لى ويَدْنُو بَعيدُها

(١) قال المرصفى : « هو عمر بن داود بن زاذان ، من أهل وادى القرى ... وكان جده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « صَمْدٍ » وهى بمعنى « صَرْدٍ » والمراد المكان المرتفع من الجبال .

(٣) فى ج و س و د « القَرَارَةِ » .

(٤) فى هـ بدلها « أمرد » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) فى د « ثم اندفع » .

(٨) فى ج و س و د « يُغَنِّى » .

مِنَ الْخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما قَضَتْ أُحْدُوثَةً لو تُعِيدُها[1]

[وبعدَهُ :

تُحَالُّ أَحْـــقَادِى إذا مَا لَقِيتُها ... وتَبْـــقَى بلا ذَنْبٍ علىَّ حُقُودُها

وكيفَ يُحِبُّ القَلْبُ مَنْ لاَ يُحِبُّهُ ... بَلَى قد تريدُ النَّفسُ مَنْ لا يُرِيدُها[2]]

قال عمرُ : فحفظتُه عنه ، ثم تغنَّيْتُ بِهِ على الحالاتِ التى وَصَفَ ، فإذَا هو كما ذَكَرَ .

وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدٍ صامَةَ : أنهُ كانَ مِن أحسنِ الناسِ ضرباً بِعُودٍ[3] ، قال : فَقَدِمْتُ على الوَليد بنِ يَزِيدَ ، وهو فى مجلسٍ ناهيكَ بِهِ مجلساً ، فألفيْتُه على سَريره ، وبين يديه مَعْبَدٌ ، ومالكُ بنُ أبى السَّمْح ، وابنُ عائشةَ ، وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِّمَشْقِيُّ ، فجعلُوا يُغَنُّونَ ، حتى بلغتِ النَّوْبَةُ إلىَّ فَغَنَّيْتُهُ :

سَرَى هَمِّى وهَمُّ المَرْءِ يَسْرِى ... وغارَ النَّجْمُ إلاَّ قِيـــدَ فِتْرِ[4]

أُراقِبُ فى المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ ... تَعَرَّضَ أَوْ عَلَى المَجْراةِ يَجْرِى[5]

---

(١) فى ج و س وحاشية ا « إذَا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ » .

(٢) الزيادة من حاشيتى ج و د . وفى د « القلبَ » بالنصب ، وفى ج « يُرِيدُ القلبُ مَنْ لاَ يُرِيدُهُ » .

(٣) فى هـ « بالعود » وطبعت كذلك فى طبعات مصر .

(٤) « قيد » بكسر القاف ، وفى بعض الروايات « قِيسَ » بالكسر أيضا ، ومعناهما : القدر ، و « الفِتْرُ » : مابين طرف السبابة والإبهام إذا فتحا .

(٥) رواية الأغانى « تَعَرَّضَ لِلمَجَرَّةِ كيفَ يَجْرِى » ، انظر الأغانى (ج ١ ص ١٢٣ ساسى و ص ٣١٨ دار الكتب) وقد ذكر الشيخ المرصفى هذه الرواية وأنها الصواب ، وأن ماهنا خطأ من الناسخ ، وما أرى هذا إلا تحكما فى الترجيح والتصحيح بغير برهان !

لِهَمٍّ مّا أزالُ له قَـــرِينَا ... كأنّ القلبَ أُبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخِي فارَقْتُ بَكْرًا ... وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ ؟ !

فقال لى أَعِدْ يا صام[(١)] ! ففعلتُ ، فقال لى : مَنْ يقولُ هذا الشعرَ ؟ فقلتُ : هذا يقولُه عُرْوَةُ بن أُذَيْنَةَ يرثى أخاهُ بَكْرًا ، فقال لى الوليدُ :

* « وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بَعْدَ بَكْرِ » *

هذا العيشُ الذى نحنُ فيه ، واللهِ قد تَحَجَّرَ واسِعًا على رَغْمِ أنْفِهِ ! !

وحُدِّثْتُ أن سُكَيْنَةَ بنتَ الحسين أُنْشِدَتْ هذا الشعرَ ، فقالت : ومَنْ بَكْرٌ ؟ فوُصِفَ لها ، فقالت أَذاكَ الأُسَيِّدُ[(٢)] الذى كان يَمُرُّ بنا ؟ واللهِ لقد طابَ كلُّ شىء بعدَ ذاكَ[(٣)] ، حتى الخبزُ والزيتُ ! !

ورَوى أصحابُنا : أن يزيدَ بنَ عبد الملِكِ ، وأُمُّهُ عاتِكَةُ بنتُ يزيدَ بن معاويةَ ، وإليها كان يُنْسَبُ ــ قال يومًا : يقالُ : إن الدنيا لم تَصْفُ لأحدٍ قطُّ يومًا ، فإذا خَلَوْتُ يومى هذا فاطْوُوا عَنِّى الأخبار ، ودَعُونى ولَذَّتى وما خَلَوْتُ له ، ثم دعا بِحَبَابَةَ[(٤)] ، فقال : اسْقِينِى وغَنِّينِى ، فَخَلَوَا فى أطيب عَيْشٍ ، فتناولتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رُمّانٍ ، فوضعتها فى فيها ، فَغَصَّتْ بها فماتتْ ، فَجَزِعَ يزيدُ جَزَعًا أذْهَلَهُ ومَنَعَ من دَفْنِها ، حتى قال له مشايخُ [قُرَيْشٍ و][(٥)] بنى أُمَيَّةَ :

(١) فى ج و س وحاشية د « ياخالدَ صامَ » .
(٢) « الأسيد » تصغير « الأسود » وفى س « الأسود » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « بعده » .
(٤) « حبابة » بفتح الحاء وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف موحدة أخرى مفتوحة ، وهى جارية له سماها هذا الاسم ، وكان اسمها « العالية » .
(٥) الزيادة من هـ .

إن هذا عيبٌ لا يُستقالُ ، وإنما هذه جيفةٌ[1] ! فأذِنَ في دفنها ، وتَبِعَ جنازَتَها ، فلمّا وَارَاها قال : أَمْسَيْتُ واللهِ فيكِ كما قال كُثَيِّرٌ :

فإن تسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهَوَى ... فباليأسِ تَسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّدِ[2]

وكلُّ خليلٍ رَاءَنِي فهو قائلٌ ... مِنَ أجْلِكِ : هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ

فَمُدَّ [ما][3] بينهما خمسةَ عشرَ يوماً .

وقوله « رَاءَنِي » يريد « رَآنِي » ولكنه قَلَبَ ؛ فأخَّرَ الهمزةَ ، ونظيرُ هذا من الكلامِ [قولُهم][4] « قِسِيٌّ » في جمعِ « قَوْسٍ » وإنما الأصلُ « قُوُوسٌ » و [لكنْ][5] لَمّا أخَّرَ الواوَيْنِ أَبْدَلَ منهما ياءَيْنِ ، كما يجب في الجمعِ ، تقولُ « دَلْوٌ ودُلِيٌّ » و « عاتٍ وعُتِيٌّ » وإن شئتَ قلتَ « عِتِيٌّ » و « دِلِيٌّ » من أجل الياء ، فإن كان « فُعُولٌ » لواحدٍ قلتَ « عُتُوٌّ[6] » ويجوز القلبُ ، والوجهُ في الواحدِ إثباتُ الواوِ ، كما تقولُ « مَغْزُوٌّ » و « مَدْعُوٌّ » ويجوز « مَغْزِيٌّ » و « مَدْعِيٌّ » وفي القرآنِ ﴿ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً[7] ﴾ وقال : ﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عُتِيًّا[8] ﴾ وقال : ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً

(١) في د « وإنما تَحْبِسُ جِيفَةً » .

(٢) في ج و د « الصِّبَا » بدل « الهوى » . وفيهما أيضاً « تَسْلُو النَّفْسُ » بدل « تسلوعنك » .

(٣) الزيادة من د .

(٤) الزيادة من ج و س و هـ .

(٥) الزيادة من هـ وفي ج و س « ولكنه » .

(٦) قال المرصفي : « يريد فان كان فعول مصدراً . وعن بعضهم : فعول إذا كانت جمعا لحقها القلب ، وإذا كانت مصدراً لحقها التصحيح ، لأن الجمع أثقل عندهم من الواحد » .

(٧) سورة الفرقان (٢١) .

(٨) سورة مريم (٦٩) وقوله « عتيا » ضبط في طبعة أوربة تبعا للنسخ المخطوطة بضم العين فقط ،

مَرْضِيَّةً(١)﴾ والأَصلُ « مَرْضُوَّةٌ » لأنه من الواو ، من « الرضوان » . ومن القلبِ قولُهم « طَأْمَنَ » ثم قالُوا « اطْمَأَنَّ » فأَخَّرُوا الهمزةَ وقَدَّمُوا الميمَ ، ومثلُ هذا كثيرٌ جدًّا .

وقولُه « هذا هامَةُ اليومِ أَوْغَدِ » يقول : ميِّتٌ في يومه أوفى غَدِهِ ، يقالُ : إنما فلانٌ « هامة » أى : يَصِيرُ فى قبره ، وأصلُ ذلك شىءٌ كانت العربُ تقوله ، قد مَضَى تفسيرُه .

وحدثنى عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ قال : سمعتُ إسحٰقَ بنَ إبرٰهيمَ المَوْصِلِيَّ يحدِّثُ قالَ : حَجَجْتُ مع أميرِ المؤمنين الرشيدِ ، فلمَّا قَفَلْنَا فنزلنا المدينة آخَيْتُ بها رجلاً كانَ(٢) له سِنٌّ ومعرفةٌ وأَدَبٌ ، فكان يُمْتِعُني ، فإنِّى ذاتَ ليلةٍ فى منزلى إذا(٣) أنا بصوته يَسْتَأْذِنُ عليَّ ، فظننتُ أمرًا قد فَدَحَهُ ففَزِعَ فيه إلىَّ ، فأسرعتُ نحوَ البابِ ، فقلتُ : ماجاء بك ؟ فقال : إِذَنْ أُخْبِرَكَ ، دعانى صديقٌ لى إلى طعامٍ عتيدٍ(٤) ، وشرابٍ قد الْتَقَى طَرَفاه(٥) ، وشِوَاءٍ رَشْرَاشٍ(٦) ، وحديثٍ مُمْتِعٍ ، وغِنَاءٍ مُطْرِبٍ(٧) فأجبتُه ، وأقمتُ معه(٨) إلى

وزدنا عليه ضبطه بكسرها ، والكسر قراءة حمزة والكسائى وحفص ، والضم قراءة باقي السبعة .

(١) سورة الفجر (٢٨) .
(٢) فى ج و س و د « كانت » .
(٣) فى ج « إذ » .
(٤) « عتيد » أى معدّ حاضر .
(٥) قال الرصفى : « عبارة فى معنى الجودة والصفاء » .
(٦) فى اللسان : « وشِوَاءٌ مُرِشٌّ ورَشْرَاشٌ : خَضِلٌ نَدٍ ، يَقطُرُ ماؤُه ، وقيل : يقطرُ دَسَمُهُ » .
(٧) فى ج « مُطَرِّبٌ » .
(٨) فى د « وأقمت عنده » .

هذا الوقتِ ، فأخذتْ منى حُمَيَّا الكأسِ مأخذَها ، ثم غنَّيتُ بقولِ نُصَيْبٍ :

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقلْ : إنْ تَمَلِّينا فَما مَلَّكِ القَلْبُ[1]

فكدتُ أطيرُ طَرَبًا ، ثم وجدتُ فى الطربِ نَقْصًا إذ لم يكن معى مَنْ يفهَمُ هذا كما فهمتُه ، ففزِعتُ إليك لِأَصِفَ لك هذه الحالَ ، ثم أرْجِعُ إلى صاحبِى ، وضَرَبَ نَعْلَيْهِ[2] مُوَلِّيًا عَنِّى ! فقلتُ : قِفْ أُكَلِّمْكَ ، فقال : ما بِى إلى الوقوفِ إليكَ[3] من حاجةٍ .

وحدثنى غيرُ واحدٍ من أصحابنا عن أبى زيدٍ سعيدِ بن أوسٍ الأنصارىِّ[4] يُسْنِدُهُ[5] ، قال : كانت وَليمةٌ فى أخوالِنا ، وهم حَىٌّ يقال لهم بَنُو نُبَيْطٍ ، من

---

(١) فى ج و س و د « قبلَ أن يَظعَنَ » .

(٢) فى ج و س و هـ « وضَرَبَ بَغْلَتَهُ » ، وفى د « وصَرَفَ بغلتَه » ولعلهما أجود مما فى المتن .

(٣) فى ج و س و د « عليك » بدل « إليك » .

(٤) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبى زيد الأنصارى البصرى ، إمام اللغة والأدب والنحو ، أخذ عن عوف الأعرابى وأبى عمرو بن العلاء ورؤبة بن العجاج وسعيد بن أبى عروبة وابن عون وابن جريج وغيرهم ، ومن تلاميذه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم السجستانى وأبو حاتم الرازى والعباس بن الفرج الرياشى وأبو عثمان المازنى ، وغيرهم . قال المبرد : كان أبو زيد أعلم الثلاثة بالنحو ، يعنيه والأصمعى وأبا عبيدة . مات سنة ٢١٥ وله ٩٣ سنة . وهو مؤلف كتاب (النوادر فى اللغة) المطبوع فى بيروت سنة ١٨٩٤ .

(٥) قال المرصفى : « كان الصواب أن يذكر من أسند إليه هذا الحديث ، كما نبه عليه غيره ، يقول : يسنده إلى أبى زيد خارجة بن زيد بن أبى زهير الخزرجى ، حتى لا يتوهم من قوله الآتى : قال أبو زيد : أنه سعيد بن أوس الأنصارى . وخارجة هذا صحابى قتل يوم أحد ، وشهد ابنه زيد يوم بدر . هذا وقد روى هذا الحديث الأصبهانى فى أغانيه ، يسنده إلى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : سمعت خارجة بن زيد يقول : دعينا إلى مأدبة فى آل نبيط ، إلى آخر الحديث » .

الأنصار ، قال : فحضَرَ الناسُ ، وجاء حسَّانُ بن ثابتٍ وقد ذهب بصرُه ، ومعه ابنُه عبدُ الرحمن يقُودُهُ ، فلما وُضِعَ الطعامُ وَجِيء بالثَّرِيدِ قالَ[1] حسانُ لابنِه : يا بُنَيَّ ! أطعَامُ يَدٍ أمْ طعَامُ يَدَيْنِ ؟ فقال : بل[2] طعامُ يدٍ ، فأكَلَ ، ثم جِيء بِالشِّوَاء ، فقَالَ : [يا بُنَيَّ !][3] أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدَيْنِ ؟ فقال : طعامُ[4] يدين ، فأمسك ، وفى المجلس قَيْنَتَانِ تُغَنِّيَانِ بشعر حسانَ [بن ثابتٍ][5] :

انظُرْ خَلِيلِى بِبَابِ جِلِّقَ هَلْ ... تُؤْنِسُ دُونَ البَلْقَاء مِنْ أحَدِ ؟[6]

قالَ : وحسَّانُ يبكى ، يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب[7] ، وعبدُ الرحمن يُومِئُ إليهما : أنْ زيدَا ، قال أبو زيدٍ : فَلَأَعْجبنى ماأعجبهُ من أن تُبَكِّيَا أباهُ !

يقول [أبو زيدٍ] :[8] عَجِبْتُ ماالذى اشتَهَى من أنْ تُبَكِّيَا أباهُ ؟ ! فقوله « أعْجَبَنِى » أي : ترَكَنى أعْجَبُ ، ومثلُه قولُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلَا هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُها

---

(١) فى ع و س و د و هـ « فلما وضع الطعام جىء بالثريد فقال » .
(٢) فى هـ « فقال : يا أبة » .
(٣) الزيادة من هـ .
(٤) فى ع و س و د و هـ «قال : بل طعام» .
(٥) الزيادة من ع و س و هـ .
(٦) «جلق» بكسر الجيم وتشديد اللام المكسورة ، هى دمشق أو قرية من قراها . و «البلقاء» كورة من أعمال دمشق .
(٧) فى د « من صحة بصره وشبابه » .
(٨) الزيادة من ع و س و د .

رأَتْ بِى شَيْبَةً فى الرَّأْ ... سِ عَنِّى مَا أُغَيِّبُهَا[1]

فقالتْ : أَبْنُ قَيْسٍ ذَا ؟ * و بعضُ الشَّيْبِ يُعْجِبُهَا[2]

أى تتعجب منه .

وحدثنى عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ قالَ : كانَ خَليلانُ[3] الأُمَوِىُّ يتغنَّى ، ويَرَى ذاكَ زائداً[4] فى الفُتُوَّةِ ، وكانَ خَليلانُ شريفاً وذا نِعمةٍ واسعةٍ ، [وَوَسَطاً فى عشيرته ، وكان له سِنٌّ[5]] ، فحضرَ يوماً منزلَ عُقْبةَ بْنِ سَلْمٍ الهُنائىِّ[6] ، وهو أميرُ البصرة ، وكان عاتياً جبّاراً ، فلما طَعِمَا وخَلَوَا نَظَرَ خليلانُ إلى عودٍ موضوعٍ فى جانب البيت ، فَعَلِمَ أنه عُرِّضَ له به ، فأخذه فتَغَنَّى :

يا ابنةَ الأَزدِىِّ قلبى كَئيبُ ... مُسْتهامٌ عندَها مايَؤُوبُ

ولقد لامُوا فقلتُ : دَعُونى ... إنَّ مَنْ تَلْحَوْنَ فيهِ حَبيبُ

فجَعَلَ وجهُ عُقْبةَ يتغَيَّرُ ، وخليلانُ فى سَهْوٍ عمَّا فيه عقبةُ ، يُرَى أنه مُحْسِنٌ ،

---

(١) فى ج و د « رأت لى » وفى هـ وحاشية ج « منى » بدل « عنى » .

(٢) فى ج و س و د « فقالت لِى : أَبْنُ قيسٍ » والمراد الاستفهام ، وأصله « آبْن قيس » بالمدّ ، ثم حذفت الألف .

(٣) « خليلان » بفتح الخاء ، وفى ج و د « خليلان » بضمها بالتصغير ، وهو لقب ، كان يلقب به خليل بن عمرو مولى بنى عامر بن لؤىّ ، وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد ، كما قال المرصفى .

(٤) فى ج و س و د و هـ « ويرى أن ذلك زائد » .

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) « الهنائى » بضم الهاء وتخفيف النون ، نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم الأزدى .

ثم فَطِنَ لتغُّيرِ وجهِ عُقْبةَ(١) ، فعلم أنه [كارِهٌ](٢) لِمَا تغَنَّى(٣) به ، فَقَطَعَ الصَّوْتَ ، وجعلَ مكانه :

ألاَ هَزِئَتْ بنَا قرشيــــة   يهتزُّ موكِبُهَا

فَسُرِّىَ عن عُقْبة ، فلما انقضى الصوتُ وضَعَ خليلانُ العودَ ، ووكَّدَ على نفسه الحَلِفَ ألاَّ يغَنِّىَ(٤) عِنْدَ مَنْ يجُوزُ أمْرُه عليه أبداً .

وحُدِّثْتُ : أن رجـــلاً تَغَنَّى بحضرة الرشيد بشعرٍ مُدِحَ به علىُّ بْنُ رَيْطَةَ(٥) ، وهو علىُّ بْنُ أميرِ المؤمنين المَهْدِىّ ، وتَغَنَّاهُ المُغَنِّى على جهلٍ ، وهو :

قُل لِعَلِىّ : أيافَتَى العَرَبِ   وخيْرَ نَامٍ وخـــيرَ مُنْتَسِبِ
أعْلاكَ جَـدُّكَ ياعلىُّ إذا   قَصَّرَ جَدٌّ فى ذِرْوةِ الحَسَبِ(٦)

ففَتَّشَ عن المغنى فوجده لم يَدْرِ فيمن [قيل](٧) الشِّعرُ ، فَبُحِثَ عن أول مَنْ تغنَّى فيه(٨) ، فإذا هو عبدُ الرحيم الرَّقَّاصُ ، فأمر فضُرِبَ أربعمائة سوطٍ(٩) . . .

---

(١) فى ج «لتغير» وفى ج و س و د و هـ «وجهه» .
(٢) الزيادة من ج .
(٣) لأنه تغنى فى شعر غزل فى امرأة من الأَزْدِ ، وعقبة الأمير منهم .
(٤) فى ج و س و د و هـ «يَتغنى» .
(٥) هى ريطة بنت أبى العباس السفاح ، نسب ابنها إليها .
(٦) فى ج و د «فى ذروة النسب» .
(٧) الزيادة من س .
(٨) فى ج و س و د هـ «تغنى به» .
(٩) إنما ضربه لأنه تغنى بشعر فيه تفضيل لأخيه علىّ ، بأنّ أمه قرشية من بنى العباس ، وأم الرشيد الخيزران ، أم ولد .

وحُدِّثْتُ : أن معاويةَ [بْنَ أبي سفيانَ] [١] استمعَ على يزيدَ ذاتَ ليلةٍ ، فسمع مِنْ عندِه غناءً أعجبه ، فلما أصبح قال ليزيد : مَنْ كان مُلْهِيكَ البارحةَ ؟ فقال له يزيد : ذاكَ سائبُ خاثرٍ [٢] ، قال : إذًا فَأَخْثِرْ له من العطاء [٣] .

وَحُدِّثْتُ : أن معاويةَ قال لعمرٍو [بنِ العاصِ] [٤] : أمْضِ بنا إلى هذا الذي قد تَشَاغَلَ باللهو وَسَعَى في هدمِ مُروءَتِهِ ، حتى نَنْعَى عليه ، أي : نَعِيبَ عليه فعله ، يريدُ عبدَ اللهِ بنَ جعفرِ بن أبي طالبٍ ، فدخلاَ إليه ، وعنده سائبُ خاثر ، وهو يُلْقِي على جَوارٍ لعبدِ الله ، فأمر عبدُالله بتنحيةِ الجوارِي ، لدخول معاوية ، وثبتَ سائِبُ [خاثرٍ] [٥] مكانَه ، وَتَنَحَّى عبدُ الله عن سريره لمعاوية ، فرفَع معاويةُ عمراً فأجلسه إلى جانبه ، ثم قال لعبد الله : أَعِدْ [إلينا] [٦] ما كنتَ فيه ، فأمر بالكَراسيّ فَأُلْقِيَتْ وأُخرِجَ الجَوارِي [٧] ، فتغنَّى سائِبٌ بقولِ قَيْسِ بْنِ الخَطِيمِ :

دِيارُ التي كادَتْ ونحنُ عَلَى مِنًى ... تَحُلُّ بِنَا لولاَ نَجاءُ الرَّكائِبِ [٨]

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) « سائب خاثر » بالإضافة ، وهو مولى بنى ليث ، ويقال إن عبد الله بن جعفر اشتراه فأعتقه ، قاله المرصفى .

(٣) قال المرصفى : « مِنْ أخثرَ الزُّبدَ إذا تركه خاثراً ، أى غليظا ، لم يُذِبْه » .

(٤) الزيادة من د و هـ .

(٥) الزيادة من ج و د .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) فى ج و د « وَأَخرَجَ الجوارِيَ » .

(٨) « تحل بنا » قال المرصفى : « تجعلنا نَحُلُّ ، تقول : حَلَّ به : جعله يَحُلُّ ، كأحلَّه المكانَ ، وأحله به ، عاقبت الباء فيه الهمزة » .

ومثلكِ قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ ولا جَارَةٍ وَّلاَ حَلِيلَةِ صاحِبِ[1]

ورَدَّدَهُ الجوارِى عليه ، فحرَّكَ معاويةُ يديه وتحرَّكَ فى مجلسه ، ثم مَدَّ رجليه فجعل يضربُ بهما وجهَ السريرِ ! فقال له عمرٌو : اتَّئِدْ ياأميرَ المؤمنين ، فإن الذى جئتَ لِتَلْحاهُ أحسنُ منكَ حالاً وأقلُّ حركةً ! فقال [له[2]] معاويةُ : اسكُتْ لاأَبالك ! فإن كلَّ كريمٍ طَرُوبٌ .

⁂

وحُدِّثتُ مِن غيرِ وجهٍ : أن سفيانَ بن عُيَيْنَةَ[3] قال لجلسائه يومًا : إنِّى أرَى جارَنا هذا السَّهْمِيَّ قد أثْرَى وَانْفَسَحَتْ له نِعمةٌ[4] ، وصار ذا جاهٍ عند الأمراء ، ووافداً إلى الخلفاء ، فَمِمَّ ذاكَ ؟ يَعنى يحيى بنَ جَامِعٍ[5] ، فقال له جلساؤُه : إنه يَصِيرُ إلى الخليفة فيتغنَّى له ، فقال سفيانُ : فيقولُ ماذا ؟ فقال أحدُ جُلَسائه : [إنه[6]] يقول :

---

(١) « الكنة » بفتح الكاف وتشديد النون — : امرأة الابن أو الأخ . وضبطت فى بعض النسخ بكسر الكاف ، وهو خطأ .

(٢) الزيادة من ج .

(٣) هو إمام أهل مكة ، قال الشافعى : « مالك وسفيان القرينان » وهو شيخ الشافعى وأحمد بن حنبل والأئمة فى عصرهما . وقال أحمد : « مارأيت أحداً من الفقهاء أعلم بالقرآن والسنن منه » ولد سنة ١٠٧ ومات بمكة سنة ١٩٨ .

(٤) فى ج و س و د و هـ «النعمة» .

(٥) هذا غلط من بعض الرواة ، وصوابه « إسمعيل بن جامع » كما قال المرصفى ، وقال : « كان مع غنائه أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان حسن السمت كثير الصلاة ، قد أخذ السجود من جبهته » . وله ترجمة فى الأغانى (ج ٦ ص ٦٥ — ٨٢ ساسى)

(٦) الزيادة من د .

أطُوفُ نهاري معَ الطائفينَ   وأرفعُ من مِئزرِى المُسْبَلِ

فقال سفيانُ : ماأحسنَ [والله(١)] ماقال ! فقال الرجلُ : [ويقولُ(٢)] :

وأسْهرُ لَيْلِي معَ العاكِفينَ   وأتْلُو مِنَ المُحْكَمِ المُنْزَلِ

[ف(٣)] قال : حَسَنٌ والله جميلٌ ، قال : إنَّ بعدَ هذا(٤) شيأً ، قال سفيانُ : وماهو ؟ قال :

عَسَى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسُفٍ   يُسَخِّرُ لى رَبَّةَ المِحْمَلِ(٥)

فَزَوَى سفيانُ وجهَهُ ، وأومأ بيدِه أنْ كُفَّ ، وقال : حلالاً حلالاً !!

ولَقِىَ ابنُ أبْجَرَ(٦) عَطَاءَ بنَ أبى رباحٍ وهو يطوفُ ، فقال : اسمعْ صوتاً للغَرِيضِ ! فقال له عَطاء : ياخَبيثُ ! أفى [مثلِ(٧)] هذا الموضِعِ ؟ ! فقال ابن أبْجَرَ : وربِّ هذه البَنِيَّةِ لَتَسْمَعَنَّه خُفْيَةً أو لأُشيدَنَّ به ! فوقف له فتغنَّى :

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ   إنَّكِ إن لاَّ تفْعَلى تَحْرَجِى(٨)

---

(١) الزيادة من ج وس وهـ .
(٢) الزيادة من د ، وفى هـ بدلا منها « أيضا » .
(٣) الزيادة من ج وس ود وهـ .
(٤) فى هـ « إن بعدها » .
(٥) فى هـ وحاشية ا « ربة المنزل » .
(٦) وهذا أيضا خطأ من بعض الرواة ، صوابه « الأبجر » وهو لقب غلب عليه ، واسمه « عبيدالله » وقيل « محمد بن القاسم » ويكنى «أبا طالب» وله ترجمة فى الأغانى (ج ٣ ص ١١١ — ١١٤) والقصة فيه مع بعض المغايرة ، والغناء فى هذه الأبيات مذكور فيه أيضا (ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨) .
(٧) الزيادة من س .
(٨) « تحرجى » بفتح الراء ، من « الحرج » بفتحها أيضاً ، وهو الإثم .

أَنَّى أُتِيحَتْ لِى يَمَانِيَةٌ   إِحْدَى بَنِى الحُرِثِ مِن مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّهُ   لا نَلْتَقِى إِلاَّ على مَنْهَجِ
فى الحجّ إن حَجَّتْ، وماذا مِنًى   وأَهْلُهُ إِنْ هِىَ لم تَحْجُجِ؟!

فقال له عطاء: الكثيرُ الطَّيِّبُ ياخبيثُ!!

وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره، فقال: اطْلُبوه، فجاؤا به، فقال: أَعِدْ ما تغنيتَ، فتغنَّى واحتفَلَ، وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَةِ، فقال لأصحابِهِ: واللهِ لَكَأَنَّها جَرْجَرَةُ الفَحْلِ فى الشَّوْلِ[١]، وما أَحْسِبُ أُنْثَى تسمعُ هذا إلاَّ صَبَتْ، ثم أمرَ بِهِ فخُصِىَ!

وحُدِّثْتُ: أن الفرزدقَ قَدِمَ المدينةَ فنزل على الأحوصِ بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبِى الأَقْلَحِ، فقال له الأحوصُ: أَلاَ أُسْمِعُكَ غِناءً من غِناء القُرَى؟ فأتاه بمُغَنٍّ[٢] بجمل يُغَنِّيه، فكان مما غنَّاه:

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى   بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِىَ البَشَامُ[٣]

(١) «الجرجرة» تردُّد هدير الفحل، وهو صوت يردده البعير فى حنجرته. و«الشول» بفتح الشين وسكون الواو، جمع «شائلة» وهى من الابل التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها، ويقال لها «الشائل» أيضاً. والمراد هنا التى وضعت حملها ونقص لبنها، فتشول بذنبها طلبا للفحل واللقاح.

(٢) فى ج و د «بمغنى» باثبات الياء، وهو جائز، وإن ظن كثيرون أنه خطأ.

(٣) بحاشية ج مانصه «أَتَذْكُرُ حينَ تَصْقُلُ عارِضَيْها. هكذا جاء فى نوادر أبى علىّ» يريد كتاب الأمالى والنوادر لأبى علىّ القالى، وهو فيه (ج ١ ص ١٢٠ طبعة دار الكتب) ولكن فيه «بعود» بدل «بفرع» وذكر فى لسان العرب (مادة ب ش م) الشطر الأول كما فى الأمالى، والثانى كما هنا، ثم قال: «وصدر هذا البيت فى التهذيب: أتذكر إذ تودعنا سليمى». والرواية فى ديوان جرير كرواية المبرد هنا (ص ٥١٢). و«البشام» شجر طيب الريح والطعم يستاك به. قال فى اللسان شرحاً للبيت: «يعنى: أنها أشارت بسواكها، فكان ذلك وداعها، ولم تتكلم خيفة الرقباء».

ولو وَجَدَ الحَمامُ كما وَجَدْنا ... بِسُلْمانَيْنِ لَاكْتَأَبَ الحَمامُ[(١)]

فقال الفرزدق ، لِمَنْ هذا [الشعرُ[(٢)]] ؟ فقالوا : لجريرٍ ، ثم غنّاه :

أَسْرَى لِخَالِدَةَ الخَيالُ ولا أَرَى ... شيأً أَلَذَّ مِنَ الخَيالِ الطَّارِقِ

إنَّ البَلِيَّةَ مَنْ تَمَلُّ حديثَه ... فانْقَعْ فُؤَادَكَ من حديثِ الوَامِقِ[(٣)]

فقال : لمن هذا [الشعرُ[(٤)]] ؟ فقيلَ : لجرير ، ثم غنّاه :

إنَّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا ... وَشَلاً بِعَيْنِكَ ما يَزَالُ مَعِينَا[(٥)]

غَيَّضْنَ مِنْ عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي ... ماذَا لَقِيتَ من الهَوَى ولَقِينَا ؟

فقال : لمن هذا [الشعرُ[(٤)]] ؟ فقالوا : لجريرٍ ، فقال الفرزدقُ : ما أَحْوَجَهُ مع عَفافِهِ إلى خُشونة شِعْرِي ، وأَحْوَجَنِي مع فُسُوقِي إلى رِقَّةِ شِعرِهِ ! !

---

(١) قال المرصفى : « سلمانين ، بضم فسكون ، يروى بلفظ التثنية ، وبلفظ جمع السلامة ، فمن رواه بلفظ التثنية قال : إنهما واديان فى جبل لغنيّ ، يقال له سواج ، ومن رواه بلفظ الجمع قال : هو واد يصب على الدهناء شمالى حفر الرباب بناحية اليمامة . ذكر ذلك كله ياقوت فى معجمه » . وفى ياقوت أيضاً « لم نسمع فيه إلاّ سلمانين ، بلفظ النصب والجرّ » وقد ضبط فى ج بفتح السين ، وفى سائر نسخ الكامل بضمها ، وفى ياقوت أيضاً عقب المادة التى بالضم أخرى بالفتح ، وقال : « بفتح أوله وسائره كالذى أمامه ، من قرى مرو » . ولذلك ضبطنا الكلمة هنا بكل الأوجه : بالفتح والضم ، وبلفظى التثنية والجمع .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) « النَّقْعُ » الرِّيُّ ، يقال « نَقَعَ من الماء وبه يَنْقَعُ نقوعاً : رَوِيَ » وقيل للماء « نَقْعٌ » لأنه يُنْقَعُ بِهِ العطشُ ، أى يُرْوَى . و « الوامق » المحبّ ، وضع الوامق موضع الوموق ؛ أى المحبوب . وهذا كله مقتبس من اللسان فى المادتين . وقد نسب هذا البيت فى مادة (و م ق) لجابر ، وهو خطأ من الناسخ أو الطابع ، فإن البيت بيت جرير .

(٤) الزيادة من د .

(٥) فى ا و هـ و س « لايزال » . و « غادروا » أى تركوا . و « الوشل » بتحريك الشين الماء القليل ، وقيل : الكثير ، قال فى اللسان : « وكذلك الوشل من الدمع ، يكون القليل والكثير ، وبالكثير فسر بعضهم قوله » ثم ذكر البيت . و « المعين » المستنبط من العين لا تنقطع مادته .

٭

وقال الأحوصُ يوماً لِمَعْبَدٍ : امْضِ بِنَا إلى عَقِيلَةَ[1] حتى نتحدَّثَ إليها ، ونسمعَ من غِنائها وغِناء جواريها ، فمضيا ، فألفيا على بابها مُعاذًا الأنصاريَّ ثم الزُّرَقِيَّ وابنَ صائدٍ النَّجَّارِيَّ[2] ، فاستأذنوا عليها جميعاً ، فأذنتْ لهم إلاَّ الأحوصَ ، فإنها قالت : نحن غِضَابٌ على الأحوصِ[3]، فانصرفَ الأحوصُ وهو يَلُومُ أصحابَه على استبدادِهم ، فقال :

صَدَّتْ عَقيلةُ لَمَّا جئتُ بالزادِ ... وآثَرَتْ حاجةَ الثَّاوِى على الغادِي
فقلتُ : واللهِ لولا أن تقولَ له ... قد باح بالسِّرِّ أعدائى وحُسَّادِي
قلنا لمنزلها : حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ ... وللعَقِيقِ : ألاَ حُيِّيتَ من وَادي
إنِّى جعلتُ نَصِيبى من مَوَدَّتها ... لِمَعْبَدٍ ومُعاذٍ وابنِ صَيَّادِ
لابنِ اللَّعينِ الذى يُخْبَا الدُّخَانُ له ... وللمُغَنِّى رسولِ الزُّورِ قَوَّادِي[4]
أمَّا مَعاذٌ فإنِّى لستُ ذا كِرَهُ ... كذاكَ أجدادُهُ كانوا لأجدادِي[5]

(١) قيل إنها امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب ، وقيل إنها سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، كنى عنها بعقيلة ، وللأحوص معها أخبار . انظر الأغانى (ج ٤ ص ٢٦١ طبعة دار الكتب)

(٢) بنو زريق — بالتصغير — وبنو النجار : كلاهما من الخزرج من الأنصار .

(٣) فى د « نحن عليه غضاب » وفى ج و س « نحن على الأحوص غضاب » .

(٤) يريد بابن اللعين ابن صياد ، ويظهر أنه من ولد عبد الله بن صياد الذى كان غلاما على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد أرجف الناس إذ ذاك بأنه الدجال ، ثم اختبره النبيّ فخبأ له الدخان وسأله عنه ، فأجاب بأنه الدخ ، فقال له النبيّ : اخسأ فلن تعدو قدرك ، وأراد عمر قتله ، فقال له رسول الله : « إن يكن هو فلن تسلط عليه ، وإن يكن غيره فلا خير لك فى قتله » . وقصته معروفة فى الصحيحين وغيرهما ، وانظر الاصابة (ج ٥ ص ١٣٦ — ١٣٧) .

(٥) فى ج و س « فانى لست أذكره » وفى هـ « أكرهه » وفيها أيضاً « أجداده أشباه أجدادى » .

قال الزُّبيرىُّ : وكان مُعاذٌ جَلْدًا ، فخافَ الأحوصُ أن يضربه ، فحلف معبدٌ أن لا يكلّمَ الأحوصَ ولا يتغنَّى فى شعره ، فشقَّ ذلك على الأحوص ، فلما طالتْ هِجْرتُهُ إياه رَحَلَ نَجِيبًا له وجعلَ طِلاءً(١) فى مِذْرَعٍ [و « المِذْرَعُ » زِقٌّ سُلِخَ حين سُلِخَ مما يلى الذِّراعَ(٢)] فى حقيبة رَحْلِهِ ، وأعَدَّ دنانيرَ ، ومضَى نحوَ معبدٍ فأناخَ ببابه ، ومعبدٌ جالسٌ بفنائه ، فنزل إليه الأحوص فكلَّمه ، فلم يكلمه معبدٌ ، فقال : يا أبا عَبَّادٍ ! أتهجُرُنى ؟! فخرجت إليه امرأتُهُ(٣) أُمُّ كَرْدَمٍ ، فقالت : أتهجرُ أبا محمدٍ ؟! واللهِ لَتُكَلِّمَنَّهُ ، قال : فاحتملَهُ الأحوصُ فأدخله البيتَ ، وقال : والله لا رِمْتُ(٤) هذا البيتَ حتَّى آكُلَ الشِّوَاء وأشربَ الطِّلاء وأسمعَ الغِناء ، فقال له معبدٌ : قد أخزَى اللهُ الأبْعَدَ ! هذا الشِّواء [قد(٥)] أكَلْتَهُ ، والغناء [قد(٥)] سمعتَه ، فأنَّى لكَ بالطِّلاء ؟! قال : قُمْ إلى ذلك المِذْرَعِ ففيه طلاءٌ(٦) ومعه دنانيرُ ، فأَصْلِحْ بها ما نُرِيدُ(٧) من أمْرِنا ، ففعل كلَّ ماقال ، فقالت أمُّ كَرْدَمٍ لمعبدٍ : أتَهْجُرُ مَنْ إنْ زارنا أغْدَرَ فينا فَضْلاً ونَيْلاً(٨) ، وإن فارَقَنا خَلَّفَ فينا عَقْلاً ونُبلاً ؟!

---

(١) « الطلاء » بكسر الطاء ممدود : شراب يطبخ من عصير العنب حتى يذهب ثلثاه .

(٢) الزيادة من حاشية ج .

(٣) فى ج و س « مَرَتُهُ » وهى لغة صحيحة جائزة .

(٤) « لا رمت » أى : لا برحت ، يقال « رَامَ يرِيمُ » إذا برح .

(٥) الزيادة فى الموضعين من د .

(٦) فى ج و س و د و هـ « الطلاء » .

(٧) « نريد » بالنون ، وفى ج و س و د و هـ « تريد » بالتاء .

(٨) « أغدر » أى ترك وأبقى ، و « النيل » بفتح النون وسكون الياء التحتية معروف ، وكذلك هو فى أصول الكتاب ، وأغرب الشيخ المرصفى فجعله « نبلا » بالباء الموحدة ،

فانصرفَ الأحوصُ مع العصرِ ، فمرَّ بين الدارَيْنِ وهو يَميلُ بين شُعْبتَيْ رَحْلِهِ .

☼

وحُدِّثْتُ : أن سعدَ بن مُصْعَبِ بن الزُّبير اتُّهِمَ بامرأةٍ فى ليلة مَناحةٍ أو عُرْسٍ ، وكانت تحتَه ابنةُ حمزةَ بن عبد الله بن الزبير ، فقال الأحوصُ ، وكان بالمدينةِ رجلٌ يقال له « سَعْدُ النَّارِ » — :

ليس بسَعْدِ النَّارِ مَنْ تَذْكرونَه ... ولكنَّ سَعْدَ النارِ سَعْدُ بن مُصْعَبِ

ألم تَرَ أنَّ القومَ ليلةَ جَمْعِهم ... بَغَوْهُ فألْفَوْهُ لَدَى شَرِّ مَرْكَبِ

فما يَبْتَغِى بالشَّرِّ لادَرَّ دَرُّهُ ... وفى بَيْتِهِ مِثْلُ الغزالِ المُرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعبٍ بطعامٍ فَصُنِعَ ، ثم حُمِلَ إلى قِبابِ العربِ ، وقال للأحوصِ ، وكان له صديقاً : تعالَ نَمْضِ فنُصيبُ منه⁽¹⁾ ، فلما خَلاَ به أمَرَ به فأُوثِقَ ، وأرادَ ضَرْبَه ، فقال له الأحوصُ : دَعْنِى ، فلا واللهِ لاأهجُو زُبَيْرِيًّا أبداً ، فحَلَّهُ ، ثم قال . إنى والله ما لُمْتُكَ على مَزْحِكَ ، ولكنِّى أنكرتُ قولَكَ :

* وفى بيتِهِ مثلُ الغَزَالِ المُرَبَّبِ *

☼

وَحُدِّثْتُ⁽²⁾ : أن ابنَ أبى عَتيقٍ ذُكِرَ له أن المُخَنَّثين بالمدينةِ خُصُوا ،

وشرحه بأنه مصدر « نبله بالطعام ينبله » بمعنى علله به وناوله الشيء بعد الشيء !! ولعل الذى ألجأه إلى هذا أنه أراد أن يكلف الكلام الجناس التام .

(1) هكذا ضبط الفعلان بالرفع فى طبعة أوربة نقلا عن أصول الكتاب ، وهو صحيح .

(2) فى د « وذُكِرَ لِى » .

وأنه خُصِيَ الدَّلَالُ فيهم ، فقال : إنَّا لله ، أَمَا واللهِ لَئِن فُعِلَ ذلك بِهِ لقد كان يُحْسِنُ :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أَمْسَى دَارِساً خَلَقَا

ثم استقبلَ ابنُ أبى عَتيقٍ القبلةَ يصلّى، فلما كبَّرَ سَلَّمَ ، ثم التفتَ إلى أصحابِهِ ، فقال : اللهم إنهُ كان يُحْسِنُ خفيفَهُ ، فأمّا ثقيلهُ فلاَ ، اللهُ أكبرُ !!

*

وحُدِّثتُ : أن مَدَنِيًّا [1] كان يصلِّى مُذْ[2] طلعتِ الشمسُ إلى أن قاربَ النهارُ أن يَنْتَصِفَ ، ومِن ورائهِ رجلٌ يَتَغَنَّى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا رجلٌ من الشُّرَطِ قد قبَضَ على المغنِّى[3] ، فقال: أَتَرْفَعُ عَقِيرَتَكَ بالغِناء فى مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخَذَهُ ، فانفتَلَ المدنىُّ[4] من صلاتهِ ، فلم يَزَلْ يَطْلُبُ إليه فيه حتى استَنْقَذَهُ ، ثم أقبلَ عليه فقال : أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيك ؟ قال : لا ، ولكِن[5] إخالُكَ رحِمْتَنى ، قال : إذًا فلا رحِمَنِى اللهُ ! قال . فأَحْسِبُكَ عرفتَ قَرَابةً بيننا ؟ قال: إذًا فقطَعَهَا اللهُ ! قال: فَلِيَدٍ تَقَدَّمَتْ مِنِّى إليك ؟ قال : لا والله ، ولا عَرَفْتُكَ قبلها ، قال: فَخَبِّرْنِى[6] ؟ قال : لأنى سمعتُكَ غَنَّيْتَ آنِفاً فأقمتَ وَاوَاتِ مَعْبدٍ ، أمَا واللهِ لو أسأْتَ التأديةَ لكنتُ أحدَ الأعوانِ عليكَ !

---

(١) فى ا و د « مَدِينِيًّا » وفى ج « مِدِينِيًّا » بكسر الميم .
(٢) فى ج و س و هـ « منذ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « على الرجل » .
(٤) فى ج و هـ « المدينى » .
(٥) فى ج و س و د و هـ « ولكنّى » .
(٦) فى ج و س و د « تُخْبِرُنِى » .

والصوتُ الذى يُنْسَبُ إلى واواتِ معبدٍ شعرُ الأَعْشَى الذى يعاتبُ فيه يَزِيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبَانِيَّ ، وهو قولُه :

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وَإِنْ لَامَ لَائِمُ ... غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ[1]

لقد كان فى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ ... تُقَضَّى لُبَانَاتٌ وَيَسْأَمُ سَائِمُ[2]

قوله « هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإن لَامَ لَائِمُ » منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، تفسيرُه « وَدِّعْهَا » كأنه قال « وَدِّعْ هريرةَ » ، فلمّا اخْتَزَلَ الفعلَ أظهرَ ما يدلُّ عليه ، وكان ذلك أجودَ من أن لا يُضْمِرَ ، لأن الأمرَ لا يكون إلّا بفعلٍ ، فأضمرَ الفعلَ إذْ كان الأمرُ أحقَّ به ، وكذلك « زيداً اضرِبْهُ » و « زيداً فأكرِمْهُ » وإن لم تُضْمِرْ ورَفعْتَ جاز ، وليس فى حُسْنِ الأَوّلِ ، تَرْفَعُه على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمرَ فى موضعِ خبرِه . فأمّا قولُ الله جلّ وعزّ : ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا[3] ﴾ وكذلك : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ[4] ﴾ ـ : فليس على هـذا ، والرفعُ الوَجْهُ ، لأنّ معناهُ الجزاءُ ، كقوله « الزانيةُ » أى التى تزنى ، فإنما وجبَ القطعُ للسَّرِقِ والجَلْدُ للزنا ، فهذا مُجَازَاةٌ ، ومِن ثَمَّ جازَ : الذى يأتِينى فله

(١) « واجم » من « وجم » كوعد ، « وجما ووجوما » : أطرق من الحزن ، قاله المرصفى .

(٢) « فى حول ثواء » قال المرصفى : « هذا تركيب كان أبو عمرو يعيبه ، ويقول : لا أعرف له معنى ولا وجها يصح به . وعن أبى عبيدة : يريد لقد كان فى ثواء حول ، فقلب وأبدل ثواء من حول . واللبانات بضم اللام : الحاجات ، وكنى بقوله : ويسأم سائم عن أن يقول : ولا تقضى لبانات » .

(٣) سورة المائدة (٣٨) .

(٤) سورة النور (٢) .

درهمٌ ، فدخلت الفاء لأنه استحقَّ الدرهمَ بالإتيانِ ، فإن لم تُرِدْ هذا المعنى قلتَ : الذى يأتينى له درهمٌ، ولا يجوزُ : زيدٌ فله درهمٌ ، على هذا المعنى ، ولكن لو قلتَ: زيدٌ فله درهمٌ ، على معنى : هذا زيدٌ فله درهمٌ ، أو هذا زيدٌ فحسنٌ جميلٌ - : جازَ، على أن «زيدًا» خبرٌ ، وليس بابتداء ، وللإشارةِ دخلتِ الفاء ، وفى القرآنِ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبِّهِمْ ﴾(١) ودخلتِ الفاء لأن الثوابَ دَخَلَ للإنفاق . وقد قرأتِ القُرّاء : ﴿ الزانيةَ والزّانِيَ فاجْلِدُوا ﴾ ﴿ والسارقَ والسارقةَ فاقْطَعُوا ﴾ بالنصبِ ، على وجهِ الأَمْرِ(٢) ، والوجهُ الرَّفْعُ ، والنصبُ حسنٌ فى هاتينِ الآيتين ، ومالم يَكُنْ فيه معنى جَزَاءٍ فالنصبُ الوَجْهُ .

❊

ويُرْوَى : أن مَعْبَدًا بلغه أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ فتح خَمْسَ مَدَائِنَ ، فقال : لقد غَنَّيْتُ خمسةَ أصْواتٍ هُنَّ أَشَدُّ مِن فَتْحِ المدائِنِ التى فتحها قتيبةُ [بنُ مسلمٍ](٣)، والأصواتُ :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجُلُ

وقوله :

(١) سورة البقرة (٢٧٤) .

(٢) قراءة النصب فيهما قرأ بها عيسى بن عمر ، كما فى الشواذ لابن خالويه (ص ٣٢) وحكى أبو حيان فى البحر المحيط فى آية « والسارق » أن النصب قراءة ابن أبى عبلة أيضا (ج ٣ ص ٤٧٦ - ٤٧٧) وفى آية « الزانية » أن النصب قراءة عيسى الثقفى ويحي بن يعمر وعمرو بن فائد وأبى جعفر وشيبة وأبى السمال ورويس (ج ٦ ص ٤٢٧) وفى القول فى توجيه الإعرابين .

(٣) الزيادة من ع و س و د .

هُرَيْرَةَ وَدِّعْها وإن لَامَ لائمُ   غَداةَ غَدٍ أَمْ أنتَ للبَيْنِ واجِمُ

وقولُه :

رأيتُ عَرابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو   إلى الخَيْراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

وقولُه :

وَدِّعْ لُبابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلا   واسْأَلْ فإنَّ قَلِيلَةً أَنْ تَسْأَلا(١)

وقولُه :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَتْمَةَ دَارُها   لقدْ كنتُ مِن خَوْفِ الفِراقِ أُلِيحُ(٢)

أمّا قولُه « وَدِّعْ هُريرةَ إن الرَّكْبَ مُرْتحِلُ » وقولُه « هُرَيرةَ وَدِّعْها وإن لَامَ لائمُ » — : فللأعشَى ، يُعاتِبُ فيهما يَزِيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبانِيَّ ، يقولُ :

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبانَ مَأْلُكَةً   أَبا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ(٣)

---

(١) فى ا و د و هـ « قَلِيلَهُ » .

(٢) قوله « لعمرى لئن » بحاشية ا بدله « لعمرك إن » . و « عتمة » بفتح العين وسكون التاء المثناة الفوقية ، وفى ج و س « بعثمة » بالمثلثة ، وفى هـ « بعيمة » بالتحتية . وقوله « لقد كنت » بدله فى ج و س و هـ « لقد كدت » . وقوله « من خوف » بدله فى ج و س و د و هـ « من وَشْكِ » .

(٣) « المألكة » بضم اللام : الرسالة . وقوله « أبا ثبيت » قال المرصفى : « يريد أبا ثابت ، لصغره تصغير الترخيم » . وقوله « تأتكل » قال فى اللسان (مادة أ ك ل) : « وتأكل الرجل وائتكل : غضب وهاج ، وكاد بعضه يأكل بعضا — ثم ذكر البيت ، ثم قال — : وقال يعقوب : إنما هو تأتلك ، فقلب » . وقال فى مادة (أ ل ك) فى هذا البيت : « إنما أراد تَأْتَلِكُ ، من الألوك ، حكاه يعقوب فى المقلوب . قال ابن سيده : ولم نسمع نحن فى الكلام تأتلك من الألوك فيكون هذا محولا عليه مقلوبا منه » .

أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... ولستَ ضائِرَها ما أَطَّتِ الإبِلُ[١]

كَناطِحٍ صَخْرَةً يومًا لِيَفْلِقَهَا ... فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ[٢]

ويقولُ فى الأُخرى يعاتبه أيضًا :

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بين عَيْنَيْه علىَّ المَحَاجِمُ[٣]

فلا يَنْبَسِطْ من بينِ عينيكَ ما انْزَوَى ... ولا تَلْقَنِى إلاَّ وأَنْفُكَ راغِمُ

فأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التقاطُعُ بينَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يومًا عليكَ المآتِمُ[٤]

وتُلْفَى حَصانٌ تَنْصُفُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كما كانَ يُلْفَى الناصِفاتُ الخَوادِمُ[٥]

إذا اتَّصَلَتْ قالت: أَبَكْرَ بنَ وائِلٍ! ... وبَكْرٌ سَبَتْهَا والأُنُوفُ رَوَاغِمُ[٦]

فأمّا الشعرُ الثالثُ فللشَّمَّاخِ بن ضِرَارِ بن مُرَّةَ بن غطَفانَ ، يقولُه لِعَرَابَةَ بن أَوْسِ بن قَيْظِيٍّ الأنصاريِّ :

---

(١) قال المرصفى : « أثلة كل شىء : أصله ، والنحت : القشر والنقر ، استعاره للإيذاء . . . وأطيط الإبل أنينها وحنينها » .

(٢) فى ا « لِيُفْلِقَهَا » وفى ج « لِيَفْلُقَهَا » و « الوعل » بفتح الواو وكسر العين المهملة ، وهو تيس الجبل ، ويجوز أيضا إسكان العين ، وحكى الليث فيه لغة ثالثة بضم الواو وكسر العين .

(٣) فى س و د « عنّى » بدل « دونى » . و « المحاجم » جمع « محجم » وهو آلة الحجامة . و « زواه زيا » . جمعه وقبضه ، يقول : كأن المحاجم زوت مابين عينيه ، مما يعبس وجهه .

(٤) « الاصطفاق » الاضطراب ، و « المآتم » جمع « مأتم » وهو كل مجتمع من رجال أو نساء .

(٥) « تلفى » فى أول البيت بالفاء وضم التاء ، وفى س و هـ « تلقى » بالقاف بدون ضبط ، وفى د بالقاف أيضاً مع فتح التاء ، وفى ج بالقاف مع ضم التاء . و « يلفى » فى الشطرة الثانية بضم الياء وبالفاء ، وفى ج « يلقى » بفتح الياء مع القاف ، وكذلك فى س و د و هـ ولكن بدون ضبط ، و « الحصان » العفيفة من النساء ، و « تنصف » تخدم ، يقال « نصفه ينصفه » بضم صاد المضارع وكسرها : إذا خدمه . قال المرصفى : « يقول : لتستأصلن كماة قيس رجالكم ، صغارهم وكبارهم ، حتى إن الحصان من فقرها تضطر إلى خدمة ابنة عمها » .

(٦) قوله « إذا اتصلت » يقول : إذا دعت قومها تنتصر بهم ، تقول أبكر بن وائل ، كأنها تستغيث بهم . و « الاتصال » دعاء المرء رهطه الأدنين ، يقول : يالفلان .

رأيت عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخيراتِ منقطِعَ القَرِينِ
إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمِينِ
إذا بَلَّغْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ فاشْرَقِي بِدَمِ الوَتِينِ

والرابعُ لعمرَ بن عبد الله بن أبي رَبيعَةَ ، يقولُه في بعضِ الرِّواياتِ :

وَدِّعْ لُبَابَةَ قبلَ أنْ تَتَرَحَّلاَ ... واسْأَلْ فإن قَلِيلَةً أنْ تَسْأَلاَ(١)
امْكُثْ لَعَمْرُكَ ساعةً فَتَأَنَّها ... فعَسَى الذي بَخِلَتْ به أنْ يُبْذَلاَ(٢)
لَسْنا نُبالِي حينَ نُدْرِكُ حاجَةً ... إنْ باتَ أوظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلاَ

والشعرُ الخامس لا أعرفُه(٣) .

---

(١) في ا و د و هـ « قَلِيلَهُ » .

(٢) في د « اسكت » . وفي ج « ساعةً بِفنائها » وفي س و هـ « أن تَبْذُلاَ » .

(٣) في النسخ المطبوعة في مصر « لا أعرف قائله » وهو مخالف للثابت في الأصول المطبوع عنها في أوربة ، ونقل في طبعة أوربة عن حاشية ج مانصه : « الشعر لعبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وقبله : غراب وظبي أعضب القرن ناديا بصرم . . . . »
وضاع باقي البيت من تقطيع الورق .

فقوله « عبد الله بن عبيد الله » خطأ ، صوابه « عبيد الله بن عبد الله » بالتصغير في اسم الشاعر ، والتكبير في اسم أبيه . وعبيد الله هذا هو المسعودي ، وهو أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة ، وكان شاعراً مجيداً ، مات سنة ٩٩ وله ترجمة في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٤١) والتهذيب (ج ٧ ص ٢٣ ـ ٢٤) والأغاني (ج ٨ ص ٨٨ ـ ٩٥ ساسي) قال ابن عبد البر : « كان أحد الفقهاء العشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالما فاضلا مقدما في الفقه ، تقيا شاعراً محسنا ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا هذا فيما علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أفقه منه » .

والبيت الذي ذكره المبرد أحد ثلاثة أبيات في الأغاني (٨ : ٩٣) وهي :

غُرَابٌ وظَبْيٌ أعضَبُ القَرْنِ نَادَيَا ... بِصُرْمٍ وصِرْدَانُ العَشِيِّ تَصِيحُ
لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بعثمةَ دارُها ... لقد كدتُ من وَشْكِ الفِرَاقِ أَلِيحُ

ولم يَتَغَنَّ معبدٌ فى مدحٍ(١) قَطُّ إلاّ فى ثلاثةِ أشعارٍ ، منها ما ذكرنا فى عَرَابَةَ ، ومنها قولُ عبد الله بن قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ فى عبدِ الله بن جعفر بن أبى طالبٍ :

تَقَدَّتْ بِيَ الشَّهْبَاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سَوَاءٌ عليها لَيْلُها ونهارُها

والثالثُ قولُ موسى شَهَوَاتٍ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

حمزةُ المُبْتَاعُ بِالمالِ الثَّنَا ويَرَى فى بَيْعِهِ أَنْ قد غَبَنْ

وَهْوَ إنْ أَعْطَى عطاءً كاملاً ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بِمَنّْ(٢)

ونحنُ ذاكِرُو قِصَصٍ(٣) هذه الأشعارِ التى جَرَتْ فى عَقِبِ ما وصفنا إن شاء اللهُ .

قال أبو العباسِ : كان عبدُ الله بنُ قيسٍ الرُّقَيَّاتِ منقطعاً إلى مُصْعَبِ بن الزبير ، وكان كثيرَ المدحِ له ، وكان يُقَاتِلُ معه ، وفيه يقولُ :

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ ليس فيهِ جَبَرُوتٌ منه ولا كِبْرِياءُ(٤)

أَرُوحُ بِهَمٍّ ثم أَغْدُو بمثـله وَيحسبُ أنّى فى الثيابِ صحيحُ

(١) فى ج و س و هـ « مِدْحَةٍ » .

(٢) « بمنّْ » النون فيها مشددة ساكنة ، والمعروف فى مثلها أن تضبط بشدة فوقها سكون ، ولكنها ضبطت فى طبعة بوضع السكون فوقها والشدة تحتها ، وهو ضبط طريف لم أره قبل ، لحافظت على إثباته ، لأن الضبط هنا منقول عن الأصول المخطوطه الصحيحة ، ولأن الوضع تحت الحرف إشارة إلى أنه مكسور فى الأصل قبل الوقف عليه بالسكون .

(٣) فى ج و س و د « ذاكرون قِصَصَ » .

(٤) في ج « مُلْكُ رأفةٍ » .

يَتَّقِي اللّهَ فى الأمورِ وقد أفْـــلَحَ من كان هَمَّهُ الإتِّقاء

[قال أبو العباسِ[1]] : وله فيه أشعارٌ كثيرةٌ ، فلمّا قُتل مصعبُ [بن الزبير][2] كان عبدُ الملك على قتل عبد الله[3] ، فهَرَبَ فلَحِقَ بعبد الله بن جعفر ، فَشفعَ فيه إلى عبد الملك ، فشَفَّعَهُ فى أنْ تَرَكَ دَمَهُ ، فقال : ويَدْخُلُ إليكَ يا أميرَ المؤمنين فَتَسْمَعَ منه ، فأَبَى ، فلم يَزَلْ به حتى أجابه ، ففى ذلك يقولُ لعبد الله بن جعفرٍ :

أتيناكَ نُثْنِي بالذى أنتَ أهلُهُ ... عليكَ كما أثْنَى على الأرضِ جارُها[4]

تَقَدَّتْ بِيَ الشَّهْبَاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ ... سَــواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[5]

تَزُورُ فَتًى قد يَعْلَمُ الناسُ أنه ... تَجُودُ له كَفٌّ قليلٌ غِرَارُها[6]

فواللّهِ لولا أنْ تَزُورَ ابنَ جعفرٍ ... لَكانَ قليلاً فى دِمَشْقَ قَرَارُها

والشعرُ الذى مَدَحَ به عبدَ الملك :

عادَ لَهُ مِن كَثِيرَةَ الطَّرَبُ ... فعينُهُ بالدُّموعِ تَنْسَكِبُ

[كُوفِيَّةٌ نازِحٌ مَحِلَّتُها ... لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ[7]

واللّهِ ما إنْ صَبَتْ إلىَّ ولاَ ... يُعْلَمُ بينِي وبينَها نَسَبُ

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) الزيادة من د .

(٣) فى طبعات مصر زيادة « بن قيس » وليست فى الأصول .

(٤) فى ج و س و د « على الرَّوْضِ جارُها » . وزعم المرصفى أنه هو الصواب ، والظاهر أنهما روايتان .

(٥) « تقدت » : أسرعت . و « الشهباء » : فرسه .

(٦) « الغرار » بكسر الغين المعجمة : أن تدرَّ الناقة ثم تنفر فترجع الدرة . يريد أن تجود له كف لا تمنع العطاء .

(٧) « الصقب » : القرب ، وهو بالسين لغة أيضا .

إلاّ الذى أوْرَثَتْ كَثيرةُ فى الـقلبِ وللحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ][1]

وفيها يقولُ :

ما نَقَمُوا من بنى أُمَيَّةَ إلاَّ أنهم يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وأنَّهمْ سادَةُ الملوكِ فلا تَصْلُحُ إلاَّ عليهمُ العَرَبُ[2]
إنّ الفَنِيقَ الذى أبوه أبو الـعاصِى عليه الوَقارُ والحُجُبُ[3]
خليفـةُ اللهِ فى رَعِيَّتِهِ جَفَّتْ بذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ على جَبِينٍ كأنّه الذَّهَبُ

فقال له عبدُ الملك : أتقولُ لِمُصْعَبٍ :

إنّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عن وجهه الظَّلْماء

وتقولُ لِى :

يعتدلُ التَّاجُ فوقَ مَفْرِقِهِ على جَبِينٍ كأنّه الذَّهبُ ؟!

وأما شِعرُ الشَّمَّاخِ فى عَرَابَةَ فقد ذُكِرَ فى موضعه بحديثِه .

وأما الشِّعرُ فى حمزةَ بن عبد الله بن الزبير فإنه لموسى شَهَواتٍ ، وكان موسى قال لمعبدٍ : أقولُ شعرًا فى حمزةَ وتَتَغَنَّى أنتَ به ، فما أعطاك من شىء فهو بيْنَنَا ؟ فقال هذا الشعرَ :

---

(١) هـذه الأبيات الثلاثة الزائدة ليست فى نسخة الكامل طبعة أوربة ، وإنما أثبتت فى طبعات مصر نقلا عن الملحق المطبوع هناك ، وفيه استدراكات وتصحيحات ، ولعلها مأخوذة من ديوان الشاعر أو من بعض النسخ .

(٢) فى ع و د « وأنهم مَعْدِنُ الملوكِ » وهو الذى نقله المرصفى عن الديوان .

(٣) « الفنيق » : الفحل المكرم ، لايهان بالعمل ، لكرامته على أهله . وهذا على التشبيه فى الكرامة .

حمزةُ المُبْتاعُ بالمالِ الثَّنا ... ويَرَى فى بيعه أنْ قدْ غَبَنْ
وَهْوَ إنْ أعطَى عطاءً كاملاً ... ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفةٌ ... بَرَتِ المالَ كَبَرْىِ بالسَّفَنْ[1]
حَسَرَتْ عنه نَقِيًّا لَوْنُهُ ... طاهرَ الأخلاقِ ما فيه دَرَنْ[2]

فأعطاه مالاً، فقاسَمَهُ موسى .

باب

قال أبو العباسِ: قال عُتْبة بن شَمَّاسٍ :

إنَّ أوْلَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ... ثم أحْرَى بأن يكونَ حَقِيقا[3]
مَنْ أبوه عبدُ العزيزِ بنُ مَرْوا ... نَ ومَنْ كان جَدُّهُ الفارُوقا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ ... فى ذُرَى شاهقٍ يَفُوتُ الأَنُوقا[4]

يقولُ هذا الشعرَ فى عمرَ بن عبدِ العزيزِ [بن مروانَ[5]] وأمُّ عمرَ أمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطاب رحمه الله .

---

(١) فى حاشية ا « مُجْدِبَةٌ » بدل « مجحفة » والمجحفة : المضرة بالمال ، كمعنى المجدبة ، و « البرى » : النحت والقشر ، و « السفن » بفتح السين والفاء وكذا « المسفن » بكسر الميم وسكون السين وفتح الفاء — : قدوم تقشر به الأجذاع .

(٢) فى ج و د « نقيا عرضه » . وفى ج و س « طاهر الأثواب » . وفى د « طاهر الثوب » .

(٣) بحاشية ج « ويُرْوَى : أوْلَى » يعنى بدل « أحرى » .

(٤) فى ج « تفوت » .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

« والأَنوقُ » الرَّخَمَةُ ، ولا يقالُ « الأَنُوقُ » إلاّ للرَّخمةِ الأُنْثى[١] .

ومن أمثالِ العربِ : « هو أعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوقِ » وذاكَ أنها تَبِيضُ في رُؤوسِ الجبالِ ، فلا يكادُ يُوجَدُ بَيْضُها ، لبُعْدِ مطلَبه وعُسْره[٢] . يقولون ذلكَ[٣] لمن طلب[٤] الأمرَ العَسِرَ[٥] : « سَأَلْتَنِى بَيْضَ الأَنُوقِ »[٦] ، فإن سأله مُحالاً قال : « سألتَنى الأَبْلَقَ العَقُوقَ » وإنما هو الذَّكَرُ من الخيل ، ويقال فرسٌ « عَقُوقٌ » إذا حملتْ فامتلأ بطنُها ، فالأَبْلَقُ العَقُوقُ محالٌ .[٧]

ويُرْوَى : أنّ رجلاً سألَ معاويةَ أمراً لا يُوجَدُ ، فأعلمه ذلك ، فسأل أمراً عَسِرًا بعدَه ، فقال معاويةُ :

طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقُوقَ فلمّا ‏ ‏ ‏ ‏ لم يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأَنُوقِ[٨]

وإنما « الأبلقُ » الذكر من الخيل ، يقال فرس « عَقُوقٌ » إذا حَمَلت فامتلأ بطنُها ، فالأَبلقُ العَقُوقُ محالٌ[٩] .

---

(١) فى ج و س و د « ولا يقال أنوق إلا للأنثى » .

(٢) القطعة من أول « وذاك أنها تبيض » إلى هنا — : مؤخرة فى طبعات مصر بعد قوله « سألتنى بيض الأنوق » وهو مخالف للأصول المخطوطة .

(٣) قوله « يقولون ذلك » بدله فى ج و س و د « وتقول العرب » .

(٤) فى طبعات مصر « يطلب » وهو مخالف لطبعة أوربة .

(٥) فى ج و س و د « العَسِيرَ » .

(٦) هنا فى ج و س و د زيادة : « وهو لا يكاد يوجد ، لبعد مطلبه وعسره » وفى س « ولا » بدل « وهو لا » . والزيادة تكرار لبعض مامضى .

(٧) لأن الأبلق من صفات ذكور الخيل ، والعقوق من صفات إناثها ، فكأنه طلب حصانا حاملا ، وهو محال .

(٨) هذا البيت كتب فى طبعة أوربة على هيئة النثر .

(٩) هذه الجملة بعد البيت الذى تمثل به معاوية — : تكرار لما مضى ، ولكنها ثابتة فى الأصول المخطوطة ، وقد تصرف الشيخ المرصفى بحذفها لما فيها من التكرار ، ولكن الصواب المحافظة على الأصول .

وقال جرير يمدحُ عمرَ بن عبد العزيز :

ما عدَّ قومٌ كأجـداد تعدُّهُمُ ... مَرْوانُ ذو الفارُوقِ والنُّورِ والحَكَمُ
أشبَهْتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ ... قادَ البَرِيَّةَ وائتمَّتْ به الأُمَمُ[1]
تدعو قُرَيْشٌ وأنصارُ النبيِّ له ... أن يُمتَعوا بأبي حَفْصٍ وما ظَلَمُوا[2]

وفيه يقولُ جريرٌ أيضاً :

يَعُودُ الحِلْمُ منكَ على قُرَيشٍ ... وتَفْرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِّدَادَا[3]
وقد آمَنْتَ وحْشَهُمُ بِرفْقٍ ... ويُعْيِي الناسَ وَحْشُكَ أن يُصادَا[4]
[وتَبْنِي المَجْدَ يا عُمَرَ بنَ لَيْلَى ... وتَكْفِي المُمْحِلَ السَّنَةَ الجَمادَا][5]
وتَدْعُو اللهَ مجتهداً لِيَرْضَى ... وتَذْكُرُ في رَعِيَّتِكَ المَعادَا
[فما كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ سُعْدَى ... بأجْوَدَ منكَ يا عمرُ الجَوَادَا][6]

وقال أيضاً[7] ـ وكان ابنُ سعدٍ الأَزْدِيُّ قد تَوَلَّى صَدَقاتِ الأعرابِ وأَعْطِياتِهِم ، فقال جريرٌ يشكوه إلى عمرَ [بن عبد العزيز][8] ـ :

إنَّ عِيالِي لا فَوَاكِهَ عندَهم ... وعندَ ابنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وزَبِيبُ
وقد كان ظَنِّي بابنِ سَعْدٍ سَعادَةً ... وما الظنُّ إلاّ مُخْطِئٌ ومُصِيبُ

---

(١) في ج و س و د « فاق البرية » .
(٢) في ج و س «وأنصار الرسول له» ، وهو الذي في طبعات مصر .
(٣) في س « يعود الفضل » .
(٤) في ج و د « أَمَّنْتَ » .
(٥) الزيادة من ج و د .
(٦) الزيادة من حاشية ج .
(٧) قوله « وقال أيضاً » ثابت في الأصول ، ومحذوف في طبعات مصر .
(٨) الزيادة من ج و س و د .

فإن تَرْجِعوا رِزْقى إلىَّ فإنّه ... متاعُ لَيالٍ والأَداءُ قَريبُ
تَحَنَّى العظامُ الراجفاتُ من البِلَى ... وليس لداء الرُّكبتين طبيبُ

☆

وقال يرثيه أيضاً(١) :

نَعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بيتَ اللهِ واعتَمرَا
حَملْتَ أمرًا جَسيمًا فاصْطَبَرْتَ له ... وقُمْتَ فيه بحقِّ اللهِ يا عُمَرَا(٢)
فالشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسِفَةٍ ... تَبْكى عليكَ نُجومَ الليلِ والقَمَرَا

قولُه « يا عُمَرَا » نُدْبَةٌ ، أراد « يا عُمَرَاهْ » وإنما الألِفُ للنُّدبة وحدَها ، والهاء تزادُ فى الوقف لخفاء الألف ، فإذا وصَلْتَ لم تَزِدْها(٣) ، تقولُ « يا عُمرَا ذَا الفضلِ » فإذا وقفتَ قلتَ « يا عُمَرَاهْ » فحذَفَ الهاء فى القافية لاستغنائِه عنها .

فأما قولُه « نجومَ الليلِ والقمرَا » ففيه أقاويلُ كلُّها جيدٌ : فمنها : أن تَنْصِبَ « نجومَ » و « القمرَ »(٤) بقوله « بكاسفةٍ » يقولُ : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليلِ والقمرَ ، يقولُ : إنما تكسفُ النجومَ والقمرَ

(١) فى س « وفيه يقول أيضاً لما نُعِيَ » وبها طبعت طبعات مصر ، وفى د « وفيه أيضاً يقوله لما نعى » وكذلك فى ع بحذف « أيضاً » .

(٢) فى ع و د « حُمِّلْتَ » وفى س و د « فاضْطَلَعْتَ له » . وفى ع « فاضْطَلَعْتَ بِه » .

(٣) فى ع و د « لم تَزِدْ هاء » .

(٤) فى ع و د « نجوم الليل والقمرا » ، وبها طبعت طبعات مصر .

بإفراطِ ضيائها ، فإذا كانتْ من الحُزْنِ عليه قد ذَهَبَ ضِياؤُها ظهرتِ الكواكبُ . ويقال إن الغُبَارَ يوم حَلِيمةَ سَدَّ عَيْنَ الشمسِ فظهرت الكواكبُ المتباعدةُ عن مَطْلِعِ الشمسِ ، ويومُ حَلِيمةَ هو اليومُ الذى سافرَ(١) فيه المُنْذِرُ بن المنذرِ بعَرَبِ العِراقِ إلى الحٰرثِ الأعْرجِ الغَسَّانِيِّ ، وهو الأكبرُ ، والحٰرثُ فى عَرَبِ الشَّأْمِ ، وهو أشْهَرُ أيامِ العربِ ، ومن أمثالهم فى الأمرِ الفاشى : « ما يَوْمُ حَلِيمةَ بِسِرٍّ » وفيه يقولُ النابغةُ :

تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حَليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارِبِ(٢)

وأظُنُّ قولَ القائلِ من العربِ « لأُرِيَنَّكَ الكواكبَ ظُهْرًا » — : إنما أُخِذَ من يومِ حليمةَ . قال طَرَفَةُ :

إنْ تُنَوِّلْهُ فقـد تَمْنَعُهُ ... وتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِى بالظُّهُرْ

وقال الفرزدقُ لخالدِ بن عبد الله القَسْرِيِّ :

لَعَمْرِى لقد سَارَ ابنُ شَيْبةَ سِيرَةً ... أرَتْكَ نُجومَ الليلِ مُظْهِرَةً تَجْرِى

ويجوزُ أن يكونَ « نجومَ الليلِ والقمرَا » أرادَ بهما الظَّرْفَ ، يقولُ : تبكى الشمسُ عليكَ مدةَ نجومِ الليلِ والقمرِ ، كقولك : تَبْكِى عليكَ الدَّهرَ والشَّهرَ ، و : تَبكِى عليك الليلَ والنهارَ يافتى ! ويكونُ : تَبْكِى(٣) عليكَ

---

(١) فى ج و س ود « سار » .

(٢) فى ج و د « تُخُبِّرْنَ » .

(٣) ضبط الشيخ المرصفى « تبكى » هنا بضم التاء ، وهو مخالف للاصول الصحيحة ، ومخالف لما سيذكر أبو العباس من الشاهد فى قول الشاعر « أبكى على بكر » الخ .

الشمسُ النجومَ ـ : كقولك : بَكَيْتُ(١) زيداً على فلانٍ لِمَا رأيتُ به .

وقد قال فى هذا المعنى أَحَدُ المُحْدَثِينَ شيئاً مليحاً ، وهو أحمدُ [السُّلَمِىُّ(٢)] ، أخو أَشْجَعَ السُّلَمِىِّ ، يقوله لنَصْرِ بن شَبَثٍ(٣) العُقَيْلىِّ ، وكان أَوْقَعَ بقومٍ مِن بنى تَغْلِبَ بموضعٍ يُعرفُ بالسَّوَاجِيرِ(٤) ، وهو أَشبهُ بالشِّعْرِ ، قال(٥) :

لِلّهِ سَيْفٌ فى يَدَىْ نَصْرٍ فى حَدِّه ماءُ الرَّدَى يجْرِى
أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّوَاجِيرِ مَا لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ
أَبْكِى بَنِى بَكْرٍ على تَغْلِبٍ وتَغْلِباً أَبْكِى على بَكْرِ

ويكون « تَبْكى عليك نجومُ الليلِ والقمَرَا » على أن تكونَ الواوُ فى معنى « مَعَ » وإذا كانتْ كذلك فكانَ قبلَ الاسمِ الذى يليه أو بعدَه فعلٌ ـ : انتصبَ(٦) ، لأنه فى المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ إليه فنَصَبَه ، ونظيرُ ذلك « استَوَى المــاءُ والخَشَبَةَ » لأنك لم تُرِدْ(٧) استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ ، ولو أردتَ(٨) ذلك لم يكن إلا الرفعُ ، ولكنَّ التقديرَ : ساوى

(١) فى ج و س و د « أَبْكَيْتُ » وهو مخالف أيضاً لمراده وللشاهد الآتى .
(٢) الزيادة من ج و س و د .
(٣) فى ج « شَبَثَ » بالمنع من الصرف .
(٤) « السواجير » نهر مشهور من عمل مَنْبِجَ بالشأم ، كما فى معجم ياقوت .
(٥) فى ج « فقال » وفى س « وقال » .
(٦) فى ج و س و د « نَصَبْتَ » .
(٧) فى ج و س و د بعد « والخشبة » : « يافتى ! لأنه لم يرد » الخ .
(٨) فى ج و س و د « أراد » .

يا ليتَ زَوْجَكِ قد غدَا   مُتَقلّدًا سيفاً ورُمحًا[1]

والرمحُ لا يُتَقَلّدُ ، ولـكن[2] أدخلَه معَما[3] يُتَقَلّدُ ، فتقديرُه : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً ، ويكونُ تقديرُ الآيةِ : فأجْمِعُوا أمرَكم وأعِدُّوا شركاءَكم ، والمعنى يؤُولُ إلى أمرٍ واحدٍ . ومن ذلك قولُه :

* شَرّابُ أَلْبانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ *

فأمّا ماجاء من القرآن على هذا[4] خاصةً فقولُه جلّ وعزّ : ﴿واللهُ خَلَقَ كلّ دَابّةٍ مِن مّاء ، فمنهم مّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، ومنهم مّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، ومنهم مّن يَمْشِي على أرْبَعٍ﴾[5] فأدخل « مَنْ » هٰهنا ، لأن الناسَ مع هـذه الأشياء ، فجَرَتْ على لفظٍ واحدٍ ، ولا تكون « مَنْ » إلاّ لما[6] يعْقِلُ إذا أفْرَدتَها .

❊

وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يشكو إليه عُمّالَهُ :

إنّ الذين أمَرْتَهمْ أن يَعْدِلُوا   نَبَذُوا كِتابَكَ واسْتُحِلّ المَحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِيَ الأمانَةَ منهمُ   بَرٌّ ، وهيهاتَ الأبَرُّ المُسْلِمُ
طُلْسُ الثّيابِ على مَنابِرِ أرْضِنَا   كلٌّ بِنَقْصِ نَصيبِنا يتَكَلّمُ

(١) في ج « زوجك في الوَغَا » . وقال المرصفي : « يروية بعضهم : ورأيت بعلك في الوغى »
(٢) في ج و د « ولـكنه » .
(٣) هكذا رسمت في الأصول ، فحافظنا على رسمها .
(٤) في ج و د « هذه » .
(٥) سورة النور (٤٥) .
(٦) في ج و س « لمن » وبها طبعت طبعات مصر .

أنشدنيه الرِّيَاشِيُّ عن الأصمعي .

ونظيرُ هذا قولُ ابنِ همّامٍ السَّلُولىِّ :

إذا نَصَبوا للقولِ قالوا فأَحْسَنُوا ... ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالَفَهُ الفعلُ

وذمُّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعُونَهَا ... أفاويقَ حتى مايَدِرُّ لهـا ثُعْلُ[1]

وقد مَرَّ تفسيرُ هذا الشعر . و « الأطْلَسُ » الأَغْبَرُ ، وربَّما اشتدَّتْ غُبْرَتُهُ حتى يَخْفَى فى الغُبَارِ ، وإنما أراد بقوله « طُلْسُ الثيابِ » أنهم يُظْهِرُونَ تَقَشُّفًا ، ويكونُ[2] أن يكونَ جَعَلَهم بمنزلة الذئابِ ، وهو أحسنُ.

❁

ويُرْوَى : أن عمرَ بن الخطاب رحمه الله وَلَّى رجلاً بلدًا ، فوَفَدَ عليه ، فجاءهُ مُدَّهِنًا حسنَ الحالِ فى جسمه ، عليه بُرْدَانِ[3] ، فقال له عمرُ : أهكذا وَلَّيْنَاكَ ؟! ثم عَزَلَهُ ، وَدَفَع إليه غُنَيْمَاتٍ يرعاها ، ثم دَعَا[4] به بعدَ مُدَّةٍ ، فرآه باليًا أشْعَثَ فى ثوبينِ أَطْلَسَيْنِ ، وذُكِرَ عندَ عمرَ بخيرٍ ، فردَّه إلى عمله ، وقال : كُلُوا واشربوا وادَّهِنُوا ، فإنكم تعلَمُونَ الذى تُنْهَوْنَ عنه .

---

(١) « يرضعونها » مضبوطة فى الأصول بفتح الضاد . وقال المرصفى : « سلف أنه بكسر الضاد ، على مثال : ضرب يضرب ، لغة نجد ، وأن الأصمعى قال : أخبرنى عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذا البيت على هذه اللغة . وأفاويق جمع أفواق جمع فيق كعنب جمع فيقة ، وهى اسم للبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . والثعل ، بضم الثاء وفتحها مع سكون العين : خلف صغير زائد فى أخلاف الناقة وضرع الشاة والبقرة ، وإنما ذكر الثعل ، وهو لايدرّ : مبالغة فى الارتضاع » .

(٢) بحاشية ج مانصه « صوابه : «ويَجُوزُ» .

(٣) فى ج و س و د « بُرْدٌ » .

(٤) فى ج و س و د « دعاه » .

ويروَى عن الحسن أنه قال : اقْرُبُوا من هذه الأعوادِ[1] ، فإنهم إذا رَقُوهَا لُقِّنُوا[2] الحِكْمَةَ ، لتكون عليهم حجةً يومَ القيامةِ.

⁂

[3] وقال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز يَرْثِيه ، أنشدنيه الرِّيَاشيُّ :

قد غَيَّبَ الدافِنُونَ اللَّحْدَ إذْ دَفَنُوا ... بِدَيْرِ سَمْعانَ قُسْطَاسَ الموازِينِ[4]

مَن لَمْ يكن هَمُّهُ عيناً يُفَجِّرُها ... ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَرَاذِينِ

أقولُ لَمَّا أتانِي ثَمَّ مُهْلِكُهُ : ... لايَبْعَدَنَّ قِوَامُ المُلْكِ والدِّينِ

يقالُ « هذا قِوَامُ الأمرِ ومِلاكُهُ » لا غيرُ ، وتقولُ : « فلانٌ حَسَنُ القَوامِ » مفتوحٌ ، تُرِيدُ بذلك الشَّطَاطَ[5] ، لا يكونُ[6] إلاّ ذاكَ ، و « قِوَام[7] » إذا كان اسمًا لم تنقلب واوُه ياءً مِن أجل الكسرة ، لأنها متحركةٌ ، إلاّ أن يكونَ جمعًا قد كانت الواوُ فى واحدِهِ ساكنةً ، فتنقلبُ فى الجمع ، لأن حركتَها لعلةٍ ، تقولُ « سَوْطٌ وسِياطٌ » و « ثوبٌ وثِيابٌ » و « حَوْضٌ وحِياضٌ » فإن كانت الواوُ فى الواحد متحركةً[8] ثَبَتَتْ فى الجمعِ ، نحو « طويلٍ وطِوالٍ » وكذلك « فِعالٌ » إذا كانَ مصدراً صَحَّ ، إذا

---

(١) يعنى بالأعواد المنابر .

(٢) فى و ج د « لُقُّوا » .

(٣) هـ ا فى حاشية ا زيادة « باب » وعليها « صح » .

(٤) فى س « الدافنوك » . و « دير سمعان » دير بنواحى دمشق ، حوله قصور وبساتين ، و « سمعان » ضبطت فى الأصول بفتح السين . ويجوز أيضاً كسرها . و « قسطاس » ضبطت بضم القاف ، ويجوز أيضاً كسرها ، وهو ميزان العدل .

(٥) « الشطاط » بفتح الشين ، ويجوز أيضاً كسرها ، وهو حسن القوام وطوله ، أو اعتداله.

(٦) فى ج و س و د « لاتريد » .

(٧) هكذا فى الأصول ، ولعل الأصح « وفِعَالٌ » لأنه يريد الكلام على تصريف هذا الوزن .

(٨) فى س و هـ « فان كانت فى الواحد حركة » . وفى ج و د « فان كانت فى الواو حركة » .

صحّ فعلُه ، واعْتلّ إذا اعْتلّ فعلُه ، فما كان مصدراً لـ « فاعَلْتُ » فهو « فِعالٌ » صحيحٌ ، تقول[1] « قاوَلْتُه قِوَالاً » و « لاوَذْتُه لِوَاذاً » كقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً[2] ﴾ أى « مُلاوَذَةً » وإذا كان مصدرَ « فَعَلْتُ » اعْتلّ ، لاعتلالِ الفعلِ ، فقلتَ « قمتُ قياماً » و « نِمتُ نِياماً[3] » و « لُذْتُ لِياذاً » و « عُذْتُ عِياذاً » .

☼

وقال عُوَيْفُ القَوافِي شعراً ، يَرْثِي سليمانَ بن عبد الملك ، ويذكر عمرَ بن عبد العزيز ، هذا ما اخترنا منه :

لاحَ سحابٌ فرأينا بَرْقَهُ ... ثم تَدانَى فسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحتِ الرِّيحُ تُزَجِّي بُلْقَهُ ... ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقاً فرَوَّى وَدْقَهُ ... قبرَ امْرِئٍ أعظَمَ ربِّى حَقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ ... وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ
فى العالَمِينَ جِلَّهُ ودِقَّهُ ... لَمَّا ابتلَى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادتِ النفسُ تُساوِى حَلْقَهُ ... ألْقَى إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخَيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ... سُمِّيتَ بالفاروقِ فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رَزْقَهُ ... واقْصِدْ إلى الخيرِ ولا تَوَقَّهُ[4]

(١) فى ع و س و د و هـ « فهو فِعالٌ نحْوُ » ، وبذلك طبعت طبعات مصر ولكن بزيادة كلمة « صحيح » .
(٢) سورة النور (٦٣) .
(٣) « نيام » بوزن « كتاب » كما يكون جمع « نائم » يكون مصدراً .
(٤) « رزقه » بفتح الراء ، وفى ا بكسرها .

بحرُكَ عذبُ الماء ما أعقَّهُ ربُّكَ ، والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقالُ « لَاحَ البرقُ » إذا بَدَا ، و « ألاحَ » إذا تَلألأ ، وهذا البيت يُنْشَدُ * مَنْ هاجَهُ الليلةَ بَرقٌ ألاحْ * ويقالُ « شَرَقَتِ الشمسُ » إذا بَدَتْ ، و « أشْرَقَت » إذا أضاءتْ وصَفَتْ .

ويقالُ « صاعِقَةٌ » و « صاقِعَةٌ » وبنو تَميمٍ تقولُ[١] « صاقِعةٌ » و « الصَّعْقُ » شِدَّةُ الرَّعْدِ ، ويُعْنَى [به][٢] في أكثرِ ذلك : ما يَعْتَرِي مَنْ يَسمعُ صوتَ الصاعقةِ .

وقوله « تُزَجِّي » يقول : تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ .

و « الأَبْلَقُ » من السحاب : ما فيه سوادٌ وبياضٌ ، وفي الخيلِ : كلُّ لونٍ يخالطُه بياضٌ فهو « بَلَقٌ »[٣] .

و « الأَوْرَقُ » الذي بين الخُضْرةِ والسَّوادِ ، وهو ألأَمُ ألوانِ الإبلِ ، ويقال : إن لحم البعيرِ الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمانِ الإبلِ .

و « الوَدْقُ » المطرُ ، يقال « وَدَقَتِ السماءُ يافتى تَدِقُ وَدْقًا » قال الله جل وعزّ : ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾[٤] وقال عامرُ بن جُوَيْنٍ الطائيُّ :

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ولا أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقالَهَا

---

(١) في ج و س و د هـ « يقولون » .

(٢) الزيادة من ج و س و هـ .

(٣) قال المرصفي : « هذا مما تفرد به أبو العباس ، والمعروف عند أهل اللغة أجمع : أن البلق في الدابة سواد وبياض كالبلقة » .

(٤) سورة النور (٤٣) وسورة الروم (٤٨) .

وأصلُ «العَقّ» القَطعُ فى هذا الموضع ، ولِـ «ـلْعَقّ» مواضعُ كثيرةٌ ، يقالُ « عَقّ والديه يعُقُّهما » إذا قطعهما ، و « عَقَقْتُ عن الصبىّ » مِنْ هذا[1] ، وقالو : بل هو من « العَقِيقَةِ » وهى[2] الشَّعَرُ الذى يُولَدُ الصبىُّ به ، يقال : « فلان بعَقيقتِهِ » إذا كان بشَعَرِ الصِّبا لم يَحْلِقْه[3] ، ويقال « سيفٌ كأنّهُ عقيقةٌ »[4] أى كأنه لَمْعةُ بَرْقٍ ، [و][5] يقال « رأيتُ عَقِيقَةَ البَرْقِ » يافتى ! أى اللَّمْعَةَ منه فى السحاب ، ويقال « فلانٌ عُقَّتْ تَمِيمَتُهُ ببلدِ كذا » أى قُطِعَتْ عنه فى ذلك الموضع ، قال الشاعرُ :

ألم تَعلَمِى يادارَ بَلْجَاءَ أنّنِى ... إذا أَخْصَبَتْ أوكانَ جَدْبًا جَنَابُها[6]

أَحَبُّ بلادِ اللهِ مابين مُشْرِفٍ ... إلىّ وسَلْمَى أن يَصُوبَ سَحَابُها[7]

بلادٌ بها عَقّ الشَّبابُ تَمِيمَتِى ... وأوّلُ أرضٍ مَسّ جلدِى تُرابُها

وقولُه « وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ » يقال « بَقّ » فلانٌ فى الناس خيرًا

---

(١) يريد : ذبحت عنه يوم السابع من ولادته شاة أو شاتين ، وتسمى الذبيحة أيضاً « عقيقة » .

(٢) فى ج و س و هـ « وهو » .

(٣) قال المرصفى : « فيكون معناه : حلقت شعره يوم السابع فقطعته ، فجعلوا الشعر أصلا ، والشاة المذبوحة مشتقة منه ، يريدون أنها سميت باسم غيرها ، إذا كانت معه أو مسببة عنه ، وذلك أنها تذبح عند حلق الشعر » .

(٤) فى ج و د « كأنهُ عَقِيقَةُ بَرْقٍ » .

(٥) الزيادة من ج و د و هـ .

(٦) « بلجاء » من «البلج» بفتح اللام ، وهو تباعد مابين الحاجبين . و « جنابها » ماحولها ، قاله المرصفى .

(٧) « مشرف » بضم الميم وكسر الراء وآخره فاء ، موضع بالدهناء ، وفى س وحاشية ج « مُشْرِق » بالقاف بدل الفاء ، وقد جاء بالقاف فى صفة جزيرة العرب (ص ١٨١ س ٣) ولكن من غير ضبط ، وذكر فى «ديار تميم» التى منها الدهناء .

كثيراً ، و « بَقَّ » ولداً كثيراً ، و « أبقّ » كلامًا كثيراً[١] .

وقوله « أُلقِيَ إلى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ » فهذا مثلٌ ، يريد : قَلَّدَهُ أمره ، و «الوَسْقُ» الحِمْلُ .

وقوله « المُلَقَّى وَفْقَهُ » يقال « لُقِّيَ فلانٌ خيراً » أى جُعِلَ يَلْقاهُ ، و « الوَسْقُ » من الكيلِ . مقدارُ خمسة أقْفِزةٍ بقَفِيزِ البصرةِ ، وهو قفيزانِ ونصفٌ بقفيزِ مدينةِ السَّلامِ[٢] . وقولُه « ليس فى أقلَّ من خمسةِ أوْسُقٍ صَدَقَةٌ »[٣] إنَّما مبلغُ ذلك خمسةٌ وعشرون قفيزًا بقفيزِ البَصْرِىّ[٤] .

و « الوَفقُ » التوفيقُ .

وقوله « سُمِّيتَ بالفاروقِ » فتأويلُ « الفاروقِ » هو الذى يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطلِ ، وكذلك قال المفسرون فى «الفُرْقانِ» وقد أبانَ ذلك بقوله : « فافْرُقْ فَرْقَهُ » .

وقولُه « وارْزُقْ عِيالَ المسلمينَ رَزْقَهُ[٥] » يقال « رَزَقَه يَرْزُقُه رَزْقًا » والاسمُ « الرِّزْقُ » .

وقولُه « بَحْرُكَ عَذْبُ الماءِ ما أعَقَّهُ » مقلوبٌ ، إنما هو « ما أقَعَّهُ »

---

(١) كلها بمعنى لمره وأرسله وأكثر منه ، ومنه « رجل بَقْباقٌ » كثير الكلام ، أخطأ أم أصاب .

(٢) فى د وحاشية ج « خمسة أقفزة بقفيز مدينة النبىّ عليه السلام » .

(٣) هذا حديث صحيح لفظه : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » . رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعا .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إنما يَبْلُغُ ذلك خمسةً وعشرين قفيزاً بقفيزِ البَصْرَةِ » .

(٥) فى ا « رِزْقَهُ » .

رَبُّكَ» . يقال «ماءٌ قُعَاعٌ» و «ماءٌ حُرَاقٌ» فـ«القُعَاعُ» الشديدُ الملوحةِ ، يقولُ : ما أَمْلَحَهُ ربُّك ، و «الحُرَاقُ» الذي يُحْرِقُ كلَّ شيءٍ بمُلوحَتِه ، والماءُ العذبُ يقالُ له «النُّقَاخُ» وما دونَ ذلك شيئًا يقالُ له «المَسُوسُ» أنشد أبو عُبيدةَ :

لو كُنْتَ ماءً كنتَ لا   عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا

يقالُ «ماءٌ عذبٌ» و «ماءٌ فُراتٌ» وهو أعْذَبُ العَذْبِ ، ويقال «ماءٌ مِلْحٌ» ولا يقالُ «مَالِحٌ» و «سَمَكٌ مَمْلُوحٌ ومَلِيحٌ» ولا يقالُ «مالِحٌ[1]» وأشدُّ الماء ملوحةً «الأُجَاجُ» قال الفرزدقُ :

ولو أَسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفًّى   بماءِ النِّيلِ أو ماءِ الفُرَاتِ

لقالوا إنه مِلْحٌ أُجَاجٌ   أَرَادَ به لنَا إِحْدَى الهَنَاتِ

وقولُه «ذالشَّ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقَهُ» يقالُ فيه قولانِ : أحدُهما : فَرَوَّى الغَيْمُ وَدْقَهُ هذا القبرَ ، يريدُ : مِنْ وَدْقِهِ ، فلمّا حَذَفَ حرفَ الجرِّ

---

(١) هكذا قال أبو العباس ، وكذلك قال الجوهرى : «لايقال ماء مالح» وكذلك قال يونس : «لم أسمع أحداً من العرب يقول ماء مالح» وقال الشريف الرضى رحمه الله فى كتاب (حقائق التأويل فى متشابه التنزيل) عند ما أراد أن ينقد على الامام المطلبي الشافعى معرفته باللغة ، قال : «وقال أيضا فى بعض كتبه : ماء مالح ، وهذا لم يقله أحد قط» ! ولفظ «مالح» نقله المزنى عن الشافعى فى أول باب الطهارة من مختصره المطبوع بحاشية الأم ، والصواب أنها لغة صحيحة معروفة وإن كانت قليلة ، والشافعى لغته حجة ، وتؤخذ عنه اللغة ، ولا تؤخذ عليه ، وفى لسان العرب : «وحكى ابن الأعرابى : ماء مالح كملح ؛ وإذا وصفت الشىء بما فيه من الملوحة قلت : سمك مالح وبقلة مالحة» . ونقل عن أبى منصور الأزهرى قال : «هذا وإن وجد فى كلام العرب قليلا لغة لاتنكر» وعن ابن برى قال : «قد جاء المالح فى أشعار الفصحاء» ثم ذكر شواهد لذلك .

عَمِلَ الفِعلُ [فيه](١) ، والآخَرُ كقولك(٢) : « رَوَّيْتُ زيداً ماءً(٣) » [و « أَرْوَيْتُ »(٤)] ، و « رَوَّى » أكثرُ من « أرْوَى(٥) » لأن « رَوَّى »(٦) لايكونُ إلاَّ مَرَّةً بعدَ مرَّةٍ . يقولُ « فروَّى اللهُ وَدْقَهُ » أى جعَله [اللهُ](٧) رَوَاءً ، فأضمرَ [الفاعِلَ](١) لعلمِ المخاطَبِ ، لأنَّ قوله « لاَحَ سحابٌ » إنما معناه : أَلاَحَهُ الله ، فالفاعلُ كالمذكورِ ، لأنّ المعنَى عليه ، ونظيره قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوارَتْ بالحِجَابِ ﴾(٨). ولم يَذكرِ الشمسَ ، وكذلك: ﴿ما تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾(٩). ولم يَذكرِ الأرضَ . وقال قومٌ « وَدْقَهُ » يريد وَدْقةً واحدةً ، وهذا رَدِىءٌ فى المعنَى ، ليس بمُبَالِغٍ(١٠) .

٭

قال ابنُ المَوْصِلِىِّ(١١) :

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « والآخر أنه يقال » .

(٣) فى ج « لبناً » بدل « ماء » .

(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٥) فى ج و س و د « وَرَوَّيتُ أكثرُ من أَرْوَيْتُ » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « رَوَّيْتُ » .

(٧) الزيادة من ج .

(٨) سورة ص (٣٢) .

(٩) سورة فاطر (٤٥) .

(١٠) قال المرصفى : « بل هو فاسد ، إذ لايقال ضربت ضرباً ، يريد ضربة واحدة » .

(١١) هو إسحق بن إبرهيم الموصلى ، العالم الشاعر الأديب المغنى .

هذا نكرةٌ فنصْبُه على وجهين : على المصدرِ ، وتقديرُه : يَصْرِفُ صريفاً مثلَ صريفِ جَمَلٍ ، وإن شئتَ جعلتَه حالاً ، وتقديره: يُخْرِجُه فى هذه الحالِ، وما كان معرفةً لم يكن حالاً ولكن على المصدرِ ، فإن كان الأولُ فى غيرِ معنى الفعلِ لم يكن النصبُ أَلْبتَّةَ ، ولم يصلُح[١] إلاَّ الرفعُ على البدلِ، تقول « له رأسٌ رأسُ ثورٍ، و« له كَفٌّ كفُّ أسدٍ» فالمرتفعُ الثانى إذا كان نكرةً كان بدلاً أو نعتاً ، وإذا كان معرفةً كان بدلاً ولم يكن نعتاً ، لأن النكرةَ لا تُنْعَتُ بالمعرفة ، وكذلك إذا كان الأولُ ابتداءً لم يَجُزْ إلاَّ الرفعُ ، لأن الكلامَ غيرُ مُسْتَغْنٍ ، وإنما يجوزُ الإضمارُ بعد الاستغناء ، تقول « صوتُه صوتُ الحمارِ[٢]» و« غِنَاؤُه غِناءُ المُجيدِينَ » ، وكذلك إن خَبَّرْتَ بأمرٍ مُسْتَقِرٍ[٣] فيه اخْتِيرَ الرَّفع ، تقول « له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء » و « له رأىٌ رأىُ القضاة » لأنك إنما تمدحُه بأن هذا قد استقرّ له ، وليس الأَبْلغُ فى مدحه أن تُخبرَ بأنك رأيتَه فى حالِ تَعَلُّمٍ[٤] ، ويجوزُ النصبُ على أنك رأيتَه

* مَقْذُوفَةٍ بدَخِيس النَّحْضِ بَازِلُهَا *

قال المرصفى : « يصف ناقته بالقوة والنشاط . و [مقذوفة] مرمية باللحم . . . و [النحض] اللحم . و [دخيسه] مكتنزه . . . وأراد [بازلها] نابها الذى شق اللحم فطلع ، وإنما يكون ذلك فى السنة التاسعة ، وربما يكون فى الثامنة . و [صريفه] صوته إذا حكت بعض أنيابها ببعض . و [القعو] ماتدور فيه البكرة إن كان من خشب . . . و [المسد] الحبل المحكم الفتل » .

(١) فى د « ولم يكن » .

(٢) فى ج « حمار » .

(٣) فى ج « مُسْتَقَرٍ » .

(٤) فى د « حالِ يَتَعَلَّمُ » .

فى حالِ تَعَلُّمٍ[1] فاستدللتَ بذلك على علمه، فهذا يَصْلُحُ، والأجودُ الرفعُ. فإذا قلتَ «له صوتٌ صوتَ حمارٍ» فإنما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ، فهذا سوى ذلك المعنى.

ومِمّا يُختارُ فيه الرفعُ قولك «عليه نَوْحٌ نَوْحُ الحَمامِ[2]» وإنما اختير الرفعُ لأنّ الهاء فى «عليه» اسمُ المفعولِ له، والهاء فى «له» اسمُ الفاعلِ، ويجوز النصبُ على أنك إذا قلتَ «عليه نَوْحٌ» دَلَّ النَّوْحُ على أن معه نائحًا، فكأنك قلتَ: يَنُوحون نَوْحَ الحمامِ، فهذا تفسيرُ جميعِ هذه الأبوابِ.

*

وقال ابنُ الخيّاط المَدِينىُّ، يعنى مالكَ بنَ أنسٍ [الفقيهَ][3]:

يَأبَى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً ... والسائلون نَوَاكِسُ الأذقانِ

هَدْىُ التَّقِىِّ وعِزُّ سُلْطانِ التُّقَى ... فهو العزيزُ وليس ذا سُلْطانِ

أراد: له هدىُ التَّقِىِّ، أو: معه هدىُ التَّقِىِّ.

---

(١) فى ج و د و هـ «حالِ يَتَعَلَّمُ».

(٢) فى ج و د «الحمامة».

(٣) الزيادة من د.

باب

قال أبو العباس : نَذْكُرُ فى هذا الباب من كل شىء شيئًا ، ليكونَ فيه استراحةٌ للقارئ ، وانتقالٌ ينفى المَلَلَ ، لحُسْنِ[1] مَوْقِعِ الاستطرافِ ، ونخلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشَىْء يسيرٍ من الهَزْلِ ، ليستريحَ إليه القلبُ ، وتَسْكُنَ إليه النفسُ.

قال أبو الدَّرْداء رحمه الله : إنى لأَسْتَجِمُّ نفسى[2] بالشىء[3] من الباطلِ[4] ليكونَ أقوَى لها على الحقّ .

وقال علىُّ بن أبى طالبٍ رحمه الله : القَلْبُ إذا أُكْرِهَ عَمِىَ .

وقال [عبدُ الله[5]] بنُ مسعودٍ رحمه الله : القلوبُ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ ، فابتغوا لها طَرائفَ الحِكْمةِ .

وقال ابنُ عباسٍ رضى الله عنه : العِلْمُ أكثرُ من أنْ [يُحْصَى و][6] يُؤْتَى على آخِرِه ، فَخُذْ[7] من كل شَىْء أحْسَنَهُ .

وليس هذا الحديثُ من البابِ الذى ذكرنا ، ولكن نذكر الشىءَ بالشىء ، إمَّا لاجتماعهما فى لفظٍ ، وإمَّا لاشتراكهما فى معنًى .

---

(١) فى ج و س « بحسن » .

(٢) يعنى : أريح نفسى ، وأصله من « جَمَّتِ البئرُ » إذا كثر ماؤها واجتمع ، ثم قالوا : « استجم الفرس والبئر » أى : جمّ .

(٣) فى ج « بشىء » .

(٤) فى بعض الروايات الأخرى « من اللهو » والمراد على كل الروايتين اللهو المباح شرعاً .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) فى ج و س و د و هـ « فخذوا » .

وقال الحسنُ ـ وليس من هذا البابِ ـ : حادِثُوا هذه القلوبَ ، فإنها سَرِيعةُ الدُّثُورِ ، واقْدَعُوا هذه الأنْفُسَ(١)، فإنها طُلَعَةٌ ، وإنكم إلاَّ تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم إلى شَرِّ غايةٍ . وقد مَضَى تفسيرُ هذا الكلامِ(٢).

وقال أَرْدَشِيرُ(٣) بن بَابَكَ : إن لِلآذَانِ مَجَّةً ، وللقلوبِ مَلَلاً ، فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يَكُنْ ذلك اسْتِجْمامًا .

وكان أَنُوشَرْوانُ يقول : القلوبُ تحتاجُ إلى أقواتِها من الحِكْمةِ ، كاحتياجِ الأبدانِ إلى أقواتِها من الغِذاء .

ويُرْوَى أنه أُصِيبَ في حِكْمةِ آلِ داوودَ(٤) : لا ينبغى للعاقل أنْ يُخْلِيَ نفسَه من واحدةٍ من أربعٍ : من غُدُوٍّ لِمَادٍ(٥)، أو إصلاحٍ(٦) لمَعاشٍ ، أو فِكْرٍ

---

(١) فى ع « النفوس » .

(٢) مضى فى (ص ١٨٠) . وقال صاحب اللسان فى مادة (ح د ث) : « معناه : اجلوها بالمواعظ ، واغسلوا الدَّرن عنها ، وشوقوها حتى تنفوا عنها الطبع والصدأ الذى تراكب عليها من الذنوب ، وتعاهدوها بذلك ، كما يحادث السيف بالصقال » وقال فى مادة (د ث ر) « قال أبو عبيد : سريعة الدثور ، يعنى : دروس ذكر الله وامحاءه منها ، يقول : اجلوها واغسلوا الرين والطبع الذى علاها ، بذكر الله » . وقوله « اقدعوا » أى كفوا ، و « القَدْعُ » الكفُّ والمنع . وقوله « طُلَعَة » أى كثيرة التطلع والتشوف إلى ماليس لها .

(٣) فى ع و س و د و هـ « أزدشير » بالزاى .

(٤) هكذا رسم اسمه فى طبعة أوربة نقلا عن النسخ المخطوطة بالهمز ، والذى نص عليه فى كتب اللغة أنه لا يهمز ، فحافظنا على الرسم الثابت فى الأصول ، ليري أهل العلم رأيهم فى صحته أو خطئه .

(٥) فى ع و س و د و هـ « من عُدَّةٍ » .

(٦) فى ع « صَلاح » .

يَقِفُ به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسدُه ، أو لَذَّةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالاتِ الثلاثِ .

*

وقال عبدُ الملك بن عمرَ بن عبد العزيز[1] لأبيه يومًا : يا أَبَةِ[2] ! إنك تنامُ نومَ القائلةِ ، وذو الحاجة على بابكَ غيرُ نائمٍ[3] ؟ فقال له : يا بُنَيَّ ! إنَّ نفسي مَطِيَّتي ، فإن حَمَلْتُ عليها في التَّعَبِ حَسَرْتُها .

تأويلُ قوله « حَسَرْتُها » : بَلَغْتُ بها أقصى غايةِ الإعياء ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿ينقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ[4]﴾ . وأنشدَ أبو عُبيدةَ :

إنّ العَسِيرَ بها داءٌ مُخامِرُها ... فَشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[5]

قوله « فَشَطْرَها » يريد : قَصْدَها ونحوَها ، قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرَامِ﴾[6] [و][7] قال الشاعر[8] :

لَهُنَّ الوَجَاِ لم كُنَّ عَوْنًا على النَّوَى ... ولا زالَ منها ظالِعٌ وحَسِيرُ[9]

يعني الإبلَ ، يقول : هي المُفَرِّقَةُ ؛ كما قال الآخرُ :

(١) كان عبد الملك هذا من الصالحين المصلحين ، وكان من أعوان أبيه على الخير ، ومات في حياة أبيه ، فشق عليه ، إذ كان من أحب الناس إليه ، وانظر بعض الكلام عن موته في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص ١١٦ — ١١٧ و١٢٣) .

(٢) هكذا رسمت في الأصول ، ورسمت في د « أبت » .

(٣) في هـ « وذووالحاجات على بابك غير نيام » .

(٤) سورة الملك (٤) .

(٥) سبق هذا البيت في (ص ١٦٥) من هذه الطبعة ، وشرحه أبو العباس هناك . وقد حققنا اختلاف رواياته ومعناه في شرحنا على (كتاب الرسالة للشافعي رقم ١٠٩ ص ٣٥ — ٣٧) .

(٦) سورة البقرة (١٤٤ و ١٤٩ و ١٥٠) .

(٧) الزيادة من ج و س و د .

(٨) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، كما قال المرصفي .

(٩) « الوجا » بفتح الواو والجيم : هوالحفا ، أوشدته ، وهوأن يشتكي البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . و « ظالع » من « ظلع يظلع » بوزن « منع يمنع » أي غمز في مشيه ، يكون في الإنسان والدابة .

ما فَرَّقَ الأُلاَّفَ بَعْـــدَ اللهِ إلاَّ الإِبِلُ

ولا إذا صاحَ غُرَا   بٌ فى الديار احْتَمَلُوا

وما غُرابُ البَيْنِ إلاَّ ناقـــةٌ أو جَمَلُ

[قال أبو الحسن: وزادنِى فيه غيرُ أبى العباسِ:

والناسُ يَلْحَوْنَ غُرا   بَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

والبائِسُ المسكينُ مَا   يُطْوَى عليه الرَّحَلُ(١)

ويقالُ: إنه لأَبِى الشِّيصِ(٢)].

(٣)فمَنْ قال «آلِفٌ» للواحد قال للجميع(٤) «أُلاَّفٌ» كـ«عامِلٍ وعُمَّالٍ» و«شاربٍ وشُرَّابٍ» و«جاهــــلٍ وجُهَّالٍ». ومن قال [للواحدِ](٥) «إلْفٌ» قال للجميع «آلاَفٌ» وتقديرُه «عِدْلٌ وأَعْدالٌ» و«حِمْلٌ وأَحْمَالٌ» و«ثِقْلٌ وأثقالٌ».

وقد أنصفَ الإبلَ الذى يقولُ:

أَلاَ فَرَعَى اللهُ الرَّوَاحِلَ إنمـا   مَطَايَا قلوبِ العاشقِينَ الرَّواحِلُ

---

(١) «الرحل» جمع «رحلة» وهى اسم للارتحال. وفى بعض النسخ:

وما عَلَى ظَهْرِ غراب الـــبَيْنِ تُمْطَى الرَّحَلُ

وفى بعضها «تُطْوَى» بدل «تمطى» وما ندرى هل هــذا البيت زيادة فى الرواية أو بدل من البيت الأخير! وهو الظاهر الراجح.

(٢) هذه الزيادة من كلام أبى الحسن الأخفش، كما هو واضح، وهى ثابتة فى بعض النسخ دون بعضها. و«أبو الشيص» هو محمد بن رزين — بفتح الراء وكسر الزاى — بن سليمان بن تميم بن نهشل الخزاعى، وهو عمّ دعبل بن على بن رزين، وكلاهما من شعراء الدولة العباسية.

(٣) هنا فى طبعات مصر زيادة «قال أبو العباس» وليست فى الأصول.

(٤) فى ﻫ «للجمع». وفى ج و د «قال آلاف للجميع».

(٥) الزيادة من ج و س و د ﻫ.

عَلَى أَنَّهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى　　　إذا ما نَأَى بالآلِفِينَ التَّوَاصُلُ

وقال الآخر[1] :

أقولُ والهَوْجَاءُ تَمْشِي والفُضُلْ :　　　قَطَّعَتِ الأَحْداجُ أعناقَ الإبلْ[2]

« الهَوْجاءُ » التي تُجِدُّ في السَّيْرِ وتَرْكَبُ[3] رأسَها ، كأنّ بها هَوَجًا ، كما قال :

* لِلّهِ دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوجِ *

وكما قال الأعشى :

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ　　　إذا خِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقةِ أَصْيَدَا[4]

---

(١) في ج « وآخر » .

(٢) قال الشيخ المرصفي : « كأن أبا العباس لم يدر سبب هذا الرجز ولا روايته الحقة ، فغير وحرّف وبدّل ، وأسقط شطراً يتوقف عليه تفسيره كلمة [الفضل] . وقد رواه الصغاني في تكملته وذكر سببه ، قال : قال أبو سعيد : يقال لأقطعنّ عنق دابتي ، أي لأبيعنها ، وأنشد لأعرابي تزوج امرأة وساق إليها مهرها إبلا :

أقولُ والعَيْسَاءُ تَمْشِي والفُضُلْ　　　في جِلَّةٍ منها عَرَامِيسُ عُطُلْ :

* قَطَعْتُ بالأَحْرَاحِ أعناقَ الإبلْ *

والعيساء : الناقة البيضاء مع شقرة يسيرة ، والذكر : أعيس ، والجمع : عيس . وجلة الإبل — بكسر الجيم — : مسانها ، جمع جليل ، مثل : صبيّ وصبية . وعراميس : جمع عرمس — بكسر العين والميم — وهى النوق الصلاب . وعطل — بضمتين — يقع على الواحد والجميع : التي لا قلائد عليها ولا أرسان لها . وقطعت مخفف الطاء مسنداً إلى تاء المتكلم ، والباء في قوله بالأحراح : داخلة على الثمن ، يريد : بعت أعناق الإبل بالأحراح » .

(٣) في ج و س و د و هـ « فتركب » .

(٤) قال المرصفي : « ليس في بيته : هوجاء ، ولكن فيه : عجرفية ، وهى أخت الهوج ، وهى التي لاتقصد في السير من نشاطها . وقال الجوهري : جمل فيه تعجرف وعجرفة وعجرفية — : كأن فيه خرقا وقلة مبالاة لسرعته . و : هجرت : سارت وقت الهاجرة . و : إذا خلت : بدل من قوله : إذا ماهجرت . . . و : الوديقة : شدة الحرّ ، و : الأصيد : الذي لايستطيع أن يلتفت برأسه . يقول : إذا خلت الحرباء لاتستطيع أن تدور مع الشمس ، وذلك حين الاستواء » .

و « والفُضُلُ » مِشْيةٌ فيها اختيالٌ ، كأَنَّ مِشْيَتَها تخرُجُ عن خِطامِها فتتفضَّلُ عليه ، والأصلُ فى ذلك : أن يمشىَ الرجلُ وقد أفْضَلَ مِن إزارِه ، وتمشىَ المرأةُ وقد أفْضَلَتْ من ذَيْلِها ، وَإنما يفعلُ ذلك من الخُيَلاء ، ولذلك جاء فى الحديثِ : « فَضْلُ الإزارِ فى النارِ »[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى تَميمةَ الهُجَيْمِىِّ[2] « وإيَّاكَ والمَخِيلَةَ ، فقال : يارسولَ الله ! نحنُ قومٌ عَرَبٌ ، فما المَخيلةُ ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : سَبَلُ الإزارِ »[3]

وقال الشاعرُ : [ويقال : أنه لقَيْسِ بن الخَطِيمِ][4] :

ولا يُنْسِيِنىَ الحَدَثانُ عِرْضِى ... ولا أُرْخِى من المَرَحِ الإزارَا

وقال أبو قيسِ بن الأَسْلَتِ الأنصارىُّ :

تَمْشِى الهُوَيْنَا إذا مَشَتْ فُضُلاً ... كأنَّها عُودُ بانَةٍ قَصِفُ[5]

---

(١) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار » . رواه البخارى والنسائى ، وفى المعنى أحاديث كثيرة ، انظر الترغيب والترهيب (ج ٣ ص ٩٧ — ١٠٠) .

(٢) « الهجيمى » بضم الهاء وفتح الجيم ، نسبة إلى « الهجيم بن عمرو بن تميم » . وأبو تميمة الهجيمى اختلف فى صحبته ، فبعضهم جعله من الصحابة ، وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع منه ، كما جاء ذلك فى بعض الأسانيد ، وبعضهم — كابن عبد البر — زعم أن أبا تميمة هو طريف — بفتح الطاء المهملة — بن مجالد ، وهو تابعى من غير خلاف . والظاهر عندى أن أبا تميمة الهجيمى اثنان ، أحدهما طريف بن مجالد التابعى ، والآخر صحابى لم يعرف اسمه .
والحديث الذى ذكره أبو العباس هنا لم أجده بهذا اللفظ ، ولكن رواه بمعناه الدولابى فى الكنى والأسماء (ج ١ ص ٢٠) وانظر الكلام على أبى تميمة فى الاستيعاب لابن عبد البر (ج ٢ ص ٦٤٩) وأسد الغابة (ج ٥ ص ١٥٢ — ١٥٣) .

(٣) « المخيلة » الكبر والعجب والخيلاء ، و « السبل » بفتح الباء الموحدة : اسم من إسبال الثوب ، أو هو الثوب المسبل .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

(٥) فى ج و د « إذا مَشَتْ قُطُفَا » وفى س و هـ «قطعا» وفى ج و س و د =

[قال أبو الحسن عليُّ بن سليمانَ : ما نعرفُ هذا البيتَ إلاّ لقيسِ بن الخطيم الأنصاريِّ ، أعنى « تمشِى الهوينا »][1] .

[قال أبو العباس[2]] : وقال الوَليدُ بن يزيدَ :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفتخِرًا أُنعِمُ بَالِى وأَتْبعُ الغزَلاَ[3]
أُنقِلُ رِجْلِى إلى مَجالِسِها ولا أُبالِى مقالَ مَنْ عَذَلاَ
غرّاء فرعاء يُستضاء بها تمشى الهُوَيْنا إذا مشَتْ فُضُلاَ

⁂

ثم نعود إلى الباب ، قال الراجزُ يعنى إبلَهُ أوناقَتَه[4] :

إنَّ لها لَسَائِقًا خَدَلَّجَا لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أدْلَجَا

« الخَدَلَّجُ » المُدْمَجُ السَّاقَيْنِ ، وإنما عَنَى المرأةَ التى ساقه حُبُّه إليها .

والكلامُ يجرِى على ضروبٍ : فمنه ما يكونُ فى الأصل لنفسِهِ ، ومنه ما يُكنَى عنه بغيره ، ومنه ما يقعُ مَثَلاً ، فيكونُ أبلَغَ فى الوصفِ .

والكنايةُ تقعُ على ثلاثةِ أضْرُبٍ :

أحدها : التَّعْمِيَةُ والتغْطِيَةُ ، كقول النابغةِ الجَعْدىّ :

أَكْنِى بغيرِ اسمِها وقد عَلِمَ اللهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ[5]

= و هـ « كأنّها خُوطُ بانةٍ » . و « قصف » بكسر الصاد ، من « قَصِفَ العودُ » بوزن « طرب » « فهو قَصِفٌ » إذا كان خواراً ضعيفاً لاشدة فيه ، قاله المرصفى .

(١) فى بعض النسخ « قال أبو الحسن : هذا وَهْمٌ من أبى العباس ، ماتُرْوَى إلا لقيس بن الخطيم » .

(٢) الزيادة من بعض النسخ التى قوبل عليها الكتاب بعد الطبع .

(٣) فى هـ « معتجراً » بدل « مفتخراً » .

(٤) فى ج و س و هـ و د « يعنى إبلاً أو نوقًا » .

(٥) فى د « مُكْتَتِمِ » .

وقال ذو الرُّمّةِ استِرَاحةً إلى التصريح من الكناية :

أُحِبُّ المكانَ القفْرَ من أجْلِ أنّني به أتغَنّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وقال أحدُ القرشيين ، [هو محمدُ بن نُمَيْرٍ الثقفيُّ] :

وقد أرسَلَتْ فى السِّرِّ أنْ قد فضَحْتنِي وقد بُحْتَ باسمي فى النَّسِيبِ وما تَكْنِي[١]

ويُرْوَى : أن عمرَ بن عبدالله بن أبى ربيعةَ قال شعراً وكتب به[٢] بحضرةِ ابنِ أبى عَتِيقٍ إلى امرأةٍ مُحْرِمَةٍ[٣]، وهو :

أَلِمَّا بِذَاتِ الخالِ فاسْتَطْلِعَا لنَا على العَهْدِ بَاقٍ وُدُّها أمْ تَصَرَّما؟[٤]

وقُولاَ لَهَا : إنَّ النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ بِنَا وبِكُمْ قد خِفْتُ أنْ تَتيَمَّمَا

قال : فقال له ابنُ أبى عتيقٍ : ما ذا تُريدُ إلى امرأةٍ مسلمةٍ مُحْرِمَةٍ[٥] تكتُبُ إليها بمثل هذا الشعرَ ؟! قال : فلما كان بعد مُدَيْدَةٍ قال له ابنُ أبى ربيعةَ : أمَا علمتَ[٦] أنَّ الجوابَ جاءنا[٧] من عندِ ذاكَ الإنسانِ ؟ فقال له : ما هو ؟ فقال : كتَبَتْ :

---

(١) فى ا « وقد نُحْتَ » .

(٢) فى د و هـ « وكتبه » .

(٣) فى ج « مُحَرَّمَةٍ » .

(٤) فى س « باقٍ وُدُّها » . ويجوز عندى أيضاً على سائر النسخ « باقِ وُدُّها » على لغة من يجيز إثبات ياء الاسم المنقوص ، بل هو أحسن فى المعنى لأنه يريد السؤال عن ودها : أهو باقٍ أم تصرم وانقطع ؟ وحذف همزة الاستفهام من « بقى » لدلالة السياق عليها ، ولقرينة قوله « فاستطلعا لنا » .

(٥) ج « مُحَرَّمَةٍ » وبحاشيتها « مُحْرِمَةٍ » .

(٦) فى ج و د « أعَلِمْتَ » وفى س « علمت » بحذف حرف الاستفهام .

(٧) فى ج و د و هـ « جاء » وفى س « قد جاء » .

أَضْحَى قَرِيضُكَ بالهَوَى نَمَّامَا فاقْصِدْ هُدِيتَ وكُنْ له كَتَّامَا
واعْلَمْ بأَنَّ الخالَ حين ذَكَرْتَهُ قَعَدَ العَدُوُّ به عليكَ وقَامَا

ويكونُ من الكنايةِ — وذاكَ أحسنُها[1] — : الرغبةُ عن اللفظِ الخسيسِ المُفحِشِ إلى ما يدلُّ على معناه من غيرِه . قال اللهُ ، وله المَثَلُ الأعلى — : ﴿ أُحِلَّ لكم لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلى نسائِكم ﴾[2] . وقال : ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ[3] ﴾ و « المُلامَسَةُ » في قول أهلِ المدينة ، مالكٍ وأصحابِه — : غيرُ كنايةٍ ، إنما هو اللمسُ بعينه ، يقولُونَ في الرجلِ تقعُ يدهُ على امرأتِه أو على جاريتِه[4] بشهوةٍ[5] — : أنَّ وضوءه قد انتقضَ[6] .

وكذلك قولُهم في قضاء الحاجةِ « جاء فلانٌ من الغائِط » وإنما « الغائطُ » الوادِي[7] ، وكذلك المرأةُ[8] ، قال عمرُو بن مَعْدِي كَرِبَ الزُّبَيْدِيُّ :

---

(١) في ع و س « وذلك » . وفي هـ « وهو أحبُّها » .
(٢) سورة البقرة (١٨٧) .
(٣) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦) .
(٤) في د و هـ « امرأةٍ » « جاريةٍ » .
(٥) في ع و س و هـ « لشهوة » .
(٦) قد أوضحنا ترجيح أن الملامسة هنا كناية عن الجماع ، فيما كتبنا سابقاً (ص ٤٧٣) .
(٧) في بعض النسخ : « ومن ذلك قولُهم : جاء فلانٌ من الغائِطِ ، كنايةٌ عن الحَدَث ، وإنما الغائطُ الوادي » .
(٨) قوله « وكذلك المرأة » ليس له معنى هنا ، وما أدري ما وجهه ، ولعله راجع إلى موضوع اللمس ، وأنه يريد أن المرأة ينقض وضوؤها بلمس الرجل عند مالك ، فإن كان هذا كان الصواب تقديمه هناك .

فكم مِّن غائطٍ مِن دُونِ سَلْمَى قليلِ الأُنْسِ ليس به كَتِيعُ[1]

وقال اللهُ جلَّ وعزَّ في المسيح ابنِ مريمَ وأُمِّهُ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعامَ﴾[2]. وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة[3]. وقال: ﴿وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينا﴾[4]. وإنما هي كنايةٌ عن الفُرُوج. و[مِثْلُ][5] هذا كثيرٌ.

والضربُ الثالثُ من الكناية: التفخيمُ والتعظيمُ، ومنه اشتُقَّتْ «الكُنْيَةُ» وهو أن يُعَظَّمَ الرجلُ أنْ يُدْعَى باسمه، ووقعَتْ في الكلام على ضربين: وقعتْ في الصَّبيّ على جهةِ التَّفاؤُلِ[6] بأن يكون له ولدٌ وَيُدْعَى[7] بولده كنايةً عن اسمه، وفي الكبير أنْ يُنادَى باسم ولدِه صيانةً لاسمه. وإنما يقال «كُنِيَ» عن كذا بكذا، أي تُرِكَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا.

وكان خالدُ بن عبد الله القَسْرِيُّ لعنه الله يَلْعَنُ عليَّ [بنَ أبي طالب][8] رحمة الله عليه ورضوانُه على المنبرِ، فيقول: فَعَلَ اللهُ عَلَى عليِّ بن أبي طالبِ بن عبد المُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد منافٍ ابنِ عَمِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) في ج و س و د و هـ «وكم». وفي ا «الإِنْسِ». و«كتيع» بالتاء المثناة الفوقية، أي أحد، ولا يستعمل إلا مع النفي، قاله المرصفي.
(٢) سورة المائدة (٧٥).
(٣) انظر ماسبق أن قلناه في هذا (ص ٤٧٣ ــ ٤٧٤).
(٤) سورة فصلت (٢١).
(٥) الزيادة من د.
(٦) في بعض النسخ «التَّفَوُّل» وهو صحيح أيضا، وفي اللسان: «قال ابن الأثير: تفاءلت بكذا وتفألت، على التخفيف والقلب. قال: وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً».
(٧) في ج و س و د و هـ «فيدعى».
(٨) الزيادة من ج و س و د.

وزوجِ ابنتِهِ فاطمةَ وأبِي الحسنِ والحسينِ ! ثم يُقْبِلُ على الناسِ ويقولُ[١]: أَكَنَيْتُ ؟ ! فهذا تأويلُ هذا .

❁

[٢]ونرجعُ إلى الباب الذى قَصَدْنا له :

وقال أعرابىٌّ[٣] :

وحُقَّةِ مِسْكٍ مِّن نِّساءٍ لَّبِسْتُها ... شَبابِى وكَأْسٍ باكَرَتْنِى شَمُولُها[٤]

جدَيدَةِ سِرْبالِ الشَّبابِ كَأَنَّها ... أَباءَةُ بَرْدِىٍّ سقَتْها غُيولُها

مُخَمَّلَةٍ بِاللَّحْمِ مِن دُونِ خَصْرِها ... تَطولُ القِصارَ والطِّوالُ تَطُولُها[٥]

قوله « باكَرَتْنِى شَمُولُها » زعمَ الأصمعىُّ أنّ الخمرَ إنما سُمِّيت « شَمُولاً » لأن لها عَصْفَةً كعصْفة الرِّيحِ الشَّمالِ .

وقوله « أَباءَةُ بَرْدِىٍّ » « الأَباءَةُ » القَصَبةُ ، وجمعُها « الأَباءُ » [يا فتى !][٦] . قال كعبُ بن مالكٍ الأنصارىُّ :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بعضُهُ ... بعضاً كَمَعْمَعةِ الأَباءِ المُحْرَقِ[٧]

---

(١) فى ج و س و د و هـ «فيقول» وبها طبعت طبعات مصر .

(٢) هنا فى طبعات مصر زيادة « قال أبو العباس » وليست فى الأصول .

(٣) فى ج و د « قال » فقط .

(٤) « حقة مسك » كناية عن المرأة ، جعلها لطيب رياها مثل حقة نحتت من عاج ونحوه ، مملوءة مسكا . و « لبستها شبابى » يريد تمتعت بها زمن الشباب . قاله المرصفى .

(٥) « مخملة » فى طبعة أوربة تبعا للأصول المخطوطة بالخاء المعجمة وتحتها حاء مفردة مهملة ، لتقرأ بالوجهين . وفى ج و د و س « مجملة » ووضعت نقطة الجيم بعيدة عنها ، لتقرأ بها وبالحاء المهملة . فتقرأ إذن بستة أوجه : بالجيم وبالحاء وبالخاء ، وبالرفع وبالجر فى كل .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٧) « يرعبل » أى يقطع ويمزق ، من قولهم : « رَعْبَلَ الجلدَ واللحمَ رَعْبَلَةً » .

« المَمْمَةُ » صوتُ إحْراقه ، يقال : سمعتُ مممعةَ القَصَبِ والقَوْصَرَّةِ في النار ، أي : صوتَ احتراقها .

وإنما شَبَّهَ المرأةَ بالبَرْدِية والقَصبةِ لنقاء اللونِ المستترِ منها وما وَالاَهُ وَرِقَّتِه . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاَلِيُّ :

لم أَلْقَ عَمْرَةَ بعدَ إذْ هِيَ ناشِئٌ   خرجتْ مُعَطَّفَةً عليها مِئْزَر

[« العِطَافُ » الوِشاحُ من النساء][1] .

بَرَزَتْ عَقِيلَةَ أَرْبَعٍ هَادَيْنَهَا   بِيضِ الوجوه كأَنَّهُنَّ العُنْقُرُ[2]

[« العُنْقَرُ » أصـولُ القَصبِ ، يقال « عُنْقَرٌ » و « عُنْقُرٌ »] وفي هذا الشعر :

ذَهبتْ بعقلكَ رَيْطَةٌ مَطْوِيَّةٌ   وهْيَ التي تُهْدَى بها لو تُنْشَرُ[3]

[قال أبو الحسنِ : أنشدنيه ثَعلَبٌ في قوله « لو تُنْشَرُ » : « تَشْعُرُ »]

فهَمَمْتُ أنْ أَغْشَى إليها مَحْجَراً   وَلَمِثْلُها يُغْشَى إليـه المَحْجَرُ[4]

---

(١) الزيادة من ع و س و د .

(٢) في ع « العَنْقَرُ » بفتح العين ، ولم أجد له وجهاً ، إذ ليس في كتب اللغة إلا ضمها مع ضم القاف وفتحها .

(٣) « الريطة » الملاءة البيضاء ، وقوله « تهدى بها » أي تهدى بها إلى بعلها . وفي ع و د « تَهْذِي بها » أي أنها ذهبت بعقله حتى ليهذي بذكرها ويتمناها .

(٤) في ا « لو أغشى » . وفي ﻫ « عليها » بدل « إليها » . وفي د « وَلِمِثْلِهَا » . وفي ع « يُغْشَى إليها » . و « المحجر » ضبط بفتح الميم مع كسر الجيم وفتحها ، وبكسر الميم مع فتح الجيم ، وفسر في حاشية بعض النسخ بأنه « الحرام ضد الحلال » . وذكر هذا البيت في اللسان في مادة (ح ج ر) وقال : « يقول لمثلها يؤتى إليه الحرام . وروى الأزهري عن الصيداوي أنه سمع عبويه يقول : المَحْجَرُ بفتح الجيم : الحُرْمَةُ » .

وقوله « سَقَتْها غُيُولُها » « الغِيلُ » هٰهنا : الأَجَمَةُ ، ومن[1] هذا قولُهم « أُسْدُ غِيلٍ » . قال طَرَفَةُ :

أُسْدُ غِيلٍ فإذا ما شَرِبُوا وَهَبُوا كلَّ أَمُونٍ وطِمِرّْ[2]

وقد أملينا جميعَ ما فى « الغَيْلِ » و « الغِيلِ[3] » .

وقوله « تَطُولُ القِصَارَ والطِّوَالُ تَطولُها » « طال » يكون على ضَرْبين : أحدُهما تقديرُه « فَعُلَ » وهو ما يقع فى نفسه انتقالاً ، لا يتعدى إلى مفعول ، نحو : ما كان كريماً فكَرُمَ[4] ، و : ما كان وضيعاً ولقد وَضُعَ ، و : ما كان شريفاً ولقد شَرُفَ ، و : كان الشىءُ صغيراً فكَبُرَ[5] ، وكذلك : كان قصيراً فطالَ[6] ، وأصله « طَوُلَ » .

وقد أَخْبَرْنا بقصةِ الياء والواو إذا انفتح ما قبلَهما وهما مُتَحرِّكتانِ ، وعلى ذلك يقال فى الفاعل « فَعِيلٌ » نحو « شَرِيفٍ » و « كَرِيم » و « طويل » . فإذا قلتَ « طَاوَلَنى فطُلْتُهُ » أى : فَعَلَوْتُه طُولاً ، فتقديرُه [على][7] « فَعَلَ » نحو « خاصَمَنِي فَخَصَمْتُهُ » و « ضارَبَنِي فضَرَبْتُه » وفاعِلُهُ « طائِلٌ » كقولك « ضارِبٌ » و « خاصِمٌ » . وفى الحديث « كانرسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

(١) قال المرصفى : « هذه من أغاليط أبى العباس ، التى انتقدها على بن حمزة ، قال : وإنما الغيل هنا الماء الذى يجرى بين الشجر وأصول القصب ، وذلك أن الأجمة لاتسقى ، وإنما الذى يسقى هو الماء . أما الغيل فى قول طرفة فإنه الأجمة لاغير ، وهى الشجر الكثير الملتفّ يستتر فيه ، وكل ذلك بكسر الغين . فأما الغيل بالفتح فقد سلف أنه اللبن الذى ترضعه المرأة ولدها وهى تؤتى ، أو وهى حبلى ، وجمعه أغيال » .

(٢) « الأمون » الناقة الوثيقة الخلق التى أمنت العثار . و « طمرّ » بكسر الطاء والميم وتشديد الراء ، من الطمور ، وهو الوثوب ، يريد : وكل فرس جواد يثب فى عدوه . قاله المرصفى .

(٣) سبق فى الجزء الأول (ص ١١٩) .

(٤) فى ج و س و د و هـ « ولقد كرم » .

(٥) فى س « كبيراً فصغر » :

(٦) فى ج و س و د و هـ « ما كان طويلا » وفى ج « ولقد طال » .

(٧) الزيادة من ج .

فَوْقَ الرَّبْعَةِ ، وإذا مَشَى مع الطِّوَالِ طَالَهُمْ »[١] .

وقال رياحُ بن سُنَيحٍ[٢] الزَّنجيُّ مولَى بنى نَاجِيَةَ ، وكان فصيحًا ، يُجِيبُ جَرِيرًا ، لمَّا قال جريرٌ :

لاَ تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فى تَغْلِبٍ فَالزِّنْجُ أَكرمُ منهم أَخْوَالاَ

ـ : فتحركَ رِيَاحٌ فذكرَ أكثَرَ مَنْ وَلَدَتْهُ الزِّنْجُ من أشرافِ العربِ فى قصيدةٍ مشهورةٍ معروفةٍ ، يقول فيها :

والزِّنْجُ لو لاقيتَهُمْ فى صَفِّهِمْ لاَقَيْتَ ثَمَّ جَحَاجِحًا أَبْطَالاَ[٣]

ما بالُ كَلْبِ بَنِى كُلَيْبٍ سَبَّهُمْ أَنْ لَمْ يُوَازِنْ حاجبًا وَعِقَالاَ[٤]

إنَّ الفرزدقَ صخرةٌ عاديَّةٌ طالتْ فليس تَنالُهَا الأَجْبَالاَ[٥]

يريدُ : طالتِ الأَجبالَ [وَعَلَتْ[٦]] فليس تنالُهَا .

(١) فى فتح البارى (ج ٦ ص ٤١٥) فى شرح حديث البراء « ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » قال : « ووقع فى حديث عائشة عند ابن أبى خيثمة : لم يكن أحد يماشيه من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الربعة » . ونقل نحو ذلك ملاّ على القارى فى شرح الشمائل (ج ١ ص ١٣) ونسبه للبيهقى وابن عساكر . وانظر حديثا لعلىّ فى مجمع الزوائد (ج ٨ ص ٢٧٢) .

(٢) فى س و د « رَبَاح » . وفيهما وفى ع « سُبَيْحٍ » وفى ه « سبح » وهذا الشاعر اضطربت الروايات فى ضبط اسمه ، ولم أجد له ذكراً إلا فى (نقائض جرير والأخطل) تأليف أبى تمام (ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٢٢) وذكر فيها باسم « سَنِيحَ بن رِيَاح » وروى بعض أبيات هذه القصيدة ، وذكر مصححه الاختلاف فى اسمه .

(٣) فى ع « فالزنج » وفى النقائض « ألزنج » . و « الجحاجح » جمع « جَحْجَحٍ » وهو السيد .

(٤) فى ع و س و د و ه « سَبَّنَا » وهذا البيت ليس فى النقائض .

(٥) « عادية » أى قديمة ، تنسب إلى عاد . وفى النقائض « مَلْمُومَةٌ » . وفيها أيضا « الأَوْعَالاَ » وهى التيوس ، واحدها « وعل » وهى لا تسكن إلا فى أعالى الجبال . وهذا البيت رواه الأنبارى فى شرح المفضليات (ص ٤٠٥) كرواية المبرد .

(٦) الزيادة من ع و د و ه .

❁

ثم نعودُ إلى ذكرِ البابِ :

وقال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ ، وهو مروانُ بن سليمانَ بن يحيى بن أبي حفصةَ ، واسمُ أبي حفصة « يَزِيدُ » :

إنَّ الغَوانِيَ طالما قتَّلْننا بعُيونِهنَّ ولا يَدِينَ قَتيلاَ

مِن كلِّ آنسةٍ كأنَّ حِجالَها ضُمِّنَّ أحْوَرَ في الكِناسِ كَحِيلاَ[1]

أرْدَيْنَ عُرْوَةَ والمُرقِّشَ قبلَه كلٌّ أُصيبَ وما أطاقَ ذُهُولا[2]

ولقد تَرَكْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هائمًا ولقد تبَلْنَ كُثَيِّرًا وجَمِيلاَ[3]

وتَرَكْنَ لابنِ أبي رَبيعةَ مَنْطِقًا فيهنَّ أصْبَحَ سائرًا محمولاَ

إلاَّ أكُنْ ممَّنْ قتَلْنَ فإنَّني ممَّن تَرَكْنَ فُؤادَهُ مَخْبُولاَ

قوله « ولا يَدِينَ قتيلاَ » يقال « وَدَى يَدِي »[4] وكلُّ ما كان مِن « فَعَلَ » ممَّا فاؤُه واوٌ ومضارعُه « يَفْعِلُ » — : فالواوُ ساقطةٌ منه[5]، لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ ، وكذلك ما كان منه على « فَعِلَ يَفْعِلُ » لأنَّ العلةَ في سقوط

---

(١) « الحِجَالُ » جمع « حَجَلةٍ » وهى بيت كالقبة يستر بالثياب .

(٢) « عروة » هو ابن حزام ، صاحب عفراء . « والمرقش » هو الأكبر . واسمه « عمرو » أو « عوف » بن سعد بن مالك ، وصاحبته أسماء بنت عمه عوف بن مالك . أو المرقش الأصغر ، وهو ابن أخيه ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، وصاحبته فاطمة بنت المنذر .

(٣) « أبو ذؤيب » هو الهذلى ، خويلد بن خالد : مات عشقاً بصاحبته أم عمرو . و « كثير » هو ابن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعى ، وصاحبته عزة بنت حميد . و « جميل » هو ابن عبد الله بن معمر العذرى ، وصاحبته بثينة بنت الأحب بن ثعلبة .

(٤) من الدية ، وهى مايعطى من المال حقا للقتيل .

(٥) فى ج و د و هـ « فالواو فيه محذوفة » .

الواو كَسْرَةُ العينِ بعدَها ، وقد مضَى تفسيرُ هذا .

ولكنْ فى «يَدِينَ» عِلّةٌ أخرَى ، وهى : أن الياء التى هى لامُ الفعلِ بعدَ كسرةٍ ، فهى تعتَلّ اعتلالَ آخِرِ «يَرْمِى» ، وأوّله يعتلّ اعتلالَ واوِ «يَعِدُ» ، واحْتَمَلَ عِلَّتَيْنِ لأنّ بينهما حاجزًا ، ومِثْلُ ذلك «وَعَى يَعِى» و «وَقَى يَقِى» و «وَفَى يَفِى» و «وَشَى يَشِى» و «وَنَى فى أمْرٍ[1] يَنِى» ، وما أشْبَهَ ذلك ، ويَقَعُ فى «فَعِلَ» نحو «وَلِيَ الأميرُ الآنَ يَلِى» .

فإذا أمرتَ كان الفعلُ على حرفٍ واحدٍ فى الوصلِ ، لاتّصاله بما بعدَه ، تقولُ «يازَيْدُ عِ كلامًا» و «شِ ثوبًا» وتقولُ «لِ عَمرًا يا زيدُ» مِن «وَلِيتُ» فإذا وَقَفْتَ قلتَ «لِهْ» و «شِهْ» و «قِهْ» ، لا يكونُ إلاّ ذلك ، لأن الواوَ تَسْقُطُ فتَبْتَدِئُ بمتحرّكٍ[2] ، فلا تحتاجُ[3] إلى ألِفِ وصلٍ[4] ، فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكنٍ تَقِفُ عليه فأدخلتَ الهاء لبيانِ الحركةِ فى الأوّل[5] ، ولم يَجُزْ إلاّ ذلك . ومن قال لك : الْفِظْ «لِى» بحرفٍ واحدٍ غيرِ موصولٍ — : فقد سألَكَ[6] مُحالاً ، لأنك لا تبتدئُ إلاّ بمتحرّكٍ ولا تقفُ إلاّ على ساكنٍ ، فقدقال لك الْفِظْ «لِى» بساكنٍ متحركٍ فى حالٍ .

---

(١) فى هـ «فى الأمر» وفى ج و س و د «فى أمره» ، وبها طبعت طبعات مصر .
(٢) فى هـ «فلا يبتدأ إلا بمتحرك» .
(٣) فى د و س و هـ «فلا يحتاج» .
(٤) فى ج «الوصل» .
(٥) فى ج و س و د و هـ «لبيان حركة الأول» .
(٦) فى ج و س و د «سأل» .

وقوله «ضُمِّنَ» يقالُ : « ضَمَّنَ القبرُ زيداً » و « ضُمِّنَ القبرَ زيدٌ » كلٌّ صحيحٌ[١] ، فمن قال « ضَمَّنَ القبرُ زيدًا » فإنما أرادَ : جُعِلَ القبرُ ضَمِينَ زيدٍ ، ومن قال « ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ » فإنما أراد : جُعِلَ زيدٌ فى ضِمْنِ القبر ، ويُنْشَدُ هذا البيتُ على وجهين [لأبِى حَيَّةَ النُّمَيْرِىِّ][٢] :

وَمَا غائِبٌ مِمَّنْ غابَ يُرْجَى إِيابُهُ ... ولـكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائِبُ

و « مَنْ ضَمَّنَ[٣] اللَّحْدُ غائِبُ » يريدُ : مَن ضَمَّنَهُ اللَّحْدُ ، وحَذَفَ الهاءَ مِن صِلَةِ « مَنْ » ، وهذا من الواضح الذى لا يَحتاج إلى تفسيرٍ[٤] .

وقوله « أَحْوَرَ » يعنى ظَبْيًا ، وأهلُ الغَرِيبِ يذهبون إلى أنَّ « الحَوَرَ » فى العين : شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِها وشدةُ بياضِ بَياضِها ، والذى عليه العربُ إنما هو : نَقاءُ البياضِ ، فعندَ ذلك يَتَّضِحُ[٥] السوادُ . وقد فَسَّرنا « الحَوَرَ » و « الحَوَارِىّ »[٦] .

و « الـكِناسُ » حيثُ تَـكْنِسُ البقرةُ والظَّبْيَةُ ، وهو : أن تَتَّخِذَ

---

(١) فى هـ « كل ذلك صحيح » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) هكذا فى أكثر النسخ ، وفى هـ « ومَنْ رَوَى ضُمِّنَ » الخ . وفى طبعات مصر « ومن روى من ضمن » وهو فى ذاته صحيح ، ولـكنه لايوافق شيئا من النسخ .

(٤) فى ج و س و هـ « لايحتاج إلى تفسيره » .

(٥) فى ج و س و د « يَصِحُّ » .

(٦) فى ج و د « والحُوَّارَى » . وقد بحثت عن ذلك فى الـكتاب ، مستدلا بفهارس طبعة أوربة فلم أجده فيما مضى ، ولا فيما يأتى ، فلعله نسى ، أو أراد فى كتاب آخر من كتبه . فأما « الحور » فقد فسره هنا ، وأما « الحَوَارِىُّ » فهو الناصر ، أو ناصر الأنبياء ، وأما « الحُوَّارَى » فهو الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق .

فى الشجرةِ العاديّةِ كالبيتِ تأوِى إليه وتَبْعَرُ فيه ، فيقالُ : إنّ رائحته أطيَبُ رائحةٍ ، لِطيبِ ما ترتَعِي . قال ذو الرُّمّةِ :

إذا استهلّتْ عليه غَبْيَةٌ أرِجَتْ　　　مَرَابِضُ العِينِ حتّى يأرَجَ الخَشَبُ

كأنّه بيتُ عطّارٍ يُضمِّنُهُ　　　لَطائمَ المِسْكِ يَحْوِيها وتُنْتَهَبُ[1]

قوله « غَبْيَةٌ[2] » هى الدُّفْعةُ من المطرِ ، وعند ذلك تتحرّكُ الرائحةُ .

و « الأَرَجُ » توهّجُ الرِّيحِ[3] ، وإنما يُستعمَلُ [ذلك][4] فى الريحِ الطيبةِ .

و « العِينُ » جمعُ « عَيْناء » يعنى البقرةَ الوحشيّةَ ، وبها شُبِّهَتِ المرأةُ[5] ، فقيل « حورٌ عِينٌ » .

و « اللّطيمَةُ » الإبلُ التى تحمِلُ العِطْرَ والبَزَّ [والذّهَبَ][6] ، لاتكونُ لغيرِ ذلك .

فيقولُ : ضُمِّنَ ظَبْياً أحْوَرَ العَيْنِ أكْحَلَ ، وجَعَلَ الحِجَالَ كالكِناسِ .

وقال ابنُ عباسٍ فى قول الله جلّ وعزّ : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ . الجَوَارِ

---

(١) فى ا « تَضَمّنَهُ لَطَائمُ » .

(٢) « غبية » بتقديم الباء الموحدة على الياء المثناة . ووقع فى بعض طبعات مصر بعكس ذلك ، وهو خطأ .

(٣) فى هـ « تحرُّكُ الرّيحِ وتَوَهُّجُها » .

(٤) الزيادة من ج و س .

(٥) فى هـ « النساء » .

(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ . و « اللطيمة » لها أيضا معانى أخر ، أنسبها للشعر هنا : قطعة المسك ، أو وعاؤه ، أو ضرب من الطيب يحمل على الصدغ .

الـكُنّس ﴾[1] . قال : أُقْسِم[2] بِبَقَرِ الْوَحْشِ . لأنها خُنْسُ الأُنُوفِ[3] .
و « الـكُنَّسُ » التى تَلْزَمُ الـكِنَاسَ . وقال غيرُه : أُقْسِمُ بالنُّجُومِ التى
تَجْرِى بالليل وتَخْـنِسُ بالنهار ، وهو الأكثرُ .

وقوله « أرْدَيْنَ » يقول[4] : أهْلَـكْنَ ، و « الرَّدَى » الهلاكُ والموتُ
مِن ذَا .

و « الذُّهُولُ » الانصراف ، يقال « ذَهِلَ[5] » عن كذا وكذا : إذا
انصرف عنه إلى غيره [قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾[6] أى : تَسْلَى وتَنْسَى عنـــه إلى غيره][7] .
قال كُثَيِّرٌ .

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزّ أو كادَ يَذْهَلُ ... وأَضْحَى يُرِيدُ الصُّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ[8]

---

(١) سورة التكوير (١٥ و ١٦) .

(٢) فى ع و د « أقْسَمَ » ولعلها أجود .

(٣) هذا التعليل ليس من كلام ابن عباس ، بل هو من كلام المبرد ، وهو خطأ منه . قال المرصفى :
« ليته لم يقله ، وذلك أن خُنْس الأنوف جمع أخنس وخنساء ، من الخنس — بالتحريك —
مصدر خنس — بالكسر — إذا تأخرت أرنبة أنفه مع قصره. فأما الخنس — بتشديد النون —
فجمع خانس ، من خنَس يخنس — بالضم والكسر — خنْسا وخنوساً ، إذا توارى وتغيب .
فأين الخُنَّسُ من الخُنْس ، وإن اشتركا فى المادة ؟ ! » .

(٤) فى ه « يريد » .

(٥) فى ع و د « ذَهَلَ » . وكلاهما صحيح ، هو من بابى « منع » و « سمع » .

(٦) سورة الحج (٢) .

(٧) الزيادة من حاشية ع .

(٨) « الصرم » القطع ، يجوز ضم الصاد وفتحها ، وضبط فى النسخ هنا بالضم فقط . وفى ع
و د « يتذلل » .

وقوله « ولقد تبَلْنَ كُثَيِّرا وجَمِيلاً » أصلُ « التَّبْلِ » التِّرَةُ ، يقال : « تَبْلِي عندَ فلانٍ » . قال حَسَّانُ بن ثابتٍ :

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فى المنامِ خَرِيدةٌ · تَشْفِى الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ

و « الخَرِيدةُ » الحَيِيَّةُ[1] .

وقوله « مِمَّنْ تَرَكْنَ فؤادَه مَخبولاً » يريد « الخَبْلَ » وهو الجنون ، ولو قال « مَحْبولاً » لكان حسنًا ، يريدُ : مَصِيدًا واقعًا فى الحِبَالَةِ ، كما قال الأعشَى :

فكُلُّنَا هائمٌ فى إثْرِ صاحبِهِ · دَانٍ ونَاءٍ ومَحْبُولٌ ومُحْتَبِلُ

❁

وخُبِّرْتُ[2] : أن رجلاً جافيًا عَشِقَ قَيْنَةً حَضَرِيَّةً ، فكلمها يومًا على ظَهْرِ الطَّرِيقِ فلم تكلِّمه ، فظَنَّ أن ذاك حَيَاءٌ منها ، فقال : ياخَرِيدةُ ! قد كنتُ أحْسِبكِ عَرُوبًا ، فما بَالُنا نَمِقُكِ وتَشْنَئِينَا[3] ؟ ! فقالت : يابْنَ الخبِيثَةِ ! أتُجَمِّشُنِي بالهَمْزِ[4] ؟ !

« الخَرِيدَةُ » الحَيِيَّةُ[1] و « العَرُوبُ » الحَسنةُ التَّبَعُّلِ ، وفُسِّرَ فى القرآنِ

---

(١) فى ج « الحَيِيَةُ » بالتخفيف .

(٢) فى هـ « وحدثت » .

(٣) فى د « وتشنئبننا » .

(٤) « الجمش » و « التجميش » المغازلة والملاعبة . وفى ج « أتُجَشِّمُنِي » بتقديم الشين على الميم ، والظاهر أنها خطأ أو سهو ، والمعنى على الأول . وقال المرصفى : « كأنها تعرض به أنه من أطراف بنى تميم ، وهم ينطقون بالهمز ، تعيب عليه الهمز فى قوله : وتشنئينا . فأما قريش وهذيل فلا ينبرون الحروف ، بل يستنكرونه » .

على ذلك ، فى قوله(١) : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا(٢) ﴾ . فقيل : هُنَّ المُحِبَّاتُ لأَزواجِهِنَّ .

قال أَوْسُ بن حَجَرٍ [وَيقال عَبيدُ بن الأَبْرَصِ](٣) :

[وقد لَهَوْتُ بِمِثلِ الرِّئْمِ آنِسَةٍ](٤) تُصْبِي الحَلِيمَ عَرُوبٍ غَيرِ مِكْلَاحِ(٥)

وذكر الليثُ : أن رجلاً أحبَّ(٦) جاريةً ولم يكنْ يُحْسِنُ مما يُتَوَصَّلُ به إلى النساء شيئًا ، إلاَّ أنه كان يحفظُ القرآنَ ، فكانَ يَتَوصَّلُ إليها بالآيةِ بعدَ الآيةِ ، فكانَ إنْ وَعَدَتْهُ فأَخْلَفَتْهُ تَحَيَّنَ وَقتَ مرورِها ، فقال : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ ﴾(٧) . وإن خَرَجَتْ خَرْجَةً ولم يَعْلَمْ بها فينتظرُ : تَحَيَّنَهَا(٨) فى أُخْرَى فقَالَ : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾(٩) . وإن وَشَى به إليها واشٍ كَتَبَ إليها ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ﴾(١٠) .

---

(١) طبعات مصر « قول » وهو خطأ .

(٢) سورة الواقعة (٣٧) .

(٣) الزيادة من س .

(٤) الزيادة من حاشيتى ا و ج وفى ج « لقد » .

(٥) « مكلاح » من « الكلوح » وهو العبوس .

(٦) فى ج و س و د و هـ « كان يحبّ » .

(٧) سورة الصف (٢) .

(٨) فى طبعة أوربة وطبعات مصر « تَحَيُّنَهَا » على أنه مصدر فاعل لقوله « فينتظرُ » ولكن الصحيح أن يكون كما ضبطنا « تحينها » فعلا ماضياً ، يقال : « تَحَيَّنْتُ رؤيةَ فلانٍ : أى تَنَظَّرْتُه » كما فى اللسان ، وأما المصدر فلا يصلح فاعلا لقوله « فينتظر » كما هو بين . ويؤيد صحة ماقلنا أن فى ج و س و د « فَيَنْتَظِرُها تَحَيَّنَهَا » .

(٩) سورة الأعراف (١٨٨) .

(١٠) سورة الحجرات (٦) .

وذكروا أن أبا القَماقِمِ(١) بن بَحْرٍ السَّقَّاء عَشِقَ جاريةً مَدِينيّةً ، فبَعَثَ إليها : إنَّ إخوانًا لِي زارُونى ، فابعثِي إلىَّ برؤوسٍ حتى نأكلَها(٢) ونَصْطَبِحَ(٣) على ذِكْرِكِ ، ففعلتْ ، فلما كان اليومُ الثانى(٤) بَعَثَ إليها : أَنِ القَوْمُ مُقيمونَ لم نَفْتَرِقْ ، فابعثِى إلىَّ بِقَلِيَّةٍ جَزُورِيّةٍ وبَقَرِيّةٍ قَدِيّةٍ(٥) حتى نَتَغَدَّاها ونَصْطَبِحَ على ذِكْرِكِ ، فلما كان فى اليوم الثالثِ بَعَثَ إليها : إنَّا لم نَفْتَرِقْ ، فابعثِى إلىَّ بِسَنْبُوسَكٍ(٦) حتى نصطبِحَ اليومَ على ذكرِكِ ، فقالت لرسوله : إنى رأيتُ الحُبَّ يَحُلُّ فى القَلْبِ ، ويَفيضُ إلى الكَبِدِ والأَحْشاء ، وإنَّ حُبَّ صاحِبِنا هذا ليس يُجاوِزُ المَعِدَةَ !!

وَخُبِّرْتُ : أن أبا العَتاهِيَةِ كان قد استأذنَ فى أن يُطْلَقَ له أن يُهْدِيَ إلى أميرِ المؤمنينَ المَهْدِيِّ فى النَّيْرُوزِ والمَهْرَجانِ(٧) ، فأهْدَى فى أحدِهما بَرْنِيّةً ضَخْمَةً ، فيها ثوبٌ ناعمٌ مُطَيَّبٌ ، قد كَتَبَ فى حَواشِيهِ :

نَفْسِي بشيءٍ منَ الدُّنيا معلَّقةٌ ⁂ أَللهُ والقائمُ المهدِيُّ يكفِيها

---

(١) فى ج و س و د و هـ « أبا القَمْقامِ » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « نَتَغَدَّى » .

(٣) فى هـ « ونصطبِحَ اليومَ » .

(٤) فى ج و س « فى اليوم الثانى » .

(٥) « القلية الجزورية » مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها . و « قرية » قطعة من لحم البقر . و « قدية » طيبة الطعم طيبة الريح ، قاله المرصفى .

(٦) « سنبوسك » قال المرصفى : « كلمة تركية . وهى طعام من رقاق محشوّ بلحم مفروم » والذى فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة أنه معرب « سنبوسه » وأنه عرب أيضا إلى « سنبوسق » بالقاف . فلا أدرى من أين زعمه أنها تركية .

(٧) فى ج « المهْرِجان » بكسر الراء .

إنى لأَيأسُ منها ثم يُطمِعُنِى فيها احتقارُكَ للدنيا وما فِيهَا[١]

فهَمَّ بدفع عُتْبَةَ[٢] إليه ، فجزِعَتْ ، وقالت : يا أميرَ المؤمنين ! حُرْمتِى[٣] وخِدْمَتِى ! أتَدْفَعُنِى[٤] إلى رجلٍ قبيحِ المَنْظَرِ بائعِ جِرَارٍ ومُكتَسِبٍ بالمِشْق ؟! فأعْفاها ، وقال : امْلَئُوا [له][٥] هذه البرنية مالاً ، فقال للكُتَّاب : أمَرَ لِى بدنانيرَ ، فقالوا : ما نَدْفَعُ ذلك ، ولكنْ إذا[٦] شئتَ أعطيناكَ دراهِمَ إلى أن يُفْصِحَ بما أرادَ ، فاختَلَفَ فى ذلك حولاً ، فقالتْ عُتْبةُ : لو كان عاشقاً كما يزعمُ لم يكنْ يختلفُ مُنذُ حَوْلٍ فى التمييزِ بين الدراهِم والدنانير ، وقد أعْرَضَ عن ذِكْرِى صَفْحًا !!

ودَعَتْ أبا الحرثِ جُمَّيْزَ[٧] واحدةٌ كان يحبُّها ، فجعلتْ تحادثُه ولا تَذْكُرُ الطعامَ ، فلما طالَ ذلك به قال : جعلنى اللهُ فِداكِ ! لا أسْمَعُ لِلغَداء[٨]

(١) فى ج و د « بما فيها » .

(٢) عتبة جارية للمهدى ، كان أبو العتاهية يتعشقها ، وله فيها أشعار كثيرة ، قاله المرصفى .

(٣) فى س « أبَعْدَ حُرمتى » .

(٤) فى ج « أتندفعنى » .

(٥) الزيادة من ج و د .

(٦) فى ج و س و د و ﻫ « إن » بدل « إذا » .

(٧) فى س « حبنا » وفى ﻫ « حبين » وفى ج « جُمَّيْنَ » وهو الصواب . قال الذهبى فى المشتبه (ص ١٧٥) طبعة ليدن « أبو الحرث جُمَّيْن المدنى ، صاحبُ النوادر والمَزْحِ » . ولم يذكره صاحب القاموس فى باب الزاى ، وذكره فى باب النون ورجح أن آخره زاى ، فقال : « وأبو الحرثِ جُمَّيْنٌ كقُبَّيْطٍ المَدِينِىُّ ، ضَبَطَه المحدِّثونَ بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة . أنشدَ أبو بكر بن مقسم :

إنَّ أبا الحرثِ جُمَّيْزَا قد أُوتِىَ الحِكمةَ والمَيْزَا » .

أقول : ولعل ذكره فى الشعر بالزاى من تندر الشاعر عليه بتحريف اسمه .

(٨) فى ج و د « للغَدَاء » .

ذِكْراً ؟ ! قالت : أَمَا تَسْتَحِي[1] ! أَمَا في [أَسارِيرِ[2]] وَجْهِي ما يَشْغَلُكَ عن ذَا ؟ ![3] [فَ][4] قال لها : جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاكِ ![5] لو أنَّ جَمِيلاً وبُثَيْنَةَ قَعَدَا ساعةً لا يأكلانِ شيئاً لَبَزَقَ كلٌّ واحدٍ منهما في وجهِ صاحبِهِ وافْتَرَقَا ! !

وأُنْشِدْتُ لأعرابيٍّ :

وقد رابني من زَهْدَمٍ أنَّ زَهْدَمًا ... يَشُدُّ على خُبْزِي ويَبْكي على جُمْلِ[6]
فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاقَةِ لم تكنْ ... سَمِيناً وأَنْسَاكَ الهَوَى كثرةَ الأَكْلِ[7]

وقال أعرابيٌّ :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً فاصْطَدْتُ ضَبًّا ... وكنت إذا ذَكرتُكِ لا أَخِيبُ[8]

❊

وقال ذو الرُّمَّةِ :

أَلم تَعْلَمِي يا مَيُّ أنَّا وبينَنا ... مَهَاوٍ لِطَرْفِ العَيْنِ فيهِنَّ مَطْرَحُ
ذَكَرْتُكِ إذْ مَرَّتْ بنا أُمُّ شَادِنٍ ... أَمَامَ المَطَايَا تَشْرَئِبُّ وتَسْنَحُ

---

(١) في ج و د « تَسْتَحْيِي » .
(٢) الزيادة من حاشية ج وعليها « صح » .
(٣) في ج و د « عن هذا » . وفي هـ « عن الأكل » .
(٤) الزيادة من ج .
(٥) في ج و د « فِدَاءَكِ » .
(٦) « جمل » اسم امرأة ، وكتبت في في طبعة أوروبة هكذا « جُمْلِ ي » وأرجح أن إثبات الياء هنا خطأ ، ولذلك لم يثبتها المرصفي في طبعته ، وأثبتت في الطبعتين الأخريين .
(٧) في د « كَرَّةَ الأكل » .
(٨) في س و د وحاشية ج « فاصطدت ظبياً » .

مِنَ الْمُؤْلِفَاتِ الرَّمْلَ أَدْماءُ حُرَّةٌ ... شُعَاعُ الضُّحَى فى لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ(١)

هِىَ الشِّبْهُ أَعطافًا وجِيدًا ومُقْلةً ... ومَيَّةُ أَبهَى بَعْدُ منها وأَمْلَحُ

كأَنَّ البُرَى والعاجَ عِيجتْ مُتُونُهُ ... على عُشَرٍ نَهَّى به السَّيْلُ أَبْطَحُ(٢)

لئنْ كانتِ الدُّنيا علىَّ كما أَرَى ... تَبَارِيحَ مِن ذِكْرَاكِ لَلْمَوْتُ أَرْوَحُ(٣)

قوله « مَهَاوٍ » واحدتها « مَهْوَاةٌ » وهو : الهَواء بين الشيئين .

ويقال : لفلانٍ فى دارِه « مَطْرَحٌ » إذا وصفها بالسَّعَةِ ، يقال فلانٌ يَطْرَحُ بَصَرَهُ كذا مَرَّةً وكذا مرةً ، وأنشد سيبويه :

نَظَّارَةٌ حينَ تَعْلُو الشمسُ راكِبَها ... طَرْحًا بعَيْنَىْ لِيَاحٍ فيه تَحْدِيدُ

« اللِّيَاحُ » من البياض ، و « اللَّوْحُ » العطش « واللُّوحُ » الهواء .

و « الشَّادِنُ » الذى قد شَدَنَ ، أى تَحَرَّكَ . وقوله « تَشْرَئِبُّ » يقال إذا وقَفَ ينظرُ كالمتحَيِّرِ : قد اشْرَأَبَّ نحوِى ، ويقال : هو يَسْرَحُ فى المَرْعَى(٤) .

وقوله « منَ المُؤْلِفَاتِ » يقال « آلَفْتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافًا » ويقال « أَلِفْتُهُ إِلْفًا » وفى القرآنِ : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ﴾ وقرَءُوا : ﴿إِلْفِهِمْ﴾ على القَصْرِ(٥) .

---

(١) فى د « الرمل » . و « أدماء حرة » ضبطتا فى ج بالنصب والرفع معاً .

(٢) فى ج و د « نَهَى به السَّيْلَ » .

(٣) فى حاشية ا « مِنْ حَىٍّ فَلَلْمَوْتُ » .

(٤) قال المرصفى : « كذا وقع فى نسخ الكتاب ، وكأن بها سقطاً ، وهو : ويقال للبعير وهو يسرح فى المرعى : اشرأبّ ، إذا امتد عنقه إليه » .

(٥) هى رواية عن أبى جعفر وابن كثير ، انظر البحر لأبى حيان (ج ٨ ص ٥١٤) . وفى ج و س و د و هـ بدل « على القصر » : « على أَلِفْتُ » .

وقوله « الرَّمْلَ » النصبُ فيه أجْوَدُ بالفِعْلِ ، ويجوزُ الخفضُ على شىء نذكره بعدَ الفراغِ من هذا البابِ ، إن شاء الله .

وأصلُ « الهِجَانِ » الأبيضُ[1] .

و « العِطْفُ » ما انْثَنَى من العُنقِ ، قال : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ ﴾[2] . ويقالُ للأَرْدِيَةِ « المَطُفُ » لأنها تقعُ على ذلك الموضعِ .

وفى الحديثِ : أنَّ قومًا يزعمون أنهم من قريشٍ أتَوْا عمرَ بن الخطابِ رحمه الله ، وكان قائفًا[3] ، لِيُثْبِتَهُمْ فى قُرَيْشٍ ، فقال : اخْرُجُوا بنا إلى البَقِيعِ ، فنظَرَ إلى أكُفِّهِمْ ، ثم قال : اطْرَحُوا العُطُفَ ـ واحدُها « عِطافٌ » ـ ثم أمَرَهُم فأَقبلُوا وأدْبَرُوا ، ثم أقبلَ عليهم فقال : لَيستْ بأكُفٍّ قريشٍ ولا شَمَائِلِهَا ، فأعطاهم فيمَنْ هُمْ منه .

و « الجِيدُ » العُنُقُ .

و « البُرَى » الخلاخِيلُ ، واحدتُها[4] « بُرَةٌ » وهىَ من الناقةِ : التى تقعُ فى مارِنِ الأنفِ ، والذى يقعُ فى العَظْمِ يقالُ له « الخِشَاشُ » .

و « العاجُ » كان يُتَّخَذُ مكانَ الأَسْوِرَةِ[5] ، قال جَرِيرٌ :

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْنًا بِكُوعِهَا لها مَسَكًا مِنْ غيرِ عَاجٍ ولا ذَبْلِ[6]

---

(١) هكذا ثبتت هذه الجملة فى النسخ ، ولم يسبق فى الأبيات كلمة « هجان » حتى تفسر .
(٢) سورة الحج (٩) .
(٣) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، ومنه سمى « القائف » وهو الذى ينظر إلى شبه الولد بأبيه .
(٤) فى ج و س و د و هـ « واحدها » .
(٥) فى ج و س و د « كان يتخذ كالأسْوِرَةِ » .
(٦) فى ج « بكُرْعِها » ولا وجه له ، لأن جمع « الكراع » « أكْرُعٌ » وجمع الجمع « أكارِعُ » .

« العَبَسُ » ما يَتَعَلَّقُ(١) من الأَبْعارِ والبولِ بِأذنابِ الإبل ، و « الوَذَحُ » الذى يَتَعَلَّقُ(١) بأَطرافِ إِلآءِ الشّاء(٢) ، ويكون العَبَسُ في أذنابِ الإبل من البول إذا خَثَرَ .

و « الجَوْن » هٰهنا الأَسودُ ، وهو الأغلَبُ فيه . و « الكُوعُ » رأسُ الزَّنْد الذى يَلِي الإبهامَ ، و «الكُرْسُوعُ» رأسُه الذى يلى الخِنْصَرَ ، و«المَسَكَةُ» السِّوارُ . و «الذَّبْلُ» شىءٌ يُتَّخَذُ من القُرون ، كالأَسْوِرَةِ ، ويقال «سِوَارٌ» و « سُوَارٌ » و « إِسْوَارٌ » ، قالت الخَنْسَاء :

* كأَنَّهُ تحتَ طَيِّ البُرْدِ إِسْوَارُ *

و « العُشَرُ » شجرٌ بعينِه .

و « الأَبْطَحُ » ما انبطحَ من الوادِى ، يقال « أَبْطَحُ وبَطْحَاء » يافتى ! و « أَبْرَقُ وبَرْقَاء » و « أَمْعَزُ ومَعْزَاء » وهذا كثيرٌ .

و « التَّبارِيحُ » الشدائدُ ، يقال « بَرَّحَ به » ، وفى الحديث(٣): « فأَيْنَ

---

(١) فى ج و س و د فى الموضعين « ماتَعَلَّقَ » .

(٢) فى هـ « بأطراف أَلَياتِ الغنم » وفى س « بأذناب الشاة » . وفى ج « بأذناب الشاء » . وهذه النسخ كلها أصح مما فى الأصل ، لأن المراد مايتعلق بألية الشاة ، وجمعها « أَلَيَاتٍ » وأما «أَلاء» بفتح الهمزة فى أوله فانه جمع « أليانة » و « أَلْيَا » أى عظيمة الإلية ، فلا يصلح هنا ، والذى فى طبعة أوربة « إلاء » بكسر أوله ، وهو خطأ ، إذ ليس بجمع «إلية» ولا « أليانة » » .

(٣) قال المرصفى : «يريد ما كان من حديث على بن أبى طالب رضى‌الله عنه مع الخوارج بالنهروان» .

أصحابُ(١) النَّهْرِ ؟ قال : لَقُوا بَرْحًا »(٢) والعربُ لا تعرفُه إلاَّ ساكنَ الراء ، قال جريرٌ :

مَا كنتُ أوَّلَ مَشْعوفٍ أضَرَّ بِهِ   بَرْحُ الهوَى وعَذابٌ غيرُ تَفْتِيرِ(٣)

[قال أبو الحسن : وقد سمعنا من غير أبي العباسِ : يقال « لقيتُ منك بَرْحًا » بالفتح ، ويقال « لَقِيَ منه البُرَحِينَ »(٤) أي الدَّواهِيَ الشِّدَادَ التي تُبَرِّحُ](٥) .

☼

قال أبو العباس : في المثل السائرِ : قيلَ لرجلٍ : مَا خَفِيَ ؟ قال : مالم يكنْ .

[وقيل](٦) في تفسيرِ هذه الآية : ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى ﴾(٧) . قال :

---

(١) في ج و س و د « أهل » بدل « أصحاب » .

(٢) في د زيادة « يقالُ لَقيتُ منك بَرْحًا » .

(٣) « مشعوف » بالعين المهملة ، من « الشَّعَف » وهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها . وفي ج و س و د و هـ « مشغوف » بالغين معجمة ، من قولهم « شَغَفَه الحبُّ يَشْغَفُه شغفاً وشغَفاً وصل إلى شَغَافِ قلبه ، وهو غلافه » . ونقل أصحاب المعاجم والزمخشري في الكشاف (ج ٢ ص ٢٥٢) أنه قد قرىء « قد شعفها حبًّا » [سورة يوسف ٣٠] : « شعفها » بالعين المهملة أيضا ، ولم أجدها في شيء من كتب القراءات .

(٤) قال المرصفي : « البرحين : مثلث الباء مع فتح الراء وكسر الحاء ، استعملوه كأرضين ، وقد أماتوا واحده ، لما أرادوا وصف الدواهي بالكثرة » .

(٥) الزيادة من س .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سورة طه (٧) .

ما حَدَّثْتَ به نفسَكَ ، كما قال : ﴿ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ ﴾[1] وتقديرُه في العربية : وأَخْفَى منه .

والعربُ تحذفُ مثلَ هذا ، فيقولُ القائلُ : مررتُ بالفيلِ أو أعظمَ ، و : إنه لكالبَقَّةِ[2] أو أصغرُ ، ولو قال : رأيتُ زيداً أو شَبِيهاً ـ : لجازَ ، لأنَّ في الكلام دليلاً ، ولو قال : رأيتُ الجملَ أو راكباً ، وهو يريدُ « عليه » ـ : لم يَجُزْ لأنه لادليلَ فيه ، والأَوّل إنما قرّبَ شيئاً من شيء ، وههنا إنما ذكر شيئاً ليس من شَكْلِ ما قبلَه .

فأمّا قوله جلّ ثناؤُه : ﴿ وهُوَ أَهْوَنُ عليه ﴾[3] ففيه قولانِ : أحدُهما ـ وهو المَرْضِيُّ عندنا ـ : إنما هو : وهو عليه هَيِّنٌ ، لأن اللهَ جلّ وعزّ لا يكونُ عليه شيء أَهْوَنَ من شيء آخرَ ، وقد قال مَعْنُ بن أَوْسٍ :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وإِنِّي لَأَوْجَلُ ... على أَيِّنَا تَغْدُو المَنِيَّةُ أَوَّلُ[4]

أراد : وإِنّي لَوَجِلٌ ، وكذلك يُتَأَوَّلُ ما فى الأذانِ « اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ » أى : اللهُ كبيرٌ ، لأنه إنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا كانا من جنسٍ [واحدٍ][5] ، يقال : هذا أكبرُ من هذا ـ : إذا شاكلَهُ فى بابٍ .

---

(١) سورة البقرة (٢٣٥) .

(٢) فى ج و س « وإنه كالبقة » .

(٣) سورة الروم (٢٧) .

(٤) مضى هذا البيت فى (ص٥٦٧) وقوله « تغدو » بالغين المعجمة ، وفى ج و س و د و هـ و ا « تعدو » بالمهملة ، وقـد وضع فى طبعة أوربة تحت المعجمة عين مهملة ، لتقرأ بالوجهين . وهذا البيت من قصيدة جيدة ، ذكر بعضها فى لباب الآداب (ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) وأشرنا فى تعليقنا عليه الى مصادرها .

(٥) الزيادة من ج و س و د .

فأما « اللهُ أجْوَد من فلانٍ » و« اللهُ أعلَمُ بذلك منك » ـ : فوجهُهُ[1] بَيِّنٌ ، لأنه من طريقِ العلمِ والمعرفةِ والبَذْلِ والإعطاء .

وقومٌ يقولون « اللهُ أكبرُ من كلِّ شيء » وليس يقع هذا على مَحْضِ الرُّؤْيَةِ[2] ، لأنه تبارك وتعالى ليس كمثلِه [شيء][3]، وكذلك قولُ الفَرَزْدَقِ[4] :

إنَّ الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لنا ... بيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْولُ

ـ : جائزٌ أن يكونَ قال للذى يخاطبُه « مِنْ بيتِكَ » فاستغنى عن ذكرِ ذلك[5] بما جرَى من المخاطَبةِ والمفاخَرةِ ، وجائزٌ أن تكونَ دَعائِمُهُ عزيزةً طويلةً ، [كما][6] قال الراجزُ[7] :

قُبِّحْتُمُ يا آلَ زَيْدٍ نَفَرَا ... ألأمُ قومٍ أصْغَرًا وأكْبَرًا[8]

يريدُ : صِغارًا وكِبارًا .

فأما قولُ مالكِ بن نُوَيْرَةَ فى ذُؤَابِ[9] بن رَبيعةَ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ[10]

---

(1) فى ج و س « فَوَجْهُهُ » .

(2) فى ج و س « الرَّوِيَّةِ » . ولعلها أجود وأصح .

(3) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(4) فى ج « وكذلك قال الفرزدق » .

(5) فى د « عن ذكره » .

(6) الزيادة من ج .

(7) فى ج و س و د و هـ « قال الآخر » .

(8) « ألأم » رسمت هكذا فى س و د و هـ . ورسمت فى باقى الأصول « ألْأَمُ » .

(9) فى ج « ذُوَاب » بتسهيل الهمزة .

(10) فى ج و د « عُتْبَة » .

بن الحرثِ بن شهابٍ ، وفَخَر[1] بنى أسدٍ بذلك ، مع كثرةِ من قتلَتْ بنو يَرْبُوعٍ منهم — :

فَخَرَتْ بَنُو أَسَدٍ بِمَقْتَلِ واحِدٍ   صَدَقَتْ بنو أَسَدٍ عُتَيْبَةُ أَفْضَلُ

فإنما معناه : أفضلُ ممن قتَلُوا ، على ذلك يَدُلُّ الكلامُ ، وقد أبانَ ما قلنا فى بيتِه الثانى بقوله :

فَخَروا بِمَقْتَلِهِ ولا يُوفِى بِهِ   مَثْنَى سَرَاتِهِمُ الذينَ نُقَتِّلُ

والقولُ الثانى فى الآية : وهو أهونُ عليه عندكم ، لأن إعادة الشيء عندَ الناس أهونُ منَ ابتدائِه حتى يَجْعَلَ شيئًا[2] مِنْ لا شيء[3] .

☆

ثم نعودُ إلى الباب .

قال زُهَيْرٌ :

ومَهْما تَكُنْ عند امرىءٍ من خَليقةٍ   ولو خالَهَا تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ[4]

فهذا مِثْلُ المَثَلِ الذى ذكرناه .

وقال عمرُو بن العاصِ[5] : إذا أنا أفْشَيْتُ سِرِّى إلى صَديقٍ[6] فأذاعَهُ فهو فى حِلٍّ ، فقيل له : وكيف ذاكَ ؟ ! قال : أنا كنتُ أحَقَّ بصِيانتِه .

---

(١) فى ج «وفَخَرِ» وفى د «وفَخَرَ» .

(٢) فى ج و س و د «حتى يُجْعَلَ شيء» .

(٣) فى ج و س و د و هـ «من غير شيء» .

(٤) فى س «وإن خالها» .

(٥) فى ج و د «العاصى» .

(٦) فى ج «صديق» .

وقال امْرُؤُ القَيْسِ :

إذا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسَانَهُ ... فَلَيْسَ على شيءٍ سِوَاهُ بخَزَّانِ

وأحْسَنُ ما سُمِعَ فى هذا [المعنى][1] : ما يُعْزَى إلى علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه ، فقائلٌ يقولُ : هُوَ لَهُ ، ويقولُ آخرونَ : قاله مُتَمَثِّلاً ، ولم يُخْتَلَفْ[2] فى أنه كان يُكْثِرُ إنشادَهُ :

فلا تُفْشِ سِرَّكَ إلاَّ إليكَ ... فانَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

وإنِّى رأيتُ غُوَاةَ الرِّجَا ... لِ لا يَتْركونَ أدِيمًا صَحِيحَا

وذَكَر العُتْبِىُّ : أنَّ معاويةَ [بن أبى سفيانَ][3] أسَرَّ إلى عثمان بن عَنْبَسَةَ بن أبى سفيانَ حديثاً ، قال عثمانُ : فجئتُ إلى أبِى ، فقلتُ : إنَّ أميرَ المؤمنين أسَرَّ إلىَّ حديثاً ، أفأُحَدِّثُكَ به ؟ قال : لا ، إنه مَنْ كَتَمَ حديثَه كان الخِيارُ إليه ، ومَنْ أظْهره كان الخيارُ عليه ، فلا تجعلْ نفسَك مملوكاً بَعْدَ أنْ كنتَ مالكاً ، فقلت له : أوَ يَدْخُلُ هذا بين الرَّجلِ وأبيه ؟ ! فقال : لا ، ولكنى أكْرهُ أن تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاء السِّرِّ ، قال : فرجعتُ إلى معاويةَ فذكرتُ ذاك له ، فقال معاويةُ : أعْتَقَكَ أخِى من رِقِّ الخَطَإ .

وقال معاويةُ : أُعِنْتُ عَلَى علِيٍّ رحمه الله بأربعٍ : كنتُ رجلاً أكْتُمُ سِرِّى ، وكان رجلاً ظُهَرَةً[4] ، وكنتُ فى أطْوَعِ جُنْدٍ وأصلَحِهِ ، وكان فى

---

(١) الزيادة من د .

(٢) فى ع و د « ولن يُخْتَلَفَ » .

(٣) الزيادة من ع و س و د .

(٤) « ظهرة » بضم الظاء المعجمة وفتح الهاء ، أى يظهر أمره للناس .

أخبثِ جندٍ وأعصاهُ ، وتركتُه وأصحابَ الجَمَلِ ، وقلتُ : إنْ ظَفِرُوا به كانوا أهْوَنَ عليَّ منه ، وإن ظَفِرَ بهم اعْتَدَدتُ بها عليه فى دينه ، وكنتُ أحَبَّ إلى قُرَيْشٍ منه ، فيَا لَكَ من جامعٍ إليَّ ومُفَرِّق عنه ، وعَوْنٍ لى وعونٍ عليه .

وقال أرْدَشيرُ(١) : الدَّاءُ فى كلِّ مكتومٍ .

وقال الأخطلُ :

إن العداوة تَلْقاها وإن قَدُمَتْ ... كالعَرِّ يَكْمُنُ حيناً ثمَّ يَنْتَشِرُ(٢)

وقال جَميلٌ :

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّى وسِرَّكِ ثالثٌ ... ألَا كُلُّ سِرٍّ جاوزَ اثنينِ شائعُ

وقال آخرُ ، وهو مِسْكِينٌ الدارِمىُّ(٣) :

وفِتْيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضِهم ... على سِرِّ بعضٍ غيرَ أنِّى جِماعُها(٤)

يَظَلُّونَ فى الأرضِ الفَضاءِ وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أعْيَا الرجالَ انصداعُها(٥)

[لِكلِّ امرىءٍ شِعْبٌ من القلبِ فارغٌ ... وموضعُ نَجْوَى لا يُرَامُ اطِّلاعُها](٦)

وقال آخرُ :

سأكتُمه سِرِّى وأحفظُ سِرَّهُ ... ولا غَرَّنِى أنِّى عليهِ كريمُ

---

(١) فى ج و س و د « أزدشير » بالزاى .

(٢) « العرّ » بفتح العين المهملة وبضمها ، وهو الجرب .

(٣) قال المرصفى : « مسكين : لقب غلب عليه » ، واسمه : ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح — مصغرين — بن عمرو بن زيد بن عدس بن دارم ، شاعر أموى شريف ، من سادات قومه » .

(٤) فى ج و س و د « لستُ أُطْلِعُ بعضَهم » .

(٥) بحاشية ا « يَظَلُّون شَتَّى فى البلادِ » .

(٦) الزيادة من حاشية ج . و « الشعب » بكسر الشين : الطريق فى الجبل . قال المرصفى : « الأجود تقديم هذا البيت على ماقبله ، كما صنع أبو تمام فى حماسته » .

حَليمٌ فيَنْسَى أو جَهولٌ يُضيعهُ ... وما الناسُ إلاَّ جاهلٌ وحَليمُ[1]

وكان يقال : أصبرُ الناسِ مَنْ صبرَ على كِتمانِ سِرِّه ، ولم يُبْدِه[2] لصديقه ، فيوشِكَ أن يصير عَدُوًّا فيُذيعَهُ .

وقال العُتْبِيُّ[3] :

ولى صاحِبٌ سِرِّى المُكَتَّمُ عندَه ... مَخاريقُ نيرانٍ بلَيلٍ تُحَرَّقُ[4]

عَطفْتُ على أسرارِه فكَسَوْتُها ... ثياباً من الكِتمانِ لا تتخرَّقُ

فمَنْ تكُنِ الأسرارُ تَطفُو بصدرِه ... فأسرارُ صَدْرِى بالأحاديث تُغْرَقُ

فلا تُودِعَنَّ الدهرَ سِرَّكَ أحمقاً ... فإنك إن أودعتَهُ منـه أحمقُ

وحَسْبُكَ فى سَتْرِ الأحاديثِ واعِظاً ... من القول ماقال الأريبُ المُوَفَّقُ:[5]

« إذا ضاق صَدْرُ المَرْء عن سِرِّ نفسِه ... فَصَدْرُ الذى يُستَوْدَعِ السِرَّ أضيَقُ »[6]

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِيُّ :

ولستُ بِمُبْدٍ للرجالِ سَرِيرَتِى ... وما أنا عن أسرارِهم بِسَؤُولِ[7]

---

(١) فى د « أو جهولٌ فيُتَّقى » .

(٢) فى ج و س و د « فلم يبده » .

(٣) فى طبعات مصر « وقال آخر » وهو مخالف لكل النسخ .

(٤) قال المرصفى : « مخاريق : جمع مخراق ، بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة ، وهو ماتلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، يضرب بها بعضهم بعضا ، وكنى بتحريقها عن إذاعة سره » .

(٥) فى ج و س و د « الأديب » .

(٦) هذا البيت لشاعر آخر ، وهو مع بيت قبله فى لباب الآداب (ص ٢٤٠) . قال المرصفى : « هـذا هو الذى يسميه علماء البديع بالايداع ، وهو أن يودع الناظم شعره بيتاً أو شطراً من شعر غيره ، مع التنبيه عليه ، فان اشتهر لصاحبه ساغ له أخذه من غير تنبيه عليه » .

(٧) فى ج و د « ولا أنا » .

[ولا أنا يوماً للحديثِ سَمِعتُهُ ... إلى هٰهنا مِنْ هٰهنا بنَقُولِ][1]

[وما أنا لِلشئِ الذى ليس نافِعِى ... ويَغضَبُ منه صاحِبِى بقَؤُولِ][2]

وقد ذكرنا قولَ العباسِ بنِ عبد المُطَّلِبِ رحمه الله لابنِه عبدِ الله[3] : إن هذا الرجلَ قد اختصَّكَ دونَ[4] أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] فاحْفَظْ عنِّى ثلاثاً : لا يُجَرِّبَنَّ عليك كَذِباً ، ولا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، ولا تَغْتَبْ عندَه أحدًا . فقيلَ لابن عباسٍ : كلٌّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من ألفِ دينارٍ ، فقال : كلٌّ واحدةٍ منهنَّ خيرٌ من عشرةِ آلافٍ .

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

لى حيلةٌ فيمن يَنُمُّ ... وليس فى الكَذَّابِ حِيلَهْ

مَنْ كان يَخْلُقُ ما يقو ... لُ فحيلتى فيه قليلَهْ[6]

وقال آخرُ [قال أبو الحسن : هو أبو العباسِ المُبَرِّدُ][7] :

إنَّ النَّمومَ أُغَطِّى دونَه خَبَرِى ... وليس لى حيلةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال بعضُ المُحْدَثِينَ :

---

(١) الزيادة من ج .

(٢) الزيادة من نسخة أخرى فى جزء التعليقات ، من طبعة أوربة ، وهذا البيت ذكره المرصفى فى شرحه ضمن أبيات للشاعر ، ولكنه قبل البيتين اللذين هنا .

(٣) لم أجد قول العباس هذا فيم مضى من كتاب الكامل ، ولا فيما سيأتى ، بعد التتبع بمعونة الفهرس ، فى طبعة أوربة ، فلعل أبا العباس نسى .

(٤) فى طبعات مصر « من دون » وحرف «من» ليس فى أصول طبعة أوربة ، ولكنه مذكور فى جزء التعليقات عن بعض النسخ .

(٥) فى ج و س و د « أصحاب محمد عليه السلام » .

(٦) فى ج و س و د وحاشية ا « مَن كان يَكْذِبُ ما يُرِيدُ » .

(٧) فى بعض النسخ « هذا البيت للمبرّد » .

كَتَمْتُ الهوَى حتى إذا نَطَقَتْ به   بوادِرُ من دَمعٍ تَسِيلُ على الخدِّ[1]
وشاعَ الذى أضمرتُ من غيرِ مَنْطِقٍ   كأنَّ ضميرَ القلبِ يَرْشَحُ من جِلْدى

❊

وقال جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ العُذْرِىُّ[2] :

إذا جاوَزَ الإثنينِ سِرٌّ فإنه   بِنَثٍّ وَإِفْشَاءِ الحديثِ قَمِينُ[3]

وتأويلُ « قَمِينٍ » و« حَقِيقٍ » و « جَدِيرٍ » و « خَلِيقٍ » ـ : واحدٌ ، أى قريبٌ مِن ذاكَ ، هذه حقيقتُه ، يقال « قَمِنٌ » و « قَمَنٌ » فى معنًى ، قال الحارث بن خالدٍ المخزومىُّ :

مَنْ كان يسألُ عنّا أينَ منزلُنا   فالأُقْحُوَانَةُ منّا منزلٌ قَمَن

وفى الحديثِ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « من باعَ دارًا أو عقارًا فلم يَرْدُدْ ثمنَه فى مثلِهِ فذلك مالٌ قَمِنٌ ألاَّ يُبارَكَ فيه »[4] .

(١) فى ج « من دمعى يسيل » . وفى ج و س و د «على خدّى» وبها طبعت طبعات مصر .
(٢) هذا خطأ ، فان البيت معروف لقيس بن الخطيم ، وهو فى ديوانه (ص ٢٨) وكذلك نسب إليه فى الأمالى (ج ٢ ص ١٧٧ و ٢٠٢) والمستطرف (ج ١ ص ٢٨٤) . وقد ذكره الأمير أسامة فى لباب الآداب ضمن أبيات (ص ٢٣) فنسبه لقيس على الصواب ، ثم ذكره (ص ٢٤٠) فنسبه لجميل ، فأخطأ كما أخطأ أبو العباس .
(٣) فى ج و س و د « إذا جَاوَزَ الخِلَّيْنِ » . وفى د «وتكثيرِ الوُشَاةِ قمينُ» . وهو موافق للرواية الثانية فى لباب الآداب . و « النث » إفشاء السرّ ونشره .
(٤) أقرب لفظ لهذه الرواية رواية ابن ماجه فى سننه (ج ٢ ص ٥١) من حديث سعيد بن حريث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من باع داراً أو عقاراً فلم يجعل ثمنه فى مثله كان قمنا أن لايبارك فيه » . وليس لسعيد بن حريث فى الكتب الستة شىء إلا هذا الحديث عند ابن ماجه ، ورواه أيضا أحمد فى المسند (ج ٣ ص ٤٦٧ وج ٤ ص ٣٠٧) والدارمى فى سننه (ج ٢ ص ٢٧٣) وفى إسناده عندهم « إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر » ضعفه بعضهم من قبل حفظه ، وأنكروا عليه هذا الحديث ، ولكنه لم ينفرد به ، فقد رواه

وقال الرَّقاشِيُّ :

إذا نحنُ خِفْنا الكاشحِينَ فلم نُطِقْ   كلاماً تكلَّمْنا بأعيُنِنا سِرَّا
فَنَقْضِي ولم يُعْلَمْ بنا كلُّ حاجَةٍ   ولم نَكْشِفِ النَّجْوى ولم نَهْتِكِ السِّتْرا

وقال معاويةُ لِعَيَّاش بن صُحَارٍ العَبْدِيّ[1] : ما أقْرَبُ الاختصارِ ؟ قال : لَمْحَةٌ دَالَّةٌ .

وقيلَ : خيرُ الكلامِ ما أغنَى اختصارُهُ عن إكثارِه .

وقيلَ : النَّمائِمُ[2] سهمٌ قاتلٌ .

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ[3] :

لا أكتُمُ الأسرارَ لكنْ أُذِيعُها   ولا أدَعُ الأسرارَ تَغْلِي على قَلْبِي[4]

أيضا قيس بن الربيع ، وهو ضعيف الحفظ ، فتابعة كل منهما للآخر تزيل مايخشى من سوء حفظهما . وانظر ما كتبناه فى ذلك فى تعليقنا على الخراج ليحيى بن آدم (رقم ٢٦٤) . وقد ورد معناه أيضا عند أحمد من حديث سعيد بن زيد (ج ١ ص ١٩٠) وعند ابن ماجه من حديث حذيفة بن اليمان (ج ٢ ص ٥١) ، وحديث حذيفة نسبه أيضا السيوطى فى الجامع الصغير (رقم ٨٥٥٠) والعجلونى فى كشف الخفا (رقم ٢٤١٥) إلى الضياء فى المختارة ، ونسباه أيضا إلى مسند الطيالسى ، ولم أجده فيه ، وبالجملة فالحديث له أصل ، وهو صحيح بمجموع رواياته .

(١) هكذا ذكر اسمه أبو العباس المبرد ، وأخطأ فيه ، إنما هو « صحار بن عياش » و « صحار » بضم الصاد وتخفيف الحاء المهملتين وآخره راء ، قال ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٢٠١) : « والصُّحَارُ عَرَقُ الحُمَّى فى عَقِبِها » . و« عياش » بالياء المثناة التحتية وآخره شين معجمة ، وقيل فيه أيضاً « عباس » بالموحدة والمهملة . قال ابن دريد فى الاشتقاق : « صحار بن عياش : كان ممن وفد على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمانىّ الرأى ، مخالفاً لقومه » يعنى بنى عبد القيس . وترجم له ابن حجر فى الإصابة (ج ٣ ص ٢٣٥ـ٢٣٦) ، وقال : « لصحار أخبار حسان ، وكان بليغاً مفوها » ثم نقل بعض أخباره ، ومنها عن البيان للجاحظ : « قال معاوية لصحار : ماالبلاغة ! قال . الإيجاز ، قال . وما الإيجاز ؟ قال . أن لاتبطئ ولا تخطئ » . وانظرها مفصلة فى البيان (ج ١ ص ٩٣ ـ ٩٤) .

(٢) فى ج و س و د « النَّمَّامُ » .

(٣) فى ج و س و د « بعضُ المحدَثين » . وبها طبعت فى مصر .

(٤) فى ج و س و د بدل « أذيعها » « أُنِمُّهَا » . وبها طبعت فى مصر .

وَإِنّ قَايِلَ العقلِ مَنْ باتَ ليلةً تقلّبهُ الاشرارُ جَنْبًا على جَنْبِ[١]

وقال آخرُ :

وأمْنَعُ جارَتى من كلِّ خَيرٍ وأَمشِى بالنَّميمةِ بين صَحْبِى

ويقالُ للنَّمّامِ « القَتَّاتُ » .

وفى حديثٍ[٢] : « لا يَرَاحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنّةِ[٣] » .

وفى الحديثِ عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لعَنَ اللهُ المثَلِّثَ . فقيلَ : يا رسولَ الله ! ومَنِ المُثَلِّثُ ؟ فقال : الذى يَسْعَى بصاحبِه إلى سُلْطانِه ، فيُهْلِكُ نفسَه وصاحبَه وسلطانَه »[٤] .

وقال معاويةُ للأَحْنَفِ [بن قَيْسٍ][٥] فى شىءٍ بلغه عنه ، فأنكر ذلك الأَحنفُ ، فقال له معاويةُ : بلَّغَنِى عنك الثقةُ ، فقال له الأَحنفُ : يا أميرَ المؤمنين ! إن الثقةَ لا يُبَلِّغُ !!

---

(١) هكذا البيت فى طبعة أوربة ، وطبع فى طبعات مصر عن بعض النسخ المذكورة بحاشيتها بلفظ :

«وَ إِنَّ أَحَقَّ الناسِ بِالسُّخْفِ لَامْرُؤٌ تُقَلِّبُهُ الأَشْرَارُ جَنْبًا الى جَنْبِ »

(٢) فى ج و س « وفى الحديث » وبها طبعت نسخ مصر .

(٣) « يراح » بفتح أوله ، من الثلاثى ، يقال : « رَاحَ الشَّىْءَ يَرَاحُهُ ويَرِيحُهُ : إذا وَجَدَ رِيحَهُ » وضبط فى طبعات مصر بضم أوله ، وهو خطأ ، لأن المضارع من الرباعى « يُرِيحُ » يقال « أَرَحْتُ الشَّىْءَ فأنا أُرِيحُهُ إِذَا وَجَدْتُ رِيحَهُ » . والمعنى واحد .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى من حديث حذيفة بلفظ : « لايدخل الجنة نمام » وفى بعض ألفاظهم « قتات » .

(٤) لم أجد هذا الحديث .

(٥) الزيادة من ج و س .

وقال أحدُ الماضِينَ [وهو طُرَيْحُ بن إسمعيلَ الثَّقَفِىُّ](١) :

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإن سَمِعوا شَرًّا أُذِيعَ،وإن لم يَسْمَعُوا كَذَبُوا(٢)

وقال المُهلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ : أَدْنَى أخلاقِ الشريفِ كِتمانُ السرِّ ، وأعْلى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ إليه .

⁂

ويقالُ للنكاحِ « السِّرُّ » على غيرِ وجهِه ، وليس هذا مِن(٣) البابِ الذى كُنَّا فيه ، ولكن يُذْكَرُ الشىءُ بالشىءِ(٤) ، وهذا حرف يُغْلَطُ فيه ، لأن قومًا يجعلونَ « السِّرَّ » الزِّنا ، وقومٌ يجعلونَه الغِشْيانَ ، وكِلَا(٥) القولينِ خطأٌ ، إنما هو الغشيانُ من غيرِ وجهِه . قال الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(٦) ، فليس هذا مَوْضِعَ الزِّنا .

وقال الحُطَيْئَةُ :

ويَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِم عليهم ويأكُلُ جارُهُمْ أُنُفَ القِصَاعِ

وقال الأَعْشَى لسَلامَةَ ذِى فائشٍ الحِمْيَرِىِّ :

---

(١) الزيادة من ج و س و د .

(٢) فى س « شَرًّا أذاعُوا » .

(٣) فى س و د « على » بدل « من » .

(٤) فى ج و س و د « نَذْكُرُ الشىءَ بالشىءِ » .

(٥) رسمت فى بعض النسخ « وكلى » بالياء .

(٦) سورة البقرة (٢٣٥) . وانظر تفسير الطبرى (ج ٢ ص ٣٢٣ — ٣٢٥) وقد رجح أن المراد بالسر فى الآية الزنا .

وقومُكَ إنْ يَضْمَنُوا جارَةً ... وكانوا بِموضعِ أَنْضَادِهَا[١]

فلنْ يَطْلُبوا سِرَّها للغِنَى ... ولَن يُسْلِموها لِإِزْهادِهَا[٢]

[و][٣] فى هذا قولانِ : أحدُهما : أنهم لا يَطلبون اجْتِرَارَها إليهم على رَغْمِ أوليائِها من أجل مالِها غصْباً[٤] للجُوَارِ ، ولا يُسْلِمونَها إذا انقطع رجاؤُهم من الثوابِ والمكافأةِ . والآخرُ : أنهم لا يَرْغبون فى ذواتِ الأموالِ ، وإنما[٥] يَرغبون فى ذواتِ الأَحْسابِ ، اختياراً للأَولادِ ، وصِيانةً للأَصْهارِ أنْ يَطْمَعَ فيهم مَنْ لا حَسَبَ له .

وقولُ الحطيئةِ .

« ويأكلُ جارُهم أُنُفَ القِصَاعِ »

إنما يريدُ المستأنَفَ الذى لم يُؤْكَلْ قَبْلُ منه شىء ، يقال « رَوْضَةٌ أُنُفٌ » إذا لم تُرْعَ ، وَ « كَأْسٌ أُنُفٌ » إذا لم يُشْرَبْ منها شىء قبلُ[٦] .

قال لَقِيطُ بن زُرَارَةَ :

---

(١) قال المرصفى : « الأنضاد : الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، الواحد نضد ـ بالتحريك ـ يريد : يكونوا بموضع أولى شرفها وحسبها » .

(٢) فى اللسان مادة (ز هـ د) : يقول : لا يتركوها لقلة مالها ، وهو الإزهاد . قال أبو منصور : المعنى أنهم لا يسلمونها إلى من يريد هتك حرمتها لقلة مالها » .

(٣) الزيادة من ج .

(٤) فى ج و هـ « غَصْباً » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « إنما » .

(٦) بيت الحطيئة رواه ابن برى « أُنُفَ القصاع » وأتى به شاهداً على أن أنف كل شىء طرفه وأوله ، كما فى اللسان ، ورواية المبرد أجود .

إنّ الشِّوَاء والنَّشِيلَ والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحَسْنَاء والكَأْسَ الأُنُفْ

* لِلطَّاعِنِينَ الخَيْلَ والخَيْلُ خُنُفْ *(١)

[باب](٢)

[قال أبو العباس](٢) : وهذا باب اشترطنا أن نَخْرُجَ فيه من حَزْنٍ إلى سَهْلٍ ، ومن جِدٍّ إلى هَزْلٍ ، ليستريحَ إليه القارئُ ، ويَدْفَعَ عن مُسْتَمِعِهِ المَلاَلَ ، ونحنُ ذاكرونَ ذلك إن شاء الله .

قال بَكْرُ بن النَّطَّاحِ فى كَلِمَةٍ مدحَ بها(٣) مالِكَ بن علِيٍّ الخُزَاعِيَّ :

عَرَضْتُ عليها ما أرادتْ من المُنَى لترْضَى فقالتْ : قُمْ فجِئْنا بكَوْكَبِ

فقلتُ لها : هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ كمن يَتَشَهَّى لحمَ عَنقاء مُغْرِبِ(٤)

---

(١) « النشيل » لحم يطبخ بلا توابل ، وقال أبو حاتم : النشيل ماانتشلت بيدك من لحم القدر بلا مغرفة ، ولا يكون من الشواء نشيل . و « الخنف » بضم الخاء والنون ، جمع « خنُوف » من « خَنَفَ الفرسُ » : إذا مال بيديه فى أحد شقيه من النشاط ، ويقال « خنفت الدابة » « بيدها وأنفها فى السير » أى ضربت بهما نشاطاً ، وقيل « خنف الفرس » : أمال أنفه إلى فارسه ، والمعانى متقاربة .

(٢) الزيادتان من بعض النسخ .

(٣) فى طبعات مصر « فى كلمة له يمدح فيها » فقوله « له » ليس فى شىء من النسخ وقوله « يمدح فيها » هو مافى ع و س و د و هـ .

(٤) « العنقاء » قالوا : « طائرٌ ضخمٌ ليس بالعُقاب . » وقيل : العنقاء المُغْرِبُ كلمةٌ لا أصل لها ، يقال : إنها طائر عظيم ، لا يُرى إلاّ فى الدُّهور ، ثم كثُر ذلك حتى سمّوا الدّاهية عنقاء مُغْرِباً وَمُغْرِبَةً » هذا نص اللسان ، وفيه أقوال أخرى . ويجوز

فلو أنّنِي أصبحتُ في جُودِ مالكٍ وعِزّتِهِ ما نالَ ذلكِ مَطلَبِي[1]
فَتَى شَقِيَتْ أموالهُ بسَماحِهِ كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأسيافِ تَغْلِبِ[2]

وقال الخَليعُ[3] في كلمةٍ [له][4] يمدح بها عاصماً الغسّانىّ :

أقولُ ونفسِي بينَ شَوقٍ وحَسْرَةٍ وقد شَخَصَتْ عيني ودَمْعِي على خَدِّي:
أَرِيحى بقَتْلِ مَنْ تَرَكْتِ فُؤادَهُ بلَحْظَتِهِ بينَ التّأسُّفِ والجَهْدِ
فقالتْ : عذابٌ في الهوى قبل مِيتَةٍ وموتٌ إذا أقْرَحْتَ قلبكَ من بَعْدِي[5]
لقد فَطَنَتْ للجَوْرِ فِطْنَةَ عاصِمٍ لِصُنْعِ الأيادِي الغُرِّ في طَلَبِ الحَمْدِ
سَأَشْكُوكِ في الأشعارِ غيرَ مُقَصِّرٍ إلى عاصِمٍ ذي المَكْرُماتِ وذي المَجْدِ
لعلَّ فَتَى غَسّانَ يجمعُ بيننا فَتَأمَنَ نفسِي منكُمُ لَوْعَةَ الصَّدِّ

وقال [أبو العَتاهِيَة][6] إسمعيلُ بن القاسمِ :

إن السّلامَ وإنَّ البِشْرَ من رجل في مِثْلِ ما أنتَ فيه ليس يكفيني
هذا زمانٌ ألَحَّ الناسُ فيه على زَهْوِ الملوكِ وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاكَ اللهُ صالحةً عَنِّي وزادكَ خيرًا يا ابْنَ يَقْطِينِ

أن يذكر « مذرب » مضافا إلى « عنقاء » كما في البيت ، وأن يذكر على الوصف ، كما في عبارة اللسان .

(١) في ﻫ و « هِمَّتِه » بدل « وعزّته » .

(٢) في ج و س و د و ﻫ « بأَرْماحِ تغلبِ » وبها طبعت نسخ مصر .

(٣) « الخليع » لقبه ، وهو أبو عبد الله الحسين بن الضحاك بن ياسر ، لقب بذلك لكثرة خلاعته ومجونه ، وهو من شعراء الدولة العباسية . قاله المرصفي .

(٤) الزيادة من ج و د .

(٥) في ج و س و ﻫ « بالهوى » .

(٦) الزيادة من د .

أنّى أُريدكَ للدنيا وعاجلِها ولا أُريدكَ يومَ الدِّينِ لِلدِّينِ

وقال يَزيدُ بن محمد [بن المُهلَّبِ] (١) المُهلَّبيُّ فى كلمةٍ [له] (٢) يمدحُ بها إسحٰقَ بن إبراهيمَ :

إنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لكَ المدحَ إنّى لَأَبْنُ بيتٍ تُهْدَى له الأَشْعارُ (٣)

غيرَ أنّى أراكَ من أهلِ بيتٍ ما على الحُرِّ أنْ يَسُودُوهُ عارُ (٤)

و [قال أيضاً] (٥) فى كلمةٍ أخرى :

وإذا جُدِدتَّ فكلُّ شىءٍ نافعٌ وإذا حُدِدتَّ فكلُّ شىءٍ ضارُّ (٦)

وإذا أتاكَ مُهلَّبىٌّ فى الوغَى والسيفُ فى يدِهِ فنِعْمَ النّاصِرُ

وقال عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ لما أتاه قتلُ مُصْعَبِ بن الزبيرِ : أشهِدَهُ المُهلَّبُ بن أبى صُفْرَةَ ؟ قالوا : لا ، كان المُهلَّبُ فى وجُوهِ الخَوارِج ، قال : أفشَهِدَهُ عَبّادُ بن الحُصَيْنِ الحَبَطِيُّ ؟ قالوا : لا ، قال : أفشَهِدَهُ عبدُالله بن خازمٍ السُّلَمِيُّ ؟ قالوا : لا . فتمثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ :

فقلتُ لها : عِيثِى جَعارِ وجَرِّرِى بِلَحْمِ امْرِئٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُهْ (٧)

« جَعارِ » اسمٌ من أسماء الضَّبُعِ ، وهى صفةٌ غالبةٌ ، لأنه يقال لها

(١) الزيادة من ج و س ، ولكن س ليس فيها « المهلبى » .
(٢) الزيادة من د .
(٣) فى ج و س و د و هـ « لكَ الشِّعْرَ » وبها طبعت نسخ مصر .
(٤) فى هـ « ما على المَرْءِ » وفى ج و هـ « تسودوه » .
(٥) الزيادة من ج و س . وفى د و هـ « وقال فى » .
(٦) « جددت » بالجيم ، أى أُعطيتَ الجَدَّ ، وهو الحظ . و « حددت » بالحاء المهملة ، أى مُنعتَ
(٧) « العيث » الفساد .

« جاعِرَةٌ » فهذا فى بابه كـ« فَسَاقِ » و « لَكَاعِ » و « حَلاَقِ » المَنِيَّةِ.

وقد فسّرنا هذا البابَ مُسْتَقْصًى على وجوهه الأربعةِ[1].

٭

ويُرْوَى : أن ابنةَ جاريةٍ[2] لِهَمّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبانَ قالتْ له يومًا :

أَهَمّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قَلْبِي ... إلى اللّائى يَكُنَّ مَعَ الرجالِ

فقال : يا فَسَاقِ ! أردتِ صَفيحةً[3] ماضيةً ! فقالتْ :

أَهَمّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبِي ... إلى صَلْعاءَ مُشْرِفَةِ القَذَالِ[4]

فقال : يا فَجارِ ! أردتِ بَيْضَةً حصينةً[5] ! فقالتْ :

أَهَمّامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبِي ... إلى أَيْرٍ أَسُدُّ به مَبالِي !

قال : فقتلها .

٭

قال أبو العباس : قال أبو الشَّمَقْمَقِ ، وهو مَرْوانُ بن محمدٍ ، وزَعَم التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبَيْدةَ قال : أبو الشَّمَقْمَقِ ومنصورُ بن زياد ويَحْيى بن سُلَيْمٍ

---

(١) مضى فى هذا الجزء (ص ٤١٢ — ٤١٥) .

(٢) فى هـ « أن ابنةً لهمام » . وفى ج و س و د « أن جارية لهمام » .

(٣) « الصفيحة » واحدة « الصفائح » وهى السيوف العريضة .

(٤) فى هـ « بنَ مُرَّةَ إنَّ همِّى كَنِى صَلْعاء » . قال المرصفى : « القذال : جماع مؤخر الرأس من الانسان والفرس ، استعارته لما تريد ، كما استعارت له الصلع ، وهو ذهاب الشعر » .

(٥) « البيضة » من الحديد ، تلبس على الرأس تقيه السلاح ، ولذلك وصفها بأنها حصينة ، وصفاً لجودتها وقوّتها .

الـكاتِبُ ـ : مِن أهل خراسانَ ، مِن بُخاريَّةِ عُبيْدِ الله بن زيادٍ[1] ، وكان أبو الشمقمقِ رُبَّما لَحَنَ ، ويهْزِلُ كثيراً ويُجِدُّ ، فيكْثُرُ صوابُه ، قال يمدحُ مالكَ بنَ عليٍّ الخُزاعيَّ ويذمُّ سَعيدَ بن سَلْمٍ الباهليَّ :

قد مَرَرْنا بمالكٍ فوجَدْنا ... هُ كريمًا إلى المَكارمِ يَنْمِي[2]

ما يُبالِي أتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ ... أم أتَتْه يأجُوجُ من خَلْفِ رَدْمِ[3]

فانْتَهَيْنا إلى سَعيدِ بن سَلْمٍ ... فإذا ضَيْفُه من الجوعِ يَرْمِي[4]

وإذا خُبْزُهُ عليه « سَيَكْفِيـ ... ـكَهُمُ اللهُ » ما بَدَا ضَوْءُ نَجْمِ

وإذا خاتَمُ النبيِّ سُلَيْما ... نَ بنِ داوُدَ قد عَلاهُ بخَتْمِ[5]

فارْتَحَلْنا مِن عِنْدِ هذا بحَمْدٍ ... وارْتَحَلْنا من عِنْدِ هذا بذَمِّ

وقال عبدُ الصمد بنُ المُعَذَّلِ يرثي سَعيدَ بن سَلْمٍ :

كَمْ صغيرٍ جَبَرْتَهُ بعدَ يُتْمٍ ... وفَقيرٍ نَعَشْتَهُ بعدَ عُدْمِ[6]

---

(١) هنا فى طبعات مصر زيادة بين قوسين نصها : « وبخارية اسم قرية من قرى خراسان ، وبها كان عبيد الله بن زياد » . وهذه الزيادة أخذها المصححون من جزء التعليقات الملحق بطبعة أوربة ، فأخطؤا وضعها موضعها ، لأن موضعها يكون عقب قوله « من بخارية » وقبل قوله « عبيد الله بن زياد » . وقد ردّ المرصفى على هذه الزيادة رداً شديدا فقال : « هذا كذب ، والصواب ماذكرياقوت فى معجمه ، أنها سكة بالبصرة ، أسكنها عبيدالله بن زياد أهل بخارى الذين نقلهم كما ذكرنا من بخارى إلى البصرة ، وبنى لهم هذه السكة ، فعرفت بهم ، ولم تعرف به » .

(٢) فى ع و س و د و هـ « جواداً إلى المكارم » وبها طبعت فى مصر .

(٣) فى ع و س و د و هـ « أم أتاه » . و « ياجوج » فى البيت . بتخفيف الهمزة ، وفى ا « يأجوج » بتحقيقها .

(٤) فى ع و س و د و هـ « فارتحلنا إلى سعيد » .

(٥) همز هنا « داءود » أيضاً ، وانظر ما كتبنا فى حاشية (ص ٦٦٩) .

(٦) فى ع و س و د « كم يتيمٍ » .

كُلَّما عَضَّتِ الحوادثُ نادَى : رَضِيَ اللهُ عن سَعيدِ بنِ سَلْم

وقال سعيدُ بن سَلْمٍ : عَرَضَ لى أعرابىٌّ فمدَحني فبَلَّغ(١) ، فقال :

أَلاَ قُلْ لِسَارِي الليلِ : لا تخشَ ضَلَّةً سعيدُ بن سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلاَدِ(٢)

لنَا سَيِّدٌ أَرْبَى على كلِّ سيِّدٍ جَوَادٌ حَثَا فِي وجهِ كُلِّ جَوَادِ

قال : فتأخَّرْتُ عن بِرِّهِ قليلاً ، فهجانِي فبَلَّغ(٣) ، فقال :

لِكُلِّ أخِي مَدْحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ وليس لِمَدْحِ الباهِليِّ ثَوَابُ

مَدَحْتُ ابنَ سَلْمٍ والمَدِيحُ مَهَزَّةٌ فكانَ كَصَفْوَانٍ عليه تُرابُ

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ [في سعيدٍ](٤) :

قال لِي الناسُ : زُرْ سَعِيدَ بنَ سَلْمٍ قلتُ للناسِ : لا أَزُورُ سَعِيدًا(٥)

وأَميرِى فَتَى خُزَاعَةَ بالبَصْرَةِ قد عَمَّها سماحًا وجُودَا

وَلَنِعْمَ الفَتَى سَعِيدٌ ولكِنْ مالكٌ أكرمُ البَرِيَّةِ عُودَا

فقال سعيدٌ : لَوَدِدتُ أنه لم يكنْ ذَكَرَنِي مع مالكٍ و [أنه](٦) أخذَ مِنِّي أُمْنِيَّتَهُ .

وقال أبو الشمقمقِ [أيضًا](٧) :

---

(١) ف هـ « فَبالَغَ » وفى س و د « فأَبْلَغَ » وفى ج « فَبَلَّغَ » .

(٢) ف ج « نُورُ كل بلادِ » .

(٣) ف ج و د « فَبَلَّغَ » وفى س « فأَبْلَغَ » .

(٤) الزيادة من هـ .

(٥) ف هـ « لا أريد سعيدا » .

(٦) الزيادة من ج و س .

(٧) الزيادة من س .

هيهاتَ تَضْرِبُ في حَديدٍ باردٍ إنْ كنتَ تطمعُ في نوالِ سَعيدِ
واللهِ لو مَلَكَ البِحارَ بأسْرِها وأتاهُ سَلْمٌ في زمانِ مُدُودِ[1]
يَبْغيهِ منها شَرْبَةً لِطَهُورِهِ لَأَبَى وقال: تَيَمَّمَنْ بِصَعيدِ!

[ومثلُه قولُ الآخرِ:

لو أنَّ قصْرَكَ يابْنَ يوسفَ كُلَّهُ إبَرٌ يَضِيقُ بها فَضاءُ المَنْزِلِ
وأتاكَ يوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إبْرَةً ليخيطَ قَدَّ قَميصِهِ لم تَفْعَلِ][2]

وقال مُسْلمُ بن الوَليدِ:

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ غَريمُها وبُخْلُكَ بُخْلُ الباهِليِّ سَعِيدِ
سَعيدُ بن سَلْمٍ أَلأَمُ الناسِ كُلِّهِمْ وما قومُهُ من بُخْلِهِ ببعيدِ[3]
يزيدُ له فضلٌ ولكنَّ مَزْيَدًا تَدارَكَ مِنَّا مَجْــدَهُ بِيَزيدِ
خُزَيْمَةُ لا بأسٌ بهِ غيرَ أنهُ لمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَـديدِ

وقال عبدُ الصمد بن المُعَذَّلِ، يرْثِي عمرَو بن سعيدٍ، وكان عمرٌو هَلَكَ بعدَ سَعيدٍ بيسيرٍ[4]—:

رُزِينا أبا عَمْرٍو فقلنا: لنا عَمْرٌو سَيَكْفِيكَ ضَوْءُ البَدْرِ غَيْبُوبَةَ البَدْرِ

---

(١) في ج و س و د و هـ «البُحُورَ». وفي هـ «في أوان مدود».
(٢) الزيادة من س.
(٣) في ج و س و د «من لؤمه ببعيد».
(٤) في ج و س و د و هـ «يَرْثِي عمرَو بن سعيد بن سَلْمٍ، وكان عمرٌو هَلَكَ بُعَيْدَ سعيدٍ بيسيرٍ».

وكانَ أبو عمرٍو مُمارًا حَياتَهُ بعمرٍو فلمَّا ماتَ ماتَ أبو عَمْرِو(١)

❁

وقال أميرُ المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيدِ بن سَلْمٍ : ياسَعيدُ ! مَنْ بَيْتُ قَيْسٍ في الجاهليةِ ؟ قال : يا أميرَ المؤمنينَ ! بنو فَزارةَ ، قال : فَمَنْ بيتُهم في الإسلام ؟ قال : ياأميرَ المؤمنين ! [الشَّريفُ](٢) مَنْ شَرَّفْتُمُوه ، قال : صدقتَ ، أنتَ وقومُكَ .

وحدثني عليُّ بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشميُّ قال : حدثني رجلٌ من أهل مكةَ قال : أُريتُ سعيدَ بن سَلْمٍ في النَّوْم(٣) ، في حياتِه وفي نعمتِه(٤) ، وكثرةِ عَدَدِ ولَدِه ، وحُسْنِ مذهبِه ، وكمالِ مُرُوءَتِهِ(٥) ، فقلتُ في نفسي : ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدُ بن سَلْمٍ ! فقال لي قائلٌ : وما ذَخَره الله له في الآخرةِ أكثرُ .

وكان سعيدٌ(٦) إذا استقْبَلَ السَّنةَ التي يَستأنِفُ فيها(٧) عَدَدَ سِنِيهِ أعتقَ نَسَمةً وتصدَّقَ بعشَرةِ آلافِ درهمٍ ، فقيل لِمَدِينيٍّ : إنَّ سعيدًا يَشْتري نفسَه(٨) بعشرة آلاف درهمٍ ، فقال : إذًا لا يَبِيعَهُ .

---

(١) في ج و د « مُمَارًا حياتَهُ » .

(٢) الزدياة من ج و س و د و هـ .

(٣) في ج و س و د و هـ «رأيت في منامي سعيد بن سلم» . وفي س « في منامي في مكة » .

(٤) في د و هـ « ولعمته » وفي ج و س « في لعمته » .

(٥) هنا في طبعات مصر زيادة « قال » وليست في شيء من الأصول .

(٦) في طبعات مصر « سعيد بن سلم » والزيادة ليست في الأصول .

(٧) في ج و س و هـ « يستقبل فيها » وفي د « يستقبل بها » .

(٨) في ج و د « إن سعيد بن سلم اشترى نفسه من ربه » ، وبذلك طبعت في مصر ، ولكن بلفظ « يشترى » .

وقال أحمدُ بن يوسفَ الكاتبُ لولدِ سعيدٍ[١]:

أبنِي سعيدٍ إنكم من مَعْشَرٍ   لا يَعْرفونَ كرامةَ الأَضْيافِ
قَومٌ لباهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ إنْ هُمُ   نُسِبوا حَسِبْتَهُمُ لعبدِ مَنافِ
قَرنُوا الغَدَاءَ إلى العَشاءِ وقرَّبوا   زَاداً لَعَمْرُ أبيكَ ليس بكافِ
وكأنّنى لمَّا حَطَطْتُ إليهمِ   رَحْلى نَزَلْتُ بأَبْرَقِ العَزَّافِ[٢]
بَيْنا كذاكَ أتاهمُ كُبَرَاؤُهمْ   يَلْحَوْنَ فى التبذيرِ والإسْرَافِ

وأنشدنى المازنىُّ :

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ مِن فَضْلِهِ   ولا تسألنَّ أبا وائِلَهْ
فما سألَ اللهَ عبدٌ له   فخابَ ولَوْ كان من باهِلَهْ

[قال أبو الحسن : وزادنى بعضُ أصحابنا :

تَرَى الباهِلِيَّ على خُبْزِهِ   إذا رَامَهُ آكلٌ آكِلَهْ][٣]

وأنشدَ أبو العباس لرجلٍ[٤] من عبد القَيْسِ :

أباهِلَ يَنْبحُنِى كلبُكم   وأُسْدُكُمُ كَكِلابِ العرَبْ
ولو قيلَ للكلبِ يا باهِلِىُّ   عَوَى الكلبُ من لُؤْمِ هذا النَّسَبْ[٥]

وحدثنى علىُّ بن القاسمِ قال : حدثنى أبو قِلابَةَ الجَرْمىُّ قال : حججنا

---

(١) فى طبعات مصر « سعيد بن سلم » والزيادة ليست فى الأصل .

(٢) قال المرصفى : « العَزَّاف : بفتح العين وتشديد الزاى ، جبل من جبال الدهناء ، أو رمل لبنى سعد . والأبرق : المكان الغليظ الحجارة مختلطة برمل » .

(٣) الزيادة من س و د وحاشية ا ونسخ أخرى .

(٤) فى ج و س و د و هـ « وأنشدنى رجل » .

(٥) فى س و هـ « ذاك النسب » .

مَرَّةً مع أبي جَزْء[1] بن عمرِو بن سعيد ، قال : وكُنَّا في ذَرَاهُ[2] ، وهو إذْ ذاكَ بَهِيٌّ وَضِيٌّ[3] ، فجلسنا في المسجدِ الحرامِ إلى قومٍ[4] من بني الحٰرثِ بن كَعْبٍ ، لم نرَ أفْصَحَ منهم ، فرَأَوْا هيئةَ أبي جَزْء وإعظَامَنا إيّاه مع جمالِهِ ، فقال قائلٌ منهم له : أمِنْ أهل بيتِ الخليفةِ أنتَ ؟ قال : لا ، ولكن رجلٌ من العرب ، قال : ممن الرجلُ ؟ قال : [رَجلٌ][5] من مُضَرَ ، قال : أعْرَضَ ثوبَ المُلْبَسِ[6] ! مِنْ أيِّها عافاكَ اللهُ ؟ قال : رجلٌ من قيسٍ ، قال : أيْنَ يُرادُ بكَ ، صِرْ إلى فَصِيلتِكَ التي تُؤْوِيكَ ؟ ! قال : رجلٌ من بني سعدِ بن قيسٍ ، قال : اللهم غَفْرًا ! مِن أيِّها عافاكَ الله ؟ قال : رجلٌ من بني يَعْصُرَ ، قال : مِن أيِّها ؟ قال : رجلٌ من باهِلَةَ ، قال : قُمْ عَنَّا !! قال أبو قِلابَةَ : فأقبلتُ على الحارثيِّ فقلتُ : أتعرفُ [مَنْ][7] هذا ؟ قال : ذَكَرَ أنه باهليٌّ ! فقلتُ : هذا أميرُ ابنُ أميرِ ابنِ أميرِ [ابن أميرِ ابن أميرٍ][8] ، قال : حتى عَدَدتُ خمسةً ، [ثم قلتُ][9] : هذا أبو جَزْءٍ أميرٌ ، ابنُ عمرٍو ، وكان أميرًا ،

---

(١) « جزء » بفتح الجيم وسكون الزاي . وقد رسمت في أكثر الأصول «جَزْيٍ» بالياء وتحتها همزة مكسورة .

(٢) « في ذراه » أي في كنفه .

(٣) في ع « بَهِيٌّ وَضِيٌّ » .

(٤) في ع و س و د و هـ « أقوام » وبها طبعت في مصر .

(٥) الزيادة من ع و س و د .

(٦) في ع و د « أعْرَضَ ثوبُ المُلْبِسِ » .

(٧) الزيادة من ع و د .

(٨) الزيادة من ع .

(٩) الزيادة من ع و س و د و هـ .

ابنُ سعيدٍ، وكان أميرًا ، ابن سَلْمٍ، وكان أميرًا ، ابن قتيبةَ ، وكان أميرًا ، فقال الحارثىُّ : الأميرُ أعظَمُ أم الخليفةُ ؟ فقلتُ : [بَلِ][1] الخليفةُ ، قال : أفالخليفةُ أعظمُ أم النَّبِىُّ ؟ قلتُ : بَلِ النبىُّ ، قال [ف]و[1] : الله لو عَدَدتُ له فى النبوةِ أضعافَ ما عددتُ له فى الإمارةِ[2] ثم كان باهليًّا ماعَبَأَ اللهُ به شيئًا !! قال : فكادَتْ نفسُ أبى جَزْءٍ تَخْرُجُ ، فقلتُ [له] : [3] انْهَضْ بنا ، فإن هؤلاء أسوأُ الناسِ آدابًا .

[قال أبو الحسن : يقالُ للرجلِ إذا سُئِلَ عن شىء فأجابَ عن غيرِه « أعْرَضَ ثوبَ المُلْبَسِ » أى : أبْدَى غيرَ ما يُرَادُ منه] .

وحُدِّثتُ أن أعرابيًّا اتى رجلاً من الحاجِّ ، فقال له : ممن الرجلُ ؟ قال باهلىٌّ ، قال : أُعيذك بالله من ذلك ! قال : إى والله ، وأنا مع ذلك مولًى لهم ! فأقبل الأعرابىُّ يقبلُ يديه ويتمسَّحُ به ، قال له الرجلُ : ولِمَ تفعلُ ذاك ؟ قال : لأنى أثِقُ بأن اللهَ عز وجل لم يَبْتَلِكَ بهذا فى الدنيا إلاَّ وأنتَ من أهلِ الجنةِ[4] !!

☙

ويَزعمُ الرَّقاشِىُّ[5] : أن قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمٍ لما فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ[6] أفضَى إلى

---

(١) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « فى الإمْرَةِ » .

(٣) الزيادة من س و د و هـ .

(٤) فى ج و س و د و هـ « إلا وأنت فى الجنة » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « وتزْعُمُ الرُّواةُ » .

(٦) « سمرقند » بفتح السين والميم والقاف وبسكون الراء والنون وآخرها دال مهملة . كذا

أثاثٍ لم يُرَ مثلُهُ ، وإلى آلاتٍ لم يُسْمَعْ بِمثلها(١) ، فأرادَ أن يُرِيَ الناسَ عظيمَ ما فَتَحَ اللهُ عليـه ، ويُعَرِّفَهم أقدارَ القومِ الذين ظَهَرَ عليهم ، فأمَرَ بدارٍ فَفُرِشَتْ ، وفى صَحْنِها قُدورٌ تُرْتَقَى بالسَّلالمِ ، فإذا بالحُضَيْنِ(٢) بن المنذرِ بن الحارثِ بن وَعْلَةَ الرَّقَاشِيِّ قد أقبلَ ، والناسُ جُلُوسٌ على مراتبِهم ، والحُضَيْنُ شيخٌ كبيرٌ ، فلما رآه عبدُ الله بن مسلمٍ قال لقُتيبةَ : ائذنْ لى فى معاتَبتِه(٣) ، قال : لا تُرِدْهُ فإنه خبيثُ الجوابِ ، فأبى عبدُ الله إلاّ أن يأذنَ له ، وكان عبدُ الله يُضَعَّفُ ، وكان قد تَسَوَّرَ حائطاً إلى امرأةٍ قبلَ ذاكَ ، فأقبلَ على الحُضَيْنِ [بن المنذرِ](٤) فقال : أمِنَ البابِ دخلتَ يا أبا ساسانَ ؟ ! قال : أجَلْ ، أسَنَّ عَمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطانِ ! قال : أرأيتَ هذه القدورَ ؟ قال : هى أعظمُ من أن لا تُرَى ! قال : ما أحْسِبُ بكرَ بن وائلٍ رأى مثلَها ؟ قال : أجَلْ ، ولا عَيْلانَ ، ولو كان رآها سُمِّيَ شَبْعانَ ولم يُسَمَّ عَيْلانَ ! قال له عبدُ الله : يا أبا ساسان ! أتعرِفُ الذى يقولُ :

ضبطت فى أكثر الأصول ومعجم البلدان وغيرها . وضبطت فى ع « سَمَرْقَنْد » بفتح السين والراء وبينهما الميم بالفتح والسكون ، فهى ثلاث روايات فيها .

(١) فى ع و س و د و هـ « لم يُرَ مثلُها » .

(٢) « الحضين » بالضاد المعجمة وبالتصغير ، قال أبو أحمد العسكرى : « كان صاحب راية علىّ يوم صفين ، ثم ولاه إصطخر ، وكان من سادات ربيعة ، ولا أعرف حضينا بالضاد غيره وغير من ينسب إليه من ولده » . وهو من كبار التابعين ، روى عن عثمان وعلىّ وغيرهما ، وروى عنه الحسن البصرى وآخرون ، وأخرج له مسلم فى صحيحه . قال ابن منجويه : مات سنة ٩٧ ، وذكره البخارى فى التاريخ الصغير (ص ١١٨) فى الذين ماتوا بين سنتى (١٠٠ ــ ١١٠) .

(٣) فى ع و س « معابثته » ولعلها أجود .

(٤) الزيادة من ع و س و د .

عَزَلْنا وأَمَّرْنَا وبَكْرُ بن وائلٍ تَجُرُّ خُصَاها تَبْتَغِي من تُحَالِفُ ؟

قال : أعْرِفُه ، وأعرفُ الذى يقولُ :

وخَيْبةَ مَنْ يَخِيبُ على غَنِيٍّ وباهِلَةَ بن يَعْصُرَ والرِّكابِ[1]

[يريدُ : ياخَيْبَةَ مَن يَخِيبُ] . قال : أفتعرفُ الذى يقولُ :

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسْمَعٍ وقدعَرِقَتْ أفْوَاهُ بَكْرِ بن وائلٍ ؟[2]

قال : أعرفُ هذا[3] ، وأعرفُ الذى يقولُ :

قومٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وأبوهُمُ لولا قُتَيْبَةُ أصبحوا فى مَجْهَلِ

قال : أما الشعرُ فأراكَ تَرْوِيهِ ، ولكن هل[4] تقرأُ من القرآنِ شيئاً ؟ قال : أقرأُ منه الأكثرَ الأطيَبَ : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾[5] قال : فأَغضبَه ، فقال [له][6] : واللهِ لقد بلغنى أنَّ امرأةَ الحُضَيْنِ حُمِلَتْ إليه وهى حُبْلَى من غيرِه ! قال : فما تَحَرَّكَ الشيخُ عن هَيْئَتِه الأولَى ! ثم قال على رِسْلِهِ[7] : وما يكونُ ! تَلِدُ غلامًا على فِرَاشِى فيقالُ « فلانُ بن الحُضَيْنِ » كما يقالُ « عبدُ الله بنُ مسلمٍ » !! فأقبلَ قتيبةُ على عبد الله فقال : لا يُبْعِدِ اللهُ غيرَكَ .

---

(١) فى حاشية ج « والرِّباب » . قال المرصفى : « وهى الصواب ، لأنه لامناسبة للركاب — وهى الابل — هنا . والرباب بكسر الراء : قبائل » .

(٢) فى ج و س و د ه « إذا عَرِقَتْ » .

(٣) فى ج و س و د و ه « قال نعم » .

(٤) فى ج و س و د و ه « فهل » بحذف « ولكن » .

(٥) سورة الانسان (١) .

(٦) الزيادة من د .

(٧) « على رسله » بكسر الراء وسكون السين ، أى على هينته وتؤدته .

[قال أبو العباسِ[١]] : هذا الحُضَيْنُ بن المنذر بن الحرث بن وَعْلَةَ .
وكان الحضينُ بيده لواء علىّ بن أبى طالبٍ رحمه الله على ربيعةَ ، وله يقولُ القائلُ :

لِمَنْ رايةٌ سَوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها ... إذَا قيلَ قَدِّمْهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا

*

وللحرثِ بن وَعْلَةَ يقولُ الأعْشَى ، وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمَدْهُ[٢] ، وعَرَّجَ عنه إلى هَوْذَةَ بن علىٍّ ذِى التَّاجِ . وهوذةُ من بنى حَنيفَةَ بن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن عَلِىِّ بن بَكْرِ بن وائِلٍ ، والحرثُ بن وَعْلَةَ من بنى رَقاشٍ ، وهى امرأةٌ ، وأبوهم مالكُ بن شَيْبانَ بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْبِ بن عَلِىّ بن بكرِ بن وَائِلٍ ، فقال الأعشى يذكُر الحرثَ بن وَعْلَة وهَوْذَةَ بن علىٍّ :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنابَةٍ ... فكان حُرَيْثٌ عن عَطائِىَ جامِدَا
إذَا ما رَأَى ذَا حاجَةٍ فكأَنَّما ... يرَى أَسَدًا فى بيتِهِ وأَساوِدَا
لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فى النَّدَى ... شَمَائِلَهُ ولا أَبَاهُ مُجالِدَا
وإنَّ امْرَأً قد زُرْتُه قبلَ هذِه ... بجَوِّ لَخَيْرٌ منك نَفْسًا ووالِدَا[٣]
تَضَيَّفْتُهُ يومًا فقَرَّبَ مَجْلِسِى ... وَأَصْفَدَنِى عَلَى الزَّمانَةِ قائِدَا[٤]

---

(١) الزيادة من ج .
(٢) فى ج « فلم يُحْمِدْهُ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « فان امرأ » . وفى ج و س و د « بَعْدَ هذه » بدل « قبل هذه » . ولعل ذلك أجود .
(٤) فى هـ « فأكرم مجلسى » .

وأمْتَعَني على العَشَا بِوَلِيدَةٍ   فَأُبْتُ بِخيرٍ منكَ يا هَوْذَ حامِدَا
فَتَى لو يُبارِي الشَّمسَ أَلْقَتْ قِناعَها   أو القَمَرَ السَّارِي لأَلْقَى المَقالِدَا[1]
يَرَى جَمْعَ ما دُونَ الثلاثِين قُصْرَةً   ويَعْدُو على جمعِ الثلاثِينَ واحدَا

وهي كلِمَةٌ .

قوله « أتيتُ حُرَيْثًا » يريدُ « الحارثَ » وتصغيرُه عَلَى لفظِه[2] « حُوَيْرِثٌ » . وهذا التصغيرُ الآخَرُ يقال له « تصغيرُ التَّرْخِيمِ » وهو : أن تحذِفَ الزوائدَ من الاسم ثم تُصغِّرَ حروفَه الأصليةَ ، فتقولَ في تصغيرِ « أحمدَ » « حُمَيْدٌ » لأنه من « الحمدِ » . وفي « الحارِثِ » « حُرَيْثٌ » لأنه من « الحَرْثِ » . وفي « غضبانَ » « غُضَيْبٌ » لأنه من « الغضَبِ » ، لأن الألف والنونَ زائدتانِ . وكذلك ذواتُ الأربعةِ ، تقول في تصغيرِ « قِنْدِيلٍ » على لفظه « قُنَيْدِيلٌ » ، فإن صغَّرتَه مُرَخَّمًا حذفتَ الياء فقلتَ « قُنَيْدِلٌ » فعلى هذا مَجْرَى البابِ .

وقوله « عن جَنابَةٍ » يقولُ : عن غُرْبَةٍ وبُعْدٍ . يقالُ « هُمْ نِعْمَ الحَيُّ لِجارِهم جارِ الجَنابَةِ »[3] أي الغُرْبة . يقال « رجلٌ جُنُبٌ » و « رجلٌ

---

(١) قال المرصفي : « ألقت قناعها : هـذا مثل قولهم : ألقى عن وجهه قناع الحياء ، على المثل بالقناع في الأصل ، وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستر به محاسنها . تخيل أن للشمس قناعاً لو يباريها هوذة في الضياء ألقته ، لتغالبه بمحاسنها ، ولم تكتف بما ظهر منها . ومن كلامهم في الأنواء : إذا طلع الذراع ، حسرت الشمس القناع ، وأشعلت في الأفق الشعاع ، وترقرق السراب بكل قاع . وقوله : لألقى المقالدا : كناية عن أنه يسند إليه جميع مايظهر به من محاسنه على المثل بمن يلقى إليك المقاليد ، وهى المفاتيح ، واحدها مقلد ، كمنبر » .

(٢) في ج و س و د و هـ « على اللفظ » .

(٣) في ج و س و د « يقال : نعم الحَيُّ هم لجارِ الجنابة » .

جانِبٌ » أي غريبٌ، قال اللهُ جلّ وعزّ ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ [١]. وقال الْحُطَيْئَةُ :

والله ما مَعْشَرٌ لاموا امْرَأً جُنُبًا   في آلِ لأْيِ بن شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسِ

وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ :

فَلاَ تَحْرِمَنِّي نائِلاً عن جَنابَةٍ   فإنّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَرِيبُ

فمن قال للواحدِ «جُنُبٌ» قال للجميعِ «أَجْنابٌ» كقولك «عُنُقٌ» و «أَعناقٌ» و «طُنُبٌ» و «أَطنابٌ» . ومن قال للواحد «جانِبٌ» قال للجميعِ «جُنّابٌ» كقولك «راكبٌ» و «رُكّابٌ» و «ضاربٌ» و «ضُرّابٌ» قالت الخَنْساء :

إبْكِي أَخاكِ لِأَيْتامٍ وأَرْمَلَةٍ   وابْكِي أخاكِ إذا جاوَرْتِ أَجْنابا

وإن كان من «الجَنابَةِ» التي تُصيب الرجلَ قلتَ «رجلٌ جُنُبٌ» و «رجلانِ جُنُبٌ» وكذلك المرأةُ، والجميعُ. وقد يجوزُ، وليس بالوَجْهِ - : «رجلان جُنُبانِ» و «امرأةٌ جُنُبةٌ» و «قومٌ أَجْنابٌ» .

وقولُه «يَرَى أسدًا في بيتِه وأَساوِدًا» يريد جَمْعَ «أَسْوَدَ» سالخٍ و «أَسْوَدُ» هٰهنا نعتٌ، ولكنّه غالبٌ، فلذلك جَرَى هٰهنا مَجْرَى الأسماء، لأنه يَدُلُّ على الحَيّةِ . و «أَفْعَلُ» إذا كان نعتًا بنفسه فجمعُه «فُعْلٌ» نحو «أَحْمَرَ» و «حُمْرٍ» و «أَسودَ وسُودٍ» وإذا كان نعتًا فأُجْرِيَ مُجْرَى الأسماء فجمعُه «أَفاعِلُ» نحو «أَساوِدَ» و «أَجادِلَ» و «أَداهِمَ»

(١) سورة النساء (٣٦) .

إذا أردتَ القَيْد ، لأنه نعتٌ غالبٌ يَجْرِي مَجْرَى الأسماء ، وإنْ أردتَ «أَدْهَمَ» الذى هو نعتٌ محضٌ ـ : قلتَ «دُهْمٌ» قال الأَشْهَبُ بن رُمَيْلَةَ :

أَسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَسَاوِدِ[1]

فأجراه مُجْرَى الأسماء ، نحو « الأَصاغِرِ » و « الأَكابِرِ » و « الأَحَامِدِ » .

وقولُه «لَعَمْرُكَ ما أشبهتَ وَعْـــلَةَ فى النَّدَي ـ شَماَئِلَه » فإنه جعلَ « شمائلَه » بدلاً مِنْ « وَعْلَةَ » والتقديرُ : ما أَشْبَهْتَ شمائلَ وَعْلَةَ .

والبدلُ على أربعةِ أَضْرُبٍ :

فواحدٌ منها : أنْ يُبْدَلَ أحدُ[2] الإِسْمَيْنِ من الآخَرِ إذا رجعا إلى واحدٍ ، ولا تُبَالِي أَمَعْرِفَتَيْنِ كانا أم معرفةً ونكرةً ، وتقولُ : مررتُ بأخيك زيدٍ ، لأنّ زيداً هو الأخُ ، وكذلك : مررتُ برجلٍ عبدِ اللهِ ، فهذا واحدٌ .

وآخَرُ[3] : أن يُبْدَلَ بعضُ[4] الشيء منه ، نحو : ضربتُ زيداً رأْسَهُ ، لَمَّا قلتَ ضربتُ زيداً أردتَ أنْ تُبَيِّنَ موضعَ الضربِ منه .

فَمثْلُ الأَوَّلِ : قولُ اللهِ تبارك وتعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[5] وقولُه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

---

(١) مضى هذا البيت فى الجزء الأول (ص ٥٠) .

(٢) فى ج و س و د و هـ « أن تُبْدِلَ أحَدَ » .

(٣) فى ج و س « والآخر » .

(٤) فى ج س و د و هـ « أن تُبْدِلَ بعضَ » .

(٥) سورة الفاتحة (٦ و ٧) .

مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ ﴾[1] . و﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[2] .

ومِثْلُ البدَلِ الثانى : قولُه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[3] « مَنْ » فى موضع خفضٍ ، لأنها بدلٌ من « الناس » ومِثْلُهُ ، إلاَّ أنه أُعِيدَ حرفُ الخفضِ [قولُه] : ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾[4] .

والبَدَلُ الثالثُ : مِثْلُ ما ذكرنا فى البيتِ ، أَبْدَلَ « شمائلَه » منه ، وهى غيرُه ، لاشتمال المعنى عليها . ونظيرُ ذلك : أَسأَلُكَ عن زيدٍ أمْرِهِ ، لأن السؤالَ عن الأمْرِ . وتقولُ على هذا : سُلِبَ زيدٌ ثوبُهُ ، فالثوبُ غيرُه ، ولكن به وقَعَ السَّلْبُ ، كما وقعتِ المسئلةُ عن خبرِ زيدٍ . ونظيرُ ذلك من القرآنِ : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾[5] . لأن المسئلةَ إنما كانت عن القتالِ : هل يكونُ[6] فى الشهرِ الحرامِ ؟ [و][7] قال الشاعرُ [وهو الأخطلُ][8] :

---

(١) سورة الشورى (٥٢ و ٥٣) .

(٢) سورة العلق (١٥ و ١٦) .

(٣) سورة آل عمران (٩٧) . وقوله « حَجُّ » ضبط فى طبعة أوربة نقلا عن أصول الكامل المخطوطة بفتح الحاء ، وهو بكسرها قراءة حفص وحمزة والكسائى ، وبفتحها قراءة باقى السبعة .

(٤) سورة الأعراف (٧٥) . وفى كل نسخ الكامل : طبعة أوربة وطبعات مصر « قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم» بحذف كلة « الملأ » وكلمة «من قومه» ولا توجد آية بهذا السياق .

(٥) سورة البقرة (٢١٧) .

(٦) فى ج و س و د و هـ « أهو يكون » .

(٧) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٨) الزيادة من س .

إنَّ السُّيوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها   تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ (١)

وبَدَلٌ رابعٌ ، لا يكونُ مثلُهُ في القرآنِ ولا في الشِّعْرِ ، وهو : أن يَغْلَطَ المتكلمُ فيُدْرِكَ (٢) غَلَطَهُ ، أو ينْسَى فيذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقةِ ما يقْصِدُ له ، وذلك قولُك : مررتُ بالمسجدِ دارِ زيدٍ ، أرادَ أن يقولَ : مررتُ بدارِ زيدٍ ، فإمَّا نَسِيَ ، وإمَّا غَلِطَ ، فاستَدْرَكَ فوضَعَ الذى قَصَدَ له في موضعِ الذى غَلِطَ فيه .

وقولُه « بجَوٍّ » فهى قَصبةُ اليمامَةِ (٣) .

وقولُه « تَضَيَّفْتُهُ يومًا » إنما هو « تفَعَّلْتُهُ » من « الضِّيافةِ » يقال « ضِفْتُ الرجلَ » أىْ نزلتُ به (٤) ، و « أضافَنِي » أى أنْزَلَنِي .

وقولُه « وأصْفَدَنِي » يقولُ : أعطانى ، وهو « الإِصْفَادُ » . و « الصَّفَدُ » الاسمُ ، و « الإِصْفَادُ » المصدرُ ، قال النابغةُ :

* فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ *

ويقال « صَفَدْتُ الرجلَ فهو مَصْفُودٌ » من القَيْدِ ، ولا يقال في القيدِ « أصفدتُ » ولكنْ « صَفَدْتُهُ صَفْدًا » واسمُ القَيْدِ « الصَفَدُ » قال اللهُ

---

(١) « الأعضب » المكسور القرن . وقوله « غدوها ورواحها » زعم المرصفى أن الأجود نصبهما على الظرفية ، وليس بالجيد .

(٢) فى ج و س و هـ « فيَسْتَدْرِكَ » .

(٣) المفهوم من معجم البلدان وغيره أن « جوّ » اسم اليمامة نفسها قديما ، ثم سميت « اليمامة » بعد .

(٤) فى ج و س و هـ « إذا نزلت به » .

جلّ وعزّ : ﴿ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفَادِ ﴾[1]. كقولك « جَمَلٌ وأَجْمَالٌ » و « صَنَمٌ وَأَصْنَامٌ » .

وقوله « فتًى لو يُبَارِى الشمسَ » يقول : يُعارِضُ يقالُ « انْبَرَى لى فلانٌ » أى اعترضَ لِى ، [وَبَرَى لِى][2] فى هذا المعنَى ، و « فلانٌ يُبَارِى الرِّيحَ » من هذا ، أى يعارضُ الريحَ بجُودِهِ ، فهذا غيرُ مهموزٍ . فأمّا « بَارَأْتُ الكَرِىَّ » فهو مهموزٌ ، لأنه من « أَبْرَأَنِى وأبرأْتُه » . ويقال « بَرَأَ فلانٌ من مرضِه » و « بَرِئَ » يا فتى ! والمصدرُ منهما « البُرْءُ » فاعلمْ . و « بَرَيْتُ القلمَ » غيرُ مهموزٍ ، واللهُ « البارِئُ » المُصَوِّرُ . ويقال « ما بَرَأَ اللهُ مثلَ فلانٍ » مهموزٌ . وقولُك « البَرِيَّة » أصلُه من الهمزِ ، ويُختارُ فيه تخفيفُ الهمزِ ، ولفظُ التخفيفِ والبدلِ واحدٌ . وكذلك يُختارُ فى « النَّبِىّ » التخفيفُ ، وَمن جعلَ التخفيفَ لازمًا قال فى جمعِه « أنبياء » كما يُفعلُ بذواتِ الياء والواوِ ، وتقول « وَصِىٌّ وأوصياء » و « تَقِىٌّ وأتقياء » و « شَقِىٌّ وأشقياء » ومَن همزَ الواحدَ قال فى الجميع « نُبَآء » لأنه غيرُ مُعْتَلٍّ ، كما تقول « حكيمٌ وحُكَماء » و « عليمٌ وعلماء » . و « أنبياء » لغةُ القرآنِ والرسولِ صلى الله عليه وسلم . وقال العباسُ بن مِرداسٍ السُّلَمِىُّ :

يا خاتمَ النُّبَآءِ إنكَ مُرْسَلٌ ... بالحقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَا كا[3]

---

(١) سورة ص (٣٨) .

(٢) الزيادة من ع و س و د و هـ . وهى زيادة جيدة ، بل ضرورية .

(٣) فى ع و د « كُلُّ هُدَى السَّماء » .

وقولُه « أو القمرَ السَّارِى لَأَلْقَى المَقَالِدَا » فَأَسْكَنَ[١] الياءَ ضرورةً ، وإنما جازَ ذلك لأن هذه الياءَ تَسْكُنُ فى الرفعِ والخفضِ ، فإذَا احتاجَ الشاعرُ إلى إسكانِها فى النصبِ قاسَ هذه الحركةَ على الحركتين : الضَّمةِ والكَسرةِ ، الساقطتين ، فشَبَّهَها بهما ، فجعلَها كالألفِ التى فى «مُثَنًّى» ، التى هى على هيئةٍ واحدةٍ فى جميع الإعراب ،قال النابغةُ :

رَدَّتْ عليـــه أقاصِيهِ ولَبَّدَهُ ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بالمِسحاةِ فى الثأْدِ[٢]

فأسْكَنَ الياءَ فى « أقاصيه » ، وقال رُؤْبةُ :

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بالقَاعِ القَرِقْ [أَيْدِى جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الوَرَقْ][٣]

وقال : * سَوَّى مَسَاحِيهِنَّ تَقْطِيطُ الحُقَقْ *

[ويُرْوَى « تقطيطَ » بالنصب ، وهو أجودُ[٤] ، لأن بعدَه :

* تَفْلِيلُ مَا قَارَعْنَ مِنْ سُمْرِ الطُّرَقْ *

و «الطُّرَقُ» جمع «طُرْقَةٍ[٥]»] .

---

(١) فى ع و هـ « إنما سَكَّنَ » وفى س و د « إنما أسْكَنَ » .

(٢) « الثأد » الثرى ، والبيت من قصيدته المعرفة « يادارمية » .

(٣) الزيادة من س و هـ . وفى س « أيْدِى نساء » . وقال المرصفى : « لم أجده بديوان رؤبة ، ثم رأيت الصغانى كتب على قول الجوهرى : قال رؤبة يصف إبلا بالسرعة : كأن أيديهن ، البيت قال : ليس الرجز لرؤبة ، وإنما هو لراجز آخر . والقاع والقاعة : ماانبسط من الأرض ، والقرق ، بكسر الراء ، وأنشده بعضهم بفتحها : القاع لاحجارة فيه ، والورق ورق الشجر يضرب بالعصا ، فيتناثر ، فتلتقطه الجوارى بسرعة لعلف الإبل وغيرها » .

(٤) قال المرصفى : « لايجوز غير نصبه على التشبيه » .

(٥) الزيادة من حاشية ا . وقال المرصفى « فاعل سوّى : تفليل . والمعنى : سوّى حوافرهن المشبهة بالمساحى تكسير ما قارعن ، أى ضربن بها ، سمر الطرق ... وهى حجارة مطارقة بعضها فوق بعض ، وإنما وصفها بالسمرة لدلالتها على الصلابة » .

وقال آخرُ :

كَفَى بالنَّأْيِ من أسماءَ كافِ ... وليس لِحُبِّها ما عِشْتُ شافِ[١]

وأما قولُهُ :

وأَمْتَعَنِي على العَشا بوليـــدةٍ ... فأُبْتُ بخيرٍ منك يا هَوْذَ حامِدَا

ـ : فإنه كان يتحدث عنه ، ثم أقبل عليه يخاطبه ، وترك تلك المُخاطبةَ .

والعرب تَـتْرُكُ مخاطبةَ الغائبِ إلى مخاطبةِ الشاهد ، ومخاطبةَ الشاهدِ إلى مخاطبةِ الغائبِ . قال الله جلّ وعزّ : ﴿ حتّى إذا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٢] كانتِ المخاطبةُ للأُمَّةِ ، ثم انصرفتْ[٣] إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عنهم . وقال عَنْتَرَةُ :

شَطَّتْ مَزَارَ العاشِقِينَ فأصبحتْ ... عَسِرًا عليّ طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ[٤]

فكان يتحدثُ عنها[٥] ثم خاطبها . ومثلُ ذلك قولُ جريرٍ :

وتَرَى العَواذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامَتِي ... فاذا أَرَدْنَ سِوى هَواكِ عُصِينا

وقال الآخرُ[٦] :

---

(١) بحاشية ا « إذْ طافَ شافِ » وعليه علامة « صح » .

(٢) سورة يونس (٢٢) .

(٣) فى ج و د و هـ « ثم صُرِفَتْ » .

(٤) « مزار » بالنصب ، وفى ا بالرفع . وقال المرصفى : « قال ابن جنى : نصب مزار باسقاط الخافض ، يريد : شطت عن مزار العاشقين . وقال غيره : ضمنه معنى جاوزت فعداه . ويروى : حلت بأرض الزائرين . جمع زائر ، من زأر الأسد : صاح وغضب ، يريد : حلت بأرض الأعداء » .

(٥) فى ج و س « كان يُحَدَّثُ عنها » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « آخر » .

فِدًى لكِ والدى وسَرَاةُ قومِى ومالى إنَّهُ منـــهُ أتانِى

وهذا كثيرٌ جدًّا .

وقولُه « يرَى جَمْعَ ما دونَ الثلاثينَ قُصْرَةً » أى قليـــلاً ، من « الاقتصارِ » . ويُرْوَى « ويَغْدُو » و « يَمْدُو » جميعاً .

☆

وكان هَوْذَةُ بن علىّ ذا قَدْرٍ عالٍ ، وكانت(١) له خَرَزاتٌ تنظَمُ فتُجْعَلُ على رأسِه ، تَشَبُّهاً بالملوكِ .

وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبَيدةَ . قال : ما تَتَوَّجَ مَعَدِّىٌّ قَطُّ ، إنما كانتِ التيجانُ لليَمَنِ(٢) . قال : فسألتُه عن قولِ الأعشَى [لهَوْذَةَ](٣) :

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ إذا تَعَمَّمَ فوقَ التاجِ أو وَضَعا ؟

قال : إنما كانت خَرَزاتٌ تُنْظَمُ له .

وكَتَبَ رســولُ اللهِ صلى الله عليــه وسلم إلى هوذةَ كما كَتَبَ إلى الملوكِ(٤) .

---

(١) فى ج « وكان » .

(٢) فى ج و د « باليمن » .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ . وفى س « فى هوذة » .

(٤) فى طبقات ابن سعد (ج ١ ق ٢ ص ١٨) : « قالوا : وبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلِيط بن عمرٍو العامرىّ ، وهو أحد الستة إلى هوذة بن على الحنفىّ ، يدعوه إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحياه وقرأ كتابَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وردَّ ردًّا دُون رَدٍّ . وكتب إلى النبى صلى الله عليه

وكانت بنو حَنيفةَ بن لُجَيْمٍ أصحابَ اليَمامَةِ ، ويقولُ بعض النَّسّابِينَ : إنَّ عُبَيْدَ بن حنيفةَ كان أتى اليمامةَ وهى صَحْراء ، فاختَطَّها ، فجعل يَرْكُضُ حوالَيْها وَيَخُطُّ برمحه فى الأرض على ما أصابَ من النخلِ ، وأنهم أكلوا ما أصابوا تحتَه من التمرِ ، فلما طَلَعَ لهم التمرُ بَعْدُ لم يهتَدُوا لِصُعُودِ النَّخْلِ ، فأقبلوا يَجُدُّونَهُ ، حتى فَكَّرُوا فأَعَدُّوا له السَّلالِمَ ، فلما عَمرَتِ اليمامةُ جَعلتِ العربُ تَنْتَجِعُهُمْ لموضع التمر فيُجَاوِرُونَ العَزِيزَ منهم ، وكان يقالُ لمن دخلها من هؤلاء « السَّوَاقِطُ » ممن كانوا .

ويقالُ : إن اليمامةَ والبَحْرَيْنِ والقَرْيَتَيْنِ ومواضعَ هناك — : كانت لِطَسْمٍ وجَدِيسَ ، والخبرُ فى ذلك مشهورٌ بزَرْقاء اليَمامةِ ، وقد ذكر ذلك الأعشى فى قوله :

[ما نَظَرَتْ ذاتُ أشْفارٍ كَنظْرَتِها حَقًّا كما نَطَقَ الذِّئْبِيُّ إذْ سَجَعَا](١)
قالتْ : أرَى رَجُلاً فى كَفِّه كَتِفٌ أو يَخْصِفُ النعلَ لَهْفِى أيَّةً صَنَعَا

وسلم : ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجملَه ، وأنا شاعرُ قومى وخطيبُهم ، والعربُ تَهابُ مكانى ، فاجعلْ لى بعضَ الأمرِ أتَّبِعْكَ ، وأجازَ سَليطَ بنَ عمرو بجائزة ، وكساه أثواباً من نسج هَجَرَ ، فقدِمَ بذلك كله على النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخبره عنه بما قال ، وقرأ كتابَه ، وقال : لوسألنى سَيَابَةً من الأرضِ مافعلتُ ، بادَ وبادَ ما فى يديه . فلما انصرفَ من عام الفتح جاءه جبريلُ فأخبره أنه قد مات » . و« السيابة » بفتح السين المهملة وتخفيف الياء : البلحة ، يحقر أمره فلا يعطيه تمرة من الأرض لو أرادها .

(١) قال المرصفى : « الذئبى هو سطيح الكاهن ... يريد : كما صدق سطيح فى سجعته » .

وكَذَّبُوها بما قالت فصبَّحهُمْ ذو آلِ غسَّانَ يُزْجِي الموتَ والشَّرَعا(١)

❊

وحدثنى التَّوَّزِىُّ عن أبى عُبيدةَ والأَصْمَعِىِّ عن أبى عمرٍو قال : قال لى رجلٌ من أهل القريتينِ : أصبْتُ هٰهنا دراهمَ وَزْنُ الدرهم ستة دراهمَ وأربعةُ دَوانيقَ ، من بقايا طَسْمٍ وجَدِيسَ ، نخفتُ السلطانَ فأخفيتُها .

وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ فى قوله :

عَهْدِى بها يومَ بابِ القريتينِ وقد زالَ الهَمَالِيجُ بالفُرْسانِ واللُّجُمِ(٢)

فاستبدلتْ بعدَنَا دارًا يَمَانِيَةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنَى دارِها ظَلَمُ(٣)

وقال جريرٌ يهجو بنى حَنيفةَ :

هَجَانِيَ الناسُ مِلْءُ أحياءِ كُلِّهمِ حتى حَنيفةُ تَفْسُو فى مَنَاحِيها

[تُعَيَّرُ بنو حنيفةَ بالفَسْوِ ، لأنَّ بلادَهم بلادُ نخلٍ ، فيأكلونه ويُحْدِثُ فى أجوافهم الرياحَ والقَرَاقِيرَ](٤) .

أصحابُ نخلٍ وحيطانٍ ومَزْرَعَةٍ سُيوفُهم خُشُبٌ فيها مَساحِيها

ذَلَّتْ وأعطتْ يدًا للسِّلْمِ صاغرةً ، مِن بعدِ ما كاد سيفُ اللهِ يُفْنِيها

---

(١) « الشرع » بكسر الشين جمع « شرعة » بوزن « سدرة وسدر » قال المرصفى : « هى الوتر مادام مشدوداً على القوس » .

(٢) فى كل نسخ الكامل « عهدى بها » ولكن الشيخ المرصفى ذكرها « عهدى بهم » ويظهر أنه تصرف منه نقلا عن ديوان زهير . انظره بشرح الأعلم (ص ٥٣) . وقال المرصفى أيضا : « الهماليج : جمع الهملاج ، وهى الدابة فى سيرها سرعة وبخترة ، الذكر والأنثى فيه سواء يريد بها الإبل . وكنى بقوله واللجم : عن الخيل » .

(٣) « ظلم » اسم موضع ، ضبط فى طبعة أوربة هنا وفى لسان العرب بفتح اللام ، وضبط فى معجم البلدان وشرح القاموس بكسرها .

(٤) الزيادة من حاشية ج .

صارتْ حنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهُمُ أضْحَوا عَبيداً وثُلْثٌ من مَوَالِيها[١]

قوله « مَناحِيها » « المَنْحَاةُ » مَقامُ السَّانيةِ على الحوضِ ، و « الحائطُ » البستانُ . وقولُه « مِن بعدِ ما كادَ سيفُ اللهِ يُفْنيها » يعنى خالدَ بنَ الوليدِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مخزومٍ ، فى وقعتِه بمُسَيْلِمَةَ الكذَّابِ . ولِلنَّسَّابِينَ بعدَ هذا قولٌ مُنْكَرٌ .

وقال جريرٌ [أيضاً][٢] :

أبَنِي حَنِيفَةَ نَهْنِهُوا سُفَهاءَكُمْ إنِّى أخافُ عليكُمُ أن أغْضَبا[٣]
أبَنِى حنيفةَ إنِّى إنْ أهْجُكُمْ أدَعِ اليَمامَةَ لا تُوارِى أرْنَبا

وقال عُمارةُ بنُ عَقِيلٍ[٤] :

بَلْ أيُّها الراكبُ الماضِى لِطِيَّتِهِ بَلِّغْ حنيفةَ وانْشُرْ فيهمُ الخَبَرا[٥]
أكانَ مَسْلَمَةُ الكذَّابُ قال لكم لن تُدْرِكُوا المَجْدَ حتى تُغْضِبُوا مُضَرا[٦]
مَهْلاً حَنيفةُ إنَّ الحربَ إنْ طَرَحَتْ عليكُمُ بَرْكَها أشْرَعْتُمُ الضَّجَرا

« البَرْكُ » الصَّدْرُ ، إذا فتحتَ الباءَ ذَكَّرْتَ ، وإن[٧] أردتَ التأنيثَ

---

(١) فى هـ « من العبيد وثلث » .
(٢) الزيادة من د .
(٣) « نهنهوا سفهاءكم » أى كفوهم وازجروهم .
(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير .
(٥) فى ا و هـ « يأيها » وفى حاشية ا « بل أيها » وعليها علامة « صح » . وقوله « لطيته » يعنى لوجهه الذى يريده .
(٦) فى ج « لن تبافوا » . وفى د « حتى تبغضوا » .
(٧) فى ج و د و هـ « وإذا » .

كسرتَ الباء، قلتَ « بِرْكَة[1] » . قال الجَعْدِيُّ :

وَلَوْحَا ذِرَاعَيْنِ فى بِرْكَةٍ إلى جُؤْجُؤٍ رَهِلِ المَنْكِبِ[2]

*

وزَعم الأصمعىُّ أن زِيادًا كان يقالُ له « أشْعَرُ بَرْكًا » لأنه كان أشْعَرَ الصَّدْرِ .

وغيرُ الأصمعى يزعم[3] أن هذا كان يقال للوليد بن عُقْبةَ بن أبى مُعَيْطِ بن أبى عَمرٍو بن أُمَيَّةَ .

وذكروا أن عَدِيَّ بن حاتِمِ بن عبد الله الطائىَّ قال يومًا : ألاَ تَعْجَبُونَ لهذا أشْعَرَ بَرْكًا يُوَلَّى مثلَ هذا المصرَا وَالله مايُحْسِنُ أنْ يَقْضِيَ فى تمرتين ! !
فبَلَغَ ذلك الوَليدَ فقال على المنبرِ : أنْشُدُ الله رَجُلاً سَمَّانِى أشْعَرَ بَرْكًا إلاَّ قامَ ؟ فقام عَدِيُّ بن حاتِمٍ فقال : أيها الأميرُ ! إن الذى يقومُ فيقولُ أنا سميتُك أشْعَرَ بَرْكًا لَجَرِىءٌ ! فقال [له][4] : اجلسْ يا أبا طَرِيفٍ ؟ فقد بَرَّأَكَ اللهُ منها ، فجلسَ وهو يقولُ : والله ما بَرَّأَنى اللهُ منها ! !

وكانت أمُّ الوليد بن عُقْبَةَ أمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمهما الله ، وهى أَرْوَى

---

(١) فى د « فكسرت الباء فقلت بركة » . وفى ع « قلت بركة فكسرت الباء » . وفى س و هـ « قلت بركة بكسر الباء » .

(٢) « الجؤجؤ » الصدر ، أو مجتمع رؤوس عظام الصدر . و « المنكب » مجتمع العضد والكتف . و « رهله » استرخاؤه من السمن ، لامن الضعف . أفاده المرصفى .

(٣) فى ع و س و هـ « زعم » .

(٤) الزيادة من ع و د و هـ .

بنتُ كُرَيْزِ بن حبيب بن رَبيعة بن عبد شمسٍ[١] بن عبد مَنافٍ ، وأُمها البَيْضَاء بنت عبد المُطَّلِبِ بن هاشم ، ومن ثَمَّ قال الوليدُ لعلى بن أبى طالبٍ رحمه الله : أنا أَلْقَى رســـولَ الله صلى الله عليه وسلم بأُمّى من حيثُ تَلْقاه بأبيك .

وكان يقال للبَيْضَاء بنتِ عبد المطلب « قُبَّةُ الدِّيباجِ » واسمُها أمُّ حَكِيمٍ، ولذلك قيل لعثمانَ أو للوليدِ[٢] : يابْنَ أَرْوَى ، ويابنَ أُمِّ حَكِيم .

وقال الوليدُ لبنى هاشمٍ لهذا السببِ[٣] حين قُتِلَ عثمان رحمه الله :

بنى هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختكم ولا تَنْهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَنَاهِبُهْ
بنى هاشمٍ كيف الهَوَادَةُ بيننا وعندَ علىٍّ دِرْعُهُ ونَجائبُهْ
هُمُ قتلوهُ كىْ يكونوا مكانَه كما غَدَرَتْ يوماً بكسْرَى مَرازِبُهْ[٤]

وهذا القول باطلٌ ، وكان عُرْوة بن الزبير إذا ذَكر مَقْتَلَ عثمانَ يقولُ : كان علىٌّ أَتْقَى لِلهِ مِن أن يُعِينَ فى قتل عثمانَ[٥] ، وكانَ عُثمانُ أَتْقَى لِلهِ مِن أن يعين فى قتل علىٍّ[٦] .

(١) هكذا فى النسخ ، وهو خطأ صوابه « كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس » كما فى الطبقات لابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ٣٦) وكما فى غيره من المصادر .

(٢) فى ج و س و د « وللوليد » .

(٣) فى ج و د و هـ « لهذا النسب » .

(٤) قال المرصفى : « يذكر ما كان من قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز ، وأعانه عليه مرازبته ، وهم الفرسان المقدمون » .

(٥) فى ج و س و د و هـ « من أن يقتل عثمان » وفى نسخة بحاشية ج « من أن يعين على قتل عثمان » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « من أن يقتله على » .

وقال الوليدُ بن عُقْبةَ :

ألاَ إنَّ خيْرَ الناسِ بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التّجُوبِيِّ الذى جاء من مِصْرِ (١)
وما لِيَ لا أَبْكِي وتَبْكِي أقاربي وقد حُجِبَتْ عنّا فُضُولُ أبي عَمْرِو

وقالت ليْلَى الأَخْيلِيّةُ ، أنشدنيه الرّياشيُّ عن الأَصْمعِيِّ :

أَبَعْدَ عثمان تَرْجو الخيرَ أُمّتُهُ وكان آمَنَ مَنْ يمشِي على ساقِ

(١) فى هـ « النحودى » وفى س « النجيبى » . وكل هذا خطأ ، صوابه « التُّجِيبِىّ » بضم التاء الفوقية ، نسبة إلى « تُجِيبَ بنت ثوبان بن سُلَيم » ، نسبت إليها القبيلة . وقد أخطأ الجوهرى فى هذا البيت كما أخطأ المبرد . ففى لسان العرب . « وَتَجُوبُ قبيلة من حِمْيَر ، حلفاء لمرادٍ ، منهم ابن مُلْجِمٍ لعنه الله . قال الكُمَيْتُ : ـ فذكر البيت ـ هذا قول الجوهرى . قال ابن برّىّ : البيت للوليد بن عقبة ، وليس للكميت كما ذكر ، وصواب إنشاده :

* قَتيلُ التُّجِيبِىِّ الذى جاء من مصر *

وإنما غلّطه فى ذلك أنه ظن أن الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ، فظن أنه فى على رضى الله عنه ، فقال : التّجُوبى ، بالواو . وإنما الثلاثة : سيدُنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، لأن الوليد رثَى بهذا الشعر عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقاتله كِنانة بن بشرٍ التُّجِيبىُّ ، وأما قاتل على رضى الله عنه فهو التّجُوبى . ورأيت فى حاشيةٍ ما مثالُه : أنشد أبو عُبيدٍ البكرىُّ رحمه الله فى كتابه فصل المقال فى شرحِ كتاب الأمثال هذا البيت الذى هو :

* ألا إن خير الناس بعد ثلاثة *

لنائلة بنت الفُرَافِصَةِ بن الأحوَصِ الكَلْبِيّةِ زوجِ عثمان رضى الله عنه ترثيه ، وبعده » . ثم ذكر البيت الثانى المذكور هنا .

خَليفةَ اللهِ أعطاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ... ما كانَ من ذَهَبٍ جَمٍّ وأَوْراقِ [(١)]
فلا تُكَذِّبْ بوعدِ اللهِ وارْضَ بِهِ ... ولا تَوَكَّلْ على شيء بإشْفاقِ [(٢)]
ولا تقولَنْ لشيءٍ سوف أَفْعَلُهُ ... قد قَدَّرَ اللهُ ما كلُّ امرئٍ لاقِ

وقال آخرُ :

ألاَ قُلْ لقومٍ شارِبى كأسِ عَلْقَمٍ ... بقَتْلِ إمامٍ بالمدينةِ مُحْرِمِ
قَتَلْتُمْ أمينَ اللهِ فى غيرِ رِدَّةٍ ... ولا حَدِّ إحْصانٍ ولا قَتْلِ مُسْلِمِ
تَعالَوْا فَفَاتُونا فإنْ كانَ قَتْلُهُ ... لواحدةٍ منها فَحَلٌّ لكم دَمِى [(٣)]
وإلاَّ فأَعْظِمْ بالذى قد أتيتُمُ ... ومَنْ يأتِ مالم يَرْضَهُ اللهُ يَظْلِمِ
فلا يَهْنِئَنَّ الشامِتِينَ مُصابُهُ ... فَحَظُّهُمُ من قتله حَرْبُ جُرْهُمِ [(٤)]

وأنشدنى الرِّيَاشِىُّ عن الأصمعىّ [فى مثله [(٥)]] ، [قال أبو الحسن : هذا الشعرُ لابن الغَرِيزَةِ الضَّبِّىّ [(٦)]] :

لَعَمْرُ أبيكَ فــلا تَذْهَلَنْ ... لقد ذَهَبَ الخيرُ إلاَّ قليلاَ
وقد فُتِنَ الناسُ فى دِينِهم ... وخَلَّى ابنُ عَفَّانَ شَرًّا طويلاَ

ومثله قولُ الراعِى :

---

(١) فى ج و د و هـ « من ذهبٍ حَوْمٍ » . وفى حاشية ج « الحوم : الكبير » .
(٢) قال المرصفى : « تريد : لاتعتمد على غيره موجها قلبك المشفق إليه » .
(٣) فى هـ « تعالوا فقاضونا » وهى بمعنى « فاتونا » أى حاكونا بالذهاب معنا إلى المفتى أو إلى القاضى . وفى ج « فَحِلٌّ لكم » .
(٤) فى ج و د و هـ « فَحَظُّكُمُ » .
(٥) الزيادة من س .
(٦) الزيادة من د .

قَتلوا ابنَ عَفّانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... ودَعَا فلم أَرَ مثلَهُ مَخْذُولاَ

فَتَفَرَّقَتْ مِنْ بعدِ ذاكَ عَصَاهُمُ ... شِقَقًا وأُصبِحَ سَيْفُهُمْ مَسلولاَ(١)

قولُه « مُحْرِمًا » يريد فى الشهرِ الحرامِ ، وكان قُتِلَ فى أيام التشريق رحمه الله .

وقال أَيْمَنُ بن خُرَيْمِ بن فَاتِكٍ الأَسَدِيُّ ، وكانت له صُحْبَةٌ :

تَفاقَدَ الذَّابِحُو عثمانَ ضَاحِيَةً ... أَىَّ قتيلٍ حَرامٍ ذُبِّحُوا ذَبَحُوا

ضَحَّوْا بعثمانَ فى الشهر الحرام ولم ... يَخْشَوْا على مَطْمَحِ الكَفِّ الّذِى طَمَحُوا

فأَىَّ سُنَّةِ جَوْرٍ سَنَّ أَوَّلُهُمْ ... وبابِ جَوْرٍ على سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا

ماذا أرادوا أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... مِنْ سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزاكِى الذى سَفَحُوا

فاستَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمينَ على ... تَمَامِ ظِمْءٍ كما يُسْتَوْرَدُ النَّضَحُ

إنَّ الذين تَوَلَّوْا قتلَه سَفَهًا ... لاقَوْا أَثَامًا وخُسْرانًا فما رَبِحُوا(٢)

« الظِّمْءُ » ما بين الشَّرْبَتَيْنِ ، وقولُه « ضَحَّوْا بعثمان » إنما أصله فُعِلَ فى الضُّحَى ، قال زهيرٌ :

ضَحَّوْا قليلاً على كُثْبانِ أَسْنُمَةٍ ... ومنهمُ بالقَسُومِيَّاتِ مُعْتَرَكُ(٣)

---

(١) « شققا » جمع « شقة » ، بكسر الشين ، وهى القطعة . وقوله « مسلولا » ثبت بدله فى طبعات مصر « مفلولا » ، وهو مخالف لكل أصول الكتاب .

(٢) فى ج و س و د و هـ « لقوا » وضبطت فى ج « لُقُّوا » وفى د « لَقَوا » ولم تضبط فى الباقى .

(٣) « أسنمة » ضبطت فى طبعة أوربة بفتح الهمزة وضم النون . وقال المرصفى : « ضبطه الصغانى فى تكملته بضم الهمزة والنون . ورواه كذلك أبو إسحق الزجاج عن الأصمعى عن أبى عمرو ، وهى رملة . ورواها التوزى : أسنمة ، بفتح الهمزة وكسر النون . قال : وهى حبال من الرمل كأنها أسنمة الإبل قريبة من فلج . والقسوميات مواضع عادلة عن طريق فلج ذات اليمين . وأراد بالمعترك : المزدحم ، موضع نزولهم وإناختهم » .

أي نزلوه ضُحًى ، ويقال « بَيَّتُوا ذاك » أي فعلوه ليلاً ، قال الله جل وعز : ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَالاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾[١] ، وأنشد أبو عبيدةَ :

أُتَوْنِي فلم أَرْضَ ما بَيَّتُوا   وكانوا أَتَوْنِي بأمرٍ نُكُرْ
لِأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِرًا   وهل يُنْكِحُ العبدَ حُرٌّ لِحُرّْ

وقولُه: « في سَفْحِ ذاكَ الدَّمِ الزاكى الذي سَفَحُوا » أي في صَبِّ ذاك الدمِ ، يقال « سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دَمَه » [بمعنًى][٢] ، قال اللهُ تعالى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾[٣] .

وقولُه « على تَمَامِ ظِمْءٍ » ، فهذا مَثَلٌ ، وأصلُ « الظِّمْءِ » ، أن تشربَ الإبلُ يومًا ثم تَغِبَّ يومًا لا تَرِدُ الماء ، فما بين الشَّرْبَتين « ظِمْءٌ » فيكون الظِّمْءُ يومين ، فيقال له « الرِّبْعُ » كما يقال في الحُمَّى ، لأنهم يَعْتَدُّونَ بيَوْمَىْ شُرْبِها ، و « الخِمْسُ » أن تَظْمَأَ ثلاثةَ أيامٍ ، و « النَّضَحُ » الحَوْضُ .

و « الأَثَامُ » الهلاكُ ، قال الله عَزَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ، ثم فسَّرَ فقال : ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾[٤] فجزم « يُضَاعَفْ » لأنه بدلٌ من قوله « يَلْقَ أَثَامًا » إذْ كَانَ إيّاه في المعنى ، وأنشدني أبو عُبيدةَ :

جَزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ إذْ لَحِقْنَا   عُقُوقًا والعُقُوقُ من الأَثَامِ

---

(١) سورة النساء (١٠٨) .
(٢) الزيادة من ه .
(٣) سورة الأنعام (١٤٥) .
(٤) سورة الفرقان (٦٨ و ٦٩) .

وقوله « على مَطْمَحِ الكَفِّ » يقول : على رَفْعِها و إبْعادِها ، يقال « طَمَحَ بَصَرُه » إذا ارتفع فأَبْعَدَ النَّظَرَ ، قال امرؤُ القيسِ :

لقد طَمَحَ الطَّمّاحُ من بُعْدِ أَرْضِهِ ليُلْبِسَنِي مِن دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

باب

[فى التَّشْبِيهِ][1]

قال أبو العباس : وهذا بابٌ طريفٌ نَصِلُ به هذا البابَ الجامعَ الذى ذكرناه ، وهو بعضُ ما مَرَّ للعربِ من التشبيه المُصيبِ ، والمُحْدَثِينَ[2] بعدَهم . فأَحْسَنُ ذلك ما جاء [نا من هذا][1] باجماع الرُّواةِ - : ما مَرَّ لامرئ القيسِ فى كلامٍ مختصرٍ ، أى بيتٍ واحدٍ ، من تشبيه شىء فى حالتين [مختلفتين][3] بشيئين مختلفين ، وهو قولُه :

كأَنَّ قلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِى

فهذا مفهومُ المعنَى ، فان اعترضَ معترضٌ فقال : فهلاَّ فَصَلَ فقال : كأَنَّه رَطْبًا العُنّابُ وكأَنَّهُ يابسًا الحَشَفُ ؟ قيلَ له : العربىُّ الفصيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمِى بالقولِ مفهومًا ، ويَرَى ما بعدَ ذلك من التكرير عِيًّا ، قال الله جل وعزَّ ، وله المَثَلُ الأَعْلَى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) فى ج و س و د و هـ « والمُحْدَثِينَ » .

(٣) الزيادة من س .

فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾(١) علماً بأن المخاطَبِينَ يعرفون(٢) وقتَ السكون ووقتَ الاكتساب .

ومن تمثيلِ امرئ القيس العجيبِ قولُه :

كأنَّ عُيونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائنا وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ(٣)

ومن ذلك قولُه :

إذا ما الثُّرَيَّا فى السماء تعرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْناء الوِشاحِ المُفَصَّلِ(٤)

وقد أكْثَرَ الناسُ فى الثُّرَيَّا(٥) فلم يأتُوا بما يقارِبُ هذا المعنى ، ولا بما يقاربُ سُهولةَ هذه الألفاظِ .

ومن أعجب التشبيه قولُ النابغةِ :

فإنَّكَ كالليلِ الذى هو مُدْرِكِي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنك واسعُ

وقولُه :

خَطاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ تَمُدُّ بها أيْدٍ إليك نَوازِعُ(٦)

وقولُه :

فإنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

(١) سورة القصص (٧٣) .

(٢) فى ج و س و د و ه « يعلمون » .

(٣) « الجزع » بسكون الزاى مع فتح الجيم ، ويجوز كسرها ، وهو خرز فيه بياض وسواد ، شبه به عيون الوحش وهى ميتة . أفاده المرصفى .

(٤) « أثناء الوشاح » ما انثنى منه ، واحدها « ثِنْىٌ » .

(٥) فى ج و س و د و ه « وقد أكثروا فى الثريا » .

(٦) قال المرصفى : « الخطاطيف جمع خطاف ، وهو حديدة حجناء معقوفة الرأس . ونوازع : جواذب . يقول : لك خطاطيف أجرّ بها إليك ، فليس عنك مهرب » .

ومن عجيب التشبيه قولُ ذى الرُّمَّةِ :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا والثُّرَيَّا كأنها على قِمَّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ(1)

وقولُه :

فجاءت بنَسْجِ العَنْكبوتِ كأنَّه على عصوَيْها سابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ(2)

وتأويلُ هذا(3) : أنه يَصِفُ ماء قديمًا لا عَهْدَ له بالوَارِدَةِ(4)، فقد اصْفَرَّ وَاسْوَدَّ، فقال :

وماءٍ قَديمِ العَهْدِ بالإنْسِ آجِنٍ كأنَّ الدَّبا ماءَ الغَضَا فيه تَبْصُقُ(5)

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفَحْلُ فى وصفِ الماءِ الآجِنِ، حيث يقولُ :

إذا وَرَدَتْ ماءً كأنَّ جِمَامَهُ من الأَجْنِ حِنَّاءٌ مَعًا وصَبِيبُ(6)

فقال ذو الرُّمَّةِ فى وصفِ هذا الماءِ، فقَرَنَ بتغيُّرِهِ بُعْدَ مَطْلَبِهِ، فقال(7) :

فَأَدْلَى غُلامِي دَلْوَهُ يَبْتَغِي بها شفاءَ الصَّدَى والليلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريدُ : أنَّ الفجرَ قد نَجَمَ فيه، فجاءتْ ـ يعنى الدَّلْوَ ـ بنَسْجِ العنكبوتِ

---

(1) « الاعتساف » السير على غير هدى . و « قمة الرأس » بكسر القاف : أعلاه. و « ابن الماء » كل طائر يألف الماء . و « تحليقه » ارتفاعه فى الهواء باسطاً جناحيه . أفاده المرصفى .

(2) « العصوان » هما الخشبتان اللتان تعترضان على الدلو كالصليب .

(3) ف ع و س و د و هـ « وتأويله » .

(4) ف ع و د « بالوُرَّادِ » .

(5) ف ع و س و د و هـ « قديم العهد بالناس » . و « آجن » أى متغير الطعم واللون . و « الدبا » بفتح الدال وتخفيف الباء، هو الجراد . و « الغضا » شجر له هدب، إذا أكلته الابل اشتكت بطونها . يقول : كأن الدبا رعى ذلك الشجر وبصق ما تحلل منه . أفاده المرصفى .

(6) قال المرصفى : « الرواية : فأَوْرَدْتُها ماءً » . وهذه الرواية مذكورة بحاشية طبعة أوربة .

(7) كلمة « فقال » لم تذكر فى طبعات مصر، وهى ثابتة فى الأصول .

كأنه على عَصَوَيْها سابِرِيٌّ مُشَبْرَقٌ . و « السَّابِرِيُّ » الرقيقُ من الثيابِ والدُّرُوعِ[١] . و « المُشَبْرَقُ » المُمَزَّقُ . وأنشد أبو زيدٍ :

لَهَوْنا بِسِرْبالِ الشَّبابِ مُلَاوَةً   فَأَصْبَحَ سِرْبالُ الشَّبابِ شَبارِقَا[٢]

❁

ومن التشبيه العجيبِ[٣] قولُ ذي الرُّمَّةِ في صفةِ الظَّلِيمِ[٤] :

شَخْتُ الجُزَارَةِ مِثْلُ البيتِ سائِرُهُ   مِنَ المُسوحِ خِدَبٌّ شَوْقَبٌ خَشِبُ

« الشَّخْتُ » الضَّئِيلُ اليابسُ الضَّعِيفُ ، و « الجُزَارَةُ » القَوائِمُ . وقولُه «مِثْلُ البيتِ سائِرُه مِنَ المُسُوحِ » يعني : إذا مَدَّ جَناحَيْهِ ، وإنما أَخَذه من قول علقمة بن عَبَدَةَ :

صَعْلٌ كأَنَّ جَناحَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ   بيتٌ أُطافَتْ به خَرْقاءُ مَهْجُومُ

« الصَّعْلُ » الصغيرُ الرأسِ . و « الخَرْقاءُ » التي لا تُحْسِنُ شيئًا ، فهي تُفْسِدُ ما [تَصْنَعُ وما[٥]] عَرَضَتْ له . قال الحُطَيْئَةُ :

هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِمُ وليستْ   يَدُ الخرقاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّناعِ[٦]

و « المهجومُ » المهدُومُ[٧] . وفي الخبرِ : أنه لما قُتِلَ بِسْطامُ بن قَيْسٍ لم يَبْقَ

---

(١) فسره في اللسان بنحو ذلك ، ثم قال : « والأصل فيه الدروع السابرية ، منسوبة إلى سابور » .

(٢) « ملاوة » ضبطت في طبعة أوربة بفتح الميم وضمها معاً ، ويجوز فيها أيضا الكسر ، وهي الحين والبرهة من الدهر .

(٣) في س « البليغ » .

(٤) « الظليم » ذكر النعام .

(٥) الزيادة من حاشية ج .

(٦) في س « لجارَتِهِمْ » .

(٧) في ج « المهزوم » وفي س و ا « للعدوم » وكلاهما خطأ .

بيتٌ فى بكرِ بن وائلٍ إلاَّ هُجِمَ، أى هُدِمَ[(١)]. و « الجَدَبُّ » الضَّخمُ. و « الشَّوْقَبُ » الطويلُ. و « الخَشِبُ » الذى ليس يَلِينُ[(٢)] على من نَزَلَ به.

ومن التشبيه المُصيبِ قولُه فى صفةِ رَوْضَةٍ :

قَرْحَاءُ حَوَّاءُ أَشْرَاطِيَّةٌ وَكَفَتْ فيها الذِّهابُ وحَفَّتْها البَرَاعِيمُ

« قَرْحَاءُ » يريدُ الأَنْوارَ[(٣)]. وقوله « حَوَّاءُ » يقولُ: [خضراءُ][(٤)] تضرب إلى السَّوادِ لشدةِ رِيِّها وخُضْرَتِها، وكذلك المفسرون يقولون[(٥)] فى قول الله جلَّ وعزَّ : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[(٦)] ـ : تَضْرِبانِ إلى الدُّهْمَةِ، لشدةِ خُضْرَتِهما وريِّهما.

وقوله « أَشْرَاطِيَّةٌ » ليس مما قَصَدْنا له، ولكنه ممَّا يَجْرِى، فيُفَسَّرُ[(٧)]، ومعناه : أنها مُطِرَتْ بنَوْءِ الشَّرَطَيْنِ[(٨)].

وحدثنى الزِّيادىُّ قال : سمعتُ الأصمعىَّ، وسُئِلَ بحَضْرَتِى، أوسألتُه

---

(١) نقل نحوه فى الأمالى (ج ٢ ص ١٤٨) ولسان العرب (ج ١٦ ص ٨٢).

(٢) فى ع و س و د و ه « بِلَيِّنٍ ».

(٣) قال المرصفى : « عبارة غيره : وروضة قرحاء : فى وسطها نور أبيض ، من القرح ـ بالتحريك ـ وهو البياض فى وجه الفرس » . وهذا أوضح وأحسن من عبارة المبرد .

(٤) الزيادة من س .

(٥) فى س و ه « وكذلك قال المفسرون » .

(٦) سورة الرحمن (٦٤) .

(٧) فى ع و س و د « فَنُفَسِّرُهُ » .

(٨) قال المرصفى : « الشرطين : مثنى شرط ـ بالتحريك ـ وهى من الحمل قرناه . وبعض العرب يعدّ معهما كوكباً صغيراً فى جانب الشمالىّ منهما ، ويسميها الأشراط » .

عن قوله « أشراطيةٌ » ؟ فقال : بأُستِهِ وأُستِ عِرْسِهِ ! وذاكَ أنَّ الأصمعيَّ كانَ لا يُنْشِدُ ولا يَفسِّرُ ما كان فيه ذِكْرُ الأَنْوَاء ، لقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: « إذا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فأَمْسِكُوا » لأنَّ الخبرَ في هذا بعينِه: « مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا[1] » . وكَانَ لا يُفسِّرُ ولا يُنْشِدُ شعراً فيه هِجاءٌ ، وكان لا يفسِّرُ شعراً يوافقُ تفسيرُه شيئاً من القرآنِ ، هكذا يقولُ أصحابُه .

وسُئِلَ عن قولِ الشَّماخِ :

طَوَى ظِمْأَها في بَيْضَةِ الصَّيْفِ بعدَمَا جَرَى في عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزِ[2]

---

(١) روى مسلم في صحيحه (ج ١ ص ٣٤) : « عَنْ زَيْدِ بن خَالِدِ الجُهَنِى قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية ، في أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » . وروى معناه أيضاً من حديث أبى هريرة ، ورواهما غيره أيضاً ، وهما حديثان صحيحان . وأما حديث « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا » فقد نقله السيوطى فى الجامع الصغير (رقم ٦١٥) ونسبه للطبرانى فى المسند الكبير وابن عدى فى الكامل عن ابن مسعود ، ولابن عدى عن ثوبان وعن عمر . وذكر المنذرى فى الترغيب (ج ٤ ص ٥٣) حديث ابن عباس الذى رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما مرفوعاً : « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر » . ثم قال : « والمنهى عنه من علم النجوم هو مايدعيه أهلها من معرفة الحوادث الآتية فى مستقبل الزمان ، كمجىء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب واقترانها وافتراقها وظهورها فى بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله به ، لايعلمه أحد غيره . فأما مايدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم ، الذى يعرف به الزوال وجهة القبلة ، وكم مضى من الليل والنهار ، وكم بقى — : فانه غير داخل فى النهى » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « بَيْضَةِ القَيْظِ » .

وقال المرصفى : « طوى ظمأها : قطع بها مقدار ظمئها فى السير ، وقد سلف أن الظمء ما بين الشربتين ، يريد : أنه سار بها فلم يوردها الماء . وبيضة الصيف شدة حره . والرواية : بيضة القيظ . وما أبعد خياله فى قوله : جرى فى عنان الشعريين الأماعز ! جعل

فأبَى أن يفسرَ « فى عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ » .

وأما قولُه[1] : «الذِّهابُ» فهى الأمْطارُ اللَّينةُ الدائمة ، ويقالُ إنها أنجعُ المطرِ فى النَّبْتِ ، وكذلك «العِهادُ[2]» وأنشدَ الأصمعىُّ :

أميرٌ عَمَّ بالنَّعْماء حتى ... كَأَنَّ الأرضَ جَلَّلها العِهادُ[3]

و « البَرَاعِيمُ » واحدتُها[4] « بُرْعُومَةٌ » وهى أكِمَّةُ الرَّوْض قبلَ أن تتفتَّقَ، يقال لواحدها « كِمٌّ » و « كِمَامٌ » ، فمن قال « كِمَامٌ » فجمعُه « أكِمَّةٌ » مثلُ « صِيامٍ وأصِمَّةٍ » و « زِمامٍ وأزِمَّةٍ » ومن قال : « كِمٌّ » فالجماع « أكْمامٌ »، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ[5]﴾ .

ومن ذلك قولُ الآخرِ ، أحسبُه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ [قال أبو الحسن : يقالُ إنه لمجنونِ بنى عامرٍ ، وهو الصوابُ[6]] :

كَأَنَّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلَى العامِرِيَّةِ أو يُراحُ

للشعريين ، العَبُورِ والغُمَيْصَاء وهما كوكبان يطلعان فى القيظ — : عناناً ، وهو سير اللجام، طرفاه محيطان برأس الأماعز ، وهى الأمكنة الغليظة ، تجرى فيه فتبلغ جهدها من شدة الحرّ ، وذلك من قولهم : جرى الفرس فى عنانه ، إذا بلغ الجهد فى عدوه » .

(١) فى ج و س و د و هـ « وقوله » .

(٢) فى ج و س و د و هـ « عمّ بِالمَعْرُوفِ » .

(٣) و«الذهاب» بكسر الذال المعجمة ، جمع « ذِهْبَةٍ » بكسرها أيضاً مع سكون الهاء .
و«العهاد» بكسر العين المهملة، جمع « عَهْدٍ » بفتح العين مع سكون الهاء ، و« عَهْدَةٍ » و « عِهْدَةٍ » بفتح العين وبكسرها مع سكون الهاء أيضاً .

(٤) فى ج و س و هـ «واحدها» وفى د « جَمْعُ بُرْعُومَةٍ » .

(٥) سورة الرحمن (١١) .

(٦) الزيادة من س .

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُعالِجه وقــد عَلِقَ الجَنَاحُ[1]

[لها فَرْخانِ قد غَلِقا بِوَكْرٍ ... فَعُشُّهما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ[2]

فلا باللَّيلِ نالتْ ما تُرَجِّى ... ولا بالصبحِ كان لها بَراحُ][3]

ويُرْوَى «تجاذِبُهُ» ، فهذا غايةُ الاضطرابِ ، وقد قال[4] الشعراء قبلَه وبعده فلم يبلغوا هذا المقدارَ .

وقال الشَّيْبانِيُّ للحَجَّاجِ :

هَلاَّ بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ في الوَغَى ... بل كان قَلْبُكَ في جَناحَيْ طائرِ[5]

فهذا يجوزُ أن يكونَ في الخَفَقانِ وفي الذَّهابِ البَتَّةَ .

❁

ومن التشبيه المحمودِ قولُ الشاعرِ :

طَليقُ اللهِ لم يَمْنُنْ عليه ... أبو داوُودَ وابنُ أبي كَثِيرِ[6]

---

(١) « عزها » أي غلبها ، و « الشرك » هو حبالة الصائد .

(٢) « غلقا » بكسر اللام ، من « الغلق » بفتحها ، وهو الحبس .

(٣) الزيادة من حاشية ج .

(٤) في س و هـ « قالت » .

(٥) قال المرصفي : « الشيباني هو عِمْرَانُ بن حِطَّانَ ، وسيأتي نسبه وحديثه في باب الخوارج. وقد ذكر الأصبهاني في أغانيه بسنده : أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب بالكوفة تحصن منها ، وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان ، وقد كان الحجاج لج في طلبه :

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعَامَةٌ ... رَبْدَاءُ تجْفِلُ من صَفِيرِ الصافرِ

هلاَّ برزْتَ إلى غَزَالَةَ في الوَغَى ... بل كان قَلْبُكَ في جَنَاحَيْ طائرِ

صَدَعَتْ غزالةُ قلبَه بفوارسٍ ... تركَتْ مُدَابِرَهُ كأمْسِ الدَّابِرِ » .

(٦) « داوود » هكذا رسم في طبعة أوربة عن الأصول المخطوطة ، بالهمز . وقد سبق الكلام على ذلك .

ولا الحَجَّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ　　تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقُورِ [١]

وهذا غايةٌ في صفة الجُبانِ .

ونَصَبَ « عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ » على الذَّمِّ ، وتأويلُه : أنه إذا قال « جاءَنى عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ » فليس يقولُ[٢] إلاَّ وقد عرفَهُ بالخُبْثِ والفِسْقِ[٣] . فنَصَبَه « بأَعْنِي » وما أَشبَهه من الأَفعالِ ، نحو « أَذْكُرُ[٤] » وهذا أَبلغُ في الذمِّ ، أن يُقيمَ الصفةَ مقامَ الاسم ، وكذلك المدحُ ، وقولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ بعدَ قوله : ﴿ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ[٥] ﴾ ـ : إنما هو على هذا[٦] ، ومَنْ زعم أنه أرادَ « ومِنَ المقيمينَ الصَّلاةَ »

---

(١) قوله « عيني بنت ماء » قال المرصفي : « هي ما يصاد من طير الماء ، إذا نظرت إلى صقر قلبت عينها حذراً منه . فشبه عيني الحجاج عند الحذر والفرق بهما » .

(٢) ف ج و س و د و هـ « يقوله » .

(٣) ف ج و س و د و هـ « بالفسق والخبث » .

(٤) ف ج « اذْكُرْ » فعل أمر

(٥) سورة النساء (١٦٢) .

(٦) قال العلامة جار الله الزمخشري ، المتوفى سنة ٥٢٨ في الكشاف (ج ١ ص ٣١٣) : « والمقيمين : نصب على المدح ، لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع ، وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد . ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان ، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ـ : كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذبّ المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ، ليسدها من بعدهم ، وخرقا يرفوه من يلحق بهم » .

وقال معاصره العلامة أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٨ وهو من أكبر مفسري الشيعة الإمامية ، في تفسيره مجمع البيان (ج ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ من طبعة العجم) بعد أن ذكر نحو توجيه الزمخشري على قول البصريين ، وذكر أقوالا أخر ، قال : « وأما ماروى عن عروة عن عائشة قال : سألتها عن قوله والمقيمين الصلاة ، وعن قوله والصابئون ، وعن قوله إن هذان ؟ فقالت يابن أختي ، هذا عمل الكتاب ، أخطؤا في الكتاب ، وما روى عن بعضهم : إن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها ، قالوا :

فخطىءٌ في قول البصريين، لأنهم لا يَعْطِفون الظاهرَ على المضمرِ المخفوضِ، ومَن أجازه من غيرهم فعلى قُبْحٍ، كالضرورةِ، والقرآنُ إنما يُحْمَلُ على أشرفِ المذاهبِ، وقرأ حمزةُ: ﴿ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامِ[1] ﴾. [بالجرِّ[2]] وهذا مما لايجوزُ عندنا، إلاّ أن يُضْطَرَّ إليه شاعرٌ، كما قال:

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهجُونا وتَشْتِمُنَا ... فاذْهَبْ فما بِكَ والأيَّامِ مِن عَجَبِ

وقرأ عيسى بن عُمر: ﴿ وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ[3] ﴾ أرادَ: وامرأتُهُ في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ، فنصبَ «حَمَّالَةَ» على [الشَّتْمِ و][4] الذمِّ. ومن قال إنما[5] «امرأتُهُ» مرتفعةٌ بقوله ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ - : فهو يجوزُ، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المُظْهَرُ المرفوعُ على المضمرِ حتى يُؤَكَّدَ، نحو [قوله عزَّ ذِكْرُهُ][6] : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ ﴾[7] و: ﴿ اسْكُنْ

وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة - : فما لايلتفت إليه، لأنه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الغلط، وهم القدوة، والذين أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم».

وقد أشبع القول في هذا المعنى إمام المفسرين أبو جعفر الطبري في تفسيره (ج ٦ ص ١٨ - ٢٠) فارجع إليه.

(١) سورة النساء (١).

(٢) الزيادة من هـ. وانظر الكشاف (ج ١ ص ٢٤١).

(٣) سورة المسد (٤).

(٤) وقراءة النصب هي أيضاً قراءة عاصم من السبعة، وقرأ باقي السبعة بالرفع على الخبر.

(٥) في جميع الأصول «إنما» كما في طبعة أوربة، ولكن في طبعات مصر «إن» والواجب المحافظة على الأصول الصحيحة.

(٦) الزيادة من هـ.

(٧) سورة المائدة (٢٤).

أنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّـــــــةَ ﴾[1] فأمّا قولُه : ﴿ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا ﴾[2] ـ : فانه لمّا طالَ الكلامُ وزادتْ[3] فيه « لا » احتملَ الحذفَ . وهذا على قبحه جائزٌ [في الكلام][4] ، أعني : ذهبتُ وزيدٌ وأذهبُ وعمروٌ ، قال جَريرٌ :

وَرَجَا الأُخَيْطِلُ من سَفاهَةِ رَأْيِهِ ما لم يَكُنْ وأبٌ له لِيَنالاَ

وقال ابنُ أبي ربيعةَ :

قلتُ إذْ أَقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهادَى كَنِعاجِ المَلاَ تَعَسَّفْنَ رَمْلاَ[5]

ومما يُنصبُ على الذمّ قولُ النابغةِ [الذُّبْيانيِّ][6] :

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأَقارِعُ[7]

أقارِعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غيرَها وُجُوهَ قُرودٍ تبْتَغِي مَنْ تُخادِعُ[8]

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ :

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِي عُداةَ اللهِ مِن كَذِبٍ وزُورِ

---

(١) سورة البقرة (٣٥) وسورة الأعراف (١٩) .
(٢) سورة الأنعام (١٤٨) .
(٣) في هـ « وزاد » وفي ج و س و د « وزيدت » .
(٤) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٥) « كنعاج الملا » قال المرصفي : « يريد بقر الوحش . والملا ، مقصورة الفلاة ، يكتب بالألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف » .
(٦) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٧) « البطل » مصدر كالبطلان ، وهو ضد الحق . و « الأقارع » هم بنو قريع ، مصغر أقرع تصغير ترخيم ، ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . أفاده المرصفي .
(٨) في د « وجوه كلاب » . وفي ج « تجادع » بالجيم ، أي تشاتم . وقوله « لا أحاول غيرها » أي : لا أريد هجاء غيرها .

والعربُ تُنْشِدُ قولَ حاتمٍ الطائىِّ رفعاً ونصباً :

إنْ كنتِ كارهةً معيشتَنا ... هاتَا فحُلِّى فى بَنِى بَدْرِ[1]

الضّاربِينَ لَدَى أعِنَّتِهِمْ ... والطّاعنِينَ وخيلُهُمْ تجْرِى[2]

وإنما خفَضُوهما على النعتِ ، وربما رفعوهما على القطْعِ والابتداء .

وكذلك قولُ الخِرْنِقِ بنتِ هِفّانَ القَيْسِيَّةِ من بنى قَيْسِ بن ثعلبةَ :

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِى الذين هُمُ ... سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ

النّازلِينَ بكل مُعْتَرَكٍ ... والطّيّبِينَ معاقِدَ الأُزْرِ[3]

وكلُّ ما كان[4] مِن هذا فعَلَى هذا أكثرُ إنشادِهِ[5] .

وإن لم يُرِدْ مَدْحًا ولا ذَمًّا قد استُقِرَّ له ـ : فوَجْهُهُ النعتُ . وقرأ بعضُ القُرّاء : ﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ[6] ﴾ .

وأكثرُ ما تُنْشِد العربُ بيتَ ذى الرُّمّةِ نصباً ، لأنه لمّا ذكر ما يَحِنُّ إليه ويَصْبو إلى قُرْبِهِ أشادَ بذِكْرِ ما قد كان يَبْغِى ، فقال :

دِيارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنا ... ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

---

(١) « هاتا » قال المرصفى : « تا : اسم إشارة ، يريد ، ياهذه » .

(٢) رسمت كلمتا « الضاربين » و « الطاعنين » فى البيت فى طبعة أوروبة نقلا عن الأصول ، بوضع رسم الكلمتين بالرفع فوق رسمهما بالنصب ، ليقرآ بالوجهين .

(٣) ورسمت كلمتا « النازلين » و « الطيبين » كالبيت السابق أيضا .

(٤) فى ج « جاء » بدل « كان » . وكلمتا « كل ما » رسمتا فى طبعة أوربة « كلما » وهو رسم قديم معروف ، نجده كثيراً فى الأصول المخطوطة الصحيحة .

(٥) فى ج و س و د وهـ « فعلى هذا الوجه » .

(٦) سورة المؤمنون (١٤) . وهذه القراءة التى حكى أبو العباس بنصب « أحسن » لم أجدها فى شىء من القراءات ، ولا فى القراءات الشاذة ، والله أعلم .

وفى هذه القصيدةِ من التّشبيهِ المُصيبِ قولُه :

بَيْضَاءُ فى دَعَجٍ صَفْرَاءُ فى نَعَجٍ   كأنها فِضّةٌ قد مَسّها ذَهَبُ[1]

وفيها من التشبيهِ المصيبِ [قولُه[2]] :

تَشكُو الخِشَاشَ ومَجرَى النّسْعَتَيْنِ كما   أنّ المريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ[3]

[و][4] « الخِشَاشُ » ما كان فى عَظْمِ الأنْفِ ، وما كان فى المَارِنِ فهو « بُرَةٌ » يقالُ [منها : قد][5] « أَبْرَيْتُ » الناقَةَ ، فهى « مُبْرَاةٌ » .

قال الشّمّاخُ ، وهذا من التشبيهِ العجيبِ :

فقَرّبْتُ مُبْرَاةً تَخالُ ضُلُوعَها   من الماسِخِيّاتِ القِسِىّ المُوَتّرَا[6]

و « مَاسِخَةُ » من نَصْرٍ من الأزْدِ[7] ، وإليهم نُسِبَتْ[8] القِسِىُّ الماسِخِيّةُ .

وأحسنُ ما قيلَ فى صفة الضلوع واشتباكِها قولُ الراعى :

وكأنما انتَطَحَتْ على أثْباجِها   قُدُرٌ بِشَابَةَ قد تَمَمْنَ وُعُولاَ[9]

---

(١) « الدعج » سواد العين . و « النعج » البياض الخالص . وإنما وصفها بالصفرة لتضمخها بالطيب .

(٢) الزيادة من س .

(٣) « النِّسْعَةُ وَالنِّسْعُ » بكسر النون وسكون السين فيهما : سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره . وهو يصف ناقته . وقوله « أنّ المريض » من الأنين .

(٤) الزيادة من ج و س و هـ .

(٥) الزيادة من هـ .

(٦) « المُوَتَّرُ » المشدود الوتر . وفى ج و د « المُؤَطَّرَا » وأصل « الاطْرِ » عطف الشىء تقبض على أحد طرفيه فتعوّجه ، ومنه « أَطَرْتُ القوسَ أَطْرًا : إذا حَنَيْتَها » .

(٧) فى ج و د « نصر بن الأزد » .

(٨) فى ج و س و د و هـ « تُنْسَبُ » .

(٩) قال المرصفى : «أثباجها : جمع ثبج ــ بالتحريك ــ وهو معظم الظهر، وفيه مجانى الضلوع.=

« الفَادِرُ » المُسِنُّ من الوُعولِ .

وذو الرُّمَّةِ أَخذ ذلك المعنى من قول المُثَقِّبِ العبدىّ[١] :

إذا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ   تأَوَّهُ آهَةَ الرجلِ الحزينِ

ومن التشبيه المستحسَنِ قولُ عَلْقَمَةَ بن عَبَدَةَ :

كأنَّ إبريقهم ظَبْيٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بِسَبَا الـكَتَّانِ مَلْثُومُ[٢]

فهذا حسنٌ جدًّا .

❋

وقال أبو الهِنْدِيّ ، وهو عبـدُ المؤمنِ بن عبد القُدُّوسِ[٣] بن شَبَثِ بن رِبْعِيٍّ الرِّيَاحِيُّ ، مِن بنى رِيَاحِ بن يَرْبُوعٍ ، وكان شَبَثٌ سَيِّدَ بنى يَرْبُوعٍ بالـكوفةِ — :

وشابة : جبل بنجد أو بالحجاز . ويعمن — بالياء — : واجهن . شبه هيئة انحناء الضلوع ومواجهة بعضها إلى بعض فى اقتراب بهيئة انحناء قرون وعول واجهت فى اقتراب قرون وعول أخر » .

(١) فى ج و س و د و هـ « أخذ هذا المعنى من المثقب العبدى . قال المثقب » .

(٢) « الشرف » ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله ، رملا كان أو جبلا . و« مفدَّم » وصف للابريق ، يعنى : مغطى بالفدام ، بكسر الفاء وتخفيف الدال . وقوله « بسبا الـكتان » الخ قال المرصفى : « يريد : بسبائب الـكتان ، لحذف جزء الكلمة ... والسبائب : جمع سبيبة ، وهى شقة بيضاء كالسب ، بكسر السين . وملثوم : من اللثام ، وهو ما يوضع على الفم ، استعاره للابريق » .

(٣) هكذا سماه هنا « عبد المؤمن بن عبد القدوس » ، وكذلك سماه ابن قتيبة فى طبقات الشعراء (ص ٤٢٩ طبعـــة أوربة) . وسماه صاحب الأغانى (ج ٢١ ص ١٧٧) « غالب بن عبد القدوس » .

قال صاحب الأغانى فى ترجمته : « كان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدرك الدولتين : دولة بنى أمية ، وأول دولة ولد العباس ، وكان جزل الشعر : حسن الألفاظ ، لطيف المعانى ، وإنما =

مُقَدَّمةً قَرًّا كأنَّ رِقابَها رِقابُ بَنَاتِ الماءِ أَفْزَعَها الرَّعْدُ(١)

وكان أبو الهنديّ قد غَلَبَ عليه الشرابُ ، على كرم مَنْصِبِهِ ، وشرفِ أُسْرَتِهِ ، حتى كاد يُبْطِلُه .

وكان عَجِيبَ الجوابِ : فجلس إليـــه رجلٌ مَرَّةً يُعْرَفُ ببرزينِ المَناقِيرِ ، وكان أبوه صُلِبَ فى خِرَابَةٍ ، و « الخِرابةُ » عندهم سَرَقُ الإبل خاصَّةً ، فأقبلَ يُعَرِّضُ لأبى الهِنْدِيِّ بالشرابِ ، فلما أَكْثَرَ عليـه قال أبو الهندىّ : [إنَّ](٢) أحدَهم يَرَى القَذَاةَ فى عينِ أخيه ، ولا يَرَى الجِذْعَ [المعترِض(٢)] فى اُسْتِ أبيه ! !

وفى الخِرابَةِ يقولُ الراجزُ :

والخارِبُ اللِّصُّ يُحِبُّ الخارِبَا وتلك قُرْبَى مثلُ أن تُناسِبَا

* أن تُشْبِهَ الضَّرائِبُ الضَّرائِبَا(٣) *

وقال الآخرُ :

إيتِ الطريقَ واجْتَنِبْ أَرْمَامَا إنَّ بِها أَكْتَلَ أو رِزَامَا(٤)

= أخله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب . ومقامه بسجستان وبخراسان ، وشغفه بالشراب ، ومعاقرته إياه ، وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الاسلام ، فجعل وصفها وكده وقصده » .

(١) هكذا روى أبو العباس البيت هنا مرفوع القافية ، وكذلك صاحب اللسان فى مادة (ف د م) . ولـكن القافيـة مجرورة ، والرواية الصحيحة رواية ابن قتيبة والأغانى « تَفَزَّعُ لِلرَّعْدِ » . فقد روى ابن قتيبة مع البيت آخر قبله ، وكذلك الأغانى وزاد ثلاثة بعده .

(٢) الزيادتان من ه .

(٣) « الضرائب » جمع « ضريبة » وهى السجية والطبيعة .

(٤) « أرمام » جبل فى ديار باهلة ، أو واد فى ديار بنى أســد . و « أكتل » و « رزام » : لصان من لصوص البادية .

* خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفَانِ الهَامَا(١) *

[زاد أبو الحسن: لم يَتْرُكا لِمُسْلِمٍ طَعَامَا] نَصَبَ « خُوَيْرِبَيْنِ » على «أعْنِي» لا يكون غيرُ ذلك، لأنه إنما أثْبَتَ أحدَهما بقوله « أو ».

ومَرَّ نصرُ بن سَيَّارٍ الليثيُّ بأبي الهنديِّ وهو يَميلُ سُكْرًا، فقال له: أفْسَدْتَ شرفَك! فقال أبو الهنديِّ: لو لم أُفْسِدْ شرفي لم تكنْ أنتَ والِيَ خراسانَ!!

وحَجَّ به نصرُ بن سَيَّارٍ مرةً، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصرٌ: إنك بفناء بيتِ الله وَمَحَلِّ وُفُودِهِ(٢)، فَدَعْ لي الشرابَ حتى يَنْفِرَ الناسُ، واحْتَكِمْ عليَّ، فَفَعَلَ، فلما كان يومُ النَّفْرِ أخَذَ الشرابَ فوضَعَه بين يديه، وأقبلَ يشرب ويبكي! ويقول:

رَضيعُ مُدَامٍ فارَقَ الرَّاحَ رُوحُهُ   فَظَلَّ عليها مُسْتَهِلَّ المَدَامِعِ
أَدِيرَا عليَّ الكأْسَ إنِّي فَقَدْتُها   كما فَقَدَ المَفْطُومُ دَرَّ المَرَاضِعِ

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَليد الكِنانيِّ، وكان أبو الوليد ناسكًا، فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنِه، فهربَا منه، وقال أبو الهنديِّ:

قُلْ لِلسَّرِيِّ أبي قيسٍ أتُوعِدُنا   ودارُنا أصبحتْ من دارِكم صَدَدَا(٣)

---

(١) «ينقفان» من « النقف » وهو كسر الهامة حتى تخرج دماغه.

(٢) في ج و س و د و هـ « ومَحَلِّ حَرَمِهِ ».

(٣) قال المرصفي: « يقال: داري صَدَدَ داره، بالنصب على الظرف، وعلى صدد داره، وبصدد داره: إذا كانت قبالتها. وعن ابن السكيت: الصَّدَدُ والصَّقَبُ: القرب ».

أبا الوليد أمَا واللهِ لو عَمِلَتْ   فيكَ الشمُولُ لما حرَّمْتَها أبَدَا
ولا نَسِيتَ حُمَيَّاهَا ولَذَّتَهَا   ولا عَدَلْتَ بها مالاً ولا وَلَدا

❊

ثم نرجعُ إلى التشبيه . وربَّما عَرَضَ الشئُ والمقصودُ غيره ، فيُذْكَرُ للفائدةِ تَقَعُ فيه ، ثم يُعادُ إلى أصلِ البابِ .

قال أبو العباس : وقال عُرْوةُ بن حِزَامٍ العُذْرِيُّ :

كأنَّ قَطاةً عُلِّقَتْ بجَناحِها   على كَبِدِى من شِدَّةِ الخَفَقَانِ

ويقال : أن المرأةَ إذا كانت مُبْغِضَةً لزوجها فآيةُ ذلك أن تكونَ عند قُرْبِهِ منها مُرْتَدَّةَ النظرِ عنه ، كأنما تنظر إلى إنسانٍ مِن ورائِهِ[1] ، وإذا كانت مُحِبَّةً له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه ، وإذا[2] نَهَضَ نظرتْ من ورائِه إلى شخصه حتى يَزُولَ عنها . فقال رجلٌ : أردتُ أن أعلمَ كيفَ حالى عند امرأتى ، فالتفتُّ وقد نَهَضْتُ من بين يديها فإذا هى تُكَلِّحُ[3] فى قفَاىَ .

وقال الفَرَزْدَقُ فى هذا المعنى ، والنَّوَارُ تخاصِمُهُ عند عبد الله بن الزُّبَيْرِ [بن العوَّامِ][4] :

فَدُونَكَهَا يابْنَ الزُّبَيْرِ فإنها   مُوَلَّعَةٌ يُوهِى الحجارةَ قِيلُهَا

---

(١) فى د و س و هـ « إلى إنسان وراءه » .
(٢) فى ج « فإذا » .
(٣) فى ج « تَكَلَّحُ » . و « التكليح » و « الكلوح » : التكشر فى عبوس .
(٤) الزيادة من س . و « النوار » بفتح النون وتخفيف الواو ، هى بنت أعين بن ضبيعة ، امرأة الفرزدق ، خاصمته إلى ابن الزبير ، وقصتهما معروفة .

إذا جلستْ عند الإمامِ كأنها   ترى رُفْقةً مِن خلفِها تَستحيلُها[1]

قولُه « مُوَلَّعَةٌ » يقولُ : [كأنها[2]] مُوَلَّعَةٌ بالنظر مرةً هٰهنا ومرةً هٰهنا .
وقولُه « ترى رُفْقةً » يقال « رِفْقَةٌ » و« رُفْقَةٌ » . ومعنى « تَستحيلُها » تَتَبَيَّنُ حالاتِها ، قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ [الهِلالِيُّ][3] :

مُرَوَّعةٌ تَستحيلُ الشُّخُوصَ   من الخوفِ تَسْمَعُ مالا تَرى[4]

[قولُه « مُرَوَّعةٌ » يقولُ : كلُّ شيءٍ يُدْنيني من الظَّفَرِ بها يُرَوِّعُها ويُنَفِّرُها][5] .

ومن عجيبِ التشبيهِ قولُ جريرٍ فيما يُكْنَى عن ذِكرِهِ :

تَرى الصِّبْيانَ عاكِفةً عليها   كمَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حينَ شابَا[6]

(١) في ج و د و هـ « كأنما » بدل « كأنها » .
(٢) الزيادة من ج و د و هـ .
(٣) الزيادة من س .
(٤) في ج و س و د و هـ « إذا خَرَجَتْ تَستحيلُ الشُّخُوصَ » .
(٥) لا أدرى من أين أثبتت هذه الزيادة في طبعات مصر ! ؟ فإنها لم تذكر في طبعة أوربة ، ولا في جزء التصحيحات الملحق به .
(٦) الشطر الأول في ج « تَرى بَرَصاً بِمَجْمَعِ أَسْكَتَيْها » وهو يوافق رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى في النقائض (ج ١ ص ٤٤٠ طبعة أوربة) إلا أن فيه « إِسكَتَيْها » بكسر الهمزة . وقال أبو عبيدة : « ويروى : لها بَرَصٌ بأسفلِ إِسكَتَيْها . في نسخة ابن سعدان: بجانبِ إِسكَتَيْها» . ورواه صاحب اللسان عن ابن سيده (ج ١٢ ص ٢٧٠) « ترى بَرَصاً يَلُوحُ بإِسكَتَيْها » . ورواه ابن سيده في المخصص (ج ٢ ص ٣٨) : « بها وَضَحٌ بأسفلِ إِسكتيها » . والرواية الثقة عندنا رواية أبي عبيدة .
وقوله «بمجمع إِسكتيها» يعني : بأسفلهما . و«الإِسكتانِ» بكسر الهمزة: جانبا الفرج =

ويُقالُ : أن الفرزدقَ حين أُنْشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عَنْفَقَتِهِ ، تَوَقُّعاً لِعَجُزِ البيتِ .

ومن التشبيه الحَسَنِ قولُ جريرٍ فى صفةِ الخيلِ[1] :

يَشْتَفْنَ لِلنَّظَرِ البَعيدِ كأنما إِرْنانُها بِبَوَائِنِ الأَشْطَانِ[2]

قولُه « يَشْتَفْنَ » و « يَتَشَوَّفْنَ » فى معنى واحد[3] . وقوله « كأنما إِرْنانُها بِبَوائِنِ الأَشْطَانِ » أراد شدة صَهِيلها : يقول : كأنما يَصْهِلْنَ[4] :

= مما يلى شفريه . ويجوز فتح الهمزة أيضا ، كما فى اللسان والقاموس وغيرهما ، وأكثر الروايات بالكسر . وأخطأ الشيخ المرصفى فزعم أنه « بضم الهمزة وكسرها » . وليس لما قال سند ، وإن نسبه هو لابن سيده ، رحمه الله .

و« العَنْفَقَة » مابين الذقن وطرف الشفة السفلى من الشعر .

وهــذا البيت من قصيدة جرير المشهورة ، التى يسميها « الدَّمَّاغة » و « الدَّهْقانَة » و « المنصورة » . وأولها :

أَقِلِّى اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتابَا وقُولِي إِنْ أَصَبْتُ لقد أَصَابَا

(١) هــذا خطأ من المبرد ، فالبيت للفرزدق ، من قصيدة يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه على الشعراء ، ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا ، وهى فى النقائض (ج ٢ ص ٨٧٩ — ٨٨٨) وهذا البيت هو الخامس فيها ، وأجابه جرير بقصيدة من رويها .

(٢) رواية النقائض : « يَصْهِلْنَ بالنظر البعيد » .

(٣) فى اللسان : « شافَ الشىءَ شَوْفاً : جَلاَهُ » . وفيه أيضاً : « اشتافَ فلانٌ يشتافُ اشتيافاً : إذا تطاول ونظرَ . وتَشَوَّفتُ إلى الشىء أى تَطَلَّعْتُ » . ثم نقل عن الليث قال : « تشوَّفَتِ الأَوعالُ : إذا ارتفَعت على معاقل الجبال فأشرفت . وأنشد ابن الأعرابى — فذكر البيت كرواية المبرد ثم قال : يصف خيلا نشيطةً إذا رأت شخصاً بعيداً طَمَحَتْ إليه ثم صَهَلت ، فكأنَّ صهيلها فى آبارٍ بعيدة الماء ، لسعةِ أجوافها » .

(٤) « صهل » من بابى « نفع » و « ضرب » .

في آبارٍ(١) واسعةٍ تبِينُ أشطانُها عن نواحيها(٢)

ونظيرُ ذلك قولُ النابغة الجَعْدِيِّ :

ويَصْهِلُ في مثلِ جَوْفِ الطَّوِيِّ   صَهِيلاً يُبَيِّنُ للمُعْرِبِ

« المُعْرِبُ » العالمُ بالخيلِ العِرابِ .

ومن حَسَنِ التشبيه قولُ عَنْتَرَةَ [العَبْسِيِّ](٣) :

غادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ   يَجُرُّ الأَسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ(٤)

يقول : طُعِنَ وغُودِرَتِ الرِّماحُ فيه ، فظَلَّ يَجُرُّها ، كأنه حاملُ حطبٍ .

ومن التشبيه المتجاوِزِ المُفْرِطِ قولُ الخنساء :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به   كأَنه عَلَمٌ في رأسِه نارُ

فجَعَلَتِ المهتدِيَ يأتمُّ به ، وجعلته كنارٍ في رأسِ عَلَمٍ ، و « العَلَمُ » الجبلُ ، قال جريرٌ :

---

(١) في ج و د « أَبْآرٍ » .

(٢) عبارة أبي عبيد في شرح البيت في النقائض : « قوله إرنانها ببوائن ، يعني : صوتها . والرنة : الصوت من البكاء وغيره . قال : والأشطان : الحبل ، واحدها شَطَنٌ . قال الأصمعي: وقوله ببوائن الأشطان: بأبآرٍ بوائن . قال : والبئر البَيُون : البائنة التي يُصيب حبلُها نواحيَ البئر ، فهو يميد فيها ، فإذا استُقِيَ منها قام رجلان يُنَحِّيَانِ الدلو بالشَّطَنِ ، وهو الحبل ـ : عن حائط البئر ، لئلا ينقطع الحبل . يقول : كأنها تصهل من أبآر بوائن لسعة أجوافها » .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) الضمير في « غادرن » يعود إلى الخيل ، ولم يجر لها ذكر . و « نضلة » هو ابن الأشتر بن جحوان ، قتله ورد بن حابس العبسي . قاله المرصفي .

* إذا قَطَعْنَ عَلَمًا بَدَا عَلَمْ *

وقال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾(١) .

ومن هذا الضربِ من التشبيه قولُ العجّاجِ :

* تقضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ *

و « التَّقَضِّي » الانْقِضاضُ ، وإنما أراد سرعتَها ، والعربُ تُبْدِلُ كثيراً الياءَ مِن أحدِ التَّضْعِيفَيْنِ ، فيقولون « تَظَنَّيْتُ » والأصلُ « تَظَنَّنْتُ » لأنه « تفعَّلْتُ » من « الظَّنِّ » ، وكذلك « تَقَضَّيْتُ » من « الانقضاض » أي « تَقَضَّضْتُ » ، وكذلك « تَسَرَّيْتُ »(٢) . ومثلُ هذا كثيرٌ .

⁂

ومن تشبيه المحدَثين المستطرَفِ قولُ بَشَّارِ [بن بُرْدٍ](٣) :

كأنَّ فؤادَهُ كُرَةٌ تَنَزَّى ... حِذارَ البَيْنِ إنْ نفعَ الحِذَارُ(٤)

[يُرَوِّعُهُ السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ ... مَخافَةَ أن يكونَ به السِّرَارُ](٥)

وفي هذه القصيدةِ :

جَفَتْ عيني عن التَّغْمِيضِ حتى ... كأنَّ جُفُونَها عنها قِصَارُ

أقولُ وليلتي تَزْدادُ طولاً : ... أما لِلَّيلِ بعدَهُمُ نَهَارُ ؟!

---

(١) سورة الرحمن (٢٤) .

(٢) قال المرصفي : « من قولهم تسريت الجارية ، والأصل تسررت . من السرور ، وهذا قول ابن السكيت ، وقال غيره : من السر ، وهو النكاح » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) « تنزى » أصلها « تَتَنَزَّى » أي تتوثب . وانظر الأبيات في اللسان (٢٠ : ١٩٢) .

(٥) « السرار » بكسر السين ، وبفتحها أيضا : آخر ليلة من الشهر ، وهي التي يستسر فيها القمر ، أي يختفي .

وقال الحسن بن هانئ[1] فى صفة الخمر :

فإذا ما لَمَسْتَهَا فَهَبَاءٌ … تَمْنَعُ اللَّمْسَ ما تُبِيحُ العُيُونَا

دَرَسَ الدَّهْرُ ما تَجَسَّمَ منها … وتَبَقَّى لُبَابَهَا المكنُونَا

فَهْيَ بِكْرٌ كأنها كلُّ شيءٍ … يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أن يكونا

فى كُؤُوسٍ كأنهنَّ نُجُومٌ … جارياتٌ بُرُوجُهَا أيدِينَا

طالِعاتٌ مع السُّقاةِ علينا … فإذا ما غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

فهذه قطعةٌ من التشبيهِ غايةٌ ، على سُخْفِ كلامِ المُحْدَثِينَ .

وقال الخنفى[2] ، وهو إسحقُ بن خَلَفٍ ، فى صفةِ السيفِ :

أَلْقَى بجانب خَصْرِهِ … أَمْضَى من الأَجَلِ المُتاحْ

فكأنما ذَرُّ الهَبا … ءِ عليه أَنْفَاسُ الرِّياحْ[3]

وقال مُسْلِمُ بن الوليدِ الأنصاريُّ فى مدحهِ يَزِيدَ بن مَزْيَدٍ :

تَمْضِى المَنَايَا كما تَمْضِى أَسِنَّتُهُ … كأنَّ فى سَرْجِهِ بَدْرًا وضِرْغَامًا[4]

وقال دِعْبِلُ بن علىٍّ [الخُزَاعِىُّ[5]] فى صفةِ مصلوبٍ[6] :

لم أَرَ صَفًّا مثلَ صَفِّ الزُّطِّ … تِسْعِينَ منهم صُلِبُوا فى خَطِّ[7]

---

(١) هو أبو نواس .

(٢) قال المرصفى : « من بنى حنيفة بن عجل » .

(٣) فى ع و هـ « وكأنما » .

(٤) فى ع و س و د و هـ « يُمْضِى المنايا » .

(٥) الزيادة من د .

(٦) فى د و س و هـ « المصلوب » .

(٧) الزط » بضم الزاى ، هم جيل أسود ، من السند أو الهند .

من كلِّ عالٍ جِذْعُه بِالشَّطِّ ... كأنه فى جِذْعِهِ الْمُشْتَطِّ(١)

أخو نُعاسٍ جَدَّ فى التَّمَطِّى ... قد خامَرَ النَّوْمَ ولم يَغِطِّ(٢)

[وقال آخرُ فى صفةِ مصلوبٍ ، وهو يَزِيدُ الْمُهَلَّبىُّ :

قامَ ولَمَّا يَسْتَعِنْ بِساقِهِ ... آلفَ مَثْواهُ على فِراقِهِ

* كأنما يَضْحَكُ فى أَشْدَاقِهِ *

أراد بياضَ الشَّريطِ فى فيه] .

وقال أعرابىٌّ فى صفةِ مصلوبٍ [وهو الأخطَلُ ، قال أبو الحسن : الأخطلُ الذى يعنى رجلٌ مُحْدَثٌ من أهل البصرةِ ، ويعرفُ بالأُخَيْطِلِ ، ويُلَقَّبُ بِبَرْقُوقا ، وذكر أبو الحسن أن أبا العباسِ كان يُدَلِّسُ به](٣) :

كأنه عاشقٌ قد مَدَّ صَفْحَتَهُ ... يومَ الفِراقِ إلى تَوْديعِ مُرْتَحِلِ

أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوثَتُهُ ... مُوَاصِلٌ لِتَمَطِّيهِ من الكَسَلِ(٤)

[وقال مسلمُ بن الوَليدِ :

وَضَعْتُهُ حيثُ تَرْتَابُ الرِّياحُ به ... ويَحْسُدُ الطَّيْرَ فيه أَضْبُعُ البَلَدِ](٥)

---

(١) فى ج و س « فى كل عال » . وفى ج و س و د « فى جِذْعِهِ الْمُسْبَطِّ » .
و « الشط » جانب النهر أو الوادى . و « المشتط » الطويل الذى جاوز فى الطول حده .
وأما « المسبط » فقريب من هذا المعنى ، قال فى اللسان : « رجل سَبِطُ الجسم وسَبْطُه ، طويلُ الألواح مُسْتَوِيها بَيِّنُ السَّباطَةِ » .

(٢) « غطَّ فى نومهِ يَغِط » إذا أخرج صوتاً مع النفس وردّده .

(٣) يعنى أنه كان يوهم من سمعه أنه الأخطل التغلبى الشاعر المعروف .

(٤) « اللوثة » بضم اللام : الاسترخاء والبطء .

(٥) الزيادة من هـ . و « أضبع » بفتح الهمزة ، جمع « ضبع » .

وقال [أبو تمام(١)] حَبِيبُ بن أوْسٍ [قال أبو الحسن : يعني به إسحٰقَ بن إبرٰهيمَ الطَّاهِرِيَّ(٢)] ـ :

قد قَلَّصَتْ شَفَتاهُ من حَفِيظَتِهِ … فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِما(٣)

وقال أيضاً في رجلٍ يَنْسُبُه إلى الدَّعْوَةِ [وهو إسحٰقُ بن إبرٰهيمَ الطاهريُّ](٤) :

وتَنَقُّلٌ من مَعْشَرٍ في مَعْشَرٍ … فكأنَّ أُمَّكَ أو أباكَ الزِّئْبِقُ

يقال «زِئْبِقٌ» و«زِئْبِرٌ» مهموزانِ ، و«درهمٌ مُزَأْبَقٌ» و«ثوبٌ مُزَأْبَرٌ»(٥).

ومن إفراطِ التشبيه قولُ أبي خِراشٍ الهُذَليِّ يصفُ سرعةَ ابنِه في العَدْوِ(٦) :

كأنَّهُمُ يَسْعَوْنَ في إثْرِ طائرٍ … خَفِيفِ المُشَاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذي نَحْضِ

يُبادِرُ جُنْحَ الليــلِ فهو مُهابِذٌ … يَحُثُّ الجناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ

---

(١) الزيادة من هـ .

(٢) الزيادة من د .

(٣) في ج و س « من شدة التقليص » . و « قلصت » أي انقبضت وانضمت وانزوت . و « الحفيظة » الغضب .

(٤) الزيادة من د . وهي زيادة خطأ ، وإن قسا الشيخ المرصفي وأفرط ، فقال : « هذا كذب محض . وإنما هو في عتبة بن أبي عاصم ، وكان قد ضمهما مجلس لم يتكلم فيه ، حتى انصرف أبو تمام ، فأخذ يتشدق بهجائه ، فبلغ أبا تمام ، فقال كلمة فيه منها :

ياعتبة بن أبي عصيم دعوة … شنعاء تصدم مسمعيك فتصعق

والقصيدة في ديوانه (ص ١٩٢ ــ ١٩٣ من الطبعة الوهبية سنة ١٢٩٢) » .

(٥) «الزئبق» بكسر الباء وفتحها ، «وأما الزئبر» فبالكسر والضم ، وهو مايعلو الثوب الجديد مثل مايعلو الخزّ .

(٦) سبقت الأبيات في هذا الجزء (ص ٥٢٩ ــ ٥٣٠) .

وقال أُوْسُ بن حَجَرٍ[١] [قال أبو الحسن : أهلُ الكوفةِ يَرْوُنَها لعَبيدِ بن الأَبْرَصِ][٢] :

كأنَّ رِيقَتَها بعدَ الكَرَى اغْتُبِقَتْ   من ماء أَدْكَنَ فى الحانوتِ نَضاحِ
أو من مُعتَّقةٍ وَرْهاء نَشْوَتُها   أو من أنابيبِ رُمَّانٍ وتُفَّاحِ[٣]

وقال ابن عَبْدَلٍ يهجو رجلاً بالبَخَرِ :

نَكِهْتَ علىَّ نَكْهَةَ أَخْدَرِىٍّ   شَتِيمٍ شابِكِ الأَنْيابِ وَرْدِ[٤]

وفى هذا الشِّعْرِ :

فما يَدْنُو إلى فيه ذُبابٌ   ولو طُلِيَتْ مَشافِرُهُ بقَنْدِ[٥]
يَرَيْنَ حَلاوةً ويَخَفْنَ مَوْتًا   وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بوِرْدِ

« الذُّبابُ » الواحد من « الذِّبّانِ » وأدنَى العَدَدِ فيه « أَذِبَّةٌ » والكثيرُ

---

(١) فى هـ « وقال زُهيرُ بن أبى سُلْمَى » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) « اغتبقت » من الاغتباق ، وهو شرب العشىّ . و « الأدكن » مايعلوه الدكنة ، وهى لون بين الحمرة والسواد ، أراد به الزقّ . يقول : كأن ريقتها شربت من خمر حديثة أو معتقة . و« الورهاء » الريح التى فى هبوبها خرق وبجرفة ، و « النشوة » الرائحة الطيبة ، يريد : أن رائحتها تهب فتنتشر مثل هبوب تلك الريح وانتشارها . أفاده المرصفى .

(٤) فى اللسان : « النَّكْهَةُ : ريح الفم نَكَهَ له وعليه يَنْكِهُ وَيَنْكَهُ نَكْهاً : تَنَفَّسَ على أنفه » . و « الأخدرىّ » : من نعت حمار الوحش ، كأنه نسب إلى أخدر . قال المرصفى « غلط الشاعر فجعل نعت الحمار الوحشى نعتا للأسد ، وكان الصواب أن يقول : مخدر أو خادر ، وهو الأسد فى عرينه ، فلما لم يستقم له عبر بأخدرى غلطاً » . و « شتيم » كريه الوجه ، و « شابك الأنياب » الذى اختلفت أنيابه واشتبكت . و « الورد » من أسماء الأسد ، سمى به تشبيها له بلون الورد .

(٥) « القند » بفتح القاف وسكون النون : عسل قصب السكر .

« الذِّبانُ » . ولـكنه ذَكرَ واحدًا ثم خَبَّرَ عن سائرِ الجنس . والأسدُ أَنْتَنُ السِّباعِ فمًا ، كما أن الصَّقْرَ أَنْتَنُ الطيرِ فمًا .

قال بعضُ المُحَدَّثِينَ فى رجلٍ يهجوه ، والمَهْجُوُّ داوود بن بكرٍ ، وكان وَلِيَ الأَهْوازَ وفارسَ ، والشعرُ لأَبِى الشَّمَقْمَقِ :

وله لِحْيَــةُ تَيْسٍ وله مِنْقَارُ نَسْرِ
وله نَـكْهَةُ لَيْثٍ خالَطَتْ نَـكْهَةَ صَقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن بن عائشةَ :

من يكُنْ إِبطُهُ كآباطِ ذا الخَلْـــقِ فإِبطاىَ فى عِدَادِ الفِقَاحِ[1]
لِىَ إِبطانِ يَرْمِيانِ جَلِيسِى بشَبِيهِ السِّلاحِ أو بالسُّلاحِ[2]
فـكأَنِّى من نَتْنِ هذا وهذا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصَباحِ

يعنى : مُصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيْرِىَّ ، وصَباحَ بن خاقانَ المِنْقَرِىَّ ، وكانا جليسينِ ، لا يكادانِ يفترقانِ ، وصَـــدِيقَيْنِ مُتَوَاصِلَيْنِ ، لا يكادانِ يتصارَمانِ .

فحُدِّثْتُ : أنَّ أحمدَ بن هشامٍ [أخا علىِّ بن هشامٍ][3] لقيهما يومًا ، فقال : أَمَا سمعتُمَا ما قال فيكما هذا ؟ يعنى إسحٰقَ بن [إبرٰهيم][4] المَوْصِلِىَّ ، فقالا : ما قال فينا إلا خيرًا ، قال : قال :

---

(١) « الفقاح » بكسر الفاء جمع « فَقْحَة » وهى حلقة الدبر .

(٢) « السلاح » بضم السين : العذرة .

(٣) الزيادة من هـ .

(٤) الزيادة من س و د و هـ .

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصَبَاحٌ فَعَصَيْنا مُصْعَبًا وصَبَاحَا[١]

وأَبَيْنا غيرَ سَعْيٍ إليها فاسْتَرَحْنامنهما واستراحَا

قالا : ماقال إلا خيرًا ، و [لكنَّ][٢] المكروهَ ما قال فيكَ ، إذْ يقولُ :

وصافيةٍ تُعْشِي العُيونَ رَقيقةٍ رَهينَةِ عامٍ فى الدِّنَانِ وعامِ

أَدَرْنَا بها الكأْسَ الرَّوِيَّةَ مَوْهِنًا من الليل حتى انْجابَ كلُّ ظَلامِ[٣]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى كأنَّنا من العِيِّ نَحْكِى أَحْمَدَ بنَ هِشَامِ

☆

[٤]واعلمْ أن للتشبيهِ حَدًّا فالأشياءُ[٥] تَشَابَهُ من وجوهٍ ، وتَبايَنُ من وجوهٍ . فإنمـا يُنْظَرُ إلى التشبيه من حيثُ وقَعَ[٦] . فإذا شُبِّهَ الوجهُ بالشمس فإنمـا يُرَادُ[٧] الضِّياءُ والرَّوْنَقُ ، ولا يُرَادُ [به][٨] العِظَمُ والإحْراقُ . قال اللهُ جل وعزّ : ﴿ كأنَّهنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[٩] والعربُ تُشَبِّهُ النساءَ بِبَيْضِ النَّعَام [لملاستِها][١٠] ، تريدُ نَقاءهُ ونَعْمَةَ لونه[١١] . قال الراعى :

---

(١) قوله « لام فيها » قال المرصفى : « يريد الخمر » .

(٢) الزيادة من ج و س و د و ه .

(٣) قال المرصفى : « الموهن والوهن ، كالموعد والوعد : كلاهما نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وقد أوهن إذا صار فى ذلك الوقت » .

(٤) هنا فى د زيادة « باب » . وفى س زيادة « قال أبو العباس » .

(٥) فى ج و س و د « لأن الأشياء » .

(٦) فى ج و س و د و ه « أين وقع » .

(٧) فى ج و س و د و ه « فاذا شبه الوجه بالشمس والقمر فانما يراد به » . وذكر القمر هنا غير جيد .

(٨) الزيادة من ج .

(٩) سورة الصافات (٤٩) .

(١٠) الزيادة من ه .

(١١) فى ج و س و د و ه « ورِقَّةَ لونِه » ، وهو أجود . قال المرصفى فى قوله « ونعمة

كَأنَّ بَيْضَ نَعامٍ فى مَلاحِفِها ... إذا اجْتلاهُنَّ قَيظٌ ليلُهُ وَمِدُ[1]

وقيلَ للأَوْسيَّةِ ، وهى امرأةٌ حَكيمةٌ من العرب ، بحضرةِ عمرَ بن الخطاب رحمه الله — : أىُّ مَنظرٍ أحسنُ ؟ فقالت : قُصُورٌ بيضٌ فى حَدائقَ خُضْرٍ ، فأنشدَ عمرُ بن الخطاب لِعَدِىِّ بن زيدٍ :

كَدُمَى العاجِ فى المَحاريبِ أو كالـ ... ـبَيْضِ فى الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

وقال الآخرُ :

كالبَيْضِ فى الأُدْحِىِّ يَلْمَعُ بالضُّحَى ... فالحُسْنُ حُسْنٌ والنَّعيمُ نَعيمُ[2]

وقال جريرٌ :

ما استَوْصَفَ الناسُ عن شىءٍ يَرُوقُهُمُ ... إلاَّ رَأَوْا أُمَّ نُوحٍ فوقَ ماوصَفُوا[3]

كأنها مُزْنَةٌ غَرَّاءُ رائحةٌ ... أو دُرَّةٌ لايُوارِى لَوْنَها الصَّدَفُ[4]

« المُزْنَةُ » السحابةُ البيضاءُ خاصَّةً ، وجمعُها « مُزْنٌ » . قال الله جل وعزَّ :

لونه » : « هذه إضافة منكرة ، وذلك أن النعمة — بالفتح — اسم للتنعم والترفه ، ولا يوصف بها اللون ، وكان الأجود أن يقول : وصفاء لونه » .

(١) «الملاحف» الأغطية و «الوَمَدُ» : نَدًى يجىء فى صميم الحرّ من قبل البحر مع سكون الريح . وقيل هو الحرّ أيًا كان مع سكون الريح . وقد أنشد صاحب اللسان الشطر الثانى من البيت فى مادة (و م د) هكذا : « إذَ اجْتَلاهُنَّ قيظًا ليلَةٌ وَمِدُ » وجاء به شاهداً على أن «ومد» توصف به الليلة بدون الهاء كما توصف به بالهاء ، يقال «ليلة وَمِدَةٌ وَوَمِدٌ».

(٢) فى د و هـ « فى الضحى » . و « الأُدْحِىُّ » و « الأُدْحِيَّةُ » المكان الذى تبيض فيه النعام ، تدحوه برجلها ثم تبيض فيه . و « الدَّحْوُ » البسط .

(٣) فى ج و س و د و هـ « من شىء » . وفى د « فوْقَ ما أَصِفُ » .

(٤) فى ج و س و د و هـ « لايُوَارِى ضَوْءَها » .

﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ[1] ﴾ . فالمرأةُ تُشَبَّهُ بالسَّحابة[2] لِتَهادِيها وسُهولةِ مَرِّها . قال الأعشى :

كأنَّ مِشْيَتَها من بيتِ جارَتِها ... مَرُّ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

«الرَّيْثُ» الإبطاء . فهذا ماتَلْحَقُهُ العَيْنُ منها ، فأما الخِفَّةُ فهي كأسرعِ مارٍّ، وإن خَفِيَ ذلك على البصرِ ، قال الله جل وعز : ﴿وتَرَى الجبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾[3] .

⁂

والعرب تُشَبِّهُ المرأةَ بالشمس ، والقمرِ ، والغُصْنِ ، [والكَثِيبِ][4] ، والغَزالِ ، والبَقرةِ الوحشيَّةِ ، والسحابةِ البيضاء ، والدُّرَّةِ ، والبَيْضَةِ . وإنما تَقْصِدُ[5] من كلِّ شيءٍ إلى شيءٍ .

قال ذو الرُّمَّةِ .

ومَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيدًا ... وسالِفَةً وأَحْسَنُهُمْ قَذالاَ

فلم أَرَ مِثْلَها نَظَرًا وعيْنًا ... ولا أُمَّ الغَزالِ ولا الغَزالاَ

تُرِيكَ بَياضَ غُرَّتِها ووَجْهًا ... كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثم زالاَ[6]

---

(١) سورة الواقعة (٦٩) .

(٢) فى هـ « بالسحابة البيضاء فى تقاتها » . وهو غير جيد ، لأن وجه الشبه ليس النقاء ، بل هو ماسيذكر : تهاديها وسهولة مرها . و « التهادى » مشى فى تمايل وسكون .

(٣) سورة النمل (٨٨) .

(٤) الزيادة من ع و س و د .

(٥) فى س و د « يُقْصَدُ » .

(٦) فى د « بياضَ لَبَّتِها » . وهو الذى نقله المرصفى عن ديوان ذى الرمة .

أصابَ خَصاصَة فبَدَا كَلِيلا كَلاَ وانْغَلَّ سائِرُهُ انْغِلاَلاَ[1]

« الجِيدُ » العُنُقُ . والسالِفَةُ » ناحيةُ العُنُقِ . و « القَذالاَنِ » ناحِيتَا القَفَا من الرأسِ .

وقوله «أَفْتَقَ ثم زَالاَ» يقال « أَفْتَقَ السحابُ » إذا انكشفَ انكشافةً فكانت فيه[2] فُرْجةٌ يسيرةٌ بين السحابتين . تقول العربُ : دامَ علينا الغَيْمُ ثم أَفْتَقْنَا ، وإذا نُظِرَ إلى الشمس والقمر من فَتْقِ السحاب فهو أحسنُ مايكونُ وأشدُّه استنارةً .

وقوله « كَلاَ » يريدُ في سرعةِ ما بَدَا ثم غابَ[3] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ ﴾[4] وقال تبارك وتعالى : ﴿ كأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ ﴾[5] .

و«المكنونُ» المَصُونُ، يقال« كَنَنْتُ الشيءَ» إذا صُنْتَهُ ، و«أَكْنَنْتُهُ» إذا أخفيتَهُ ، فهذا المعروف ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أوْ أَكْنَنْتُمْ في أنفُسِكُمْ ﴾[6] وقد يقالُ « كَنَنْتُهُ» أخفيتُهُ .

---

(١) « الخصاصة » كل ثقب من سحاب وباب ومنخل ومصفاة ونحو ذلك ، والجمع « خصاص » و « انغلّ » دخل واستتر . قاله المرصفي .

(٢) في ج و س و د « منه » بدل «فيه» .

(٣) قال المرصفي : «العرب إذا أرادت تقليل مدة فعل ، أو ظهور شيء خفي ، قالت : كان فعله أو ظهوره كلا ، وربما كرروا فقالوا : كلا ولا» .

(٤) سورة الرحمن (٥٨) .

(٥) سورة الواقعة (٢٣) .

(٦) سورة البقرة (٢٣٥) .

وقدْ قال جريرٌ في يَزيدَ بن عبد المَلِكِ ، وأُمُّهُ عاتكةُ بنتُ يزيدَ بن معاويةَ بن أبي سُفْيانَ :

الحَزْمُ والجودُ والإيمانُ قد نَزَلُوا على يَزيدَ أمينِ اللهِ فاحْتَلَفُوا[1]

ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ والإيمانِ ، غُرَّتُهُ كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتَصِفُ[2]

وقال ذو الرُّمَّةِ :

فياظَبْيةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَّقا آ أنْتِ أَمْ أُمُّ سالِمِ[3]

وقال ابنُ أبي رَبيعةَ :

أبْصَرْتُها ليلةً ونِسْوَتُها يَمْشِينَ بينَ المَقامِ والحَجَرِ

يَرْفُلْنَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما تَمْشِي الهُوَيْنا سَوَاكِنُ البَقَرِ

فهذه تشبيهاتٌ غَريباتٌ مفهومةٌ .

وقال أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ[4] :

---

(١) « احتلفوا » بالحاء المهملة ، من « الحلف » ، كأنه قال : تحالفوا . وقرأها الشيخ المرصفي بالخاء المعجمة ، خلافا لما في أصول الكتاب ، فذهب يزعم أن « الصواب أن يقول : فائتلفوا » !!

ثم قال المرصفي : « وهذا البيت على ضعفه لم يروه أحد سوى أبي العباس » . وأما الضعف فلا ، ولكن البيت لم أجده في ديوان جرير ، وقصيدته هناك (ص ٣٨٥ — ٣٩١) .

(٢) « الدسيعة » المائدة الكريمة أو الجفنة . وقوله « والإيمان » قال المرصفي : « صوابه : والأبياتِ » ، وهذا حق صحيح ، يؤيده ما في الديوان .

(٣) قال المرصفي : « الرواية : أيا ظبية الوعساء » وهو الموافق لما في د . و « الوعساء » الأرض اللينة . و « جلاجل » بضم الجيم الأولى : جبل بالدهناء .

(٤) اسمه « محمد بن عبد الرحمن بن عطية » نسب إلى جده ، وهو من شعراء الدولة العباسية .

وفي ع و س و د « وقال أحد شعراء المتكلمين من المحدثين » . وفي س زيادة « قال أبو الحسن : وهو عبد الرحمن العطوي » .

قد رأينا الغزالَ والغُصْنَ والنَّجْــمَيْنِ شَمسَ الضُّحَى وبَدْرَ الظَّلَامِ[١]
فَوَحَقِّ البيانِ يَعْضُدُهُ البُرْهانُ في مَأْقِطٍ أَلَدَّ الخِصَامِ
ما رَأَيْنَا سِوَى المَلِيحةِ شَيْئًا جَمَعَ الحُسْنَ كُلَّه في نِظَامِ[٢]
فهي تَجْرِى مَجْرَى الأَصَالةِ في الرَّأْيِ ومَجْرَى الأَرْوَاحِ في الأجسامِ

« البرهانُ » الحجةُ ، قال اللهُ عز وجل : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] أي حُجَجَكم ، و « المَأْقِطُ » موضعُ الحربِ ، فضربه مَثَلاً لموضعِ المناظرةِ والمُحاجَّةِ . و « الأَلَدُّ » الشديدُ الخصومةِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾[٤] وقال : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ ﴾[٥] .

⁂

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

كأنَّ فَتَى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لم يُنِخْ بنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المتغَوِّرِ
ولم يَقْدَعِ الخَصْمَ الأَلَدَّ ويَمْلَإِ الْجِفَانَ سَدِيفًا يومَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ[٦]

« السَّدِيفُ » شِقَقُ السَّنامِ .

و « النَّكْبَاءُ » الرِّيحُ بين الرِّيحَيْنِ ، لأن الرياحَ أربعٌ ، وما بين كل

(١) في د « وبدرَ التَّمامِ » .
(٢) في ع و س و د « ما رأينا سوى الحبيبة » .
(٣) سورة البقرة (١١٠) وسورة النمل (٦٤) .
(٤) سورة مريم (٩٧) . وقد كتبت الآية في جميع النسخ والطبعات « لتنذر به » وهو سهو غريب ، مخالف للتلاوة !
(٥) سورة البقرة (٢٠٤) .
(٦) « لم يقدع » بالدال المهملة ، أي : لم يكفّ .

رِيحين نكباء ، فهي ثمانٍ في المعنى :

فما بين مَطْلِعِ سُهَيْلٍ إلى مَطْلِعِ الفجرِ « جَنوبٌ » وإنما تأتى الجَنوبُ من قِبَلِ اليَمَنِ ، قال جريرٌ :

وحَبَّذَا نَفَحاتٌ من يَمانِيَةٍ   تأتيك من قِبَلِ الرَّيَّانِ أحْيانا(١)

وإذا هَبَّتْ من تِلْقاء الفَجْرِ فهى « الصَّبا تُقابِلُ القِبْلَةَ » ، فالعرب تسميها « القَبُولَ » قال الشاعرُ :

إذ قلتُ هذا حِينَ أسْلُو يَهِيجُنِي   نَسيمُ الصَّبا من حيثُ يَطْلُعُ الفَجْرُ(٢)

وإذا أتَتْ من قِبَلِ الشَّأْمِ فهي « شَمالٌ » قال الفرَزْدَقُ :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا   بِحاصِبٍ كَنَديفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

وهى تقابِلُ الجَنوب ، وكذلك قال امرؤُ القيسِ :

فتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُها   لِمَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

وإذا جاءت من دُبُرِ البيتِ الحرامِ فهى « الدَّبُورُ » وهى تَهُبُّ بشدةٍ ، والعربُ تسميها « مَحْوَةَ » عن أبى زيدٍ ، لأنها تمحو السحابَ ، و « مَحْوَةُ » معرفةٌ لا تنصرفُ ، فأما الأصمعيُّ فزَعمَ أن « مَحْوَةَ » من أسماء الشَّمالِ ، وأنشدَا جميعاً :

---

(١) فى ج و س « مِنْ جَبَلِ الرَّيَّانِ » . والريان جبل فى بلاد طيء .

(٢) فى ج و س و د و هـ « يَشُوقُنِي » بدل « يهيجنى » . وهـذا البيت من قصيدة معروفة لأبى صخر الهذلى ، وانظرها فى الأمالى (ج ١ ص ١٤٨ — ١٥٠) وشرح الكامل للمرصفى (ج ٦ ص ١٨٦) .

قد بَكَرَتْ مَحْوَةُ بالعَجَاجِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَّجَاجِ[1]

« الرَّجَاجُ » حاشيةُ الإبلِ وضِعافُها[2] . وقال الأعشى :

(١) « بكرت » بتخفيف الكاف ، وقد وضع عليها فى طبعة أوربة كلمة «خف» إشارة إلى ذلك وهى بمعنى « بَكَّرت » بالتشديد .

(٢) هنا فى جزء التعليقات الملحق بطبعة أوربة ، حاشية طويلة ، فيها فوائد جمة ، واستدراك على أبى العباس وغيره ، منقولة عن مخطوطة ليدن ص ٤٤٦ ، رأينا إثباتها بنصها ، طلبا للفائدة ، ولم نشرح مافيها ، تفاديا من الإطالة ، وهى (ص ١٥٧ — ١٥٩) :

[وَقال أبو يوسفَ : و « السَّدُوسُ » الطيلسانُ » قال الأصمعىُّ : واسمُ الرجل « سُدُوس » بالضم . وهذا من أغلاط الأصمعىِّ مشهورٌ ، ودالٌّ أنه سمع الضم فى « سدوس » فلم يضبطه . قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وفى تميم « سَدوس » بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وفى ربيعةَ « سَدوس » بن ثعلبةَ بن عُكابةَ بن صَعْب بن على بن بكر بن وايل . فكل « سَدوسٍ » فى العرب فهو مفتوح السين ، إلاّ « سُدوس » بن أصْمَع بن أُبَىّ بن عُبيد بن ربيعة بن نصر بن سعد بن نَبْهان . وسمعتُ أبا رِيَاشٍ رضى الله عنه يقول : فاجتزتُ فى بنى سُدوسٍ : فقلتُ له : أفيجوزُ الضمُّ فى « سُدوسٍ » ؟ فقال لى : إذا أردتَ « سَدوس » تميمٍ (فَافْتَحْ — كلمة فافتح زادها المصحح لضرورتها للكلام) . وإذا أردتَ « سُدوس» نبهانَ فضمّ . وقال أبو يوسف : وكذلك « هَبَّتْ مَحْوَةُ ، إلى : بالعجاج » ، وهذا غلط : إنما « مَحوةُ » اسمٌ للدَّبُورِ ، وأبو يوسفَ فى هذا القول متَّبِعٌ للأصمعىّ . وأبو زيد وغيرُه يقول ماقلناه . وسنُوضِحُ فسادَ قول الأصمعى فى ذلك فيما ننبه عليه من أغلاط الكتاب الكامل ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء اللهُ . وأما ماوُعِدَ به من التنبيه على الغلط فى تسمية الشَّمال «مَحْوَةَ» فقد قال فى التنبيهات على أغلاط أبى العباس المبرد فى كتابه الكامل ما صورتُه : فسَّرَ أبو العباس قولَ أوسِ بن حَجَرٍ :

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّيَاحَ وقد أمسَى كَمِيعُ الفتاةِ مُلْتَفِعَا

. . . .

فقال : يقول غَلَبَتْها ، وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار[١] . وهذا غلط منه ، على أنه تبع فيه الأصمعيّ فى تسمية الشَّمال « محوةَ » . وقد ضَمِنَّا لك فيما تقدم أنَّا نبيّن صحيحَ قولِ أبى زيدٍ من سقيمِ قولِ الأصمعىّ فى ذلك ! واعلم أن غلبةَ الشَّمال علامةُ البَرْدِ والقُرّ ، فأما قوله علامةُ الجدب وذهاب الأمطار فاسدٌ ، لأن الشَّمال مع بردها من شأنها استدرارُ السحابِ ، قال الشاعرُ :

مَرَتْهُ الصَّبَا وزَهَتْهُ الجَنُو ... بُ وانْتَحَفَتْهُ الشمالُ انْتِحَافَا

وقال الآخرُ فى وصف سحابةٍ :

لتلقيحها هيج الجنوب وتقبل الشـــمالَ نتاجًا والصَّبا حَالِب يَمْرِى

وقال رجل من مازنٍ :

تُكَرْكِرُه حضحضات الجنوبِ ... وتفرعـــه هزّةُ الشَّمالِ

وقال آخرُ ووصفَ ثورَ وحشِيّ :

أخرجتـــه من الليالى رَجُوسٌ ... ليـــلةٌ هاجها الشمالُ دُرُورَا

وقال آخرُ :

فجاء وقد فَضَلَتْهُ الشما ... لُ عذب المذاقة نضر الخضر

وقال لَبِيدٌ :

أضلّ صوارَه وتَضَيَّفَتْه ... نطوف أمرها بيد الشمالِ

وقال المتلمسُ أيضاً :

فبات إلى أرطاة حِقفٍ كأنه ... إلى دِفْئِها من آخر الليل مُعْرِسُ

ثم قال الأخطلُ :

بات إلى دَفْء أرطاة تُكَفِّئُه ... ريحٌ شآميّةٌ هبّت بأمطار

(١) البيت وتفسيره سيأتى فى أواخر الكتاب الكامل .

. . . .

وقال عمرُ بن شاس :

وأفراسنا مثـل السعالى أصابها قطار وبلتها بنافخةٍ شَمْلُ

وقال آخرُ :

مرته الجنوب فلما اكفهـــرّ حلت غزالية الشمال

وقال عدىُّ بن زيد :

وحبِىٍّ بعد الهدُو تهاديـــه شمال كما يزجّى الـكسيرُ

فتأمل ما أحضرناه من شعر العرب تجد الشمال عندهم عمودةً موصوفة بالأمطار والاستدرار ، وليست كما زعم الأصمعى أنها تمحو السحاب ، ولا كما قال أبو العباس أنها علامة الجدب وذهاب الأمطار، وكل ريحٍ ، شمالاً كانت أو جنوباً أو غيرها ـ : فهى تمحو السحاب الجَهَامَ الذى قد هراق ماؤه . قال بشر :

نبا كيف نقتصُّ آثارهم كما تستخفُّ الجنوب الجهامَا

وقال الأعشى :

ثم فاؤوا على الـكريهة والصَّبْـــرِ كما تقشع الجنوب الجهامَا

وقال أيضاً :

مور الجهام إذا زفته الأزيب

والأزيب الجنوب ، فنسبه الأصمعى إلى محو السحاب ، فتركُه . نصَّ ذلك إلى الجنوب ، مع ماجاء فى أشعارهم من ذلك ـ : جهلٌ منه بكلامهم ! وأنا أظن أنه إنمـا قال هذا القول ، وذهب فى الشمال هذا المذهبـ : لمـا سمع قولَ الراجز :

كأن كـغيث ربطت شماله فلم يبت فى بلد المحاله

ولم يعلم ما السبب فى ذلك ، فاعتقد ما اعتقد . وإنمـا هذا الرجز حجازىٌّ ، والجنوب ريحهم ، وأهل نجدٍ بخلاف ذلك ، ريحُ نجدٍ الصبا ، والصبا إذا هبت بالحجاز

. . . .

قلت الألبان وطوى الناس الوِطاب ، كما أن الجنوب إذا انفجرت من الحجاز على أهل مصر أضرت بهم ، فإن دامت عليهم أهلكتهم ، وهم يسمونه المريسية . وأمثالُ الأصمعىّ والمبرّد غيرُ معذورين فى أن لايضبطوا مثل هذه المواضع . و « مَحْوَةُ » اسم للدّبور ، لا للشمال ، ولهذه العلة سميت الدبورُ « العقيمَ » لأنها تهلك النبات إذا هبت، وتمنع الغيث ، قال الشاعر :

فلا مخلفات رُحْنَ ثم تهيجت عليهن وَرْهاء الهبوب عقيم

وقال الله تعالى فى عادٍ : ﴿ وفى عادٍ إذ ﴾ الآيتين[1] ، وليس بين أهل العلم خلاف فى أنها الدبور . وأكثر الأرياحِ ضررًا بعد الدبور لهذا الخلقِ الجنوبُ . قال أبو حنيفة : الجنوب فى نفسه أسقم من الشمال ومن الصبا ، وأقل موافقة للأبدان ، وإن كانت أوفق للشجر والعُشب ، من أجل نداها ودفئها ، وهما اللذان يدرجان كل شىء، وهي بموافقتها العُشب وحُسنِ إنباتها له أسرعُ الرياح فى تحفيفه عنها وعن الدبور ، ويكون هَيْجُ النبات ، وهما الهَيْفان اللتان سمع بهما فى هبوبها ، فهى ثم صاحية من علوه وضاحى الأرض ، وإن لم تشرف لها صكا[2] تثير به مافى قرار الماء . وهى متى اشتد هبوبها كدّرت الهواء والماء ، وأثقلت الحواسّ كلهاو بلّدتها ، وورت[2] الأبدان وأرختها ، وأحفت الأدهان ، وأورثت الكسل . فالجنوب فى عسرة ضررها كالأخت للدبور ، وليست موافقة أهل بلد غير أهل الحجاز، كما أنبأتك ، فإنها لهم موافقة ، وهم مستطيبون فى كل الأوقات . والشمال بَرِية من هذه الصفات ، وهى عند العرب للروح ، والجنوب للانداء والغمق ، والصبا لإلقاح الشجر ، والدبور للبلا ، والدبور أقل الرياح هبوبًا . تم ولله الحمد .

---

(١) سورة الذاريات (٤١ و ٤٢) .
(٢) كذا فى الأصل .

لهـا زَجَلٌ كَحَفِيفِ الحَصَا ... دِ صادَفَ بالليلِ رِيحًا دَبورَا

❁

ولهذه الرياحِ أسماءٌ كثيرةٌ ، وأحكامٌ في العربية ، لأنّ بعضَهم يجعلُها نعوتًا ، و بعضَهم يجعلُها أسماءً ، وكذلك مَصادِرُها تحتاجُ إلى الشرحِ والتفسيرِ ، ونحن ذاكرون ذلك في عَقِبِ هذا الباب ، إن شاء اللهُ .

يقالُ «جَنَبَتِ الرِّيحُ جُنُوبًا» و «شَمَلَتْ شُمُولاً» و «دَبَرَتْ دُبُورًا» و «صَبَتْ صُبُوًّا» و «سَمَّتْ سُمُومًا» و «حَرَّتْ حُرُورًا» مضموماتٌ الأوائل ، فإذا أردتَ الأسماءَ فتحتَ أوائِلَها ، فقلتَ «جَنُوبٌ» و«شَمُولٌ» و «سَمُومٌ» و «دَبُورٌ» و «حَرُورٌ» .

ولم يأتِ من المصادر شيءٌ مفتوحُ الأَول ، إلا أشياءُ يسيرةٌ ، قالوا توضَّأتُ «وَضُوءًا» حسنًا ، وتطهرتُ «طَهُورًا» ، وأُولِعْتُ بالشيءِ «وَلُوعًا» وإنّ عليه لَـ«قَبُولاً» ، ووقَدَتِ النارُ «وَقُودًا» ، وأكثرُهم يجعلُ «الوَقُودَ» الحطبَ ، و «الوُقُودَ» المصدرَ .

ويقال «الشَّمالُ» على لغاتٍ ستٍّ ، يقال «شَمَالٌ» و «شَأْمَلٌ» و «شَمْأَلٌ» و «شَمَلٌ» و «شَمْلٌ» و «شَامَلٌ» غيرُ مهموزٍ .

ويقال للشَّمال «الجِرْبِياءُ» قال ابنُ أحمرَ :

وإن شئت استيعاب هذه الأبحاث فارجع إلى كتاب (الأزمنة والأمكنة) لأبي على المرزوقى الأصفهانى من علماء القرن الخامس ، وهو مطبوع فى حيدر آباد سنة ١٣٣٢ ، وانظر فيه (ج ١ ص ١٧٨ ــ ٢٠١ وج ٢ ص ٧٤ ــ ٨٥) .

بِجَوٍّ مِن قَسًا ذَفِرِ الخُزَامَى تَدَاعَى الجِرْبِيَاءُ بِهِ الحَنِينَا[١]

ويقال للجَنُوبِ « الأَزْيَبُ »[٢] .

ويقال للصَّبا « القَبُولُ » وبعضُهم يجعلُه للجَنوبِ ، وهو في الصَّبا أشهرُ ، بل هو القولُ الصحيحُ . و « الإِيرُ » و « الهِيرُ » و « والأَيِّرُ » و «الهَيِّرُ[٣] » . قال الشاعرُ :

* مَطَاعِيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّتِ *

فهذا يدلُّ على أنه الصَّبا ، وذاكَ أنهم إنما يَتَمَدَّحُونَ[٤] بالإِطْعامِ في المَشْتا[٥] وشِدَّةِ الزمانِ ، كما قال طَرَفَةُ :

نَحنُ في المَشْتاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ

« الجَفَلَى » العامَّةُ ، و « النَّقَرَى » الخاصَّةُ . و « الآدِبُ » صاحب المَأْدُبَةِ ، يقال « مَأْدَبَةٌ » و « مَأْدُبَةٌ » لِلدَّعْوَةِ ، وفي الحديثِ : « إنَّ القرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ »[٦] . قال أهلُ العِلمِ : معناه مَدْعاةُ اللهِ ، وليس من « الأَدَبِ » . وأكثرُ

(١) « قسا » موضع بالعالية . و « ذفر » شديد الرائحة . « والخزامى » عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر لها نور كنور البنفسج .

(٢) « الأزيب » بالزاء والياء التحتية . وفي ع « الأرنب » وهو خطأ وتصحيف .

(٣) الأوليان بكسر الهمزة والهاء مع سكون الياء ، والأخريان بفتح الهمزة والهاء مع تشديد الياء المكسورة . وزاد العلماء أيضا في اسمها « أَيْر » و « هَيْر » بفتح الهمزة والهاء وسكون الياء .

(٤) في ع و س و د و هـ « يَمْتَدِحُونَ » .

(٥) في ع و س و د « في المشتاة » وبها طبعت طبعات مصر . وفي هـ « في الشتاء » .

(٦) من حديث طويل أوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته » رواه الحاكم في المستدرك (ج ١ ص ٥٥٥) من طريق صالح بن عمر عن إبرهيم بن مسلم الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً ; وصالح بن عمر ثقة ، وإبرهيم الهجري صدوق ، وضعفه

* رِيحٌ خَرِيقٌ شَمالٌ أو يَمانِيَةٌ *

فهذا يكونُ على النعتِ أَجْوَدَ ، لأنه أوضحه بيمانية ، ولا تكون اليمانيةُ إلا نعتًا ، لأنها منسوبةٌ . فأما «الخَرِيقُ» فهي الشديدةُ من كل ريحٍ . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

بِمَثْوَى حَرَامٍ والمطِيُّ كأنه ... قنًا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ[1]

و « البَلِيلُ » الباردةُ من كل الرياحِ[2] ، وأصلُ ذلك الشمالُ ، قال جريرٌ يُعَيِّرُ بَنِى مُجاشِعٍ بِخَذْلانهم الزُّبَيْرَ بن العوّامِ في كلمةٍ يقولُ فيها :

إِنِّى تُذَكِّرُنِى الزُّبَيْرَ حَمامةٌ ... تَدْعُو بأَعْلَى الأَيْكَتَيْنِ هَدِيلاَ
يا لَهْفَ نفسى إذْ يَغُرُّكَ حَبْلُهُمْ ... هَلاَّ اتَّخَذْتَ على القُيُونِ كَفِيلاَ
قالتْ قريشٌ ما أَذَلَّ مُجاشِعًا ... جارًا وأَكْرَمَ ذا القتيلَ قَتِيلاَ
أَفَبَعْدَ مَتْرَكِكُمْ خليلَ مُحَمَّدٍ ... ترجو القُيُونُ مع الرسولِ سَبِيلاَ
أَفَتَى النَّدَى وفَتَى الطعانِ غَرَرْتُمُ ... وأَخَا الشَّمالِ إذا تَهُبُّ بَلِيلاَ

ويُروى أن أُحَيْحَةَ بن الجُلاَحِ الأنصارىَّ[3] ، وكان يُبَخَّلُ — :

(١) « المثوى » المنزل : و « الحرام » الممنوع أن ينزل بساحته .
(٢) فى ج و س و د و هـ « من كل ريح » .
(٣) « أحيحة » بضم الهمزة وحاءين مهملتين مفتوحتين وبينهما ياء تحتية ساكنة . و « الجلاح » بضم الجيم وتخفيف اللام وآخره حاء مهملة ، وهو جاهلى قديم مشهور ، وكان شريفا فى قومه ، ومن ذريته أناس من الصحابة . ووصفه بالأنصارى هنا فيه شىء من التساهل ، لأن هذا الاسم إسلامىّ ، وأحيحة من الأوس ، فأطلق عليه « الأنصارى » باعتبار أن الأوس صاروا بعد الاسلام يسمون مع الخزرج « الأنصار » . ويظهر أنه كان بعد عصره بمدة من يسمى من نسله «أحيحة بن الجلاح» فاشتبه على بعض المؤلفين فى الصحابة ، وحقق ذلك الحافظ ابن حجر فى الإصابة (ج ٢ ص ٢١ — ٢٢) .

[كانَ](١) إذا هَبَّتِ الصَّبا طَلَعَ من أُطُمِهِ(٢) ، فنظرَ إلى ناحيةِ هُبُوبِها ، ثم يقولُ لها : هُبِّي هُبُوبَكِ ، فقد أعددتُ لكِ ثمانيةً وستينَ صاعًا من عَجْوَةٍ ، أدفَعُ إلى الوليد منها خمسَ تَمَراتٍ ، فيَرُدُّ عليَّ منها ثلاثًا ، أي لصلابتها ، بعد جَهْدٍ ممّا يَلُوكُ منها اثنتين !!

وكان لَبيدُ بن رَبيعةَ بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ شريفًا في الجاهلية والإسلامِ ، [وكانَ(١)] قد نَذَرَ أن لا تَهُبَّ الصَّبا إلاّ نَحَرَ وأطْعَمَ ، حتى تنقضيَ ، فهبت بالإسلامِ(٣) ، وهو بالكوفة مُقْتِرٌ مُمْلِقٌ ، فعلم بذلك الوليدُ بن عُقْبةَ بن أبي مُعَيْطِ بن أبي عمرِو بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس بن عبدمنافٍ ، وكان وَالِيَها لعثمانَ بن عفَّانَ ، وكان أخاه لِأُمِّه ، وأُمُّهما أرْوَى ابنةُ(٤) كُرَيْزِ بن حبيبِ بن ربيعةَ بن عبد شمسٍ(٥) ، وأُمُّ أرْوَى البيضاءُ بنتُ عبد المُطَّلِبِ ، فخطب الناسَ وقال : إنكم قد عرفتم نَذْرَ أبي عَقِيلٍ ، وما وَكَّدَ على نفسِهِ ، فأعينوا أخاكم ، ثم نزلَ فبعثَ إليه بمائة ناقةٍ [وأبياتٍ يقولُ فيها :

أرَى الجَزَّارَ تَشْحَذُ مُدْيَتَاهُ ... إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عَقِيلِ
طَويلِ الباعِ أبيضَ جَعْفَرِيٍّ ... كَريمِ المَجْدِ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ

---

(١) الزيادة من د .

(٢) « الأطم » بضم الهمزة والطاء المهملة ، وهو الحصن يبنى بالحجارة ، وجمعه « آطام » .

(٣) في ج و د و هـ « في الإسلام » .

(٤) في ج و س و هـ « بنت » .

(٥) هكذا في النسخ ، وهو خطأ صوابه « كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس » كما في الطبقات لابن سعد (ج ٣ ق ١ ص ٣٦ و ج ٧ ق ٢ ص ١٧٦) . وقد مضى على الخطأ أيضا في هذا الجزء (ص ٧٣٥) .

وَفَى ابنُ الجَعْفَرِىِّ بِمَا لَدَيْهِ   على العِلاَّتِ والمَالِ القَلِيلِ

فلما أتته قال : جَزَى اللهُ الأَمِيرَ خيراً ، قد عرفَ الأميرُ أنى لا أقولُ شعرًا ، ولكن اخرُجِي يا بُنَيَّةِ ، نخرجت خُمَاسِيَّةٌ ، فقال لها : أجيبى الأَميرَ ، فأَقبلَتْ وَأَدْبَرَتْ] وبعثَ الناسُ ، فقضَى نَذْرَه ، فى ذلك تقول ابنةُ لَبِيدٍ :

إذا هَبَّتْ رِياحُ أبى عَقِيلٍ   دَعَونا عِنْدَ هَبَّتِها الوَلِيدَا
[طويلَ الباعِ أبيضَ عَبْشَمِيًّا   أعانَ على مُرُوَّتِهِ لَبِيدَا
بأمثالِ الهِضَابِ كَأَنَّ رَكْبًا   عليها من بنى حامٍ قُعُودَا
أبا وَهْبٍ جزاكَ اللهُ خيرًا   نحرناها وأَطْعَمْنا الثَّرِيدَا
فَعِدَّانُ الكَرِيمِ له مَعادٌ   وظَنِّى بِابْنِ أرْوَى أن يَعُودَا(١)

---

(١) « العِدَّانُ » بكسر العين وتشديد الدال المهملتين : الزمان والعهد ، قال فى اللسان : « وعِدَّانُ الشبابِ والمُلْكِ أولهُما وأفضلُهما » .

ونقل عن الأزهرى قال : « من جعل عِدَّانَ فِعلاَنًا فهو من العَدِّ والعِدَادِ ، ومن جعله فِعْلاَلاً فهو من عَدَنَ ، قال: والأقربُ عندى أنه من العَدِّ ، لأنه جعل بمعنى الوقتِ » . وانظر اللسان فى مادتى (ع د د) و (ع د ن) .

والأظهر عندى أن تكون من « عدن » ومنه « المعدن » وهو مكان كل شىء يكون فيه أصله ومبدؤه . وفى الحديث « فمن معادن العرب تسألونى » أى أصولها التى ينسبون إليها ويتفاخرون بها ، كما فى اللسان .

فالعدان متضمنة هذا المعنى ، ويكون معنى البيت : إن الكريم له معاد إلى مبدئه ومعدنه وأصله ، أى أن ذلك يرجع به إلى طبيعته فى الكرم والجود ، ولذلك قالت بعده : « وظنى بابن أروى أن يعودا » .

وهذا الضبط للكلمة فى البيت هو الذى فى طبعة أوربة وطبعات مصر ، وهو الصواب عندى ، لما فيه من البلاغة ، بالاشارة إلى السؤال تلميحا ، لا تصريحا . وضبطت فى الشعراء

قال لها لبيدٌ : أحسنتِ يا بنيّةِ ، لولا أنكِ سألتِ ، فقالتْ : إنَّ الملوكَ لا يُستحَى مِن مَسْئلَتِهم ، فقال لها : يا بُنَيَّةِ ! وأنتِ في هذا أشعرُ].

☆

ومَنْ جَعَلَ « الشَّمالَ » و « الجَنُوبَ » أسماءً لم يصرِفْها إذا سُمِّيَ بشيءٍ منها رجلٌ لأنك إذا سميتَ رجلاً مذكرًا باسمٍ مؤنثٍ عَلَى أربعة أحرفٍ فصاعدًا لا علامةَ للتأنيثِ فيه ـ : لم تَصْرِفْهُ في المعرفةِ ، وصرفتَه في النكرةِ ، نحوَ « عَنَاقٍ » و « أتانٍ » و « عقربٍ » . وإن كان نعتًا انصرفَ ، لأنك إذا سميتَ رجلاً مذكرًا بنعتٍ مؤنثٍ لا علامةَ فيه صرفتَه ، لأنه مذكَّرٌ نَعَتَّ به المؤنَّثَ ، نحوَ « حائضٍ » و « طالقٍ » و « مُتْئِمٍ » و « مُرْضِعٍ » .

وإذا ذكرنا من الباب شيئًا فلم نذكره منه فعلى مَجْرَاه ومِنْهاجِهِ ، قال الشاعر[1] ، فجعلَ ما وَصَفْنا أسماءً :

حالتْ وحِيلَ بها وغَيَّرَ آيَهَا ... طولُ البِلَى تَجْرِي به الرَّيحَانِ[2]
ريحُ الشَّمالِ مع الجَنوبِ وتارةً ... رِهَمُ الرَّبيعِ وصائبُ التَّهتانِ[3]

لابن قتيبة (ص ١٥٠ من طبعة أوربة) « فَعُدْ إنَّ الكريمَ » أى فعل أمر من « العود » . وهو وإن كان صوابا في اللفظ ، إلا أنه في المعنى والبلاغة غير جيد ، بل يكاد يكون مبتذلا ، لما فيه من التصريح بالسؤال ثلاث مرات .

(١) في س « قال الشَّمَّاخُ » .

(٢) « حالت » أتى عليها حول مذ خلت من أهلها . و « حيل بها » يريد : أحيلت مما كانت عليه والباء معاقبة للهمزة . قاله المرصفي . و « الآي » جمع « آية » أى : غير علاماتها .

(٣) « الرِّهَمُ » جمع « رِهْمَة » بوزن « سدرة وسدر » وهى المطر الضعيف الدائم القطر . و « التهتان » مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود .

وقد أنشدوا بيتَ زُهَيرٍ .

* رِيحُ الجَنُوبِ لِضَاحِي مائِه حُبُكُ *

وَقولُنا « لا علامَةَ فيه للتأنيث[1] » لتَعْرِفَ كيفَ حكمُ [العلاماتِ][2] علاماتِ التأنيثِ ، لأن ذلك إنما يكونُ على ضربَيْن :

فما كانت فيه ألفُ التأنيثِ مقصورةً أو ممدودةً فغيرُ منصرفٍ في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، لمذكَّرٍ كان أو مؤنَّثٍ[3] . فالمقصورُ نحوُ « حُبْلَى » و « سَكْرَى » وما أشبه ذلك[4] ، والممدودُ نحوُ « حمراء » و « صفراء » و « صحراء » وما أشبه ذلك . فان[5] كانت ممدودةً لغير التأنيثِ انصرفَ إذا كان لمذكرٍ ، في المعرفةِ والنكرةِ ، زائدًا كان أو أصليًّا ، فالأصليُّ نحوُ « سِقَاء » و « غِذَاء » و « حِذَاء » و « رِدَاء » ، والزائدةُ نحوُ « عِلْبَاء » و « حِرْبَاء و «قُوبَاء» » يافتى ا ومَن قال «قُوبَاء» ـ يافتىـ أنَّثَ ولم يَصْرِفْ ، لأن الأولى مُلْحقةٌ ، وهذه للتأنيثِ[6] . فأما الألفُ المقصورةُ التي لغير

---

(١) في ج و س و د و هـ « للتأنيث فيه » .
(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .
(٣) في ج و د « أو لمؤنث » .
(٤) في ج و س و هـ « وما أشبهه » .
(٥) في ج و س و د و هـ « وإن » .
(٦) « قوباء » الأولى بسكون الواو ، والثانية بفتحها . وقد ضبط الاثنان بالفتح في طبعة أوربة ، وهو خطأ . والقوباء هي التي تخرج في جلد الانسان فتداوى بالريق . وقال في اللسان : «وقال الفراء : القُوباء تؤنَّث وتذكر ، وتُحرَّك وتُسكَّن ، فيقال : هذه قُوبَاء ، فلا تصرف في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، وتلحق بباب فُقَهَاء ، وهو نادر ، وتقول في التخفيف : هذه قُوباء ، فلا تصرف في المعرفة وتصرف في النكرة ، وتقول : هذه قُوباء ، تنصرف في المعرفة والنكرة ، وتُلْحقُ بباب طُومارٍ » .

التأنيثِ : فإن كانت أُصليـةً انصرفتْ فى المذكَّرِ ، نحوُ « مَلْهًى » و « مَغْزًى » و « مُشْتَرًى » ، وإن كانت زائدةً لغيرِ التأنيثِ انصرفتْ فى النكرةِ ، ولم تنصرف فى المعرفةِ ، نحوُ « أَرْطًى » و « عَلْقًى » فيمن جعل الواحدةَ « عَلْقَاةً » [وأَرْطَاةً][1] .

وأمّا ما كانت فيه هاءُ التأنيثِ فهو منصرفٌ فى النكرةِ ، وغيرُ منصرفٍ فى المعرفةِ ، لمذكَّرٍ كان أو مؤنثٍ[2] ، عربيًّا كان أو أعجميًّا .

فهذه جملةُ هذا البابِ ، فأما قياسُه وشرحُه فقد أتينا عليه فى الكتابِ (المقتَضَب)[3] .

*

وتقولُ[4] فى أكثرِ الكلام « هبَّتْ جنوبًا » و « هبت شَمالاً » فتستغنِى[5] عن ذكر الريح ، وهذا مما يؤكد أنها نعوتٌ ، لأن الحالَ إنما بابُها أن تقعَ فيما يكون نعتًا[6] ، قال جريرٌ :

هبَّتْ شَمالاً فذِكرَى ما ذَكرْتُكُمُ ... عند الصَّفاةِ إلى شَرْقِيِّ حَوْرَانَا[7]

(١) الزيادة من هـ . والأرطى والعلق نوعان من الشجر .

(٢) فى ج و س « أو لمؤنث » .

(٣) انظر الكلام عن هذا الكتاب ، فيما مضى (ص ٥٢٣) .

(٤) فى ج و س و د و هـ « ويقال » .

(٥) فى ج « فيَستغنِي » . وفى س و د و هـ « فيُستغنَى » .

(٦) فى ج و س و د و هـ « وصفاً » .

(٧) فى د « هبت جنوباً » . وفى ج و د « فذِكْرَى » . وفى ج و س و د « الصفاةِ الّتِي شَرْقِيَّ » .

وقال الآخرُ :

فَأَىُّ حَيٍّ إذا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ واشْتَدَّ فأَالكَلْبُ بالمأْسُورِ ذِى الذَّأَبِ

« المأسُورُ » يعنى قَتَباً[1] ، وإنما « الأَسْرُ » الشَّدُّ بالقِدِّ[2] حتى يُحْكَمَ ، وإنما قيل « الأَسيرُ » مِنْ ذا ، لأنه كان يُشَدُّ بالقِدِّ ، ثم قالت العربُ لكلِّ مُحْكَمٍ « شديدُ الأَسْرِ »[3] . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾[4] وقولُه « ذى الذَّأَبِ » يعنى الفُضولَ التى وسَّعَتْهُ وأَسْبَغَتْهُ ، يُقالُ « غَبِيطٌ مُذَأَّبٌ » أى ذو ذِئَبٍ ، أى مُوَسَّعٌ ، و« الغَبِيطُ » مَرْكَبٌ من مَراكبِ النِّساء .

وقال أَوْسُ بن حَجَرٍ ، فى شدة البردِ وغَلَبةِ الشَّمالِ ، يَرْثِى فَضَالَةَ بن كَلَدَةَ الأَسَدِىِّ[5] :

وَالحافِظُ الناسَ فى قَحُوطَ إذا لم يُرْسِلُوا تحتَ عائذٍ رُبَعا[6]
وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وقد أَمْسَى كَمِيعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعا[7]

---

(١) « القتب » رحل صغير على قدر السنام .

(٢) « القد » بكسر القاف وتشديد الدال : سير يقدّ من جلد غير مدبوغ تشد به الأقتاب والمحامل.

(٣) فى ج « لكل محكمٍ شديدٍ : أسيرٌ » . وفى هـ « لكل محكمٍ شُدَّ بالأسْرِ: أسيرٌ ».

(٤) سورة الانسان (٢٨) .

(٥) من قصيدته المشهورة التى أولها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

(٦) بحاشية ا و ع و س و د و هـ « تَحُوطَ » ، وبحاشيتها أيضا «خَلْفَ عائذٍ» .

(٧) « الكَمِيعُ والكِمْعُ » الضجيع ، ولذلك سمى زوج المرأة « الكميع » وهو من قولهم « كامَعَ المرأةَ » أى ضاجعها .

وكانت الكاعِبُ المُنَعَّمَةُ الحسناء في زادِ أهلِها سَبُعًا[١]

« مَحُوطُ » و« قَحُوطُ » و« كَحْلُ » و« جَحْرَةُ[٢] » أسماء للسَّنَةِ المُجْدِبَةِ.

و« العائذُ » الحديثةُ النِّتاجِ ، فَتُنْحَرُ أولادُها في السَّنَةِ المُجْدِبَةِ إبقاء على ألبانِها وشُحومِها. و« الرُّبعُ » الذي يُنْتَجُ في الربيع ، و« الهُبَعُ » الذي يُنْتَجُ في الصيفِ ، يقالُ : « مالَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ » . وإنما سُمي « هُبَعًا » لأن الرُّبَعَ أسنُّ منه فيمشي مع أمهاتِها[٣] ، ولا يَلحقهنَّ الهُبَعُ إلا باجتهادٍ ، فيستعينُ بعُنُقه في المشي ، يقالُ إذا فعل ذلك « هَبَعَ يَهْبَعُ » .

☆

ويقال للريحِ الشَّمال « نِسْعٌ » و« مِسْعٌ » . قال الهُذَليُّ :

قد حالَ دونَ دَرِيسَيْهِ مُأوِّبةٌ نِسْعٌ لها بِعِضاهِ الأرضِ تَهْزِيزُ

« الدَّرِيسَانِ » ثوبانِ خَلَقانِ . و« مُأوِّبَة » « مُفَعِّلَةٌ » من « التأويبِ » وهو سَيْرُ النهارِ لا تعريجَ فيه ، قال أبو عُبيدةَ : هو سيرُ النهار، و« الإسْآدُ » سيرُ الليل لا تعْرِيسَ فيه وأنشدَ لسَلامَةَ بن جَنْدَلٍ :

يومانِ يومُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويبِ

---

(١) بحاشية ا « المُخَبَّأةُ » وبجوارها « صح » . وفي ج و س و د « المُمَنَّعَةُ » ، وبحاشية د : « قال أبو الحسن في روايته : « المُخَبَّأةُ ، وهو أجود من الممنَّعة » . وقوله « سبعا » يريد أنها جريئة كالسبع على زاد أهلها ، من شدة الجوع .

(٢) « جحرة » بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة ، وفي ا و ج و س و د و هـ « حجرة » بتقديم الحاء ، وهو خطأ . : وسميت بذلك لأنها تجحر الناس في البيوت ، كأنها تجعل بيوتهم جحورا لهم .

(٣) في ج و د « مع أمهاته » .

وإنما يَعْنِي رِيحًا . وقوله «نِسْع» أى شَمالٌ . و «العِضَاهُ» شجرةٌ ضخمةٌ[١]، فبعضُ العربِ يقول للواحدةِ « عِضاهَةٌ » وللجميع « عِضَاهٌ » على وَزنِ « دَجاجةٍ ودَجاجٍ » وبعضُهم يقولُ للواحدة « عِضَةٌ » فيقول فى الجمع « عِضَوَاتٌ » و « عِضَهاتٌ » فتكون من الواو ومن الهاء ، قال الشاعرُ :

هذا طريقٌ يَأْزِمُ المَآزِمَا ... وعِضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا[٢]

ونظيرُ « عِضَةٍ » «سَنَةٌ » على أن الساقطَ الهاءُ فى قول بعض العربِ ، والواوُ فى قول بعضهم ، تقول فى جمعها « سَنَوَاتٌ » و « سانَيْتُ » الرجلَ ، وبعضُهم يقولُ « سَنَهاتٌ » وأَكْرَيْتُهُ « مُسَانَهَةً » ، وهذا الحرفُ فى القرآنِ يُقْرَأُ على ضروبٍ : فمن قرأ : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ ﴾[٣] فوصلَ بالهاء — : فهو مأخوذٌ من « سانَهْتُ » التى هى « سُنَيْهَةٌ » ومَن جعله من الواوِ قال فى الوصلِ : ﴿ لم يَتَسَنَّ وانْظُرْ ﴾[٣] فإذا وقفَ قال ﴿ لم يَتَسَنَّهْ ﴾ فكانت الهاءُ زائدةً لبيان الحركةِ ، بمنزلة الهاء فى قوله ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ[٤] ﴾ و ﴿ كِتَابِيَهْ[٥] ﴾ و ﴿ حِسَابِيَهْ ﴾[٦] والمعنى واحدٌ ، وتأويلُه : لم تُغَيِّرْهُ

(١) فى ع و س و د و هـ « شجر ضخام » .
(٢) « المآزم » جمع «مَأْزِم» وهو المضيق بين جبلين ، يريد أن المضايق بالنسبة إلى ضيقه لا تذكر . و«اللهازم» جمع « لِهْزِمة » وهى ماتحت الأذن من أعلى اللحيين ، أو العظم الناتئ فى اللحيين تحت الأذنين . أفاده المرصفى .
(٣) سورة البقرة (٢٥٩) . وقراءة حذف الهاء فى الوصل خاصة هى قراءة حمزة والكسائى ، وقرأ باقى السبعة بإثباتها ساكنة فى الوصل كالوقف .
(٤) سورة الأنعام (٩٠) . وحمزة والكسائى يحذفان الهاء هنا أيضا فى الوصل خاصة . وابن ذكوان وهشام يثبتانها مكسورة فى الوصل ، والباقون يثبتونها ساكنة فى الحالين . وانظر التيسير (ص ١٩٥) والنشر (ج ٢ ص ١٣٧) .
(٥) سورة الحاقة (١٩ و ٢٥) .
(٦) سورة الحاقة (٢٠ و ٢٦) . ولفظا « كتابيه » و « حسابيه » قرأهما يعقوب بحذف الهاء =

السُّنُونَ ، ومن لم يَقْصِدْ إلى السَّنةِ قال : لم يَتَأسَّنْ ، و « الآسِنُ » المتغيِّرُ ، قال الله جل وعزَّ : ﴿ فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ ﴾(١) ويقال « أسِنٌ » فى هذا المعنى ، كما يقال رجل « حَاذِرٌ » و «حَذِرٌ» .

☆

ويقال للرِّيح الجَنُوبِ « النُّعَامَى » قال أبو ذُؤَيْبٍ [يصفُ غيمًا](٢) :

مَرَتْهُ النُّعَامَى فلم يَعْتَرِفْ   خِلاَفَ النُّعامَى من الشَّامِ رِيحَا

ومعنى « مَرَتْه » استَدَرَّتْه(٣) . وفى الحديث : « ما هَبَّتِ الريحُ الجَنُوبُ إلا أسالَ اللهُ بها وَادِيًا »(٤) .

وقال رجلٌ يمدحُ رجلاً :

فتًى خُلِقَتْ أخلاقُهُ مُطْمَئِنَّةً   له نَفَحاتٌ رِيحُهُنَّ جَنُوبُ

يريدُ : أن الجَنوبَ تأتى بالمطر والنَّدَى .

والعربُ تكره الدَّبُورَ ، وفى الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ(٥) » .

وقَلَّ ما يكون بالدَّبورِ المطرُ ، لأنها تُجَفِّلُ السحابَ ، ويكونُ فيها

= منهما فى الوصل خاصة ، وأثبتهما ساكنتين باقى العشرة ، فى الوصل كالوقف . وانظر النشر (ج ٢ ص ١٣٧) .

(١) سورة محمد (١٥) .

(٢) الزيادة من هـ .

(٣) قال المرصفى : «ذلك على التشبيه بمرى الناقة ، وهو مسح ضرعها لتدرّ ، يريد : استخرجت ماءه» .

(٤) هذا الحديث لم أعرفه .

(٥) حديث صحيح رواه أحمد والبخارى ومسلم من حديث ابن عباس .

الرَّهَجُ[١] والغَبَرَةُ ، ولا تَهُبُّ إلا أقلَّ ذاكَ إلا بشدَّةٍ ، فتكادُ تَقْلَعُ البيوتَ وتأتِي على الزُّرُوعِ .

وقال رجلٌ يهجو رجلاً :

لو كنتَ رِيحًا كانت الدَّبُورَا أو كنتَ غيثًا لم تكن مَطِيرَا

أو كنتَ ماءً لم تكنْ طَهُورَا أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرَا

* أو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرَا *

« الرِّيرُ » المخُّ الرقيق ، يقال : مُخٌّ « رِيرٌ » و « رَارٌ » في معنًى واحدٍ ، وقال السُّلَيْكُ :

* يَصيدُكَ قافِلاً والمخُّ رارُ *

[والشيءُ يُذكر بالشيءِ][٢] وقال آخرُ :

لو كنتَ ماءً لم تكن بِعَذْبِ أو كنتَ سَيْفًا كنتَ غيرَ عَضْبِ[٣]

أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كَلْبِ أو كُنْتَ عَيْرًا كنتَ غيرَ نَدْبِ[٤]

فأما قولُ السُّلَيْكِ فإنه يرثى فرسَه ، وكان يقال له « النَّحَّامُ » فقال :

كأنَّ قوائمَ النَّحَّامِ لمَّا تَحمَّلَ صُحْبتِى أُصُلاً مَحارُ

على قَرْمَاءَ عاليةٌ شَوَاهُ كأنَّ بياضَ غُرَّتِهِ خِمارُ[٥]

(١) « الرهج » بفتح الهاء وبسكونها : الغبار .

(٢) الزيادة من ج و س و د و هـ .

(٣) في هـ « أو كنت سيفا لم تكن بعضب » .

(٤) « العير » الحمار . و « الندب » الخفيف السريع .

(٥) « قرماء » ضبطت في طبعة أوربة بفتح الراء وسكونها ، وكتب فوقها « معا » .

وما يُدْرِيكَ ما فَقْرِى إليه إذا ما القَوْمُ وَلَّوْا أو أغارُوا

ويُخْضِرُ فوقَ جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّا يَصيدُكَ قافلاً والمخُّ رَارُ

قوله « كأنَّ قوائمَ النَّحامِ مَحارٌ » « المحارةُ » الصَّدَفَةَ ، يريدُ المَلاسَةَ ، وأنه قد ارتفعَتْ قوائمُه للموتِ . و « الأُصُلُ » جمع « أصِيلٍ » و« الأصيلُ » العَشِىُّ ، يقال « أصِيلٌ وأُصُلٌ » مثل « قَضيبٍ وقُضُبٍ » وجمع « أُصُلٍ » « آصالٌ » وهو جمعُ الجمعِ ، وتقديرُه « عُنُقٌ وأعْناقٌ » و « طُنُبٌ وأطنابٌ » ويقال فى جمع « أُصيلَةٍ » « أصائِلُ » مثلُ « خَليفةٍ وخَلائفَ » . قال الأعشَى :

* ولا بأحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ *

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

لَعَمْرِى لأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أهْلَهُ وأقْعُدُ فى أفْيائِهِ بالأَصائِلِ

و « قَرْمَاءُ » ممدودةٌ اسمُ موضعٍ . و« شَوَاهُ » قوائمُه ، وقد فسرناه قبلَ هذا . وقوله « ولَّوْا أو أغارُوا » إذا طَلَبُوا أو هَرَبُوا . وقوله « يَصِيدُكَ » أى يَصِيدُ لك ، يقال « صِدْتُكَ ظَبْيًا » . قال الله عزوجل : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾(١) أى كَالُوا لهم أو وَزَنُوا لهم ، يقال « كِلْتُكَ » و « وَزَنْتُكَ » لأنه قد قال تعالى أوَّلاً : ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾(٢) .

فأما ماجاء فى الحديث من قول رســـول الله صلى الله عليه وسلم عند الهُبُوبِ : « اللهمَّ اجْعَلْها رِياحًا ولا تَجْعَلْها رِيحًا »(٣) ـ : فان العربَ تقولُ :

---

(١) سورة المطففين (٣) .

(٢) سورة المطففين (٢) .

(٣) الحديث نقله فى مجمع الزوائد مطولا من حديث ابن عباس (ج ١٠ ص ١٣٥ ـ ١٣٦) وقال :

لا تَلْقَحُ السحابُ إلا من رِياحٍ . وتصديقُ ذلكَ قولُ اللهِ عز وجل :
﴿ اللهُ الذى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحابًا ﴾[1] وقول النبي صلى الله عليه وسلم:
« اذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذَاءبَتْ »[2] . قال الشاعرُ :

* تَسُحُّ إذا تَذَاءبَتِ الرِّياحُ *

يقول : إذا تَقابلتْ ، يقال « تَذَاءبَتِ » الرياحُ و « تَنَاوَحَتْ » أى تقابلتْ[3] ،
و « تَنَاوَحَ » الشجرُ : إذا قابلَ بعضُه بَعْضًا ، وإنما سميت النائحةُ « نائحةً »
لأنها تُقابِلُ صاحبتَها .

« رواه الطبرانى ، وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش ، وهو متروك ، وقد وثقه حصين بن نمير ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(١) سورة الروم (٤٨) : ونحوها : ﴿ وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ سورة فاطر (٩) .
وعبارة أبى العباس هنا قاصرة ، وأوضح منها عبارة ابن سيده فى المخصص (ج ٩ ص ٩١) قال : « فأما ماجاء فى الحديث من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا هبت ريح : اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً — : فلأن عامة ماجاء فى التنزيل على لفظة الرياح للسقيا والرحمة ، كقوله عزوجل: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾. وقوله: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ و : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا ﴾ وما جاء بخلاف ذلك جاء على الإفراد ، كقوله عز وجل : ﴿ وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ وقوله : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ . و : ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ . فجاءت فى هذه المواضع على لفظ الإفراد ، وفى خلافها على لفظ الجميع » .

(٢) هذا اللفظ لم أجده . والذى فى النهاية مادة (غ د ق) : « إذا نشأت السحابة من العين فتلك عين غديقة . وفى رواية : إذا نشأت بحرية فتشاءمت فتلك عين غديقة . أى كثيرة الماء ، هكذا جاءت مصغرة ، وهو من تصغير التعظيم » . والغدق — بفتح الدال — المطر الكبار القطر . والحديث بالرواية الثانية التى فى النهاية ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٢ ص ٢١٧) من حديث عائشة مرفوعا ، وقال : «رواه الطبرانى فى الأوسط ، وقال : تفرد به الواقدى . قلت: وفى الواقدى كلام ، وقد وثقه غير واحد ، وبقية رجاله لابأس بهم ، وقد وثقوا » . ومن هذا نعلم أنه حديث لا يقل عن درجة الحسن ، لأن الواقدى ثقة . وقوله «بحرية» أى جاء من جهة البحر . وقوله « تشاءمت » أى أخذت نحو الشأم .

(٣) فى اللسان : « تَذَأَّبَتِ الريحُ وتَذَاءبتْ : اختلفت ، وجاءت من هنا وهنا ... أبو عبيد :

فإذا خَلَصَتِ الريحُ عندهم دَبُورًا فهى من جنس البَوارِ ، وإذا خَلَصَتْ شَمالاً شَتْوِيَّةً فهى من آيات الجَدْبِ ، ومِن ثَمَّ تقولُ العربُ : فلان يُطْعِمُ فى الشَّمالِ ، كما تقولُ : يُطْعِمُ فى المَحْلِ .

قال أَوْسُ بن حَجَرٍ : « وعَزَّت الشَّمْأَلُ الرِّياحَ » أى غَلَبتْها ، فكانت أقوى منها ، فلم تَدَعْ لها موضعاً . وقوله : ﴿وعَزَّنِى فِى الخِطَابِ﴾[١] أى غلبنى فى المُخاطبةِ والخصومةِ ، ومن أمثالِ العربِ : « مَن عَزَّ بَزَّ » وتأويلُه : مَن غَلَبَ سَلَبَ[٢] ، قالت الخنساء :

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى إِذِ الناسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

⁂

قال أبو العباس : وحدثنى عمرُو بن بَحْرٍ الجاحظُ قال : رأيتُ رجلاً من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلاً من بنى فَزَارةَ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِى بَدْرِ بن عمرٍو ، وكان الغَنَوِيُّ متمكّناً من لسانه ، وكان الفَزارىُّ بَكِيًّا[٣] ، قال[٤] الغنوىُّ : ماؤُنا ما بينَ الرَّقَمِ إلى كذا ، وهم جيرانُنا فيه ، فنحن أقصرُ منهم رِشاءً ، وأعذبُ منهم ماءً ، لَنَا رِيفُ السُّهُولِ ومعاقِلُ الجبال ، وأرضُهم سَبِخةٌ ،

المتذَئِّبةُ والمُتذائبةُ ، بوزن متفعلة ومتفاعلة ، من الرياح : التى تجىء من ههنا مرة ومن ههنا مرة ، أخذ من فعل الذئب ، لأنه يأتى كذلك » .

(١) سورة ص (٢٣) .

(٢) فى ج و س و د « اسْتَلَبَ » .

(٣) فى د « بكيئاً » وهو جيد ، لأن أصل المادة من باب الهمزة ، وتركها إنما هو للتسهيل فقط . وانظر مادة (ب ك أ) فى اللسان .

(٤) فى ج و د « فقال » وبها طبعت فى نسخ مصر .

ومياهُهم أَمْلاحٌ، وأَرْشِيَتُهم طِوَالٌ، والعربُ بِمَنْ[1] عَزَّ بَزَّ، فبِعِزِّنا ماتَخَيَّرْنا عليهم، وبِذُلِّهِمْ ما رَضُوا عَنَّا[2] بالضَّيْمِ .

قوله « كان الفزاريُّ بَكِيًّا »[3] يقول: غيرَ قادرٍ على الكلامِ، وأصلُ ذلك في الحَلَبِ، يقالُ: ناقةٌ غَزِيرةٌ وناقةٌ « بَكِيٌّ »[4]، وهي ضِدُّ الغزيرةِ، أي قليلةُ اللبنِ، و« دَهِينٌ » و« صِمْرِدٌ » في معنًى، يقالُ « بَكَأَتِ » الشاة والناقة، و « بَكُؤَتْ » قال الشاعرُ :

فإذا ما حَارَدَتْ أو بَكُؤَتْ فُضَّ عن خاتَمِ أُخْرَى طِينُها[5]

وقال سَلَامَةُ بنُ جَنْدَلٍ [الطُّهَوِيُّ][6] :

يقولُ مَحْبِسُها أَدْنَى لِمرْتَعِها وإنْ تَدَاعَى بِبَكْءٍ كلُّ مَحْلُوبِ[7]

يقولُ: أن تَحْبِسَ الإبلَ على ضُرٍّ وتقاتلَ عنها فهو أَدْنَى بأنْ تَعِزَّ فَتَرْتَعَ فيما

---

(١) في طبعات مصر « والعرب إذ ذاك بمن » ولا يوافق شيئا من النسخ ، فما هنا هو الأصل في طبعة أوربة ، وفي ج و د « والعرب من » . وفي س « والعرب إذ ذاك من » ، وفي هـ « والعرب تقول من » .

(٢) في ج و س و د و هـ « مارضوا منا » .

(٣) في د « بكيئاً » .

(٤) في ج « بكية» وفي د « بكيء » .

(٥) يصف الشاعر باطية له ، وقوله « حاردت أو بكؤت » قال المرصفي : « كلتاهما مستعار من حاردت الناقة وبكؤت : إذا قل لبنها ، لآنية الشراب ، يريد : فإذا مانفد شرابها أو قل فتحت آنية أخرى » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بحاشية ا « ولو تَمَادَى » بدل « وإن تداعى » وبجوارها « صح » . ونقل المرصفي أن « ولو تمادى » رواية ديوانه . وهذا البيت من قصيدة طويلة ، ذكرها المرصفي في شرح الكامل (ج ١ ص ١١ – ٢٠) وهي أيضا في المفضليات للضبي (ج ١ ص ٤٦ – ٤٨ طبعة التقدم سنة ١٣٢٤) .

تَستَقْبِلُ وإن ذهبتْ ألبانُها ، لأنَّا إنْ طرَدْناها(١) وهرَبْنا طَمِعَ فينا واستُذْلِلْنا،
ويقالُ فى الكلامِ رجلٌ عَيٌّ بَكِىٌّ .

قال أبو العباس : وهذا الغنوىُّ : إذا حاوَلَ(٢) بقبيلته آلَ بَدْرٍ فقد أعظَمَ
الفِرْيةَ ، وبلغ فى البَهْتِ ، وأشمتَ العَدُوَّ بجُمْهُور قَيْسٍ ، وصارَبهم إلى
ماقال الأَخْطلُ(٣) :

وقد سَرَّنِى من قَيْسِ عَيْلانَ أنَّنِى ... رأيتُ بنى العَجْلانِ سادُوا بنى بَدْرِ

❊

وكان زِيادٌ يقولُ — وهو الغايةُ فى السياسة — : أوصيكم بثلاثةٍ : بالعالِمِ(٤)
والشريفِ والشَّيْخِ(٥) ، فواللهِ لا أُوتَى بوَضيعٍ سَبَّ شريفاً أو شابٍّ وَثَبَ
بشيخٍ أو جاهلٍ امتَحَنَ(٦) عالِماً — : إلاَّ عاقبتُ وبالَغْتُ .

وقال عُمارةُ(٧) لبَنِى أَسَدِ بن خُزَيْمةَ :

يأيُّها السَّائِلِى عَمْداً لأُخْبِرَهُ ... بذاتِ نفسى وأيْدِى اللهِ فوقَ يَدِى
إنْ تَستقِمْ أسَدٌ تَرْشُدْ وإنْ شَغَبَتْ ... فلا يَلُمْ لائمٌ إلاَّ بَنِى أسَدِ(٨)

(١) فى ج و د و هـ « أَطْرَدْنَاهَا » . وكلاهما صحيح ، يقال « طردت الإبل » أى ضممتها من نواحيها ، و « أطردتها » أمرت بطردها .
(٢) فى ج و س و د و هـ « إذا قابَلَ » .
(٣) فى ج و س و د و هـ « إلى قول الأخطل » .
(٤) فى د و س و هـ « العالم » .
(٥) فى ج و س و د و هـ « والشيخ والشريف » .
(٦) فى س « امتهن » وبها طبعت نسخ مصر . وأصل « المَحْنِ » الضرب بالسوط ، ثم استعمل فى الابتلاء والاختبار ، فقوله هنا « امتحن » أبلغ من قوله « امتهن » لأنه يؤدى معناه وزيادة .
(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قاله المرصفى .
(٨) « رشد » من بابى « نصر » و « فرح » . وفى د بدل « شغبت » « غَوِيَتْ » وفى هـ « شَقِيَتْ » .

إنى رأيتكم يُقْصَى كبيرُكُمُ وتَكنعون إلى ذى الفَجْرَةِ النَّكِدِ[1]
فباعدَ اللهُ كلَّ البُعْدِ دارَكُمُ ولا شفاكم من الأَضْغان والحسدِ

فرأى عصيانَهم الكبيرَ من أقبح العيبِ ، وأدلِّهِ على ضِغْنِ بعضِهم لبعضٍ ، وحَسَدِ[2] بعضِهم بعضًا ، والوضيعُ ينقلبُ إلى الشريفِ ، لأنه يَرَى مُقاولتَه فَخْرًا ، والاجتراء عليه رِبحًا ، كما أن مُقاولةَ الشريفِ لِلَّئيمِ ذُلٌّ وضَعَةٌ .
قال الشاعرُ :

إذا أنتَ قاوَلْتَ اللَّئيمَ فإنما يكونُ عليك العَتْبُ حين تُقاوِلُهْ[3]
واستَكنْ يَرْضَى بما غَيْرُهُ الرِّضَا ويَمسحُ رأسَ الذِّئبِ والذِّئبُ آكِلُهْ

وسَنُشْبِعُ هذا المعنى إن شاء الله .

وفى هذا الشعر بيتٌ يُقدَّمُ فى بابِ الفَتْكِ ، وهو :

فلا تَقْرَبَنْ أمرَ الصَّرِيمةِ بامْرِئٍ إذا رام أمرًا عَوَّقَتْهُ عَواذِلُهْ[4]
[وقل للفؤادِ إنْ نَزَى بك نَزْوَةً من الرَّوْعِ أفْرِخْ أكْثَرُ الرَّوعِ باطِلُهْ][5]

« الصَّرِيمةُ » العَزِيمةُ .

(١) فى هـ « إلى ذى العَجْزِ والنَّكَدِ » : وقوله «تكنعون» أى تخضعون . و «الفجرة» بفتح الفاء وسكون الجيم : اسم لكل قبيح ، من الفجور . و « النكد » بكسر الكاف : اللئيم ، من « النكد » بفتحها ، وهو اللؤم .

(٢) ضبطت الكلمة فى طبعة أوربة « حَسْدِ » بسكون السين ، ونقل بحاشيتها عن النسخة ا ضبطها بالفتح . ولم أجد مايدل على أن هذا المصدر بالسكون ، بل كلتهم قولا واحداً على الفتح.

(٣) فى ح و س و د وحاشية ا « يكون عليك الفضلُ »

(٤) « تقربن » بالباء ، من « القرب » وضبطه الشيخ المرصفى « تَقْرِنَنْ » ولم يذكر من أين أتى به ، إذ هو مخالف لجميع النسخ .

(٥) الزيادة من هـ .

وقد امتنعَ قومٌ من الجوابِ تَنَبُّلاً ، ومواضعُهم تُنْبِئُ عن ذلك ، وامتنعَ قومٌ عِيًّا بلا اعتلالٍ ، وامتنع قومٌ عَجَزُوا[1] واعتلُّوا بكراهة السَّفَهِ ، وبعضُهُمْ مُعْتَلٌّ برفعةِ نفسِه[2] عن خصمِه ، وبعضُهم كان يَسُبُّهُ الرجلُ الرَّكيكُ من العَشيرة فيُعْرِضُ [عنه][3] ويَسُبُّ سيدَ قومه ، وكانت الجاهليةُ ربما فعلته في الذُّحُولِ[4] ، قال الراجزُ :

إن بَجِيلاً كُلَّمَا هَجانِي ... مِلْتُ على الأَغْطَشِ أو أَبَانِ
أو طَلْحَةِ الخَيْرِ فَتَى الفِتْيانِ ... أُولاكَ قومٌ شأْنُهُمْ كَشانِي
ما نِلْتُ من أعراضِهم كَفانِي ... وإن سَكَتُّ عَرَفُوا إحْسانِي

وقال أحدُ المُحْدَثِينَ :

إنِّي إذا هَرَّ كَلْبُ الحَيِّ قلتُ له ... اِسْلَمْ ورَبُّكَ مَخْنُوقٌ على الجِرَرِ

قوله « اِسْلَمْ » فاستأنَفَ بألف الوصل ، لأن النصفَ الأول موقوفٌ عليه . قال الشاعرُ :

ولا يُبادِرُ في الشِّتاءِ وليدُها ... اَلقِدْرَ يُنْزِلُها بغير جِعالِ[5]

« الجِعَالُ » الذي يُوضَعُ فيه البُرْمةُ[6] ، وربما « تُوُقِّيَتْ به حرارتُها » . قال الراجزُ :

---

(١) في ج و د و هـ « عجزاً » .

(٢) في ج و د « بِرَفْعِهِ نفسَه » .

(٣) الزيادة من ج و د و هـ .

(٤) جمع « ذحل » وهو الثأر .

(٥) في ج و س و هـ « وليدنا » ولعله أجود .

(٦) هذا غير صحيح . والصواب ما في ج و د «الذي تُنْزَل بِهِ البُرْمَةُ» وفي هـ «الجعال : الخرقة التي ينزل بها القدر والبرمة » وهذا صواب أيضا .

لا نَسَبَ اليومَ ولا خُلَّةٌ اتَّسَعَ الخَرْقُ على الراقِعِ

وهذا كثيرٌ غيرُ مَعيبٍ .

☆

وفى مثل اختيارِ النَّبِيلِ لتتكافأَ الأَعْراضُ(١) قولُ الأخطلِ :

شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى من سُلَيْمٍ وعامرٍ ولم يَشْفِها قتلَى غَنِىٍّ ولا جَسْرِ

ولا جُشَمٍ شَرِّ القَبائلِ إنها كبَيْضِ القَطا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ

ولَوْ بِبَنِى ذُبيانَ بُلَّتْ رِمَاحُنا لَقَرَّتْ بهم عينى وباءَ بهم وِتْرِى

وقال رجلٌ من المُحْدَثِينَ ، وهو حَمْدانُ بن أبانَ اللَّاحِقِىُّ :

أَلَيْسَ من الكبائرِ أنَّ وغدًا لِآلِ مُعَذَّلٍ يهجو سَدُوسَا

هجا عِرْضًا لهم غضًّا جَدِيدًا وأَهْدَف عِرْضَ والدِهِ اللَّبِيسَا(٢)

وقال آخرُ :

أَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ من وَبْرٍ ووالدِهِ واللُّؤْمُ أَكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدَا

قَوْمٌ إذا جَرَّ جانٍ قومِهِمْ أَمِنُوا من لُؤْمِ أَحسابِهِمْ أن يُقْتَلُوا قَوَدَا

أَاللُّؤْمُ داءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ به لا يُقْتَلونَ بداءٍ غيرِهِ أبدا(٣)

وقال أحد المُحْدَثِينَ [هو دِعْبِلٌ] :

أما الهِجاءُ فدَقَّ عِرْضُكَ دُونَه والمَدْحُ عنكَ كما عَلِمْتَ جَليلُ

---

(١) فى ع و س و د و هـ « لتكافؤُ الأعراضِ » ورسمت فى ع « لتكافُىء » .

(٢) قال المرصفى : « يريد : جعله هدفاً يرى . ولم أجد ذلك الفعل فى اللغة . واللبيس : مستعار من قولهم ثوب لبيس : إذا كثر لبسه فأخلق » .

(٣) فى ع و د و هـ « واللؤم » .

فاذهبْ فأنتَ عَتِيقُ عِرْضِكَ إنّه … عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذَليلُ (١)

[وقال آخرُ :

نُبِّئْتُ كلبًا هاب رَمْيِي له … يَنْبَحُنِي من موضعٍ نائِي

لَوْ كنتَ من شيءٍ هَجَوْناكَ أو … لَوْ بِنْتَ للسّامِعِ والرائِي (٢)

فَعُدَّ عن شتمي فإنّي امرُؤٌ … حَلَّمَني قِلّةُ أَكْفائِي]

وقال آخرُ [هو دِعْبِلٌ] :

فلو أنّي بُليتُ بهاشميٍّ … خُؤُولَتُهُ بنو عَبْدِ المَدَانِ

صَبَرْتُ على عداوتِه ولكنْ … تَعَالَيْ فانْظُرِي بمَن ابتلانِي

---

(١) في ج و س و د و هـ «طليق عرضك» .

(٢) هذه الأبيات من ا و هـ فقط . وقوله « بنت للسامع » كتب في ا « ىلـ للشايع » ولم تنقط « ىلـ » وفي هـ « نبث للسامع » وقال مصحح طبعة أوربة لعل صحته «بِنْتَ للسامع» وطبعت في نسخ مصر « للت للشائع» وقال الشيخ المرصفي : «هذا غلط من الناسخ صوابه : لو بنت للسامع والرائي . يريد : لو أحسَّ بك الأعمى والبصير» . ولست أعرف مقدار ما في هـذا من الثقة ، لأن العمدة في مثله على الرواية ، والشيخ رحمه الله لم يذكر مصدر ما اختار .

انتهى الجزء الثاني

ويليـــه

الجزء الثالث